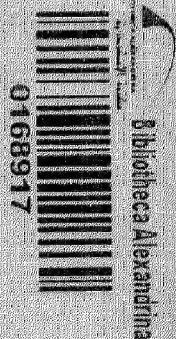


د. أحمد حسين الصاوي

# فجر الصحافة في مصر

دراسة في إعلام الجلة الفرنسية





# فجر الصحافة في مصر

## دراسة في إعلام الحملة الفرنسية

الدكتور أحمد حسين الصاوي



المكتبة والارشيف القومية لجمهورية مصر العربية

١٩٧٥

---

● الغلاف للمنان بهجت عثمان

---



## محتويات الكتاب

٥	.. .. .	اهـءاء
٧	.. .. .	ءءءءء
١٥	.. .. .	● الباب الأول : الءملة الفرنسة والمطبعة
٣٣	.. .. .	● الباب الثاني : ساسة الءملة الاعلامية وانجازاتها
٣٦	.. .. .	الفصل الأول : الاعلام للمصريين
٤٧	.. .. .	الفصل الثاني : الاعلام لءنوء الءملة
٥٥	.. .. .	الفصل الثالث : الاعلام المءءصص
٦٣	.. .. .	الفصل الرابع : الاعلام لءفر المصريين من السكان
٧١	.. .. .	● الباب الثالث : المنشورات العربية وسيلة اعلام
٨٧	.. .. .	● الباب الرابع : الدور الدعائى للمنشورات العربية
٩١	.. .. .	الفصل الأول : الساسة الاسلامية
١٠٩	.. .. .	الفصل الثاني : الساسة الوطنية
١٦٣	.. .. .	الفصل الثالث : ساسة الترءيب والترهيب
١٨٧	.. .. .	الفصة الرابع : المنشورات الدعائية ، بين الءملة وأعدائها
		● الباب الخامس : الدور الاعلامى البءء ( الاخبارى ) للمنشورات
١٩٩	.. .. .	العربية
٢٥٣	.. .. .	● الباب السادس : الءصائص الفنية للمنشورات العربية
٢٥٥	.. .. .	الفصل الأول : التءوير
٢٨٧	.. .. .	الفصل الثاني : التيبوغرافيا والاءسراج

- الأشكال .. .. ٢٩٩
- أهم مصادر البحث .. .... ٤١١
- فهرس الأعمال .. .. ٤١٩

---

الى مصرنا العظيمة ، الخالدة منذ فجر التاريخ  
الى ابد الدهر ، اهدى هذا الكتاب •



## تقديم

متى بدأ ظهور الصحافة العربية فى مصر ؟ لقد حاول أكثر من مؤرخ وباحث أن يجيب عن هذا السؤال . وزعم عدد منهم أن حكومة الحملة الفرنسية أصدرت أول صحيفة عربية ، بينما أنكر غيرهم من الثقات هذا القول ، مؤكدين أن « الوقائع المصرية » التى أصدرتها حكومة محمد على مؤسس دولة مصر الحديثة كانت هى الصحيفة الأولى . وتحفظ بعض الباحثين فأضاف الى ذلك ان « الوقائع » سبقت الى الوجود بصحيفة أخرى صغيرة مهدت لظهورها ونشرت على نطاق ضيق ، وهى « جرنال الخديوى » .

غير أن هؤلاء المؤرخين والباحثين قد سلموا مع ذلك بأن مصر ، قبل أن تكون لها صحافتها العربية ، كانت مهذا لصحف أخرى . فان حكومة الحملة أصدرت صحيفتين فرنسيتين ، احدهما لجنودها وهى « لوكورييه دى لييجبت » ، والثانية لعلمائها وهى « لاديكاد اجبسين » . وقد حفظ التاريخ أعداد هاتين الصحيفتين ، كما سجلتهما وناثق الحملة وكتابات مؤرخيها .

واذا كان ظهور الصحافة العربية فى عهد محمد على ثمرة طبيعية لانشاء مطبعة بولاق ، فان اصدار الصحيفتين الفرنسيتين قبل ذلك كان غاية مقصودة استهدفها الجنرال بوناپرت من تزويد حملته بجهاز طباعى كبير .

ولكن لم يكن اصدار صحيفة لجنود الحملة وأخرى لعلمائها هو الغاية الوحيدة أو الرئيسة لذلك التدبير غير المألوف فى الغزوات ، وما بذله قائد الحملة فى سبيله من جهد وما أضفاه عليه من عناية .

فقد كان الغرض الأول الذى حرص من أجله بونابرت على أن يزود حملته على مصر بالمطابع هو أن تكون أداة يخاطب عن طريقها الشعب المصرى . ومن هنا حرصه كذلك على أن يصطحب مجموعة مختارة من دارسى العربية الذين يستطيعون الترجمة بين قيادة الحملة والمصريين .

ولقد قصت علينا المراجع التاريخية بالفعل نبأ تلك الصحائف التى طبعتها سلطات الحملة بالعربية ، وجعلتها أداة أو وسيلة تذيع منها على أبناء البلاد الخبر والرأى ، وتعلن الأوامر والقرارات . بل أن بعض المراجع الفرنسية قد تضمن نصوص عدد من تلك الصحائف فى أصولها الفرنسية التى ترجمت منها الى العربية ، ومنها عرفنا انها كانت تسمى « بيانات » أو « منشورات » (Proclamation) . ومن هذه المراجع ينفرد السفر الكبير « مراسلات نابليون الأول » بأنه يضم بين دفتيه أصول كل ما أذاعه بونابرت على المصريين من تلك المنشورات .

غير أن مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتى ، وقد عاصر أحداث الحملة ، ينفرد - من ناحية أخرى - بأنه سجل أكبر عدد من النصوص العربية لهذه المنشورات التى كان يطلق عليها أحيانا « مناشير » وأحيانا « فرمانات » ، فضلا عن انه لخص مضمون بعض ما فاتته أن يسجله كاملا منها . وقد فعل معاصر آخر للحملة ، هو نقولا الترك ، مثل ما فعله الجبرتى ، فسجل بدوره نصوص عدد من المنشورات العربية وإن كان فى ذلك أقل دقة وموضوعية من الجبرتى . وعن تاريخ الجبرتى بالذات نقل معظم المؤرخين العرب نصوص ما سجله من المنشورات العربية . وقليل منهم من اهتم بأن يرجع الى الأصول الفرنسية فى مناقشته لبعض ما تضمنته هذه المنشورات . ولعل أبرز هؤلاء عبد الرحمن الرافعى وأحمد حافظ عوض .

على أن أحدا من هؤلاء جميعا لم يذهب فى ذكره للمنشورات الى أبعد من الاستشهاد بها على وقائع تاريخية معينة ، أو الاستدلال على وجهة نظر سياسية أو اجتماعية . أى أنه لم يكن من حظ هذه المنشورات أن جعلت هى ذاتها موضوعا للدراسة ، حتى فى كتابات من تعرضوا لموضوع الطباعة أو الصحافة فى عهد الحملة ، مثل الدكتور إبراهيم عبده والدكتور أمين واصف .

ويلاحظ من ناحية أخرى أن معظم هؤلاء المؤرخين كانوا أكثر اهتماما بما أذاعه بونابرت ، منهم بما أذاعه خليفته كليبر ومنو ، من هذه المنشورات . ولا شك أن ذلك راجع أولا الى دور هذا القائد

الأساسى فى الحملة وما اقترن باسمه من وقائعها ، منذ التخطيط لها حتى عاد الى فرنسا بعد أن استخلف فى قيادتها كليبر ، وثانيا الى شخصيته وما حفلت به حياته بعد الحملة من أحداث ضخام ، شغلت المؤرخين والباحثين وما تزال .

ويلفت النظر كذلك ان بعض المؤرخين الذين تناولوا ذلك العهد ، كان يلحق ببجنه ثبوتا بالمراجع يضمنه قسما عن « الوثائق المعاصرة » ، ولكنه لا يذكر بين هذه الوثائق المنشورات التى كانت تذيبها سلطات الحملة على الناس وتضمنها أوامرها وقراراتها ، كما تعبر بوساطتها عن آرائها وسياساتها .

ولقد اثار اهتمامى الخاص بهذه المنشورات ما طالعته من نصوصها فى تاريخ الجبرتى أولا ، ثم فى غيره من مراجع عهد الحملة الفرنسية الذى لم يجاوز ثلاث سنوات كان لها أعمق الآثار فى تاريخ مصر الحديث . وكنت كلما اطلت النظر فى مضمون هذه المنشورات وقارنت بين أصولها الفرنسية وصيفها العربية ايقنت بأنها ظاهرة اعلامية فريدة تستحق أن يفرد لها بحث خاص يقومها ويحدد أبعادها ويوضح جوانبها ويضعها فى مكانها التاريخى الصحيح ، وان ذلك سوف يقدم لنا مفهوما جديدا لنشأة الصحافة العربية فى مصر .

ان دخول المطبعة الى مصر لأول مرة على يد الحملة الفرنسية كان حدثا حضاريا خطيرا . وقد اتخذت منها سلطات الحملة اداة تصطنع عن طريقها وسائل « اتصال » متشعبة الأغراض . وكان « النشر » عن طريق هذه المطبعة فى حد ذاته تحقيقا لمبدأ اعلامى جديد على الحياة المصرية التى لم تعرف قبله سوى وسائل الاعلام البدائية ، مثل منابر المساجد و « المنادى » الذى يجوب الطرق . ومن هنا كان لابد ، لى يقوم البحث على أساس سليم ، من الرجوع الى المنشورات نفسها فى طبعتها الأصلية ، ثم الاطلاع كذلك على ما أصدرته الحملة من مطبوعات عربية وفرنسية أخرى ، فضلا عن اعداد صحيفتها « لوكوربيه » و « لاديكاد » ، وذلك لاستجلاء معالم السياسة الاعلامية للحملة ، حتى يمكن فى ضوئها تحقيق رؤية أوضح لطبيعة المنشورات وقيمتها .

اما من حيث المنشورات فان التنقيب فى المكتبات العامة والخاصة فى مصر لم يسفر الا عن العثور على عدد قليل من طبعتها الفرنسية ، مع منشورين عربيين اثنين ، مما ضمته دار الوثائق القومية الى محفوظاتها من مكتبة قصر عابدين .

غير ان الظروف اتاحت لى أن أقوم برحلة دراسية الى باريس فى صيف عام ١٩٧١ . وهناك وفقت بعد مشقة الى العثور على مجموعة هائلة من المنشورات العربية ونظائرها الفرنسية ، فضلا عن بعض مسوداتها المخطوطة ، فى عدد من دور المحفوظات الرسمية ، وأخصها قسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية والمكتبة القومية ، فقامت بتصويرها جميعا . وأتبع ذلك برحلة الى لندن ، حيث عثرت فى مكتبة المتحف البريطانى على عدد آخر من المنشورات ، فحصلت كذلك على صورها .

ولا شك ان طبيعة المنشورات ، من حيث انها صحائف متفرقة تصدر فى غير انتظام ، كانت وراء قلة العناية بجمعها وحفظها من ناحية ، وضياح بعضها من ناحية أخرى . ولولا اهتمام سلطات الحملة بضم ما توافر لديها من هذه المنشورات الى وثائقها المختلفة التى حرصت على الخروج بها من مصر ، ولولا اهتمام السلطات الفرنسية بعد ذلك بجمع ما تنائر فى حوزة الأفراد من هذه المنشورات وغيرها وضمه الى مكتبات الدولة ومتاحفها ، لما أمكن أن أعثر منها الا على النزر اليسير الذى لا يغنى قليلا .

وأما من حيث المطبوعات الأخرى فقد كان الأمر اقل عسرا ، اذ تمكنت بعد شئ من الجهد من العثور على عدد من أهم هذه المطبوعات فى دار الكتب المصرية والمكتبة القومية بباريس . وقمت بعد الاطلاع عليها بتصوير ما احتاج اليه البحث من صفحاتها .

وأما صحيفتا الحملة الفرنسيتان فقد كان أمرهما أيسر كثيرا ، اذ أن كلا من دار الكتب المصرية والمكتبة القومية بباريس تحتفظ بمجموعتين كاملتين من صحيفة « لوكورييه » فضلا عما تنائر من أعدادها فى بعض المكتبات الأخرى . وكذلك فان احدى دور النشر اللبنانية أعادت مؤخرا - بالتصوير - نشر المجلدات الثلاثة لصحيفة « لاديكاد » ، فوفرت بهذا على الباحث جهد الاطلاع على المجموعة الأصلية حيثما وجدت ، فى القاهرة أو باريس أو لندن أو غيرها .

وهكذا تجمعت بين يدى مختلف عناصر البحث ومصادره الأساسية ، فعكفت على دراستها واستكناه دلالاتها . وكان من الطبيعى أن يتم ذلك فى اطار من خلفية عريضة لتاريخ الحملة الفرنسية ذاتها ، أعان على توافرها تنوع المراجع لهذا التاريخ وتعددتها فى مكتباتنا المختلفة ، بالفرنسية والانجليزية والعربية .



ولقد أسفر البحث ، بهذه المقومات ، عن عدة نتائج :

● فقد أجاب بوضوح عن السؤال الذى استهل به هذا الحديث ، اذ حدد البداية الفعلية للصحافة العربية فى مصر ، بظهور تلك المنشورات المطبوعة التى أصدرتها سلطات الحملة لتؤدى وظيفة الصحيفة الرسمية للدولة .

● وأوضح أن هذه المنشورات لم تكن ظاهرة متفردة أو منعزلة ، وإنما كانت جزءا من خطة اعلامية متكاملة ، تعددت أطرافها وقنواتها . فالى جانب الاتصال المباشر - بوسيلة حديثة - بين حكومة الحملة وأفراد الشعب المصرى ، استهدفت تلك الخطة كذلك أن يطلع جنود الحملة وأبناء الجاليات الأجنبية على مضمون الرسائل الاعلامية التى يتلقاها المصريون . وذلك اما بإصدار طبعة فرنسية منفصلة من المنشورات العربية ، واما بأن تصدر هذه المنشورات مزدوجة اللغة . وتضمنت هذه الخطة كذلك استخدام المطابع فى اصدار « الأوامر اليومية » للجنود ، فضلا عن صحيفتهم الخاصة « لوكورييه » . أما علماء الحملة الذين كانوا من أركانها الأساسية ، فقد صدرت لهم دورية « لاديكاد » .

تم ان الدراسة التحليلية لمنشورات الحملة العربية قد كشفت عن عدة حقائق لا تقتصر على مجال الصحافة أو الاعلام وحده ، وإنما تجاوزه الى المجال التاريخى البحث :

● فهى من ناحية قد أبرزت كل ما يتصل بسياسة اصدار المنشورات ، ومضمونها ولغتها ، وتحريرها ، واخراجها ، ودور المصريين وغيرهم فى هذا الصدد .

● وهى من ناحية أخرى ، شأنها فى ذلك شأن الصحف بعامة ، قد عكست صورة صادقة لعصرها ، فأوضحت سياسة كل من قواد الحملة الثلاثة تجاه المصريين ، وألقت الضوء على نشاط الادارة الفرنسية ومشروعاتها ، وجلت من الحقائق مالم تتضمنه المراجع التاريخية عن ذلك العهد .

وعلى هذا الأساس ينقسم الكتاب الى ستة ابواب . يتحدث الأول منها عن الحملة والجهاز الطباعى الكبير الذى اصطحبته معها ، وكان دعامة أساسية من دعوماتها . أما الباب الثانى فيتناول الخطة الاعلامية للحملة ، وهو يضم أربعة فصول يختص كل منها بأعلام فئة

من الفئات التي استهدفتها تلك الخطة ، وهى : الشعب المصرى .  
وجنود الحملة ، وعلماءها ، والمستوطنون الأجانب .

ويتركز الحديث فى الأبواب الأربعة الباقية على المنشورات العربية :  
فيوضح الباب الثالث مهمة هذه المنشورات من حيث هى وسيلة اعلام  
حديثه كاملة المقومات . ويناقش الباب الرابع الدور الدعائى لها . وهو  
ينقسم الى أربعة فصول تتناول على الترتيب : الفكرة الاسلامية ،  
والفكرة الوطنية ، ومحاولات الوعد والوعيد ، تم معركة البداية بين  
الحملة وأعدائها . اما الباب الخامس فيحلل الوظيفة الاخبارية  
للمنشورات . ثم يتناول الباب السادس والآخر ، فى فصلين ،  
الخصائص الفنية للمنشورات من ناحيتى التحرير والاخراج .

وفى اطار هذا المنهج الذى قسم البحث على أساسه تقسيما  
موضوعيا ، يتدرج عرض المادة فيه من التعميم الى التخصص ، عولج  
كل موضوع حسب الترتيب الزمنى الذى يتبع تعاقب قواد الحملة  
الثلاثة : بونايرت ، وكليب ، ومنو .

ولا شك انى افدت فى مرحلة التمهيد لكتابة البحث ، وفى اثناء  
اعداده ، قبل الاستعانة بالوثائق الأصلية ، من كل ما كتب عن الحملة  
الفرنسية فى مصر بوجه عام ، ومن الدراسات التى اتصلت من قريب  
او بعيد بنشاط الحملة الاعلامى بوجه خاص .

ومن واجبى ، وقد وفقت الى اتمام البحث وعرضه فى هذه  
الصورة أن أنوه بفضل من هياؤا لى بعونهم سلوك دربه الشاق .  
وأخص بالذكر رجال القنصلية الفرنسية والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية  
بالقاهرة ، الذين أتاحوا لى الاطلاع على بعض المراجع النادرة ، كما  
زودونى بعديد من التوصيات القيمة عند ارتحالى الى فرنسا . وأذكر  
كذلك الخدمات الثمينة التى قدمها لى المسئولون فى متاحف باريس  
ومكتباتها ودور المحفوظات بها ، وفى المتحف البريطانى بلندن ، وفى  
دار الكتب المصرية ، ودار الوثائق القومية بالقاهرة .

ولا يفوتنى كذلك أن أشكر المسئولين فى الهيئة المصرية للكتاب ،  
وفى مطابعها الثقافية ، على ما أولوه للكتاب من رعاية ، وما بذلوه فى  
طبعه واخراجه من عناية .

وانى اذ اقدم ثمرة ذلك الجهد الى المعنيين بالدراسات الاعلامية  
والتاريخية ، لأرجو أن أكون قد اضفت به جديدا الى مكتبتنا العربية  
فى هذين المجالين ، وجلوت صورة لجانب من جوانب عهد كانت له - على  
قصره - آثار بعيدة فى حياة مصر الحديثة \*

وبالله التوفيق ؟

د . احمد حسين الصاوى

يونيو ١٩٧٤

الجامعة الأمريكية بالقاهرة



الباب الأول

---

الحملة الفرنسية والمطبعة



أجمع المؤرخون - وبحق - على أن الحملة الفرنسية على مصر بقيادة الجنرال بوناپرت قرب نهاية القرن الثامن عشر ، هي الحد الفاصل ونقطة التحول الفعلية الواضحة بين مصر العصور الوسطى ومصر الحديثة .

ومع قصر عهد الحكم الفرنسي لمصر ، الذي لم يزد كثيرا على ثلاث سنوات (١) ، ومع أن الحملة قد فشلت في تحقيق أهدافها الاستعمارية التي حلم بها رجال مثل مجالون(٢) ودي شوازيل(٣) وتاليران(٤) ، وتحمس لها بوناپرت نفسه ووضع خططها ، وأيدها حكومة الادارة (الديركتوار) ، فلا ريب أن الحملة كانت لها في حد ذاتها نتائج أخرى بعيدة المدى قوية الأثر في حياة مصر نفسها .

(١) من ٢ يوليو ١٧٩٨ حتى ١٨ أكتوبر ١٨٠١ .

(٢) شارل مجالون (Charles Magallon) . وهو تاجر فرنسي أقام بمصر أكثر من عشرين عاما ، وكان يشرف على مصالح مواطنيه في القاهرة بعد انتقال القنصلية الفرنسية الى الاسكندرية عام ١٧٧٧ ، ثم أصبح قنصلا عاما لبلاده عام ١٧٩٣ . وقد ردد مجالون في رسائله الى المسؤولين في فرنسا الشكوى من سوء معاملة الممالك للتجار الفرنسيين ، وعدد موايا الاستيلاء على مصر والسيطرة على البحر الأحمر ، وأكد أهمية موقع البلاد الجغرافي وتجارتها ومنتجاتها .

(٣) دوق دي شوازيل (Choiseul) وزير خارجية فرنسا (١٧٥٧ - ١٧٧٠) . بذل جهدا كبيرا في احياء البحرية الفرنسية وتقويتها ، وفي اعادة بناء مرسى الامبراطورية الفرنسية التي انهارت في صلح باريس عام ١٧٦٣ . وكان ممن فكروا في انشاء مستعمرة فرنسية بمصر .

(٤) شسارل موريس دي تاليران - بيريجورد (Talleyrand-Berigord) . هاجر من فرنسا في أثناء الثورة وعاش طويلا في إنجلترا والولايات الأمريكية ، ثم عاد الى وطنه عام ١٧٩٦ . انضم لعضوية المجمع العلمي الفرنسي عام ١٧٩٧ ، وهناك قدم بحثين جدد فيهما انشاء مستعمرة فرنسية في مصر . تولى وزارة الخارجية في حكومة الادارة في العام نفسه ، فواتته الفرصة لتحقيق فكرته .

لقد أراد القائد الفرنسي الساب ، ومن ورائه حكومة الادارة ، أن يجعل من حملته أداة فعالة لتحقيق فكرة انشاء مستعمرة فرنسية في مصر ، تكون نواة لامبراطورية فرنسية جديدة في الشرق ، بعد أن فقدت فرنسا معظم مستعمراتها القديمة ، وبخاصة في نصف الكرة الغربي (١) . ومن هنا كان تزويد الحملة بكل ما يساعدها على تحقيق هذا الأمل الكبير .

فالى جانب جيش كبير جيد التسليح يتكون من نحو خمسين ألف جندي وبحار ، ويحمله أسطول من نحو اربعمائة سفينة ، صحب الحملة نخبة كبيرة من علماء فرنسا وباحيها وخبرائها في مختلف مجالات التخصص ، عدا مئات من الاداريين والعاملين المدنيين .

غير أنه مما يلفت النظر حقا في مرحلة الاعداد لهذه الحملة أن يعمل بوناپرت على تزويدها بجهاز طباعي كبير ، وأن يسرف بنفسه ، وفي اهتمام شديد ، على اسنكمال هذا الجهاز لكل ما يلزمه من رجال ومعدات . ووثائق العصر ومراجعته تحفل بالشواهد على العناية الخاصة التي أولاها بوناپرت لمطابع الحملة ، منذ مرحلة الاعداد لها ، وفي أنشاء تحركها الى الشواطئ المصرية ، ثم طيلة المدة التي قضاها على رأسها بمصر . وكان لكل ما يتصل بالطباعة العربية بالذات النصيب الأوفى من هذه العناية .

اتخذت حكومة الادارة في ٢٦ فنتوز من السنة السادسة للجمهورية (٢) ( ١٦ مارس عام ١٧٩٨ ) قرارا بتعبئة كل المعدات الطباعة

(١) كانت فكرة انشاء مستعمرة جديدة في « الشرق » تراود كثيرا من الفرنسيين ، منذ ان أسفرت حروب فرنسا الاستعمارية والأوربية الطويلة قبل الثورة عن معد الشطر الأكبر من المستعمرات الفرنسية ، في سلحي أوترخت عام ١٧١٣ وباريس عام ١٧٦٢ . وبخاصة في أمريكا الشمالية . ومنذ العترة السابقة على انفجار الثورة الفرنسية سادت الأفكار التي تنتقد النظام الاستعماري القديم ، ويدعو في الوقت نفسه الى « استعمار جديد » دعائمه العمل الحر وعدم استخدام الرقيق .

ولم تلبث أنظار الفرنسيين أن اتجهت بشكل نهائي نحو « الشرق » بعد أن نبين لهم في السنوات القليلة التي سبقت ارسال حملة بوناپرت على مصر أن ممتلكاتهم في جزر الهند الغربية توشك أن تفلت من أيديهم نسجة لانتشار الأفكار التحررية وازدياد النفوذ الأمريكي الناشئ بين سكانها .

(٢) يبدأ التقويم الجمهوري ( للثورة الفرنسية ) في ٢٢ سبتمبر عام ١٧٩٢ ، غداة اليوم الذي قررت فيه الجمعية الوطنية إلغاء الملكية في فرنسا . وفيه تنقسم السنة الى اثني عشر شهرا في كل منها ثلاثون يوما ، وهي :

Vendémiaire, Brumaire, Frimaire, Nivose, Pluviôse, Ventôse, Germinal, Floreal, Prairial, Messidor, Thermidor, Fructidor

ويلحق بنهاية الشهر الثاني عشر تكمله (complément) ، وهي أيام « نسي » مدتها خمسة أيام للسنة البسيطة وستة للكسبية .



التي يحتاج اليها بونابرت في حملته المزمعة على مصر ، وكذلك كل حروف الطباعة العربية واليونانية التي توجد بمطبعة الدولة ، فضلا عما يكفي من الحروف الفرنسية (١) . ولكن لما انقضت عشرة أيام على هذا القرار دون تنفيذ ضجر بونابرت ، فكتب يشكو في لهجة حادة الى وزير الداخلية بطء الاجراءات ، ويقول له «ان مدير المطبعة والمواطن لانجليس(٢) أظهرأ أسوأ النوايا» ، ويرجوه أن يصدر أمره بنسحن جميع الحروف العربية ، دون قوالبها (أمهاتها) التي توجد بتلك المطبعة . ثم يطلب من الوزير كذلك اصدار أمره بشحن الحروف اليونانية التي كانت مطبعة الدولة وقتئذ نستخدمها في طبع أعمال زينوفون (Xénophon) (٣) ، ويقول ساخرا «انه ليس هناك ضرر في أن ينتظر زينوفون ثلاثة أشهر حتى يتم سبك حروف جديدة ، ما دامت الأمهات ستبقى بالمطبعة » . وأخيرا يطلب منه شحن حروف فرنسية من الأحجام المعتادة تكفي لاستخدامها على ثلاث طابعات » (٤) .

ويبدو ان بونابرت كان يخشى ألا تفي الطابعات والحروف التي طلبها من حكومة باريس بالغرض . وبخاصة فيما يتصل بالطباعة العربية. فكتب الى العالم مونج (٥) في ٥ مارس ١٧٩٨ - وكان في روما بوصفه عضوا بلجنة فحص التحف والآثار المرافقة للجيش الفرنسي - يطلب اليه

(١) Canivet, R.G., « L'Imprimerie de l'Expédition Française », Bulletin de l'Institut Égyptien, 5ème série, Tome III, 1909, p. 2.

(٢) (Langlès) . وهو مستشرق فرنسي ( ١٧٦٣ - ١٨٢٤ ) ، ساهم في العمل بمدرسة اللغات الشرقية بباريس . وكان يجيد عدة لغات شرقية ، منها العربية والفارسية والتركية ، وله مؤلفات وترجم قيمة . كان وقت الاعداد للحملة يعمل أميناً بالمكتبة القومية بباريس ، وقد رفض في اصرار مصاحبة الحملة الى مصر. ولما كان بونابرت يحتاج الى مستشرق قدير يصاحب حملتها ، فقد ضايقه هذا الرفض ، ولكنه في النهاية اختار فانطور (Vanture) بدلا من لانجليس ، بالإضافة الى مستشرقين آخرين مثل مارسيل (Marcel) .

(٣) مؤرخ وفيلسوف ومائد اثيني من تلاميذ سقراط ( نحو ٤٢٧ - ٣٥٥ ق.م ) .

(٤) Correspondance de Napoléon Ier, publiée par ordre de l'Empereur Napoléon III, Paris, 1858-70, Vol. IV, doc. 2452.

وجد أورد كانيفيه (Canivet, op. cit., p. 3.) نص هذه الرسالة كاملا .

(٥) هو جاسبار مونج (Gaspard Monge) أكبر علماء الرياضيات فرنسا في عصره ، وأحد مؤسسي مدرسة الهندسة بباريس ، وعضو المجمع العلمي الفرنسي . درس عليه بونابرت في المدرسة الحربية ، وكان موضع اجلاله . وقد =

أن يعد للحملة مجموعات من حروف الطباعة العربية وعددا من صفافي الحروف والطابعين والمترجمين وغيرهم ، كما دعاه للانضمام الى الحملة (١) . وقد رد مونج في ١٥ مارس بأنه سوف يستولى من مطابع « جمعية نشر الدعوة الدينية » بروما على ثلاث طابعات مع معداتها ، وأنه سيضم لها أطقم حروف لاتينية وعربية وسريانية . وكذلك أعلن انه اختار بعض المترجمين والفنيين والعمال (٢) .

وقد تبادل بوناپرت بعد ذلك عددا من الرسائل مع مونج لاقناعه بمصاحبة الحملة ، بعد أن اعتذر بتقدمه في السن وبكثرة واجباته في باريس . وكان بوناپرت لايفتا في هذه الرسائل يذكره بالمعدات المطبعية . ففي ١٣ جرمينال عام ٦ ج ( ٢ أبريل ١٧٩٨ ) كتب القائد الفرنسي الشاب الى العالم الكهل يقول : « اننى أعتد على المطبعة العربية لجمعية نشر الدعوة الدينية وعليك . . فهل أصعد في نهر التيبر لأصحبك ؟ » (٣) وبعد ثلاثة أيام كتب بوناپرت اليه مرة أخرى يقول : « اننى أوصيك بالمطبعة العربية بخاصة » (٤) .

والى جانب ذلك كله أصدر بوناپرت أمرا الى كافاريللى (٥) فى

== صحبه فى حملته على مصر حيث اختير رئيسا للمجمع العلمى . ولما عاد الى فرنسا بذل جهدا كبيرا فى جمع بحوث علماء الحملة الفرنسية على مصر . وفى عهد الامبراطورية منحه نابليون لقب « كونت » وعينه بمجلس الشيوخ ( ١٧٤٦ - ١٨١٨ ) .

(١) Christopher Herold, Bonaparte in Egypt, London, 1963, p. 29. ولهذا الكتاب ترجمة عربية بقلم الأستاذ فؤاد اندراوس ، بعنوان « بوناپرت فى مصر » ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

(٢) Charles-Roux, F., Bonaparte, Gouverneur d'Egypte, Paris, 1936. pp. 12-3.

وجمعية نشر الدعوة الدينية (Congrégation de la Propagande) أنشأها المجمع المقدس بالفاتيكان ، وكانت مهمتها ترجمة الكتاب المقدس وطبعه بكل اللغات .

(٣) مراسلات نابليون ، ج ٤ ، وثيقة رقم ٢٤٧١ .

(٤) مراسلات نابليون ، ج ٤ ، وثيقة رقم ٢٤٧١ .

(٥) هو الجنرال ماكسيميليان كافاريللى دى فالجا (Maximilien Caffarelli de Falga) من أسرة فرنسية نبيلة . حارب فى الحملة الإيطالية وفقد إحدى ساقه . عهد اليه بوناپرت قبل إبحار حملته على مصر بالإشراف على إعداد الأدوات والكتب التى كانت الحملة فى حاجة اليها ، ثم اختاره رئيسا لفرقة المهندسين فى الجيش وعضوا بالمجمع العلمى =

٢١ فلوريال عام ٦ ج (١٠ مايو سنة ١٧٩٨) ، أى قبل اقلاع الحملة بتسعة أيام ، بأن يشتري أدوات ومعدات لمطابع الحملة ، وقد كلفه ذلك أكثر من عشرة آلاف فرنك (١) ، وهو مبلغ ضخم فى ذلك الوقت .

أصدر بونابرت قبل قيام الحملة القرارات التنظيمية الخاصة بموظفى المطابع وعمالها . وقد حرص على أن يختار للإشراف عليها شخصية ممتازة، جمع صاحبها بين الخبرة الطباعية والصحفية وبين اجادة اللغة العربية بالذات ، مما يجعل لهذا الاختيار دلالة خاصة ، هو المستشرق العلامة مارسيل الذى ساهم فى نشاط الحملة الطباعى والاعلامى والعلمى بنصيب كبير (٢) .

واهتم بونابرت كذلك بأن يكون من بين من عينهم للعمل بمطابع الحملة بعض أبناء الأقطار « الشرقية » (٣) ، ومن درسوا اللغة العربية

= المصرى . وقد أشار اليه الجبرتي كثيرا فى يومياته عن عهد الحملة الفرنسية ، وكان يقول ان العامة تسميه أبا خشبة بسبب ساقه الخشبية . قال عنه مرة « ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر الى الأزبكية كقرى المسمى بأبى خشبة وهو يمشى بها بدون معين ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة .. » : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٠ . انظر :

Canivet, « L'Expédition d'Egypte », La Revue Internationale d'Egypte, 1906, p. 9.

Ibid, p. 3. (١)

(٢) هو جان جوزيف مارسيل (J.J. Marcel) تتلمذ على يوحى بدموسة المعلمين العليا بباريس ، ثم درس بدموسة اللغات الشرقية على لانجليس وفانتور وسلفستر دى ساسى (Silvestre de Sacy) واجاد العربية والتركية والفارسية وغيرها . رأس فى صدر شبابه تحرير صحيفة مدارس المعلمين (Le Journal des Ecoles Normales) وقد جمع بيده حروف المنشور العربى الاول لبونابرت على السارحة « لوران » ، وأحتر عضوا بالمجمع العلمى المصرى . والى جانب اشرافه على مطابع الحملة بشر فى مصر عدة بحوث ، منها كتب فى تعليم العربية الفصحى والعامة ونماذج مختلفة من الاداب السريية . وبعد عودته الى فرنسا اشترك فى تحرير العمل الضخم « وصف مصر » وكنات « التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية على مصر » . وفى أواخر ايامه عين مارسيل مديرا عاما لمطابع الدولة ومسح فرقة الشرف . راجع المقال الذى كتب فى تابينه :

M. Belin, « Notice Nécrologique et Littéraire sur M.J.J. Marcel », Journal Asiatique, 5e Série, Tome III, 1854.

(٣) الياش فتح الله من مدينة ديار بكر (الكردة) ، مترجم ورئس المعلمين بالنفس العربى للمطابع ، ويوسف مسابكى من دمشق . انظر : جرجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة ١٩٥٧ ، ج ٤ ، ص ٤٦ .

بروما أو بمدرسة اللغات الشرقية بباريس (١) .

ولم يكتف بونايرت بأن تسافر حملته مجهزة - مع أسلحتها وعلمائها - بهذه العدة الطباعية الرسمية الضخمة التي جمع وحداتها وأدواتها من باريس وروما ، والتي اختار للإشراف عليها والعمل بها نخبة من الرجال ، وإنما رحب كذلك بأن يصحب الحملة طابع مستقل بمعداته الخاصة ، هو مارك أوريل الذي كان لبونايرت به معرفة سابقة . بل وشجعه بأن منحه لقب «طابع جيش الشرق» (٢) . وبالفعل ساهمت مطبعة مارك أوريل بجهد ملحوظ في النشاط الاعلامي للحملة ، كما سنرى .

وبلغ من اهتمام بونايرت بمطابع الحملة الرسمية أن أمر بنقلها على البارجة لوريان (L'Orient) التي عقد لها لواء قيادة الحملة ، والتي أبحر عليها بونايرت نفسه . ولا شك انه كان يرغب من وراء ذلك أن تبقى المطابع قريبة منه ، بحيث تستطيع أن تمارس نشاطها في أى وقت يشاء قبل النزول الى الشواطئ المصرية . وقد حدث بالفعل أن كتب بونايرت منشوره الأول الى الشعب المصري ، وترجم المنشور الى العربية وطبع في البحر ، بل وبدأ توزيعه من هناك ، قبل أن تطأ أقدام الفرنسيين الأراضي المصرية (٣) . وكذلك قامت هذه المطابع ، ومطبعة مارك أوريل (٤) ، في أثناء الرحلة بطبع بعض المنشورات الفرنسية التي وزعت على جنود الحملة ، قبل وصولها الى الاسكندرية ببضعة أيام .

(١) مثل دلاپورت (De Laporte) الفرنسى وجوفانى رينو (G. Rino) وكاميلوريجا (C. Riga) الايطالين . انظر : Canivet, op. cit., p. 4.  
(٢) هو جوزيف ايمانويل مارك أوريل (J. Emmanuel Marc Aurel) ابن بيير مارك أوريل الذي كان طابعا وناشرا وصاحب مكتبة بمسدينة فالنس على نهر الرون (Valence-sur-Rhône) . وقد تعرف بونايرت بهما في أثناء عمله ضابطا بشركات هذه المدينة . وفي عام ١٧٩٣ عن بونايرت صديقه الشاب جوزيف طابعا لحملة طولون انظر :

Geisse, A., « Histoire de l'Imprimerie en Egypt », Bulletin de l'Institut Egyptien, 5e série, Tome I, 1907, p. 142 ; Charles-Roux, op. cit., pp. 138-40.

(٣) يذكر كريستوفر هيرولد (op. cit., p. 60) انه بينما كان الأسطول الفرنسى لا يزال أمام الاسكندرية ، أرسل قائد سفينة عثمانية أحد ضباطه بهدف الى البارجة « لوريان » ليستوضح جلية الأمر ، وهناك أعطوه نسخة من المنشور العربى الأول الوجه الى أهل مصر . ولما كان الضابط لا يعرف العربية ، فقد ترجم له المستشرق فانتور عبارات المنشور الى التركية ، فطلب مزيدا من النسخ لتوزيعها . ثم قفل راجعا مخطبا من بونايرت الى قائده .

(٤) كانت هذه المطبعة على ظهر الغرقاطة « حوستيس » (Justice) كما ذكر عدد من المؤرخين .

بعد اتمام احتلال الاسكندرية ، وقبل الزحف منها الى القاهرة ، كان بونابرت حريصا على أن تعد مطابع الحملة بحيث تؤدي عملها في أسرع وقت • ومن أجل ذلك أصدر أمرا يوميا من ثلاث مواد في ١٩ مسيدور عام ٦ ج (٧ يوليو ١٧٩٨) ، وهو اليوم الذي غادر في مسائه الاسكندرية مع أركان حربه ليدحق بالفرق الزاحفة الى القاهرة • وينص هذا الامر على أن قيادة الجيش ستترك بالاسكندرية ضابطا مسئولا يشرف على انزال المطابع الى البر ، وأن هذه المطابع سوف تقام في منزل قنصل البندقية ، بحيث تستطيع أن تطبع في خلال ثمان وأربعين ساعة بالفرنسية أو العربية كل ما قد ترسله اليها القيادة العامة ، في أثناء الزحف على القاهرة وبعده • وينص الامر كذلك على انه بمجرد تهيئة المطبعة العربية للعمل تقوم بطبع أربعة آلاف نسخة أخرى من المنشور العربي الاول ، الذي سبق طبعه في عرض البحر (١) •

تابع بونابرت اهتمامه بمطابع الحملة من القاهرة • فما أن استتب له الامر هناك حتى أخذ يبعث برسائله ، منذ ٢٧ يوليو ١٧٩٨ ، الى كل من كليبر (Kléber) قائد حامية الاسكندرية ، ومنو (Menou) حاكم رشيد ، وبرتييه (Berthier) رئيس أركان حرب جيش الحملة (وكان بالاسكندرية) ، يطلب العمل على نقل مطابع الحملة الى القاهرة • وكانت هذه المطابع عندئذ تؤدي عملها في اصدار المطبوعات الفرنسية والعربية بإشراف مارسيل ، بينما كانت مطبعة مارك أوريل الخاصة قد نقلت بالفعل الى القاهرة وأخذت تمارس نشاطها في خدمة الحملة بنشر المطبوعات الفرنسية وحدها ، إذ لم تكن هذه المطبعة تملك حروفا عربية • ومن لهجة رسائل بونابرت في هذا الصدد يتضح مدى تلهفه على أن تكون المطابع الرسمية للحملة ، وبخاصة القسم العربي منها ، قريبة منه في القاهرة (٢) •

ومن المؤكد ان عدة مطبوعات عربية قد صدرت في تلك الايام من الاسكندرية • فهناك منشورات محلية صدرت في الاشهر الاولى لعهد الحملة ذيلت بالعبارة العربية « في اسكندرية من مطبعة الشرقية والفرانساوية » ، أو العبارة الفرنسية : « de l'Imprimerie Orientale et Française d'Alexandrie »

(١) Charles-Roux, op. cit., p. ١٤٠.

(٢) راجع : مراسلات نابليون ، ج ٤ ، الوثائق ٢٨٥٢ ، ٢٨٦٤ ، ٣١١٢ ،

ج ٥ ، وثيقة ٣٦٦٩ . انظر كذلك : Charles-Roux, op. cit., pp. ١٤٣-٤.

وتتضمن قائمة مطبوعات الحملة التي أوردتها « جيس » كذلك (١) عناوين بعض الكتيبات التي صدرت في ذلك الوقت بالاسكندرية خاصة بمن يتعلمون العربية من الفرنسيين .

وتشير بعض مكاتبات بونابرت من القاهرة وقتئذ الى اعتماده على مطابع الحملة بالاسكندرية في اصدار بعض ما يريد من منشورات تتصل بسياسة الحكومة المركزية للحملة . فقد أرسل الى كليبر في الثغر العدد الأول من صحيفة « لوكورييه دى لييجت » الفرنسية (٢) في يوم صدوره (٢٩ أغسطس ١٧٩٨) ، ومعه كتاب طلب منه فيه أن يترجم الى العربية المقال المنشور بالصحيفة عن الاحتفالات التي أقيمت في القاهرة بمناسبة المولد النبوى ، ويوزع الترجمة في بلاد المشرق ، وأن يرسل له منها أربعمئة نسخة (٣) .

وفي ٢٧ فروكتيدور عام ٦٦ (١٣ سبتمبر ١٧٩٨) كتب بونابرت الى كليبر كذلك يقول : « تجد ٠٠٠ مرفقا بهذا نسخة من الكتاب الذى وجهه مشايخ القاهرة وكبرائها الى شريف مكة ، فأرجو أن تطبعه وترسل لى منه ستمائة نسخة ، كما تعمل على ارسال أربعمئة نسخة أخرى لتوزع في شرق البحر المتوسط » (٤) .

Op. cit., pp. 146-50. ١١

(٢) هي أول صحيفة تصدر في مصر . وقد أصدرتها قيادة الحملة الفرنسية بعد استقرارها في القاهرة بنحو شهر ، وسيأتى الكلام عنها في موضعه .  
(٣) أشار معظم مؤرخى الحملة الفرنسية الى هذا الكتاب نفلا عن « مراسلات نابليون » ( ج ٤ ، وثيقة ٣١٧٦ ) ولكن لم يذكر أحد منهم ما اذا كان المنشور المطلوب قد طبع ووزع بالفعل . وكذلك لم يعثر المؤلف ، ضمن ما عثر عليه من مطبوعات الحملة ، على هذا المنشور . وبلاحظ أيضا أن الجبرتي لم يشر اليه .

(٤) أشار الجبرتي في تاريخه (شعالب الآثار ، ج ٣ ص ٢١) الى هذا الكتاب وذكر مضمونه بإيجاز وقال انهم «صموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق» . وكذلك أشارت مصادر فرنسية عدة الى الموضوع ، وفي مقدمتها صحيفة «لوكورييه» (العدد الثانى، ٢ نسيء عام ٦ ح : ١٨ سبتمبر ١٧٩٨) . غير أن هذه المصادر ذكرت أن تاريخ كتاب المشايخ هو ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ (أول سبتمبر ١٧٩٨) بينما ذكره الجبرتي ضمن حوادث يوم ١٨ ربيع الثانى (٢٩ سبتمبر) . ولاشك فى صحة التاريخ الذى ذكرته المصادر الفرنسية لاتفاقه تماما مع تاريخ تنصيب أمير الحج الجديد ، وقد كان ذلك الموضوع من أهم ما تضمنه كتاب العلماء ( انظر الجبرتي ، الرجوع السابق ، ج ٣ ص ١٦ ) ولكن يبدو أن الجبرتي لم يعلم بأمر كتاب العلماء وبالتالي لم يشر اليه الا بعد أن كان قد أرسل فعلا الى الاسكندرية ، حيث طبع وأعيد الى القاهرة على شكل منشور . فالغارق الرمنى بين التاريخين يمكن أن يفسر هذا الاختلاف . وستعرض لهذا المنشور مرة أخرى فيما بعد .

ولا شك ان ارسال أصول المنشورات العربية من القيادة العامة في القاهرة لطبعها في الاسكندرية ، ثم توزيعها من هناك ، كان أمرا غير عملي . هذا الى ان بونابرت لم يكن راضيا عن جهود مارك أوريل ، بسبب كثرة الأخطاء الطباعية في الصحيفتين الفرنسيين ، وبخاصة في « لاديكاد اجبسين » (١) .

لم يشأ بونابرت أن يظل نشاط الحملة في مجال النشر موزعا بين مطبعة مارك أوريل الخاصة ومطابعها الرسمية ، بعد أن تم نقل معظم وحدات هذه الأخيرة الى القاهرة ، بل أراد أن يتركز ذلك النشاط في المطابع الرسمية وحدها ، وأن تكون مطبوعاتها تحت رقابة مباشرة من بعض معاونيه الأكفاء .

وكانت المطابع الرسمية ومعداتنا قد وصلت الى القاهرة تباعا عن طريق النيل في خلال شهر أكتوبر ١٧٩٨ (٢) . وبعد وصول مديريها مارسيل وعمالها مع الحروف المختلفة ، بدأ أعدادها للعمل . وظهر لهذه المطابع - كما سنرى - انتاج فرنسي وعربي منذ أوائل شهر نوفمبر التالى . وليس صحيحا ما ذكره الدكتور ابراهيم عبده (٣) من أن المطبعة الرسمية «لم تستطع تأدية وظيفتها (في القاهرة) الا في شهر يناير من سنة ١٧٩٩» . ويبدو ان بعض أدوات المطبعة تأخر ارساله من الاسكندرية ، مما حدا ببونابرت الى أن يكتب لمنو بتاريخ ٢٤ نوفمبر ليدبر في الاسكندرية عددا من الجمال كي تنقل بعض الصناديق التي كانت ما تزال تنتظر شحنها في النيل من رشيد (٤) .

وعلى أية حال ، فقد ساعد بونابرت على اتخاذ خطواته الحاسمة في هذا الشأن انه لم يكن راضيا - كما ذكرنا - عن مستوى الطباعة في الصحيفتين الفرنسيتين ، مما جعله يأمر بسحب امتياز طبع «لاديكاد» ثم «لوكورييه» من مطبعة صديقه (٥) ، وبتكليف مارسيل بأن يتولى أمرهما في

(١) هي اللورية التي أصدرتها الحملة لعمالها وسيأتي الكلام عنها في حينه .

(٢) Charles-Roux, op. cit. p. 144 .

(٣) تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٤٠ .

(٤) مراسلات نابليون ، ج ٥ وثيقة ٣٦٦٩ .

(٥) كان من أبرز الأخطاء المطبعية في «لوكورييه» وقتئذ ان اسمها نفسه كتب بحرف

«ر» واحد بدلا من اثنين (Courier) .

مطابعه الرسمية (١) ومن هنا أصدر أمره المشهور في ٢٥ نيفوز عام ٧ ج (١٤ يناير ١٧٩٩) بتنظيم مطابع الحملة (٢) .

ويلفت النظر في هذا الامر انه يتكون من ست مواد ، أربع منها تتعلق بالقسم العربى من المطابع . وهى تنص على سبك خمسة صناديق (٣) جديدة للحروف العربية ، وعلى الحاق عدد من العمال «الشرقيين» بالمطبعة ، فضلا عن عدد آخر من السببان ليتعلموا صف الحروف . غير ان أهم ما تضمنه هذا الامر هو تعيين المستشرق فانتور مراقبا للمطبعة العربية ، بحيث تخضع لشرافه المباشر ولا يطبع فيها شيء الا بموافقته ، بينما عهد الى بوريين (Bourrienne) بمثل هذه المسئولية فى المطبعة الفرنسية .

\*\*\*

ينضح من كل هذا ان بوناپرت - فى حملته على مصر - كان ينظر الى المطبعة نظرة خاصة ، ويهتم بأمرها اهتماما غير مألوف فى مثل هذه الحملات . فمنذ اختراع المطبعة - وهو لا شك حدث حضارى خطير - لم نسمع عن حملة حربية أو استعمارية واحدة أولت المطبعة كل هذا الاهتمام أو جعلت لها هذه الاهمية . لقد انطلقت من مختلف الدول الاوربية عبر تاريخها الحديث عدة حملات وموجات استعمارية متعاقبة الى آسيا وافريقيا والأمريكتين . ولكن لم يسجل التاريخ لاحداها انها جعلت

(١) كتب بوناپرت فى هذا الشأن الى ديڭنت (Désgenettes) كبير اطباء الحملة الذى كلف بالإشراف على طبع الصحيفة واخراجها فى أول الامر : بما ان المواطن مارك أوريل لا يستطيع ان يطبع « لاديكاد » جيدا فيمكنك ان تهدي بها الى المواطن ماركس ليطبعا فى المطبعة الرسمية . وارجو ان توجه عنايتك الى ضرورة ظهور الصحيفة بانتظام كل عشرة أيام . انظر :

Périvier, A., *Napoléon Journaliste*, Paris, 1918, pp. 88-9.

وبعد أن وجد مارك أوريل مطبعته بلا عمل عرض على قيادة الحملة ان ييسرها آلات المطبعة وأدواتها جميعا . وبالفعل تألفت لجنة لتأمينها ، ولكن عملية البيع لم تتم ولم يسافر مارك أوريل عائدا الى فرنسا الا فى عهد كليبر ثانى قواد الحملة . انظر

Désgenettes, N.R.D., *Souvenirs d'un médecin de l'Expédition d'Egypte*, Paris, 1893, Tome 3, p. 17.

(٢) راجع النص الكامل للأمر معربا فى : ابراهيم عيسى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣ - ٤٤ نقلا عن بعض المصادر الفرنسية المعروفة .

(٣) يطلق مصطلح « الصندوق » على ما يشبه علبة كبيرة تصنع دون غطاء ، من الخشب الثين أو المعدن . ويقسم الصندوق الى عيون مختلفة الاتساع ، حتى تخصص العيون المتسعة لكبر عدد من الحروف الكثرة الاستخدام ، والعيون الأقل اتساعا للحروف الأقل استخداما . وهذا الصندوق هو العدة الأساسية لمعامل الجمع اليدوي فى المطابع .



المطبعة جزءاً أساسياً من عدتها ، وجهازاً رئيسياً يعمل فى خدمه أغراضها ،  
كما فعلت الحملة الفرنسية •

ولكن ، لماذا فعل بوناپرت ذلك ؟ وما هى الفكرة التى جعلته يهيم  
للمطبعة فى حملته على مصر هذه المكانة ؟

من فحص انجازات مطابع الحملة ، ودراسة الاسارات المتناثرة فى  
رسائل بوناپرت ومذكراته ومذكرات بعض أعوانه ، فضلاً عما كتبه مؤرخو  
شخصيته الفذة من معاصريه وغيرهم ، نستطيع أن نقرر أن بوناپرت  
عندما جهز حملته بهذا الجهاز الحضارى الخطير الاثر ، وعندما استمر -  
رغم مشاغله وما واجهته حملته من متاعب - يواليه دائماً بعنايته ، كان  
يبنى تحقيق خطة اعلامية متعددة الجوانب •

ونستطيع أن نؤكد ان الأمر لم يكن أبداً مجرد اجراء «روتينى» عادى  
يوفر به قائد حملة عسكرية لجيشه أداة «ادارية» يستعين بها على اذاعة  
أوامر القيادة وقراراتها على الجنود ، كما هو الشأن فى الجيوش الحديثة :

- لقد دبر بوناپرت حملته مستهدفاً منها أن تكون «غزوا» أو «فتحا»  
لهذه البلاد • وكان يحلم بأن ينشئ فى مصر مستعمرة فرنسية جديدة ذات  
طابع فريد ، تمتزج فيه حضارتها «الشرقية» العربية بالحضارة الاوربية  
الحديثة عامة ومبادئ الثورة الفرنسية بوجه خاص • ولتحقيق هذه  
السياسة كان لا بد من اعلام دعائى مدروس منظم • والدعاية تعتمد ، أول  
ما تعتمد ، على النشر أو الاذاعة • وليس أقوى من الكلمة المطبوعة فى ذلك  
الوقت وسيلة لنشر هذه الدعاية واذاعة رسائلها • وكان لا بد - بطبيعة  
الحال - أن تكون هذه الوسيلة الدعائية بلغة من توجه اليهم • ومن جهة  
أخرى فإن جهاز الحكم الفرنسى يحتاج الى أداة حديثة تيسر نقل أوامر  
المستولين وملاحظاتهم ، وتساعد بالتالى على دعم الادارة الجديدة وتثبيت  
سلطتها • وليس أصلح من المطبعة فى ذلك الوقت لأداء هذه المهمة • ومن  
هنا أصبح من الضرورى توفير المطبعة العربية والاهتمام بها وبكل  
ما يساعدها على تحقيق رسالتها من أدوات وحروف ، ومن محررين  
ومترجمين وفنيين وعمال •

- وكان المفروض أن يستقر الغزاة الفرنسيون فى مصر مستعمرين  
مقيمين • فالحملة ، كما سبق القول ، كانت محاولة لفتح استعمارى جديد ،  
تحوطها أحلام المجد الزاهية ، وتصاحبها مشروعات بعيدة المدى • ومصر  
القليم يبعد عن فرنسا كثيراً ، ويختلف عن أوربا اختلافاً كبيراً فى البيئة

والتقاليد وسائر مقومات الحياة . وفى هذه «المستعمرة» الجديدة ، سوف يقيم الجنود فى مناطق متفرقة تمتد على جانبي واد يبلغ طوله مئات الكيلومترات ، وسوف يصيبهم - ولا شك - الملل ، وسوف يشعرون بالحنين الى وطنهم . ولذلك يحتاج هؤلاء الجنود الى وسيلة اعلام ترفع روحهم المعنوية ، وتربط بينهم ، وتسليهم وتخفف من آلام غربتهم ، وتعرفهم بمعالم بيئتهم الجديدة . هذا فضلا عن الحاجة التقليدية الى نشر قرارات القيادة وأوامرها بين جنود الحملة أينما كانوا فى مختلف أرجاء البلاد . ومن هنا كان لا بد للحملة من مطبعة فرنسية تفى بهذه الاحتياجات .

- ولقد صحب «جيش الشرق» الى مصر عدد كبير من العلماء والباحثين والفنيين ، الذين كونوا ما سمي بلجنة العلوم والفنون (١) . وكان هذا الفريق يمثل ركنا أساسيا من أركان حملة بوناپرت ، ومنه أسس القائد الفرنسى الشاب بمجرد استقراره فى القاهرة المجمع العلمى المصرى (l'Institut d'Egypte) على غرار المجمع الفرنسى (٢) . وكان الهدف من استعانة قائد الحملة بهذه المجموعة الكبيرة من العلماء هو القيام بالدراسات التى تجلو صورة مصر ، وتكشف كل ما يتصل بها من حقائق ، وتقدم الى الهيئة الحاكمة من المعلومات الدقيقة المرتبة ما يساعدها على الاستقرار وارساء الأساس لبناء المستعمرة المنشودة . والمطبعة الفرنسية هنا ضرورية لتكون أداة يفيد منها علماء المجمع فى تسجيل نشاطهم ونشر بعض ما يقومون به من بحوث ودراسات .

وقد دعم هذه الخطة الاعلامية المتعددة الجوانب ، التى كانت وراء

(١) بلغ عددهم أكثر من مائة وسبعين عالما وباحثا وفنانا وخبرا متخصصا فى مختلف ميادين العلوم النظرية والتطبيقية . وهو عمل لم يسبق له نظير .

(٢) تنص لائحة المجمع ( التى تتكون من ٢٦ مادة ) فى مادتها الأولى ، على انه انشئ تحقيقا لهذه الأغراض : ١ - التهوى بالعلوم فى مصر ونشرها ٢ - بحث ودراسة ونشر المعلومات الطبيعية والصناعية والتاريخية عن مصر ٣ - ابداء الراى فى مختلف المسائل التى تطلب فيها الحكومة المشورة . وقد انصرف علماء المجمع وباحثوه الى عملهم فى تقان واخلاص . واثمرت جهودهم الجماعية السفر الخالد « وصف مصر » ، وهو يضم عشرة مجلدات من النصوص وأربعة عشر مجلدا من اللوحات ، تتضمن دراسات تفصيلية دقيقة فى الآثار والمساح والجيوولوجيا والحيوان والنبات والزراعة والجغرافيا وغيرها . وقد كان من بين أعضاء المجمع عدد من نوابغ المتخصصين فى مبادئهم النظرية والتطبيقية ببلادهم ، مثل الرياضى مونج (Monge) رئيس المجمع ، والمهندس ليبير (Lepère) ، والطبيب ديجنت (Désenettes) .

تزويد الحملة بجهاز طباعى كبير ، ميل بونابرت الشخصى للصحافة ، وايمانه بأهميتها ، واهتمامه بأمرها . وقد نوه بذلك عدد من المؤرخين ، فقال فيل (Weill) (١) مؤرخ الصحافة الفرنسية : « كان نابليون يؤمن بقوة الصحافة ، وكان هذا الايمان يشغله دائما » . وكتب شارل رو (٢) ان نابليون بونابرت « أحب الصحافة دائما ، بشرط أن تكون رسمية » . أما بريفييه (Périvier) الذى خصص كتابا للحديث عن هذا الجانب فى حياة القائد الفرنسى ، فقال (٣) « اننا نجد شخصية الصحفى كامنة فى أعطاف قائد الحملة الفرنسية على مصر » .

وقد ظهر اهتمام بونابرت بالصحافة واضحا قبل الحملة المصرية، وخلال الفترة القصيرة التى تولى فيها قيادتها ، ثم بعد أن عاد الى فرنسا وأصبح قنصلا أول فامبراطورا ( ١٧٩٩ - ١٨١٥ ) .

فقد كان يكتب وهو بعد ضابط صغير بعض المقالات من حين لآخر فى صحف باريس (٤) . وفى أثناء وجوده على رأس الحملة الإيطالية ( ١٧٩٦ - ١٧٩٨ ) أنشأ صحيفتين هما « La France vue de l'Armée d'Italie » ( شكل ٢ ) ( ٥ ) و « Le Courrier de l'Armée » ( شكل ٣ ) ( ٦ ) ، كما طبع عددا من المنشورات الموجهة الى الإيطاليين . ولقد كان جوليان (Julien) رئيس تحرير صحيفة « لوكورييه دى لارميه » يكتب كثيرا من مقالاته بايعاز مباشر من بونابرت ، بل وأحيانا بناء على توجيهات محددة تتصل بأفكار المقالات ونقاطها (٧) . وإلى جانب ذلك كان بونابرت

(١) Weill, *Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique*, Paris, 1934, p. 129.

(٢) Op. cit., p. 144.

(٣) Op. cit., p. 79.

(٤) Ibid., p. 12.

(٥) كان يعتقد انه لم يتيسر للمؤرخين العثور على نسخ من هذه الصحيفة ، فقد أكد بريفييه ذلك فى كتابه « نابليون صحفيا » قائلا : « أن مادة هذه الصحيفة كان يمكن أن تحظى باهتمام بالغ ، فلا شك أنها كانت تحتوى على بلبور الأفكار والخطط السياسية للقائد الذى أصبح فيما بعد قنصلا أول ثم امبراطورا لفرنسا . ولكن لسوء الحظ لم يمكن العثور على أعدادها ، ولم يستطع آتان (Hatin) مؤرخ الصحافة الفرنسية أن يجد منها واحدا » ( ص ٦٧ - ٦٨ ) . غير أن المؤلف - لحسن الحظ - قد وفق الى العثور على بضع نسخ نادرة من هذه الصحيفة ضمن مجموعة أخرى من الصحف القديمة فى المكتبة القومية بباريس .

(٦) من محفوظات المكتبة القومية بباريس . ولهذه الصحيفة اسم بديل هو « Le Patriote Français à Milan ».

(٧) Périvier, op. cit., p. 67 ; Charles-Roux, op. cit., p. 144.

بيعت أحيانا بعض المجلات من مقر قيادته في إيطاليا لتنتشر في صحف باريس ، ردا على ما كانت تنشره صحف الملكيين هناك (١) .

وفي أثناء وجود بوناپرت على رأس حملته بمصر ، كان شديد الاهتمام بصحيفتيها الفرنسيتين . وكثيرا ما كان يبدى بعض الملاحظات بشأنهما ، وبخاصة اذا ساءه شيء من أخطاء التحرير أو الطباعة . وقد سبق أن أشرنا الى سحبه لطبع هاتين الصحيفتين من مارك أوريل لهذا السبب .

ولشد ما كان بوناپرت يدرك أهمية النبا المطبوع ، ويعتبر الصحف من الأشياء الضرورية التي لا غنى للانسان عنها . ولذلك فقد عانى في مصر كثيرا بسبب حرمانه ورجاله من قراءة الصحف الخارجية لمتابعة أحداث فرنسا وغيرها . وليس أدل على ذلك من أنه بمجرد أن وطئت قدماه أرض فرنسا عائدا من مصر ، أى في اليوم الذى رسا فيه بميناء فريجوس (Fréjus) الصغير ، كتب الى قائد ميناء طولون كتابا يطلب اليه فيه أن يرسل « بأقصى سرعة ممكنة » الى الجيش فى مصر سفينة تحمل أعداد صحيفة « لومونيتور » وغيرها ، التى صدرت خلال الأشهر الستة السابقة « لأن الجيش يفتقر الى أنباء أوروبا منذ أكثر من ستة أشهر » (٢) .

وبعد ان أصبح بوناپرت قنصلا اول ( ١٨ برومير سنة ٨ ج = ٩ نوفمبر سنة ١٧٩٩ ) توثقت صلته بالصحافة . ومع أنه لم يكن من انصار حرية الكلمة ، ولدا بطش بعدد كبير من الصحف الفرنسية فى المرسوم الذى أصدره بتاريخ ١٧ يناير ١٨٠٠ وفرض على ما بقى منها رقابة صارمة (٣) ، فالذى يهمنا فى هذا الصدد هو أنه جعل من صحيفة « لومونيتور » لسان حكومته « . . . ووسيلة الاتصال بينه وبين الرأى العام داخل فرنسا وخارجها » (٤) .

ولقد كان القنصل الأول بوناپرت فى الواقع مديرا للمونيتور ورئيسا لتحريرها ، يشرف على كل شيء فيها بنفسه ، ويراقب التحرير

(١) اميل بواغان (Emil Boivin) تاريخ الصحافة ، ترجمة محمد اسماعيل محمد ، سلسلة الالف كتاب ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) Périvier, op. cit., p. 90.

(٣) كان فى فرنسا أكثر من ٧٠ صحيفة لم يبق منها بمقتضى هذا المرسوم سوى ١٣ .

(٤) Ibid., p. 23 ; Ledré, Charles, Histoire de la Presse, Paris, 1958, p. 160.

والتوزيع والادارة وينتقد ما يقدم اليه من موضوعات ، وبملى التعقيبات  
ويصحح الأصول ، وما الى ذلك (١) .

وقد ذكرت صحيفة « لونا سيونال » (Le National) الباريسية بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٣٠ ، أن بونا برت نشر عدة مقالات في صحيفة « لومونيتور » بين عامي ١٨٠٠ و ١٨٠٣ ، للرد على هجوم الصحف الأجنبية « كانت غاية في براعة المنطق وعلو البلاغة وجمال الأسلوب » (٢) .

ولم تحل مهام الامبراطورية دون اهتمام نابليون بالصحافة . وكان من أهم الصحف التي اعتنى الامبراطور بأمرها الى جانب « لومونيتور » صحيفة « لو جورنال دي ديبا » (Le Journal des Débats) التي عاونه فيها نخبة من الكتاب منهم الكاتب المعروف شاتوبريان (Chateaubriand) (٣) .

ولا ننس من ناحية أخرى أن الصحف التي تعمد سيدنى سميث (Sydney Smith) قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط أن يرسلها الى بونا برت في أثناء حصاره لعكا ، هي التي عجبت بقرار عودته الى فرنسا ، بعد أن تبين منها سوء الأحوال في بلاده واشتعال الحرب بينها وبين أعدائها من جديد . وكذلك كانت الصحف التي مراها في منفاه الأول بجزيرة « البا » (Elba) سببا في عودته التي بدأ بها عهد الأيام المائة (٤) .

ومن كل هذا يتضح كم كان بونا برت حفيا بأمر الاعلام ووسائله وأدواته عندما أعد العدة لغزو مصر . فقد كان في كل أطوار حياته رجل اعلام ، يؤمن - على طريقته - بالصحافة ، ويشارك فيها بالعمل والتوجيه ، ويعتمد عليها ويستخدمها لتحقيق أهدافه ، ولا ينى عن الاهتمام بأمرها ايا ما كانت شواغله . وهذا الجانب من شخصية بونا برت، الذي برز اسمه في التاريخ مرتبطا ، قبل أية صفة أخرى ، بفتوحه

(١) اميل بوفان ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٤) Ledré, op. cit., pp. 157-8.

ومعاركه العسكرية ، نم بانجازاته التشريعية والاصلاحية وربما بنزواته وشطحاته كذلك ، لهو أمر جدير حقا بامعان النظر .

وفي ضوء هذه الحقائق ينبغي ان ننظر الى السياسة الاعلامية للحملة الفرنسية في مصر نظرة جديدة ، وان نقومها تقويما منصفيا ، ونتتبع اثرها في حياة البلاد ، التي استشرفت بعجىء الحملة الفرنسية - ايا ما كانت اهدافها الحقيقية ومدى فشلها في تحقيق هذه الاهداف - مرحلة جديدة من تاريخها الطويل الحافل . فمن المسلمات التاريخية انه بالرغم من عدم نجاح الحملة الفرنسية في تحقيق مخططاتها الطموح ، فقد كانت لها آثار متعددة الجوانب متفاوتة العمق في مستقبل مصر ، اصطلح على اجمالها في القول بأن مصر بدأت بالحملة الفرنسية تدخل التاريخ الحديث .

غير أن تفصيل هذا الاجمال قد احتاج الى عدة جهود علمية جادة متنوعة التخصص مختلفة المنهج ، وما زال يحتاج الى مزيد من هذه الجهود .

## الباب الثاني

---

### سياسة الحملة الإعلامية وإنجازاتها





أوضحنا فى الباب السابق مدى عناية قائد الحملة بأمر المطبعة . بحيث نستطيع القول ان الجهاز الطباعى الذى زود به بونابرت حملته كان يمثل ركنا أساسيا من أركانها الى جانب الجيش من ناحية ، وفريق العلماء والخبراء من ناحية أخرى . وهو أمر تميزت به هذه الحملة دون غيرها من الحملات المشابهة .

ثم استعرضنا جانباً من حياة هذا القائد يؤكد انه كان بطبعه يقدر الصحافة تقديراً خاصاً ، ويسهم فى نشاطها ، ويتصل بمجالها اتصالاً مباشراً . وكانت الصحافة هى الوسيلة الوحيدة للاعلام الحديث فى ذلك الوقت .

فكيف كانت سياسة هذا القائد الاعلامية فى مصر ؟ وما الذى استطاع أن يحققه هو وخليفته من هذه السياسة ؟ وما هى الآثار المباشرة وغير المباشرة التى ترتبت على ما تحقق من انجازات اعلامية ؟

لقد اصطلح الاعلاميون على أن لعملية الاعلام أركاناً أربعة لا بد من توافرها لكى تتم ، هى المصدر الذى ينشر أو يذيع ، والرسالة التى يراد ابلاغها ، والوسيلة التى تستخدم لنقل هذه الرسالة ، ثم المتلقى أو الجمهور الذى توجه اليه الرسالة .

وفى موضوع بحثنا كانت قيادة الحملة بأجهزتها المختلفة هى مصدر الاعلام ، وكانت جماهيره تشمل أساساً ثلاثة عناصر هى : الشعب المصرى ، وجنود جيش الحملة والمتحقيقين به من موظفين وصناع ومن اليهم ، وفريق العلماء والخبراء . وقد يتسع نطاق هذه الجماهير لتشمل عناصر أخرى أقل أهمية ، مثل سكان البلاد من غير المصريين .

وأما وسائل الاعلام التى اصطنعتها الحملة فاختلفت باختلاف الجماهير أساساً . كذلك اختلفت الرسائل الاعلامية باختلاف متلقيها .

غير ان السياسة الاعلامية للحملة حرصت - فى الوقت نفسه - على ألا تكون هذه الجماهير المختلفة قطاعات مستقلة ينفرد كل منها باعلامه الخاص ، منعزلاً تماماً عن سائر القطاعات . وانما عملت على أن تحقق بينها لونا من التداخل أو التقارب الاعلامى . فكانت الرسائل ذات الطابع المشترك توجه الى أكثر من جمهور ، وذلك بإذاعتها بأكثر من لغة ، ومن خلال أكثر من وسيلة . وكان يحدث أحيانا أن تذاع الرسالة مفصلة لجمهورها ، ويكتفى بإيجازها أو بمجرد الإشارة اليها لغيره ، كما سنرى .

## الفصل الأول

### الإعلام للمصريين

لا شك أن الشعب المصرى كان يمثل لقائد الحملة أهم العناصر التى ينبغى عليه أن يقيم بينه وبينها جسرا اعلاميا • وقد سبق أن لمسنا مدى حرصه البالغ على توفير الأدوات التى تمكنه من اقامة ذلك الجسر •

ولقد كانت وسيلة الاعلام الرئيسية التى استخدمها بونابرت فى مخاطبة المصريين ، والتى تبعه فيها خليفته من بعده ، هى المنشورات العربية المطبوعة ، التى ستفرد لها دراسة خاصة موسعة فى هذا البحث •

وكانت هذه الوسيلة جديدة تماما على المصريين ، فلم يعرفوا قبلها من وسائل الاعلام الا الوسائل الشفهية التى كانت شائعة قبل اختراع المطبعة ، مثل المنادى فى الطرق ، والاذاعة عن طريق ممثلى السلطات أو رجال الدين من منابر المساجد وفى غيرها من أماكن العبادة ، وبخاصة فى أوقات الصلوات الجامعة • وكان على المصريين أن ينتظروا ثلاثة قرون ونصف قرن بعد اختراع المطبعة ، لكى يشاهدوا - مع مقدم الحملة الفرنسية - نماذج بلغتهم من انتاج هذا الجهاز الحضارى الخطير •

والواقع أن الحملة لم تقض تماما على تلك الوسائل التقليدية القديمة ، وانما استعانت بها كذلك ، وبخاصة فى القرى • ولقد سجل ذلك فى أكثر من موضع مؤرخنا المصرى المعاصر للحملة ، عبد الرحمن الجبرتي • فكان كثيرا مايقول « نادوا بذلك فى الطرقات » أو « نبهوا أيضا بالمناداة بأن •• »

غير أن الجديد هو تلك « الأوراق المطبوعة » التي كان الفرنسيون كلما أرادوا اعلام المصريين بشيء أصدروا منها « نسخا كثيرة » و « أرسلوا منها الى الأعيان ولصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد » (١) . ولا شك أن ذلك فى حد ذاته يمثل نقطة تحول واضحة فى نظام الاعلام بمصر ، تفصل بين نهاية عهد قديم وبداية عهد جديد .

ومن ناحية أخرى ، فقد حددت هذه البداية النهج الاعلامى الذى عرفته مصر لعشرات السنين فيما بعد ، منذ أنشأ محمد على صحفه ، مما جعل نشأة الصحافة فى مصر تختلف عن نشأتها فى أوربا اختلافا جذريا . فقد بدأت مقدمات الصحافة بأوربا منذ القرن الثالث عشر ، أى قبل اختراع المطبعة ، على شكل نشرات اخبارية مخطوطة . وانتشر هذا النوع فى انجلترا وفى الدويلات الايطالية والألمانية بوجه خاص ، وواكبه نوع آخر من الاعلام الشفهى بواسطة رواة احترفوا اذاعة الأخبار فى الأسواق الكبيرة فى مواعيد معينة . ثم أحدث اختراع المطبعة ، فى منتصف القرن الخامس عشر ، وانتشارها ثورة فى الاعلام المكتوب ، اذ أتاح المجال لقيام صناعة جديدة بكل مقوماتها من منتجين وعاملين ومستهلكين وبضاعة ، وتلك هى الصحافة الحديثة .

والمهم فى ذلك أن الصحافة نشأت فى أوربا على أيدي أفراد احترفوا جمع الأخبار ثم روايتها أو نسخها ، وبعد استخدام المطبعة اتسع نطاق عملهم . وساعد على نمو الصحف وتطورها عدة عوامل ، منها تقدم وسائل المواصلات ، وانتشار التعليم ، وذيوع أفكار التحرر والديموقراطية .

وصحيح أن الصحافة كانت فى بدء ظهورها تخدم طوائف معينة من الجماهير تتمثل فى طبقات النبلاء والتجار ومن اليهم . وصحيح كذلك أن الحكومات فى بعض الدول تدخلت بالتشريع وبغيره لتحديد حرية الصحافة وتخضعها لأرادتها أو لأهوائها ، ولكن الصحافة مع ذلك ظلت فى تلك البلاد مهنة حرة بوجه عام ، وان تفاوت نصيبها فيما تتمتع به من حرية القول وما يقيد حركتها من نصوص القوانين .

غير أن الصحافة نشأت فى مصر - بتلك المنشورات المطبوعة - نشأة فريدة . فهى لم تظهر على يد فرد أو جماعة من أفراد الشعب ، وإنما تم ذلك على يد حاكم اتخذها وسيلة تنقل ما يريد من رسائل الى الجماهير .

(١) الجبرى : عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٩ .

ولما انقطعت صلة مصر بهذا النوع من الاعلام المطبوع طيلة أكثر من ربع قرن ، لم استأنفتها على يد محمد علي ، كان ذلك بطريقة مماثلة تماما ، وأن تطورت صورة الوسيلة الى حد ما . فقد أصدر محمد علي ، بعد أن أسس مطبعة بولاق ، صحيفة « الوقائع المصرية » (١) لتكون لسانا للحكومة ، يخاطب عن طريقه أفراد الشعب . وأصدرت حكومة محمد علي وإبراهيم بعد « الوقائع » صحفا أخرى ، كانت كلها السنة للأجهزة الحكومية المختلفة .

وظل الحال كذلك حتى عهد اسماعيل ، عندما بدأت الصحف الأهلية في الظهور (٢) ، نتيجة لعدة عوامل نوجز أهمها في النقاط الثلاث التالية :

١ - تطور الوعي المصرى وبدء تكون رأى عام ، بسبب انتشار التعليم ، والاحتكاك بالثقافة الغربية ، ورد الفعل ازاء استبداد اسماعيل وسفاهة ، وما أدى اليه ذلك من التدخل الأجنبى .

٢ - تأثير دعوة المصلح الثائر جمال الدين الأفغانى ، الذى كان من أهم أسلحة كفاحه تشجيع تلاميذه على انشاء الصحف والكتابة فيها .

٣ - وجود عدد من مثقفى السوريين الذين هاجروا الى مصر فرارا من عتس السلطات العثمانية ، والتماسا لحرية نسبية اتاحتها ظروف مصر الخاصة .

هذا اللون من الصحافة التى يصدرها الحاكم أو يوجهها أو تنشأ فى

(١) صدر العدد الأول من «الوقائع المصرية» فى ٣ ديسمبر ١٨٢٨ . وكان محمد على يصدر قبلها «جرائد الخديوى» الذى يعتبره بعض المؤرخين صحيفة سبق «الوقائع» (الظر : إبراهيم عيسى، تاريخ الوقائع المصرية ، القاهرة، ١٩٤٩ ، ص ٢٩ - ٣٤) . ولكننا لا ينبغي أن نقوم هذا «الجرائد» بأكثر مما يستحقه ، فلم يكن فى الحقيقة سوى نشرة تتضمن خلاصة بالتقارير الإحصائية الواردة من مختلف أقاليم مصر ، ترفع الى الباشا وعدد محدود من كبار موظفى حكومته . ولم يكن لفظ « جرائد » فى مصطلح ذلك العصر يعنى أكثر من « تقرير مكتوب » .

(٢) أول الصحف غير الحكومية التى ظهرت فى عهد اسماعيل كانت « وادى النيل » ، التى أصدرها عبد الله أبو السعود تلميذ رفاعة الطهطاوى بالقاهرة عام ١٨٦٧ . ولكن هذه الصحيفة لا يمكن اعتبارها صحيفة « أهلية » كاملة . فقد كان اسماعيل هو الذى أوعد الى صاحبها باصدارها بعد انشاء مجلس شورى النواب ، وأمدّه بالمواعيد حتى تخدم الصحيفة أغراضه وتؤيد سياسته . أما أول الصحف الأهلية الحرة فى رأى ، فهى « نزهة الأفكار » التى أصدرها إبراهيم الميلى ومحمد عثمان جلال بالقاهرة عام ١٨٦٩ . وقد أغلقتها حكومة اسماعيل بعد عدها الثانى لحرانها فى النقد وطرانها فى آرائها التحررية .

كنفه بصورة ما ، هو أبسط أشكال الاعلام الذى ينطبق عليه ويحكمه ما يسمى بالنظرية الفاشية أو نظرية السلطة المطلقة (١) (Authoritarian Theory). وقد تكون نشأة الصحافة على هذه الصورة فى مصر أمرا اقتضته ظروفها الخاصة وقتئذ . فلم يكن المجتمع المصرى قد بلغ من النضج أو الوعى ما يسمح بأن تنشأ الصحافة فيه نشأة ذاتية ، فيظهر من بين أفرادها من يبدأ أولى المحاولات فى هذا الحقل الاعلامى .

وكذلك لم تكن هناك أية عوامل اقتصادية أو اجتماعية تهيب\* لظهور الصحافة ، أو تجعل وظيفة الاعلام ضرورة تدعو اليها الحاجة . فقد حدث فى جمهورية البندقية فى القرن الثالث عشر وما بعده مثلا ، أن أدى نمو طبقة التجار و ثراؤها وتمتع أفرادها بشيء من فراغ الوقت ، الى ظهور طائفة من الناس احترفوا نسخ الأخبار وتوزيعها على أولئك التجار ، لارضاء حاجتهم الى معرفة كل ما يتصل بتجارته من أنباء ومعلومات من ناحية ، ولأجزاء وقت فراغهم من ناحية أخرى .

وكان بونابرت قائدا لحملة استعمارية ، غزا مصر وفى جعبته كثير من المشروعات والاحلام التى كان يعتقد أن الأقدار اختارته لتحقيقها ، ولم تكن وسيلة الاعلام التى هيأها للمصريين الا أداة يريد أساسا أن يتألف بها وقت فراغهم من ناحية أخرى .

وقد كان لبونابرت تجربة سابقة مشابهة فى مثل هذا النوع من الاعلام ، عندما كان يقود حملته الايطالية . فقد أصدر هناك كثيرا من المنشورات الى الشعب الايطالى ( شكل ٤ ) ( ٢ ) . وهذه المنشورات ، وإن اختلفت عن المنشورات العربية الموجهة الى الشعب المصرى فى كثير من التفاصيل ، فإنها تماثلها من حيث شكلها العام والفكرة فى إصدارها .

هذا الى أن بونابرت كان بطبعه حاكما أوتوقراطيا . وقد رأينا كيف

---

(١) تذهب المدرسة الأمريكية فى فلسفة الاعلام الى أن له نظريات أو مفاهيم أربعة ، حكمت نظمه على طول تاريخه ، وهى : نظرية السلطة المطلقة (Authoritarian) ونظرية الحرية (Libertarian) والنظرية السوفيتية (Soviet) ونظرية المسؤولية الاجتماعية (Social Responsibility) . ويتبع معظم الاعلاميين فى العالم الآن هذا التقسيم . انظر : Sibert, Peterson and Schramm, *Four Theories of the Press*, Univer. of Illinois Press, 1963.

(٢) من محفوظات دار الوثائق القومية بباريس . وهذا المنشور ، الذى صدر بالفرنسية والايطالية ، مؤرخ ٢٣ فلوريل سنة ٥ ( ١٢ مايو ١٧٩٧ ) .

حقن نظرية السلطة المطلقة في الصحافة ، عندما كان قنصلا أول ، ثم عندما أصبح امبراطورا لفرنسا .

أما محمد علي فكان حاكما يؤمن - كبونابرت - بالاستثنائ بالسلطة وسيلة لبناء الدولة ، وتحقيق الاشراف الجدى على ما وضع من خطط للنهوض بها . وأيا ما كان حكم المؤرخين على نظام محمد علي ، فقد كان أبرز سمات هذا النظام أنه يمثل نوعا من الحكومة الأبوية (Patriarchal) التي كان فيها محمد علي الزارع الوحيد والصانع الوحيد والتاجر الوحيد . ويمكننا أن نضيف الى هذا أنه كان أيضا الصحفي الوحيد .

وقد لا يكون محمد علي اقتفى أثر بونابرت في سياسته الاعلامية اقتفاه مباشرا . ولكن لا شك في أنه تأثر بما فعل بونابرت بشكل عام .

إن العهد بين الرجلين قريب ، ومحمد علي كان ضابطا في الجيش التركي الذي أعاد مصر الى حظيرة الخلافة العثمانية ، ثم أصبح واليا على البلاد بعد جلاء الفرنسيين بأربع سنوات فحسب . ولا شك أنه لمس بنفسه كثيرا من آثار الحملة الفرنسية وانجازاتها . وإذا لم يكن محمد علي قد رأى ما أصدره الفرنسيون من صحف ومنشورات ، وهو ما نشك فيه كثيرا ، فلا بد أنه على الأقل قد سمع بأمرها . هذا الى أن محمد علي كان شديد الإعجاب بشخصية نابليون بونابرت ، فضلا عن إيمانه بالحضارة الغربية بعامة وحضارة فرنسا بوجه خاص . ولا ننس استعانة هذا الحاكم في بناء دولته الحديثة بكثير من الخبراء الأجانب وعلى رأسهم الفرنسيون ، ومنهم بعض رجال حملة بونابرت (١) .

ومع أن الفرنسيين لم يبقوا بمصر زمنا يكفى لكي ينفعل المصريون بنجربتهم الاعلامية ، الى الحد الذى يجعلهم ينشئون من أنفسهم صحفا أو نشرات مشابهة لما أصدرته الحملة . ومع أن المصريين لم يهضموا الحكم الفرنسى وقاوموه مقاومة عنيفة ، وكان ذلك من الأسباب الرئيسة لفشل الحملة فى تحقيق مخططاتها . ومع أن المجتمع المصرى لم يكن قد تطور فى الفترة التى تلت الحكم الفرنسى بما يؤهله لظهور وسيلة اعلامية مطبوعة أو منسوخة على يد بعض أبنائه . مع ذلك كله فإن تجربة الحملة الاعلامية مع المصريين لم تمر دون أثر على من أعقب الفرنسيين فى حكم البلاد .

(١) مثل جومارد (Jomard) عضو المجمع العلمى ، الذى استعان به محمد على فى مشروعاته التعليمية ، ومثل الأب روفائيل الذى عمل فى الترجمة وكان أحد المشرفين على انشاء مطبعة بولاق ، كما سيأتى ذكره .

فقد أثبت الجبرتي في تاريخه أن الولاة الذين عينوا بعد جلاء الفرنسيين استخدموا أحيانا طريقة المنشورات التي تلتصق بالطرق أو الأسواق وسيلة للاعلام ، وإن كانت منسوخة لا مطبوعة ، لأن الفرنسيين جلوا عن مصر بمطابعمهم (١) .

يقول الجبرتي متلا في حوادث شهر شوال ١٢١٦ ( يوافق فبراير ١٨٠٢ ) : « وفيه كتبت فرمانات وألصقت بالشوارع ومفارق الطرق مضمونها .. فانسرت القلوب بتلك الفرمانات واستبشروا بالعدل » (٢) .

ويقول كذلك عن تثبيت خسرو باشا في ولاية مصر : « وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه ( رجب ١٢١٧ ، ويوافق نوفمبر ١٨٠٢ ) حضر رجل من طرف الدولة .. وعلى يده فرمان .. وملخصه أننا اخترناك لولاية مصر .. وأطلقنا لك التصرف في الأموال .. وفي يوم السبت ثالث عشرينه كتبت أوراقي بمعنى ذلك وألصقت بالطرق .. » (٣) .

وفي عهد ولاية احمد باشا خورشيد ، الذي أعقبه محمد علي في الحكم، يسجل الجبرتي مرة أخرى اتباع هذا التقليد نفسه ، فيقول : « وفي يوم الخميس رابع عشره ( صفر ١٢١٩ ، الموافق مايو ١٨٠٤ ) كتبوا أوراقي وألصقوها بالأسواق بطلب ميري سنة تاريخه المعجلة بالكامل وكانوا قبل ذلك طلبوا نصفها .. » (٤) .

وهناك فارق آخر بين نشأة الصحافة في مصر على تلك الصورة ونشأتها في أوروبا ، غير ما أوضحنا من ظهورها على يد الحاكم وبتوجيهه

(١) لا مجال مطلقا للقول بأن مطابع الحملة بقيت في القاهرة حتى اشتراها محمد علي وجعل منها نواة مطبعة بولاق ، كما وهم فيليب دي طرازي ( تاريخ الصحافة العربية ، ج ١ ، بيروت ، ١٩١٢ ، ص ٤٩ ) ، وتابعه في وهمه بعض المؤرخين . فالثابت أن الفرنسيين اهتموا بأن ينقلوا معهم في خروجهم من مصر كل ممداتهم وأجهزتهم وآثارهم العلمية ، واشتروا ذلك في مفاوضاتهم الخاصة بالجلاء مع الانجليز . وقد أثبت الوثائق أن بونا برب ( وكان قنصلا أول في ذلك الوقت ) اهتم اهتماما خاصا باعادة مطابع الحملة وكتبها ومخطوطاتها ، وان برتييه (Berthier) وزير حربيه قد أصدر امره بذلك الى الجنرال بليار قائمقام ( نائب ) آخر قواد الحملة في مصر ، وان هذا الأمر قد تم تنفيذه . انظر : Canviet, « L'Imprimerie de l'Expédition Française », pp. 14-5.

(٢) مرجع سبق ذكره ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

واشراؤه . ذلك أن مصر عرفت الصحافة والطباعة معا في وقت واحد ،  
بينما عرفت أوروبا الصحف المنسوخة أو الحطية قبل اختراع المطبعة بأمد  
طويل . بل ان المطبعة لم تستخدم في اصدار الصحف الا بعد اختراعها  
نحو قرن ونصف قرن من الزمان .

ولقد كانت المطابع التي استخدمتها الحملة الفرنسية شيئا جديدا  
بما على المصريين ، وكان ادخال المطبعة العربية بالذات حدثا تاريخيا بالغ  
الاهمية . ويقول سارل رو ان المطبعة كانت أكثر الأشياء التي تقبلها  
المصريون وأحسنوا الاهتمام بها ، من بين الأشياء الكثيرة التي أدخلتها  
جيوش يونابرت الى مصر (١) .

وبشرت صحيفة «لوكوربيه» في أواخر أيام الحملة بمصر (٢) موضوعا  
عن أثر مطابع الحملة على نفوس زوارها من المصريين وغيرهم من الشرقيين ،  
بمناسبة زيارة الشيخ البكرى لها قبل أيام قليلة . وجاء في هذا الموضوع  
أن بعض علماء الأزهر من أعضاء الديوان وغيرهم زاروا المطابع أكثر من  
مرة . وكانوا يتابعون باهتمام ما يشاهدونه من عمليات الطباعة المختلفة .

وأشارت الصحيفة الى اعجاب الشيخ محمد الفاسي بالذات بتقدم العمل  
في هذه المطابع وارتفاع مستواه عما رآه من قبل في مطابع الآستانة ،  
عاصمة الخلافة العثمانية . وأشارت كذلك الى اعجاب زوارها السوريين  
الذين سبق أن رأوا مطابع الموارنة في لبنان .

وذكرت الصحيفة بالتفصيل زيارة الشيخ البكرى وأسئلته  
واستيضاحاته الكثيرة التي دلت على اهتمامه الكبير بهذه الصناعة الفذة .  
وقالت الصحيفة كذلك ان الشيخ المهدي سكرتير الديوان كان يبدي  
اهتماما كبيرا بأمر المطابع ، وان ذلك كان سبب اتصال الود بينه وبين  
المستشرق مارسيل مديرها .

ولم تكن مصر أول بلد عربي . أو أول افليم من أقاليم الدولة العثمانية  
يعرف الطباعة . فقد سبقتها في ذلك لبنان ، التي أنشئت بها أول مطبعة  
في « دير قزحيا » عام ١٦١٠ (٣) ، ولكنها لم تعمر طويلا ، ولم تنتج سوى

(١) Op. cit., p. 152.

(٢) العدد ١٠٢ الصادر يوم ٢٤ بلوفوز سنة ٩ ( ١٢ فبراير ١٨٠١ ) . انظر  
كذلك المرجع السابق .

(٣) خليل صابات ، تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .  
ص ٢٤ - ٧ .



كتاب ديني واحد باللغة السريانية . ثم كانت مدينة حلب السورية أول مدينة في الشرق العربي تستخدم الطباعة العربية ، بعد أن أنشأ بها البطريرك اثناسيوس دباس أول مطبعة عام ١٧٠٦ (١) ، وكانت كتبها هي الأخرى دينية .

وكذلك سبقت حاضرة الدولة العثمانية مصر في هذا المضمار ، إذ أنشأت أول مطبعة بالأستانة عام ١٧٢٨ (٢) ، وكانت تقوم بطبع الكتب العربية والتركية (٣) .

ويلاحظ من ناحية أخرى أن أوروبا عرفت الطباعة العربية قبل أن يعرفها الشرق بزمان طويل . فقد قامت بإيطاليا عدة مطابع تشتغل بالنشر العربي الديني ، منذ أوائل القرن السادس عشر . ثم تحول الاهتمام في أوروبا الى طبع الكتب غير الدينية ، وانتشرت المطابع العربية في بعض المدن الأوروبية الكبرى ، ومن أشهرها مطبعة ليدن (Leiden) بهولندا التي أنشئت في أواخر القرن السادس عشر . وكذلك عرفت باريس ولندن وغيرهما الطباعة العربية في القرن السابع عشر (٤) .

ولم تكن المنشورات الاعلامية العربية هي الانتاج الوحيد الذي أصدرته مطابع الحملة للمصريين . فقد أنتجت هذه المطابع ، الى جانب المنشورات ، بعض المطبوعات العربية الخاصة التي وجهت الى صفوة المصريين ، من أعضاء الديوان وغيرهم من مثقفي العصر . ولعل أهم هذه المطبوعات ثلاثة :

١ - كتيب يقع في خمس وعشرين صفحة بعنوان « تنبيه فيما يخص داء الجدري » ، بقلم ديجنت كبير أطباء جيش الحملة ( شكل ٥ ) (٥) . وقد طبع هذا الكتيب طبعتين ، أولاهما في شهر شعبان ١٢١٤ (ديسمبر ١٧٩٩) ، عندما كان وباء الجدري متفشيا في البلاد ، وصدرت الطبعة الثانية بعد عام ، وهي موجهة الى « أرباب الديوان بمصر القاهرة » . وقد أشار الجبرتي الى هذه الطبعة في حوادث شهر شعبان ١٢١٥ بقوله ان « رئيس الأطباء الفرنسي » أرسل منها نسخة الى كل عضو من أعضاء الديوان « على

(١) المرجع السابق ، ص ٩٣ - ٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٣) يلاحظ ان اللغة التركية كانت حتى الثورة الكمالية في العشرينات من القرن الحالي تكتب بحروف عربية .

(٤) أبو الفتح رغبون ، تاريخ مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٦ - ٨ .

(٥) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

سبيل المحبة والهدية ليتناقلها الناس ويستعملوا - ما أشار اليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال « (١) .

٢ - مجموعة المستندات الخاصة بإجراءات محاكمة سليمان الحلبي  
قائل الجنرال كليبر ثاني قواد الحملة . وقد صدرت بعنوان « مجمع  
التحريرات المتعلقة الى ما جرى باعلام ومحاكمة سليمان الحلبي قاتل صاري  
عسكر العام كليبر » ، وذلك ضمن كتاب يشتمل ، مع هذا الجزء العربي ،  
على جزء مماثل بالفرنسية وآخر بالتركية ( شكل ٦ ) (٢) .

٣ - أجرومية للعربية الدارجة لاستعمال الفرنسيين والعرب ، بقلم  
جان جوزيف مارسيل . ولم يستكمل طبعه (٣) .



قدر لمصر أن تحرم من المطبعة نحو عشرين عاما ، بعد أن جلا الفرنسيون  
بمعداتهم عن البلاد في عام ١٨٠١ . وقد أدى ذلك بالتالى الى انقطاع أثرها  
فى حياتهم طيلة تلك المدة ، حتى بعثها محمد على الى الحياة من جديد ، عندما  
أنشأ مطبعة بولاق فى أواخر عام ١٢٣٥ هـ ( ١٨٢٠ م ) (٤) ، بعد أن

(١) عجائب الآثار . ج ٣ ، ص ١٤١ . انظر كذلك : « لاديكاف » ، المجلد الثالث .  
(٢) من محفوظات دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ويقع الجزء العربى فى ١٤٠  
صفحة . ويلاحظ أن بعض هذه المستندات طبعت كذلك فى منشورات مستقلة لاعلام  
الجمهورية . ومنها المنشور الذى يسجل آخر جلسات المحاكمة التى صدرت فيها  
الاحكام . وسوف نشير اليه فيما بعد . هذا وكان مصرع كليبر يوم ١٤ يوليو ١٨٠٠ .  
(٣) أورد « جيس » قائمة بمطبوعات الحملة فى بحثه الذى سبقته الإشارة  
اليه . ولكن المؤلف لم يسطع ، رغم البحث الدقيق فى مكتبات القاهرة وباريس  
ولندن ، أن يعثر من المطبوعات العربية الصادرة للمصريين - الى جانب المنشورات -  
الا على الطبوعيين اللذين ذكرا آنفا . ومن ناحية أخرى هناك عدة مطبوعات فرنسية  
أشار اليها عدد من مؤرخى الحملة وأمكن العثور على بعضها فى القاهرة وباريس ،  
دون أن تتضمنها قائمة «جيس» . وعلى أية حال ، فمن المشكوك فيه كثيرا ان يكون أحد  
من جمهور المصريين قد أفاد حقا من هذا الكتاب .

(٤) أثبت التاريخ الهجرى لانشاء المطبعة على اللوحة التذكارية التى أقيمت بهذه  
المطبعة وحدها فى خدمة ~~محمد على~~ ، بل أنشئت الى جانبها عدة مطابع أخرى  
صغيرة زادت على الزمن حتى بلغت سعا ، ~~وعلى معظمها ملحقا~~ بوحدات الجيش أو  
بالمدارس المتخصصة .

( انظر : ابراهيم عبده ، تاريخ الوسائل المصرية ، ص ٢٤ ، ٢٨ ) .  
ويقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى كتابه « تاريخ التعليم فى عصر محمد =

وفر لها من الرجال والمعدات ما يكفل لها النجاح والاستقرار (١) . وساعده على ذلك مشروعاته الاصلاحية لبناء مصر الحديثة ، التى جعلت من المطبعة أداة لازمة لتنفيذ تلك المشروعات ، وجهازا أساسيا من أجهزة الدولة . هذا الى أن محمد على كان يؤمن بصفة خاصة بأن الحاكم الذى يبغى ترقية بلده والعمل على تقدمه لابد أن ينشئ به مطبعة (٢) .

ومع أن عمل المطبعة اقتصر طيلة ثمانى سنوات على تزويد الجيش والمدارس بما احتاجت اليه من مختلف المطبوعات ، فقد كانت هى التى مكنته الى بعد ذلك من نشر صحيفة « الوقائع المصرية » وغيرها ، كما مر ذكره . ولقد كانت الطباعة ولا شك « من أقوى الأدوات فى تثبيت دعائم الادارة المركزية النافذة السلطان التى تقتن باسم محمد على » (٣) .

أحدثت مطابع محمد على انقلابا فى الحياة الثقافية للبلاد . فقد تجاوزت النطاق الاعلامى الذى اقتصر عليه معظم الانتاج العربى لمطابع الحملة الفرنسية فى حياتها القصيرة ، وركزت اهتمامها على الكتب المؤلفة

---

= على ، القاهرة ، ١٩٣٨ « ، معتمدا فى ذلك على بعض وثائق العصر : « كان لمة هذا مطابع الحكومة مطبعة المرتكية بالقاهرة يملكها اجنبى ، وكانت الحكومة تطبع بها احيانا الكتب الفرنسية التى يحتاج اليها التلاميذ .. وكان للحكومة كذلك مطابع حجر فى الاسكندرية ورشيد وبعض المديرية » ( ص ٤٧٩ ) .

(١) كان من أعضاء بعثات حكومة محمد على الى أوروبا بعض من تخصصوا فى الطباعة . ومن هؤلاء « نقولا مسابكى البيروتى » الذى أرسل الى ميلان مع ثلاثة صبيان آخرين عام ١٨١٥ لتعلم فن سبك الحروف وصنع أمهاتها ودراسة فن الطباعة ، وقد تقلد نقولا إدارة مطبعة بولاق فيما بعد . ومن هؤلاء كذلك عثمان نور الدين عضو البعثة الأولى الى فرنسا ( ١٨١٨ - ١٨٢٠ ) . وتابع محمد على هذه الخطة بعد انشاء مطبعة بولاق ، فكان من أعضاء البعثة الثالثة الى فرنسا عام ١٨٢٦ ( التى ضمت رفاعة الطهطاوى ) عضوان لدراسة الطبع بأنواعه والحفر . ( انظر : أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤٣٤ - ٥ ، إبراهيم عبيد ، تاريخ الوقائع ، ص ٢٠ - ٢١ ، خليل صابات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٨ - ٤٠ ) . وكذلك أحضر محمد على من إيطاليا ثم من فرنسا كل ما احتاج اليه انشاء المطبعة وتوسيعها من أحدث الآلات والمعدات .

( انظر : محمد فؤاد شكرى وعبد المتصور المنائى وسيد محمد خليل ، جناء دولة ، مصر محمد على ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ١٢٠ ) .

(٢) نفا عن جيس : القسم الثانى من البحث السابق ذكره ، التذوية للسمية ، مجلد ١٩٠٨ .

(٣) محمد شفيق غربال ، تقديم كتاب « تاريخ مطبعة بولاق » ، السابق ذكره ،

صفحة هـ .

والمعرفة التي اعتمدت عليها النهضة التعليمية . وكانت هذه المطابع - دون مبالغة - « هي أساس البعث الفكري الذي قامت عليه نهضة مصر في العصر الحديث » (١) .

وكان طبيعيا بعد نجاح هذه المطابع واستقرارها واتصالها آثارها انصلا مباشرا بحياة المصريين ، أن يفكر بعض الأفراد والجماعات في غزو الميدان الطباعي ، كما غزوا غيره من الميادين التي أتاحتها لهم الحياة الجديدة للبلاد .

وقد حدث ذلك على نطاق ضيق أيام الوالي سعيد باشا ، ثم اتسع النطاق أيام خلفه اسماعيل . وما أن قارب عهد اسماعيل على نهايته حتى تحولت الطباعة على يد أفراد من المصريين والسوريين الى أداة من أدوات النهوض القومي والحياة الفكرية . وارتبط ذلك ارتباطا قويا بنشأة الصحافة الأهلية الحرة .

وإذا كانت المطبعة هي الأداة التي مكنت قيادة الحملة الفرنسية في القاهرة من اصدار منشوراتها الاعلامية للمصريين ، ومكنت كذلك كليبر - عندما كانت في حوزته - وهو بعد قائد للاسكندرية ، من اصدار منشورات مماثلة لجمهور التفر ، فقد أثبت البحث كذلك أن الجنرال منو كان يصدر ، وهو حاكم لاقليم « رشيد وسكندرية والبحيرة » ، منشورات أخرى مخطوطة خاصة باقليمه (٢) . وسوف نتعرض لهذه المنشورات في موضع آخر من الكتاب .

وقد يكون حكام محليون آخرون غير منو فعلوا ذلك بأقاليمهم ، ولكن منشوراتهم ضاعت مع ما ضاع من وثائق غيرها لم تكن ، على ما يبدو ، في نظر رجال الحملة أو مؤرخيها أو جامعي تراثها ، بالأهمية التي ننظر بها اليها الآن .

(١) أبوالمعز رضوان ، المرجع السابق ، المقدمة ، صفحة ٣٠ .

(٢) عثر الباحث على عشرات من نسخ متكررة لبعض هذه المنشورات في قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . وهي من حجم كبير يسهل معه تعليقها وقراءتها مثل المنشورات المطبوعة .

## الفصل الثاني

### الإعلام لجنود الحملة

كان من أسباب اصطحاب الحملة الفرنسية على مصر لجهازها الطباعي الكبير ، كما ذكرنا ، أن يكون أداة لاصدار وسائل اتصال لجنود جيش الشرق .

وكانت وسيلة الاتصال الرئيسية التي أصدرتها الحملة لجنودها هي صحيفة « لوكورييه دي ليجهت » (Le Courrier de l'Egypte) التي ظهر العدد الأول منها في ١٢ فروكتيدور سنة ٦ ( ٢٩ أغسطس ١٧٩٨ ) ، أي بعد شهر واحد من دخول الفرنسيين الى القاهرة (١) ( شكل ٧ ) ( ٢ ) .

وقد طبعت « لوكورييه » في بادىء الأمر بمطبعة مارك أوريل ، التي استقرت بالقاهرة ، بينما كانت مطابع الحملة الرسمية مازالت بالاسكندرية . ثم ما لبثت الصحيفة ، ابتداء من العدد ٣١ (بتاريخ ١٩ مسيدور سنة ٧ = ٧ يوليو ١٧٩٩ ) أن بدأت تطبع بالمطابع الرسمية ، وكانت هذه قد نقلت

(١) دخل يونايرت القاهرة مع عدد قليل من جنوده يوم ٢٤ يوليو ، وبقي الجزء الأكبر من جيشه في معسكر الجزيرة ، بعد معركة امبابة .

(٢) من محفوظات دار الكتب المصرية . ويوجد بالدار مجموعتان من هذه الصحيفة . احدهما كاملة ، والثانية ينقصها العدد ٢٤ الذي استعفى عنه بنصه منسوخا بخط اليد .

قبل ذلك الى القاهرة (١) . وما لبث مارك أوريل نفسه أن باع مطبعته للحكومة الحملة ، ثم عاد الى فرنسا .

ومن الخطأ أن نعتبر مارك أوريل مالك هذه الصحيفة أو ناشرها ، كما فعل بعض المؤرخين (٢) ، اعتمادا على ما جاء بالصحيفة في أعدادها الأولى ، خاصة بضمن البيع والاشتراك وما الى ذلك .

فلم يدع مارك أوريل لنفسه مطلقا صفة المالك أو الناشر ، بل كان لا يصف نفسه ، في كل ما أخرج من مطبوعات ، بأكثر من «طابع الجيش» . وقد منحه يونابرت نفسه لقب « طابع جيش الشرق » ، عندما اصطخبه مع حملته ، كما سبق ذكره . وانما كانت « لوكورييه » صحيفة شبه رسمية تصدر لجنود الحملة بأشراف مباشر من قيادتها . وكان قواد الحملة هم الذين يمينون المسئولين عن تحرير الصحيفة . فقد أصدر يونابرت أولا أمرا بتعيين برسفال جرانميزون (Perceval Grandmaison) وهو من الأدباء الذين صحبوا الحملة . لتولى هذه المسئولية . ولما اعتذر عين بدله العالم الرياضي فورييه (Fourier) الذي وصل من رشيد بعد أسبوعين من صدور هذا الامر شغل مكانه خلالها المهندس كوستاز (Costaz) (٣) .

ولما خلف كليبر يونابرت في قيادة الحملة عين لرئاسة تحريرها ديجنث كبير أطباء الجيش ، فباشرو مهمته فعلا ابتداء من العدد السابع والثلاثين الصادر في ٢٩ فروكنيدور سنة ٧ (١٥ سبتمبر ١٧٩٩) (٤) .

وكان يونابرت كبير الاهتمام بأمر الصحيفة وما تنشره . وقد شمل اهتمامه كل التفاصيل ، بما في ذلك الأخطاء المطبعية ، التي كان ضيقه بها من الأسباب التي دعت الى أن يطلب سرعة ارسال مطابع الحملة الرسمية من الاسكندرية ، لتتولى إصدارها بدلا من مطبعة مارك أوريل .

(١) كانت اعداد الصحيفة حتى العدد ٣٠ ( بتاريخ ١٩ جرمينال سنة ٧ = ٨ ابريل ١٧٩٩ ) تدل بعبارة « طبع بالقاهرة » بمطبعة مارك أوريل ، طابع الجيش الفرنسي . وابتداء من العدد ٣١ صارت تدل بعبارة « طبع بمطابع الحملة الرسمية بالقاهرة » . ويلاحظ ان هناك فجوة زمنية بين تاريخي صدور العددين تبلغ ثلاثة اشهر ، بينما كانت الاعداد قبل ذلك وبعده تصدر في العادة متتابعة كل بضعة ايام .

(٢) انظر : ابو الفتح رضوان ، مرجع سبق ذكره ص ٢١ ، وكذلك Wassef, Amin, *L'Information et la Presse Officielle en Egypte jusqu'à la fin de l'Occupation Française*, Paris, 1952, pp. 111-114.

بل ان كريستوفر هيرولد يعتبره ناشر صحيفة لاديكاد كذلك (op. cit., p. 166).

Charles-Roux, op. cit., p. 145.

(٣)

Canviet, «L'Imprimerie de l'Expédition Française», p. 15.

(٤)

والطابع الرسمي للصحيفة راضح في الأعداد التي طبعها مارك أوريل وضوحه في الأعداد التي طبعت بعد ذلك ، فكانت تنشر الأوامر والقرارات الحكومية دون أى تعليق ، وتؤيد سياسة الجمهورية الفرنسية ، وتنفذ مخططات الحملة الإعلامية دون مناقشة .

نم ان لبونا برت تجربة سابقة . فقد أصدر الجنود حملته على ايطاليا — كما قلنا — صحيفتين أخريين ، استخدمهما لتحقيق أهدافه . وليس من المعقول أن يكل أمر اصدار الصحيفة الجديدة لذلك الطابع الشاب الذى سحب الحملة .

ولقد كان مارك أوريل يطبع ، الى جانب « لوكورييه » صحيفة « لاديكاد اجيسيين » ، التي سيأتى الحديث عنها ، فضلا عن المنشورات والأوامر الفرنسية التي كانت تصدرها قيادة الحملة من وقت لآخر . وعندما سحب منه هذا الاختصاص وعهد به الى مطابع الحملة الرسمية ، لم يكن ذلك أكثر من تغيير للأداة التي تصدر كل هذه المطبوعات ، وليس لجهة النشر أو صاحب الامتياز .

وانما الأصح أن يقال أن مارك أوريل كان بالنسبة لصحيفة «لوكورييه» ولغيرها من المطبوعات التي كان يخرجها مجرد « ملتزم طبع ونشر » .

ولم يكن ظهور « لوكورييه » منتظما تماما . فقد صدرت الأعداد الستة الأولى كل أربعة أيام ، ثم صدرت الصحيفة كل خمسة أيام حتى العدد ١٢ الذى طبع يوم ٣٠ فندمير سنة ٧ ( ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ ) . وبعد ذلك كان بين كل عدد وآخر فترة تتراوح بين أسبوع وعشرة أيام ، باستثناء تلك الفجوة التي أشرنا اليها عندما ذكرنا انتقال الصحيفة من مطبعة مارك أوريل الى مطبعة الحملة الرسمية . وقد صدر آخر عدد منها ، وهو المرقم ١١٦ ، يوم ٢٠ بريريال سنة ٩ ( ٩ يونيو ١٨٠١ ) ( ١ ) .

ويدل استقراء مواد هذه الصحيفة على أن المسئولين عن تنفيذ السياسة التي وضعت لتحريرها بذلوا جهدهم لكي يجعلوا منها وسيلة اعلام ناجحة لجنود جيش الشرق ، الذين قادهم ذلك الجنرال الشاب الى مغامرة غزو مصر . فقد كانت هذه الصحيفة :

---

(١) يبدو انه لم يكن مقدرا أن هذا هو العدد الأخير . فقد نشر به مقال عن عادات المصريين المعاصرين وتقاليدهم ، وجاء بآخره ان باقى الموضوع سينشر بالعدد التالى .

- ١ - نحاول أن نخفف من وحشة اغتراب الجنود ، بنشر ما أمكن الحصول عليه من أنباء وطنهم .
  - ٢ - وتعمل على رفع روحهم المعنوية ، فمعرض على صدر صفحاتها أنباء الانتصارات الفرنسية في مختلف الجبهات (١) .
  - ٣ - وتطلّعهم على ما يدور في بيئتهم الجديدة ، فتزودهم بأخبار القاهرة والأقاليم ، وتقفهم على أنباء الديوان ، والأحكام التي تصدر ضد الثوار المصريين (٢) ، وترجم لهم أهم البيانات التي نشرت بالعربية ، وكذلك الرسائل المبادلة بين قواد الحملة وكبار المصريين أو الحكام العرب (٣) .
  - ٤ - وتربط بينهم وبين قيادتهم ، كما تربط بين وحداتهم بعضها وبعض ، فتشتر الأوامر والقرارات العسكرية ، حتى ما سبق منها نشره منفصلا ، وتشر أنباء الفرق العسكرية في شتى الجهات ، وتسجل بوجه عام حياة الجنود اليومية .
  - ٥ - وتعرفهم بهذا البلد الغريب الذي ساقطهم المقادير إليه ، فتقص عليهم من تاريخه ، وتحكي لهم بعض أحداثه ، وتفصل لهم القول في تقاليد شعبه وعاداته .
  - ٦ - ونحاول أن نزيل من نفوسهم ما قد يلهم بها من مشاعر اليأس أو الضيق أو خيبة الأمل ، بسبب ظروف حياتهم في مصر ، فتقنعهم بجمال هذا البلد وثراء إمكاناته ، وتؤكد لهم ذلك بأن تنشر مثلاً ترجمة كاملة لرؤسالة عمرو بن العاص المشهورة إلى عمر بن الخطاب التي يقول فيها « مصر
- 
- (١) مثل انتصار الفرس في موقعة أبو قير البرية على القوات العثمانية ، التي أشادت الصحفية به وقالت انه أزال عن البلاد خطر تهديدها بغزو جديد ( العدد ٣٥ : ١٩ ترمينوا سنة ٧ = ٦ أغسطس ١٧٩٩ ) .
  - (٢) مثل خبر الحكم بالإعدام على ستة من شيوخ الأزهر ، لأنهم كانوا ممن ترعوا ثورة القاهرة الأولى ( العدد ١٥ : ٢٠ بروير سنة ٧ = ١٠ نوفمبر ١٧٩٨ ) وقد أشار الجبرتي إلى هذه الواقعة (عجائب الآثار ، ج ٣ ص ٢٧ - ٩ ) ، ولكنه أخطأ في عدد من أعدوا ، فذكر أسماء خمسة وأعلن السادس .
  - (٣) مثل رسالة بونايرت إلى شريف مكة ( العدد ٢٤ : ٢٧ ليغوز سنة ٧ = ١٦ يناير ١٧٩٩ ) ، ومثل رسالة أعضاء الديوان إلى بونايرت لتنهضه بمنصب القنصل الأول ( العدد ٩١ : ١٥ فريمبر سنة ٩ = ٦ ديسمبر ١٨٠٠ ) ولم يشر الجبرتي إلى هذه الرسالة بالرغم من أنه كان في ذلك الوقت عضواً بالديوان ! .



تربة غبراء وشجرة خضراء ، طولها شهر وعرضها عشر ٠٠ ، وكذلك رد الحليفة على رسالة قائده (١) .

٧ - ولا ننسى الجانب التثقيفي من مهمتها ، فتتشر بين حين وآخر مقتطفات من جهود المجمع العلمي ، وأخبار الرحلات الدراسية التي يقوم بها أعضاؤه في الأقاليم المصرية ، فضلا عن بعض المغالات الأدبية والقصائد الشعرية .

٨ - ولا تغفل نسليّة قرائها ، فتتشر لهم من الطرائف ما يذهب عنهم الملل ويروح عنهم ويزجي وقت فراغهم . ومن ذلك وصفها لبعض الاحتفالات التي كان يقيمها المصريون في مختلف المناسبات ، كالموالد ، ويحضرها كبار الفرنسيين (٢) .

٩ - ثم تقدم لهؤلاء القراء خدمة اعلامية خاصة ، فتتشر لهم من الاعلانات ما يساعدهم في الحصول على احتياجاتهم من السلع ، أو يرشدهم الى ما أعدته القيادة لهم من وسائل اللهو والتسلية (٣) .

وتختلف « لوكورييه » عن سميتها الايطالية في أنها كانت أقل منها اهتماما ببحث ما يتصل بسياسة حكومة باريس . ولعل ذلك كان راجعا الى قلة الأنبياء التي كانت تصل من فرنسا ، بسبب الحصار الذي فرضه الأسطول البريطاني على الشواطئ المصرية (٤) .

ولكن الصحيفة المصرية ، مع ذلك ، كانت تتفق مع زميلتها الايطالية ، ومع كل الصحف التي أشرف بونابرت على إصدارها ، في أن موادها كانت تخضع لرقابة واختيار دقيقين ، منه تم من خليفته (٥) .

ولم يقتصر توزيع هذه الصحيفة على جنود جيش الشرق وحدهم ، إذ ثبت أنها كانت تصل الى أوروبا ، رغم حصار الأسطول البريطاني .

(١) العدد ٢٠ ( ١٨ فرير سنة ٧ = ٨ ديسمبر ١٧٩٨ ) . وقد ترجم الرسائل المستشرق فانتور .

(٢) مثل وصف المأدبة التي أقامها الشيخ السادات بمناسبة مولد السيدة زينب ( العدد ٢٢/٢٢ نيفوز سنة ٧ = ٢٢ ديسمبر ١٧٩٨ ) .

(٣) حفلت أعداد « لوكورييه » بكثير من الاعلانات عن محلات بيع الخمر والتمعات والتبغ ، وعن الحفلات التمثيلية والراقصة .

(٤) Périvier, op. cit., pp. 80, 83.

(٥) ابراهيم عبده ، تاريخ الطباعة والصحافة ٠٠ من ٧٣ ، انظر كذلك : Wassef, op. cit., p. 129.

وعبائك أكسر من دليل على ذلك ، وإن كانت هذه الحقيقة تبدو للوهلة الأولى  
دربة أو مبالغا فيها .

فقد كان بونابرت حريصا على أن يبعث الى قيادة الأسطول البريطاني  
امام الاسكندرية باعداد هذه الصحيفة مع زميلتها « لاديكاد اجبسين » (١) .  
وكذلك وصلت الصحيفة الى أوروبا عن طريق النهريب . فبعد أن انقطع  
الاتصال بين جيش الحملة وأوروبا نتيجة لموقعة أبو قير البحرية ، فكر  
المستشرق فانتور في أن يفيد من معرفته الواسعة بأقاليم الشمال  
الأفريقي ، فاستعان بالحجاج المغاربة وبحاكم مدينة طرابلس لاقامة خط  
اتصال بين مصر وفرنسا ، عبر درنة وبنغازي وطرابلس ، ليُرسل عن  
طريقه البريد بين حين وآخر (٢) .

والى جانب « لوكوريه » أصدرت مطابع الحملة وسيلة أخرى  
للاتصال السريع بالجنود تتمثل في تلك المنشورات الفرنسية التي كانت  
تتضمن ما يراد توجيهه الى الجنود من نداءات وبيانات وأوامر . وكانت  
هذه تصدر - مثل المنشورات العربية - كلما اقتضى الأمر ذلك ، أى دون  
ما توقيت معنى .

وأول ما صدر من هذه الوسيلة الاعلامية هو ذلك المنشور الذى  
طبع ووزع على جنود الحملة فى البحر ، يوم ٢٨ يونيو ١٧٩٨ ، أى قبل  
الوصول الى الشواطئ المصرية بثلاثة أيام . وفيه حاول بونابرت أن يثير  
حماس جنوده وخيالهم ازاء الغزو المرتقب ، كما دعاهم الى احترام عقائد  
المصريين وتقاليدهم وحذرهم من اساءة التصرف معهم .  
وهذه المنشورات نوعان :

١ - منشورات طبعت للجنود وحدهم ، ومعظمها كان يتضمن أوامر  
يومية (Ordres du jour) مما جرى العرف العسكري على إصداره  
للجيوش بين وقت وآخر . وقد تنوعت موضوعات هذه الأوامر اليومية ،  
ولكنها لم تخرج كلها عما يتصل بالحياة العسكرية لمن وجهت اليهم ، من  
حيث هم جنود جيش معين يقوم بمهمة معينة ( الاشكال ٨ ، ٩ ، ١٠ ) .

(١) أشار الى هذه الحقيقة الدكتور ابراهيم عبده فى مرجعه المتقدم ذكره ،  
ص ٨٨ ، نقلا عن « Munier, La Presse en Egypte » . وقد أكدها الدكتور أمين  
واصف (op. cit., p. 215) بأن نقل نصا من احدى رسائل بونابرت ، يتضمن أمرا  
صريحا بإرسال الصحف الى الاميرال الانجليزى .  
(٢) Wassef, op. cit., pp. 214-15.

٢ - منشورات تتضمن رسائل اعلامية ذات طابع مشترك بين جمهورى المصريين والفرنسيين ، بل وسكان مصر من غير أهلها كذلك . وهذه كانت تصدر اما فى طبعتين منفصلتين ، احدهما بالعربية للمصريين والثانية بالفرنسية للجنود وغيرهم ، واما فى طبعة واحدة تضم اللغتين معا . وأحيانا أخرى كان يصدر مع هذه الطبعة المزدوجة اللغة طبعة ثانية بالفرنسية وحدها . وتضم مجموعة المنشورات المصورة بهذا البحث عدة نماذج على ذلك كله ( أنظر بالذات الاشكال ٥٦ ، ٥٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ) .

وشمل النشاط الطباعى للحملة ، الموجه فى المقام الأول الى جنودها، كذلك ، عددا من المطبوعات ، بعضها ذو طابع اعلامى صريح ، وبعضها الآخر يغلب عليه الجانب الثقافى أو التعليمى (١) . فمن النوع الأول :

١ - تقارير قواد الحملة الفرنسية ، مثل التقرير المفصل الذى كتبه بونايرت عن خط سيره حتى احتلال الاسكندرية (٢) ، والتقرير المعائل الذى كتبه عقب احتلال القاهرة عن المعارك التى خاضتها قواته ( شكل ١١ ) (٣) ، ومثل تقرير الجنرال داماس (Damas) عن الأحداث التى وقعت بالبلاد منذ توقيع اتفاقية العريش ( ٢٤ يناير ١٨٠٠ ) حتى آخر شهر بريريال سنة ٨ ( ١٩ يونيو ١٨٠٠ ) .

٢ - بيان بالأحداث التى وقعت فى أوروبا خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام السابع للجمهورية ( أى التى تقع بين ٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ و ١٩ يناير ١٧٩٩ ) . وقد جاء فى مقدمته انه صدر لأن الاخبار التى

---

(١) لم تكن قائمة « جيس » - التى سبقت الإشارة إليها - دقيقة أو شاملة ، اذ أغفلت كثيرا مما أصدرته مطابع الحملة كالمشورات . ومن هنا اعتمد الباحث فيما أثبتته من هذه المطبوعات على ما أكدت صدوره عدة وثائق ومصادر أخرى ، فضلا عما أطلع عليه منها فى دور المحفوظات والمكتبات المختلفة .

(٢) بتاريخ ١٨ مسيدور سنة ٦ ( ٦ يوليو ١٧٩٨ ) . وتوجد نسخة منه بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) من محفوظات دار الوثائق القومية بالقاهرة ، وتوجد نسخة أخرى منه بالمكتبة القومية بباريس ، وهو بتاريخ ٦ ترميدور سنة ٦ ( ٢٤ يوليو ١٧٩٨ ) . وقد طبع هذا التقرير وسابقه بطبعة مارك اوريل . ويبدو انهما من أول ما أحرخته هذه المطبعة بمجرد استقرار الحملة بالقاهرة .

(٤) يقع هذا التقرير فى ٦١ صفحة . وتوجد نسخة منه تقسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . وداماس هو رئيس أركان حرب جيش الحملة فى ذلك الوقت . ويلاحظ أن كليبر قتل فى ١٤ يونيو ، أى قبل نهاية هذه المدة بخمسة أيام .

نضمنها آخر بريد وصل من فرنسا لم تتج معرفتها لغالبية جنود الجيش والمحققين به . وقد صدر في ١٢ ترميدور سنة ٧ ( ٣٠ يوليو ١٧٩٩ ) .

٣ - نصوص خطب القادة في المناسبات المختلفة ، مثل الخطاب الذي ألقاه كليبر بمناسبة الاحتفال برأس السنة الجمهورية ( أول فندمير سنة ٨ = ٢٣ سبتمبر ١٧٩٩ ) (١) .

٤ - دستور الجمهورية الفرنسية الجديد ، سنة ٨ جمهورية .

٥ - النص الفرنسي لمجموعة المستندات الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبي ، قابل الجنرال كليبر وشركائه ( شكل ١٢ ) (٢) وقد صدرت هذه المجموعة - كما ذكرنا - في كتاب واحد باللغسات الثلاث : العربية والفرنسية والتركية .

ومن النوع الثاني :

١ - نمرينات في المطالعة العربية ( شكل ١٣ ) (٣) . وهو كتيب يتضمن مختارات من القرآن الكريم ، لاستعمال دارسى العربية الفصحى ، جمعها المستشرق مارسيل . وقد طبع في الاسكندرية قبل نقل مطابع الحملة الى القاهرة .

٢ - اجرومية للعربية الدارجة . وهو كتاب كبير ظهر منه جزء واحد في ١٦٨ صفحة . وفد ألفه كذلك المستشرق مارسيل (٤) .

(١) محفوظ كذلك بقسم الوثائق التاريخيه بوزارة الحربية الفرنسية .

(٢) من المطبوع المحفوظ بدار الكتب المصرية . وتقع هذه المستندات الفرنسية في ٤٨ صفحة .

(٣) يقع في ١٢ صفحة . وكان ثانی مطبوع - غير المنشورات - تخرجه مطابع الحملة بعد اقامتها في الاسكندرية . وسنشير الى المطبوع الذي سبقه في الفصل التالي . وهذه النسخة من محفوظات مكتبة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .

(٤) سبقت الاشارة اليه . انظر ص ٤٤ .

## الفصل الثالث

### الإعلام المتخصص

كان فريق العلماء والباحثين الذين صحبوا جيش الشرق الى مصر يمثلون ، كما سبق أن أوضحنا ، ركنا أساسيا من أركان الحملة الفرنسية . وكانت جهودهم التي ضمنوها عملهم الجماعي الخالد « وصف مصر » وغيره من الأعمال الفردية ، هي أبقى آثار الحملة ، التي فشلت في تحقيق أهدافها العسكرية والاستعمارية .

وكان لابد لهؤلاء العلماء الذين كونوا « المجمع العلمى المصرى » من دورية خاصة ، تتخذ وسيلة لنشر بحوثهم ، وسجلا لمناقشات مجملهم ، وتتسع كذلك لما قد يسهم به غير أعضاء المجمع من مواد ترقى الى مستوى النشر بها . وغنى عن القول أن « لوكوربيه » لم تكن - بحكم طبيعتها - لتتسع لمثل هذا النوع من النشر المتخصص . ومن هنا لم تحظ أخبار نشاط المجمع من صفحاتها الا بنصيب ضئيل ، لا يتجاوز بضعة أسطر بين حين وآخر .

وقد تقرر انشاء هذه الدورية فى أول اجتماع للمجمع العلمى ، واختير لها اسم « لاديكاد اجبسين » (La Décade Egyptienne) (١) ،

(١) أى « العشرية المصرية » ، نسبة الى الوحدة الزمنية التى تبلغ عشرة أيام ، أى ثلث شهر فى التقويم الفرنسى للجمهورية . والاسم مشتق أصلا من اليونانية . وقد أطلق على هذه الدورية لأنه كان المفروض أن تصدر كل عشرة أيام . بالرغم من أن موعد =

بعد مناقشة طويلة ، وضيفت تحته عبارة « صحيفة للآداب والاقتصاد السياسي » ( شكل ١٤ ) .

وعهد المجمع الى دييجنت بالاشراف على طبع « لاديكاد » ، ثم حل محله العالم الرياضى فورييه عندما سحب دييجنت حملة بونابرت على سوريا ( فى أوائل ١٧٩٩ ) . غير أنه من الواضح ، وأن لم تشر المراجع الى ذلك ، أن عددا من أعضاء المجمع كان يتولى مسئولية « تحرير » هذه الدورية ، من حيث اختيار الموضوعات وترتيبها وتبويبها واختصارها أحيانا . الخ . فقد تصدر كلا من المجلدين الثانى والثالث كلمة ورد فيها ذكر « محررى » الصحيفة .

وكان فى مقدمة هؤلاء المحررين ، ولا شك ، عضو المجمع تاليان (Tallien) الذى كتب مقدمة طويلة قيمة للمجلد الأول (١) . وقد نوه تاليان فى هذه المقدمة بالحاجة الى الدوريات التى تتخصص فى الآداب والعلوم والفنون ، بعد أن زاد عدد الصحف السياسية والحزبية ، نتيجة للحرية التى أتاحتها الحكم الجديد فى فرنسا .

وقال ان نجاح الحملة الفرنسية فى غزو مصر لا ينبغي أن تقتصر نتائجه على النواحي السياسية والتجارية وحدها ، بل ان هذا النجاح لا يكتمل دون أن يكون للعلوم والفنون فيه نصيب .

وأكد تاليان أن صفحات « لاديكاد » سوف تقتصر على المواد العلمية

= صدرها تغير الى مرة كل شهر ، ثم طالت الفترة بين كل عدد وآخر الى أكثر من شهر ، فقد احتفظت باسمها الأول . وقد اقترح لها هذا الاسم كافاريللى ، على غرار دورية كان يصورها المجمع الفرنسى فى باريس باسم « La Décade Philosophique » انظر : Charles-Roux, op. cit., p. 149.

(١) هو جان لامبرت تاليان (Jean Lambert Tallien) ، من شباب الثورة الفرنسية المعروفين . بدأ حياته بتعلم الطباعة ، وفى عام ١٧٩١ أصبح مشرفا على مطبعة صحيفة « لوموفيتور » . وقد ابتدع وقتئذ فكرة صحيفة الحائط المطبوعة (Journal-affiche) . وبعد القبض على الملك لويس السادس عشر ، أخذ يصدر صحيفة حائط تعلق فى كل انحاء باريس مرتين فى الاسبوع اسمها : Ami des Citoyens, Journal Fraternel

وهذه الصحيفة التى كان يمولها اليمامة جعلته معروفا لقادة الثورة ، ومالئب ان علا ذكره وانتخب عضوا بالجمعية التأسيسية . وقد ضمه بونابرت الى حملته على مصر ، ولكن منو أبعدته الى فرنسا . وذكرت دائرة المعارف البريطانية انه « حرر » صحيفه « لاديكاد » انظر : Encyclopaedia Britannica, Vol. 21, Tallien.

والأدبية والقانونية والفنية ونحوها ، وأنه لا مكان فيها للموضوعات السياسية على الإطلاق .

وأشار تاليان كذلك الى أن سيطرة الفرنسيين على الاقاليم المصرية كافة سوف تتيح لعلمائهم أن يبحثوا ويدرسوا على الطبيعة كثيرا من الموضوعات التي تتصل بالآثار والمناخ والزراعة والمحصولات وما إليها ، دون أن يواجهوا من العقبات والصعاب ماواجه بعض الرحالة الذين حاولوا أن يجوسوا خلال البلاد . وقال إن هذه الطمأنينة سوف تساعدهم على أن يخرجوا من دراساتهم بنتائج قيمة ، وأن يصححوا أخطاء المحاولات السابقة .

وذكر تاليان أن الغرض من اصدار هذه الدورية هو التعريف بمصر ، لا للفرنسيين الموجودين بها عندئذ فحسب ، وإنما لفرنسا وأوروبا بأسرها كذلك .

ولقد جاءت موضوعات « لاديكاد » بالفعل مصداقا للخطة التي بسطها تاليان في مقدمته الى حد بعيد . وكانت أنموذجا فريدا للاعلام العلمى الذى يحاول أن يقدم صورة واضحة الملامح لبيئة معينة بكل ما يتصل بطبيعتها وناسها ، من خلال مجموعة الابحاث والتقارير والمشروعات الجادة ، التي تناولت مختلف الجوانب فى هذه البيئة بالدراسة والتمحيص .

إن المجلدات الثلاثة التي تضم ما صدر من أعداد هذه الدورية ، تحتوى على عدد كبير من الموضوعات التي كتبها علماء الحملة وباحثوها ، والتي تحفل بالمعلومات والبيانات والاحصاءات المفيدة الممتعة عن مصر .

فقد قدم العلماء فى هذه الموضوعات أول دراسات تفصيلية من نوعها عن جغرافية مصر ومناخها ، وظواهرها الجوية ، وآثارها ، (١) وطبيعتها أرضها ، ورمالها ، ومياه نيلها وبحيراتها وبحريها . وكتبوا فى الزراعة والمحصولات والأسمك والمعادن والنباتات المصرية .

ودرسوا ما ينتشر فى البلاد من أمراض وأوبئة . وشرحوا حساب الزمن عند المصريين ، وما يستخدمونه من مقاييس وموازين ومكاييل .

(١) مثل الدراسة الخاصة بتحديد الموقع الجغرافى لاهرام الجيزة ، وقياس ارتفاع الهرم الأكبر : الكراسة الثانية من المجلد الثالث .

وحققوا مواقع أهم المدن المصرية القائمة (١) والمندثرة (٢) • وقدموا دراسات حقلية متكاملة لبعض المناطق في القاهرة والاقاليم ، واحصاءات مصنفة مقارنة (٣) • وعرضوا مشروعات مفصلة ، ادارية وصناعية واجتماعية (٤) •

صحيح أن بعض ما نشرته « لاديكاد » من موضوعات لم يكن يتصل بمصر اتصالا مباشرا ، مثل ترجمة بعض آيات القرآن الكريم ، وترجمة قصيدة أو رسالة (٥) • ولكن هذه الموضوعات ، بما يصحبها من شروح وتعليقات ، توضح بعض المعالم التي تتصل بحياة المصريين ، مثل الدين والأدب وأسلوب التفكير •

وصحيح كذلك أن بعض الموضوعات كان مجرد انتساج أدبي أو دراسة لا علاقة لها بمصر من قريب أو بعيد (٦) • ولكن عدد هذه

(١) مثل الاسكندرية : العدد السادس من المجلد الاول ، والقاهرة : العدد الخامس من المجلد الثاني .

(٢) مثل مدينة ايليثيا (Eleithias) باقليم طيبة القديم : الكراسة الثانية من المجلد الثالث ( موقعها الحالي قرية الكاب شمالي مدينة ادفو ) •

(٣) مثل الاحصاء المصنف لوفيات مدينة القاهرة في عام ٨ جمهورية ( ١٧٩٦ - ١٨٠٠ م ) الذي نشره ديجنت في الكراسة الثانية من المجلد الثالث ، مقارنا لتسائجه باحصاء العام الذي سقته •

(٤) مثل مشروع انشاء ادارة شئون الرعاة • الذي قدمه نكتو (Nectoux) ونشر بالعدد الرابع من المجلد الاول ، والتقرير الخاص بصناعة الحديد والصلب الذي كتبه ليون لوفافاسير (Léon Le Vavasseur) بالعدد الخامس من المجلد الاول : ومشروع انشاء ملجأ للعزة الذي قدمه ستة من أعضاء المجمع ونشر بالعدد الاول من المجلد الثاني .

(٥) نشرت الترجمة الفرنسية لفاتحة الكتاب مسبوبة بمقدمة طويلة ، مع النص العربي ، في العدد الرابع من المجلد الاول . ونشرت قصيدة نقولا الترك في مدح بونابرت ، مع ترجمتها الفرنسية ، مسبوبة بمقدمة كذلك ، في العدد الثالث من المجلد الاول . ومع تهافت القصيدة وتفاهة معانيها وركاكة ألفاظها ، فان مقدمة ترجمتها الفرنسية تستعرض في دراسة موجزة جادة تاريخ الشعر العربي وخصائصه • والموضوعان بفلم المستشرق مارسيل • وكذلك نشر نص الرسالة التي بعث بها أعضاء ديوان القسامة الى ديجنت بمناسبة اهدائه ايهم كتيبه عن مرض الجدري ، مع ترجمة الرسالة بالفرنسية ، في الكراسة الثانية من المجلد الثالث .

(٦) مثل بعض القصائد التي نشرت بالعدد الاول والسابع من المجلد الاول ، ومثل الدراسة الخاصة بالبحر الاسود التي نشرت سلسلة بالاعداد الاول والثاني ، والثالث من المجلد الثاني ،



الموضوعات كان قليلا جدا ، بحيث لا يؤثر في الطابع المصرى الغالب على سائر الموضوعات •

ولم تغفل « لاديكاد » الجانب الاخبارى البحت ، وان كان محدودا بنطاق المجمع ونشاطه ، فكانت تنشر فى كل عدد ملخصا بما دار فى جلساته • وكذلك كان ينشر بين حين وآخر باب عن المطبوعات الجديدة بعنوان « Bibliographie » ، يتضمن انباء النشر العلمى لأعضاء المجمع أو غيرهم ، خارج نطاق الصحيفة ، مع التعليق المناسب أحيانا • وهكذا كانت « لاديكاد » بحق سجلا اعلاميا لمصر من ناحية ، ولجهود أعضاء المجمع العلمى المصرى من ناحية أخرى •

وقد ساعدت حروف الطباعة المختلفة اللغات بمطابع الحملة على أن يكتمل لهذه الدورية مقومات النشر الأكاديمى الدقيق • فقد استخدمت الحروف العربية والفارسية واليونانية والقبطية والعبرية والسريانية وغيرها ، لتوضيح أسماء الاعلام والنصوص فى كثير من موضوعاتها ( شكل ١٥ ) •

وكانت « لاديكاد » تظهر فى أعداد متتالية ، ثم تضم كل مجموعة منها فى مجلد • وبلغ عدد مجلداتها ثلاثة ، أهدى كل منها إلى أحد قادة الحملة على التوالى : بونا برت ، وكليبر ، ومنو • وينتهى كل مجلد بقائمة بالملاحظات والتصويبات ، ثم بفهرس بموضوعاته •

وقد انتهى المجلد الثالث فى شهر فنتوز سنة ١٠ (مارس ١٨٠١) • ويقول بعض المؤرخين أن هناك ثلاثة أعداد صدرت بعد هذا التاريخ ، ولكنها لم تضم إلى المجلد الثالث (١) •

وتختلف « لاديكاد » عن زميلتها « لوكورييه » فى أمر جوهري • فقد صدرت « لوكورييه » أساسا لجنود الحملة ، تحمل اليهم الخبر والرأى والتوجيه ومواد التسلية والاعلان ، من خلال مخطط اعلامى مدروس ، وضعته قيادة الحملة بما يتفق وأهدافها وأشرفت على تنفيذه • أى أن هذه

---

(١) انظر : Wassef, op. cit., pp. 190-91. وربما كان ذلك صحيحا ، ولكن المجموعات الموجودة بدار الكتب المصرية والمكتبة القومية الفرنسية والمتحف البريطانى لا تضم تلك الأعداد • وقد أعادت بعض دور النشر مؤخرا طبع هذه الدورية بطريقة « الأوفست » بعد تصويرها ، وأصدرتها فى ثلاثة مجلدات كذلك • وهذا ولا شك عمل جليل يحفظ للتاريخ ذلك التراث الاعلامى القيم • انظر طبعة مكتبة ببلوس ببيروت ، ١٩٧٦ •

الصحيفة بعبارة أخرى كانت - كما سبق القول - صحيفة حكومية تصدرها قيادة جيش الشرق لجنودها • فمصدر الاعلام هنا هو رأس الحملة ، وجمهوره هو قاعدتها العريضة •

اما « لاديكاد » فقد صدرت بقرار من المجمع العلمي المصري ، لتكون في المقام الأول سجلاً لنشاط أعضائه • فمصدر الاعلام هنا هو المجمع نفسه ، وجمهوره يكون من أعضاء لجنة العلوم والفنون ، ومنتفى الحملة وقوادها ، ثم من الدوائر الثقافية في أوروبا •

وصحيح أن بونايرت هو صاحب فكرة جمع هذا الحشد الكبير من العلماء والباحثين ، ليكونوا ركناً أساسياً من أركان حملة على مصر •

وصحيح أنه هو الذي أنشأ المجمع العلمي (١) ، بل وكان نائباً لرئيسه وعضواً بلجنة الرياضيات به •

وصحيح أنه حضر الجلسة الأولى التي عقدها المجمع (٢) ، وشارك في المناقشة التي دارت خلالها بشأن اصدار صحيفة دورية له • والراجع انه هو الذي أوحى بهذه الفكرة • فقد رأينا مدى إيمان بونايرت بالاعلام بوجه عام ، وتبعنا حرصه على توفير ما يلزم لتنفيذ سياسته الاعلامية في مصر من رجال وأدوات • وفضلاً عن ذلك فقد لمسنا مدى اهتمام القائد الشاب بأمر « لاديكاد » بالذات ، اذ ذكرنا كيف انه سحب امتياز طبع هذه الصحيفة مع زميلتها « لوكورييه » من صديقه مارك أوريل وعهد بهما الى مارسيل مدير مطابع الحملة الرسمية ، وكان ذلك بعد أن ضايقته كثرة الأخطاء الطباعية في « لاديكاد » بوجه خاص (٣) • ومما يدل على مواصلة اهتمام بونايرت بأمر هذه الصحيفة انه خصها بالذكر في المادة الثانية من آخر أمر رسمي أصدره في مصر ، قبل تحركه ليقود حملة سوريا • فقد كان نص تلك المادة : « على المطبعة الرسمية أن تبذل أقصى جهدها في طبع « لاديكاد » (٤) •

(١) أصدر أمره بذلك في ٦ فريكتودور سنة ٦ ( ٢٠ أغسطس ١٧٩٨ ) •

(٢) يوم ٦ فريكتودور سنة ٦ ( ٢٣ أغسطس ١٧٩٨ ) • انظر « لاديكاد » : العدد الأول - المجلد الأول •

(٣) انظر ص ٢٥ - ٦ •

(٤) صدر هذا الأمر في ٩ فبراير ١٧٩٩ • وغادر بونايرت القاهرة في اليوم التالي ليلحق بقواته التي كانت قد بدأت تحركها قبل ذلك بمدة أيام • انظر : Périvier, op. cit., p. 90.

ولكن « لاديكاد » ، مع كل ذلك ، لم تكن تعكس أثر السلطة الحاكمة  
أو تردد صدى سياستها فى وضوح ، كما فعلت « لوكورييه » .

ولعل السبب فى هذا أن « لاديكاد » التزمت منذ عدها الأول  
بخطتها التى بسطها تاليان فى مقدمته ، أى بأن تقتصر موضوعاتها على  
المواد العلمية والأدبية والفنية ، وأن تبعد تماما عن كل ماله علاقة  
بالسياسة .

ولا شك أن ذلك ، بالإضافة الى دسامة موضوعات « لاديكاد »  
وتنوعها وجدتها ، قد أكسبها مكانة فى التاريخ لم تبلغها « لوكورييه »  
أو أشباهها .

ولم يقتصر نشاط علماء الحملة فى مجال النشر على هذه الدورية .  
فقد أخرجت لهم مطابع الحملة عددا من المطبوعات التى اكتفت « لاديكاد »  
بالإشارة الى بعضها أحيانا ، وتناولتها بالتعليق أحيانا أخرى ، فى الباب  
الذى كانت تقدم به لقراءها المطبوعات الجديدة ، التى يصدرها علماء  
الحملة أو يتلقونها .

ولم تكن هذه المطبوعات موجهة الى سائر العلماء والمثقفين من رجال  
الحملة وحدهم ، وإنما اتسع جمهور بعضها أحيانا ليشمل جنود جيش  
الشرق ، وليضم كذلك المصريين وساكنى مصر من الأجانب أحيانا أخرى ،  
حسب طبيعة ما تتناوله من موضوعات ، واللغة التى طبعت بها . ومن  
أهمها :

١ - كتيب يتضمن قائمة مفصلة بحروف الطباعة العربية والتركية  
والفارسية التى تستعملها « المطبعة الشرقية والفرنسية » بالاسكندرية .  
وقد أعده مارسيل مدير مطابع الحملة ( شكل ١٦ ) ( ١ ) .

٢ - كتيب عنوانه « وصف الرمد فى مصر وطرق علاجه » ، بقلم  
انطونيو سافاريزى ( Antonio Savaresi ) الطبيب بجيش الشرق .

---

(١) كان هذا هو أول مطبوع - غير المنشورات - يصدر فى مصر . وقد أخرجته  
مطابع الحملة بمجرد إقامتها بالاسكندرية ، ويقع فى ١٦ صفحة من القطع الصغير .  
ويمثل الشكل الصفحتين الأولى والأخيرة من الكتيب ، وهو من محفوظات دار الكتب  
المصرية .

وقد طبع بالاطالية ، ونشرت « لاديكاد » ترجمته الفرنسية مجزأة فى أكثر من موضوع بالمجلد الثانى ( شكل ١٧ ) ( ١ ) .

٣ - كتاب بعنوان « أمثال لقمان الحكيم » . وقد طبع بالعربية مع ترجمة فرنسية ، مسبقة بمقدمة شارحة عن هذا الحكيم ونشأة الأمثال فى الشرق ، بقلم المستشرق مارسيل . ونشرت « لاديكاد » هذه المقدمة ، معتبرة من عدم نشر النصوص نفسها بضيق الحيز ، فى العدد السادس من المجلد الثانى ( شكل ١٨ ) ( ٢ ) .

٤ - الطبعة الفرنسية من الكتيب الخاص بوباء الجدري ، الذى كتبه ديڭنت وسبقت الإشارة الى طبعته العربيتين ( ٣ ) . وقد ظهرت هذه الطبعة مع الطبعة العربية الأولى ، وأشارت « لاديكاد » إليها ، فى العدد السابع من المجلد الثالث . وكذلك نشرت « لاديكاد » - بالعربية - نص الرسالة التى بعث بها أعضاء الديوان الى ديڭنت لشكره على إهداءهم الطبعة الثانية من هذا الكتيب ، التى أكدت الصحيفة أنها صدرت بالعربية وحدها ، مع ترجمة الرسالة الى الفرنسية ، فى الكراسى الثانية من المجلد الثالث ( شكل ١٩ ) .

٤ - حوليات (Annales) الجمهورية الفرنسية ، للاعوام السابع والثامن والتاسع . وتتضمن كل حولية عددا من البيانات والاحصاءات عن فرنسا ومصر ، وجداول مقارنة للمقاييس والموازين الفرنسية والمصرية ، وكذلك مقارنة بين التقويم الهجرى والتقويم الفرنسى الجديد . وقد قامت بتصنيف هذه الحوليات لجنة خاصة من المجمع العلمى . وأشارت « لاديكاد » فى العدد الخامس من المجلد الثانى ، الى ظهور الحوليتين الأوليين معا ، اذ أن الحولية الأولى لم يمكن صدورهما فى موعدها ، فلم تكن مطابع الحملة وقتئذ قد نقلت بعد الى القاهرة ( شكل ٢٠ ) ( ٤ ) .

١) تشير قائمة «جيس» الى صدور طبعة عربية من هذا الكتيب ، غير ان «لاديكاد» لم تذكر ذلك ، بل انها اشارت فى المجلد المذكور الى صدور الطبعة الايطالية . وكذلك لم يمتح المؤلف على أى دليل يؤيد ماذهب اليه «جيس» . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية ببافيس .

(٢) لم يستطع المؤلف العثور على هذا الكتاب كذلك .

(٣) انظر ص ٤٣ . هذا ولم يسر العثور على الطبعة الفرنسية .

(٤) يمثل هذا الشكل الصفحة الأولى من حولية العام الثامن . وهى من محفوظات دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وتوجد هناك ملحقه بأحد مجلدى صحيفة « لوكوربيه دى ليجيت » وتقع فى ١٠٨ صفحات .

## الفصل الرابع

### الإعلام لغير المصريين من السكان

أشارت بعض المصادر الفرنسية القديمة ، التي تناولت مطابع الحملة الفرنسية أو أرخت لمديرها المستشرق مارسيل ، الى أن هذه المطابع أخرجت ، الى جانب المطبوعات الفرنسية والعربية ، مطبوعات أخرى باللغتين اليونانية والتركية ، أغلبها ترجمات لبعض المنشورات التي صدرت بالعربية أو الفرنسية ، موجهة الى اليونانيين والأتراك من سكان مصر (١) .

وقد ردد بعض من كتبوا عن الحملة الفرنسية من المحدثين هذه الأقوال دون تعليق (٢) . وزاد البعض الآخر من هؤلاء ، فقال انه رأى بعض مطبوعات الحملة باليونانية ، ولكنه لم يشفع قوله بأية إشارة توثقه أو توضح مصدره (٣) .

(١) انظر مثلا : Taillefer, « Notice Historique et Bibliographique sur M.J.J. Marcel », Revue de l'Orient, de l'Algérie et des colonies, Tome XVI, Paris, 1854, p. 318.

(٢) ابراهيم عبده ، تاريخ الطباعة والصحافة ، ص ٢٦ ، ٣٥ ، ٥٤ ، خليل صابات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٠ .

(٣) Wassef, op. cit., pp. 86-7.

ومع أن المؤلف ، في بحثه عن نماذج مطبوعات الحملة ، وبخاصة المنشورات ، لم يعثر على مطبوع يوناني واحد ، فهناك من المراجع ما يشير إلى صدور بعض المنشورات اليونانية . فقد نشرت صحيفة «لو كورييه» (١) نص بيان موجز أصدره الجنرال مير إلى اليونانيين الذين كانوا يقيمون بمصر من قبل فلول الحملة الفرنسية ، يدعوهم فيه إلى استئناف أعمالهم التجارية ، ويضمنهم إلى أنهم سوف يتمتعون بالأمن والحماية . . . ويؤكد لهم أن عهد الظلم والاضطهاد قد زال . . . الخ . وذيلت الصحيفة بهذا البيان بعبارة تقول إنه صدر في منشور طبع بالفرنسية واليونانية « Cette proclamation a été imprimée en français et en grec »

صحيح أن مطابع الحملة كانت مزودة بحروف يونانية ، ولكن هل صدرت حتما منشورات باللغة اليونانية ؟ وهل تمثل هذه المنشورات جانبا له وزنه من مطبوعات الحملة ؟ أم أن تلك الحروف اقتصر استخدامها على جمع بعض الكلمات فيما نشر بصحيفة « لاديكاد » من بحوث ؟

إن عددا كبيرا من المنشورات التي تتضمن تعليمات أو إخطارات عامة ، والتي تحتوي من البيانات والتنظيمات ما يهم السلطات الفرنسية أن تبلغه إلى الجانيات الأجنبية ، وما يفيد هذه الجاليات كذلك أن تطلع عليه ، كان يصدر إما في نسخ مستقلة بالفرنسية إلى جانب النسخ العربية ، وإما في نسخ باللغتين معا . هذا سواء أكانت تلك المنشورات موجهة إلى سكان مصر جميعا ، أم إلى أهالي منطقة معينة كالقاهرة أو الإسكندرية .

وسنكتفي هنا بالإشارة إلى نماذج قليلة من هذه المنشورات ، إذ أن الفصول القادمة من البحث سوف تتعرض - بالضرورة - لعدد كبير من المنشورات مزدوجة اللغة .

وأول هذه النماذج المنشور الذي يتضمن قائمة بأسعار العملات المتداولة ، والذي صدر بالإسكندرية ، بعد أيام قليلة من احتلال الفرنسيين للمدينة (٢) ، بقرار من لجنة مشتركة ضمت ممثلين للسلطة الفرنسية وعددا من كبار التجار المصريين . وقد جاء في مقدمة القرار أنه

(١) العدد ٩٢ ، بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٨٠١ ( ١٢ ديسمبر ١٨٠٠ ) .

(٢) في ١٨ سبتمبر سنة ١٨٠١ ( ٦ يوليو ١٧٩٨ ) .

اتفق على طبعه بالفرنسية والعربية ( الطبعة الفرنسية شكل ٢١ ) ( ١ )  
ومنها المنشور الخاص بالتقسيم الإداري لمصر ، الذي أصدره كليبر  
في أوائل عهد قيادته للحملة • ( شكل ٢٢ ) ( ٢ ) •

وهناك مثلا المنشور الذي صدر بالفرنسية والعربية معا ، ليذيع  
امر منو بتحديد مقادير عدد من الضرائب في كل أنحاء البلاد (٣) وقد  
تضمنت هذه الضرائب فرض « عوايد على القبط وأهل بر الشام وعلى  
الأروام واليهود والافرنج :

« sur les nations copte, syrienne et damasquine,  
grecque et juive » ( شكل ٢٣ )

ثم هناك المنشور الذي يعلن عن بيع بالمزاد العلني لكميات من  
الأرز والحلبة والترمس بمخازن الحملة ، الذي أصدره بالعربية  
والفرنسية ريتنيه (Reynier) في عهد منو كذلك  
( شكل ٢٤ ) ( ٤ ) •

ويلاحظ على مثل هذه المنشورات أمران :

١ - انها لا تدخل في نطاق المنشورات الموجهة الى جنود الحملة  
وحدهم • فلا علاقة للجنود - مثلا - بمزاد تباع فيه أرادب الارز والحلبة،  
ولا يهمهم كثيرا أمر العوائد المفروضة على المدن وطوائف السكان • وحتى  
اذا كان بعض ما تتضمنه هذه المنشورات ذا قيمة اعلامية لهم ، فقد كان  
يقنعهم عنه عادة ما تنشره لهم صحيفة « لوكورييه » والمنشورات التي  
تصدر خصيصا لهم •

(١) لم نثر على النسخة العربية • ولكن منشورا عربيا آخر صدر بعد ذلك  
بعامين ( في ٢٢ ترميدور سنة ٨ = ١٠ أغسطس ١٨٠٠ ، ونشر اليه فيما بعد )  
بعنوان « هذه تعريفه النقود » ، أشار في بدايته الى سبب صدور ذلك المنشور الاقدم  
بعبارة « وكنا عملنا التعريف وطبعناه بالعربي والفرنساوي في ١٧ يوم من  
شهر مسيدور سنة ٦ للمشيخة الفرنسية » . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة  
القومية بباريس •

(٢) في ٢٨ فروكتيدور سنة ٧ ( ١٤ سبتمبر ١٧٩٩ ) •

(٣) في ٢٠ فندمير سنة ٩ ( ١٢ أكتوبر ١٨٠٠ ) •

(٤) في ٢٥ فندمير سنة ٩ ( ١٧ أكتوبر ١٨٠٠ ) • وكان ريتنيه يتولى منصب  
« مدير ادارة الإيرادات العينية والممتلكات الحكومية » ( Directeur des Revenus  
en nature, et du mobilier national). وهذه النسخة من محفوظات المكتبة  
القومية بباريس •

٢ - ان أصولها تتضمن في العادة نصا على أن تنشر بالفرنسية ولعربية فقط ، مع ان مضمونها يهم سكان مصر جميعا من مختلف الجنسيات . وحتى اذا تضمنت ذكر اليونانيين ( الاروام ) صراحة ، باعتبارهم من الطوائف التي يهم اعلامها بأمر ما ، فان اليونانية لا يرد ذكرها باعتبارها احدى اللغات التي سيطلع بها المنشور . وذلك واضح ميلا من المنشور الخاص بالضرائب الذي أشرنا اليه آنفا . ولو كان أى من هذه المنشورات قد طبع بلغة أخرى لورد فيه ذكر ذلك ضمن عبارة « أمر النشر ، العقبديّة التي يذيل بها نص المنشور .

وفوق ذلك ، فان المنشور الذي يتضمن أمر بونايرت بتجنيد ثلاث سرايا من أبناء الجالية اليونانية بمصر ، صدر باللغة الفرنسية وحدها (شكل ٢٥) (١) ، دون ما إشارة الى طبعه باليونانية كذلك .

ومعنى هذا أن هناك شكاً كبيراً في صدور منشورات باللغة اليونانية الى المتكلمين بها من سكان مصر ، حتى اذا كانت تتضمن ما يهمهم من الامور .

واذا كان ما ذكرناه «لو كورييه» بشأن صدور منشور بهذه اللغة قد حدث بالفعل ، وكانت أمثال هذا المنشور قد ضاعت مع غيرها من مطبوعات الحملة ، رغم ما بذله الباحث من جهد في البحث عنها بالقاهرة وبأريس ولندن ، فمن المؤكد أن ذلك كان أمراً نادراً الحدوث . ومن الراجح في هذه الحالة أن المنشور الذي أشارت اليه «لو كورييه» كان من الظواهر الطباعية النادرة في ذلك العهد .



أما عن اللغة التركية ، فقد أشارت بعض المصادر الى أن عددا من المنشورات لم تصدر بالفرنسية والعربية وحدهما ، وانما صدرت كذلك بالتركية .

فقد ذكر جيس ، في قائمته التي ضمنها مطبوعات الحملة ، مجموعة المستندات الخاصة باجراءات محاكمة سليمان الحلبي قاتل الجنرال كليبر ، باللغات الفرنسية والعربية والتركية .

---

(١) بتاريخ ٧ بروير سنة ٧ ( ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨ ) . وكانت كل سرية مكونة من مائة رجل ، وذلك للقيام ببعض مهمات الحراسة في مدن القاهرة ودمياط ورشيد . وهذه النسخة من محفوظات دار الوثائق القومية بالقلمة .



ومن قبله اشار الجبرتي الى ذلك فى حديثه عن مصرع كليبر . فعد قال بعد ذكر الحادث وما تبعه من اجراءات سريعة (١) : « وألقوا فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخا كبيرة باللغات الثلاث الفرنسية والتركية والعربية » .

وقد تأيد بالفعل ما اشار اليه كل من الجبرتي وجيس ، فهناك - كما ذكرنا - مطبوع يتضمن مستندات محاكمة سليمان الحلبي وشركائه باللغة التركية ( شكل ٢٦ ) ، الى جانب نصوصها العربية والفرنسية (٢) .

وكذلك فان المنشور المستقل الذى سجل آخر جلسات المحاكمة التى صدر فيها الحكم ، نص فى صراحة على أن « هذه الشريعة والفتوة (الفتوى) لازم ينطبعا باللغة التركية والعربية والفرنساوية من كل لغة قدر خمسماية نسخة لكي يرسلوا ويتعلقوا فى المحلات اللازمة » . وهذا فى حد ذاته دليل على صدور طبعة تركية من ذلك المستند بالذات .

ولعل ذلك راجع الى طبيعة تلك الوثائق التى تتعلق بحادث مير من أبرز الحوادث فى تاريخ الحملة الفرنسية فى مصر ، وما ترتب عليه من اجراءات التحقيق والمحاكمة ، وما يتصل به من ملاسبات سياسية .

فقد ثبت من اعترافات سليمان الحلبي التى اذاع نصوصها الفرنسيون ، الى جانب أنه اعتبر قتل كليبر جهادا فى سبيل الله ، ان بعض المسئولين العثمانيين فى حلب حرصوه على قتله . ومن هنا اتخذ هذا الحادث طابعا سياسيا ، وأصبح بذلك جزءا من الصراع الكبير بين الفرنسيين والعثمانيين حول مصر .

ولما كان الفرنسيون قد حرصوا على أن يوفرأوا لهذه المحاكمة كل مظاهر الضمانات التى تكفل اجراءات قضائية سليمة ، الأمر الذى لفت نظر الجبرتي وأشاد به (٣) ، فقد حرصوا كذلك على أن ينشروا كل ما دار

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ص ١١٦ .

(٢) انظر ص ٤٤ ، ٥٤ . وتقع هذه المستندات التركية نى ٨٨ صفحة .

(٣) قال الجبرتي فى هذا الصدد ( المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١٧ ) : « وألقوا

فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها .. وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها .. ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الاحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين وكيف وقد تحارى على كبيرهم وبمسوبهم رجل أفاقى أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه ولم يعطوا بفله وقتل من =

فيها بالتركية ، الى جانب العربية والفرنسية . وذلك لكي يتخذوا منها أداة دعائية في وجه العثمانيين الذين كانوا يحشدون قواتهم لاسترداد مصر ، في بلاد الشام وفي البحر المتوسط . ولا شك انه كان من اليسير أن تصل هذه المطبوعات أو مضمونها اليهم ، ولو بتدبير من السلطات الفرنسية ذاتها .

ويلاحظ انه لم ترد اشاره صريحة مماثلة في وثائق الحملة ، تدل على طبع منشور أو مستند معين آخر باللغة التركية . بل ان وثيقة مهمة مثل اتفاقية العريش التي أبرمت في عهد كليبر بين قيادة الحملة والعمانيين للجلاء عن مصر (١) ، وان كانت لم يقدر لها أن تنفذ ، طبعت بالعربية والفرنسية وحدهما . وخلا نص هذه الاتفاقية من أية اشارة الى طبعها بالتركية ، بالرغم من ملاءمة ذلك لطبيعتها . فقد جاء في ختامها انها « منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوي الى الوكلاء العثماني بدلا من التي قد وجهوها باللغة التركية » . ومعنى ذلك أن لهذه الاتفاقية «أصلاء» باللغة التركية ، ولكنه لم يطبع .

وكذلك فان اتفاقية الجلاء الأخيرة التي عقدها بليار (Belliard) قائممقام (نائب) منو بالقاهرة (٢) ، نشرت بالعربية والفرنسية ، دون أدنى اشارة الى طبعها بالتركية أيضا .

غير أن أحد مؤرخي الحملة المعروفين (٣) يقول ان منشور بوناپرت الأول الى المصريين طبع بالفرنسية والعربية والتركية . ويردد هذا القول عنه أحد المؤرخين المحدثين (٤) \* مع أن هذا المؤرخ نفسه يذكر في صفحات

---

أخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد ان عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم ساري عسكرهم وامرهم بل رتبوا حكومة ومحاكمة وأحصروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام .. ثم احضروا من اخبر عنهم وسألوه على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم .. » .

(١) وقعت في ٢٤ يناير ١٨٠٠ ، وأدبع نصها في منشور طبع بالعربية والفرنسية ، محرر بتاريخ ٨ يوليوز سنة ٨ (٢٨ يناير ١٨٠٠) . وسرعان ما نقضت هذه الاتفاقية .  
(٢) وقعت في ٢٧ يونيو ١٨٠١ . وقد أذيع نصها الفرنسي كاملا في طبعة مستقلة : كما نشرت بعض موادها بالعربية والفرنسية في طبعة أخرى ، وكان بليار قد عين حاكما للقاهرة وقائدا لحاميتها يوم ٢١ يونيو ١٨٠٠ ، عقب تولي منو قيادة الحملة .  
وسوف تستكمل دراسة هذين المنشورين في مواضع تالية من الكتاب .

Lacroix, Désiré, Bonaparte en Egypte, Paris, 1899, p. 80. (٣)

Herold, op. cit., p. 68. (٤)

سابقة قصة الضابط التركي الذي زار بارجة القيادة «لوريان» قبل نزول الفرنسيين إلى الشاطئ ، وأعطى نسخة عربية من المنشور . وعندما اعتذر بأنه لا يقرأ العربية ، ترجم له المستشرق فانتور - مشافهة - نص المنشور إلى التركية (١) .

فمتى طبع هذا المنشور بالتركية ، إذا كان بونابرت بمجرد النزول إلى الاسكندرية ، وقبل نقل المطابع ، قد أمر - كما قيل - بأن يعلن باللغات الثلاث ؟

وحتى إذا كان الفرنسيون قد تمكنوا من طبع ترجمة للمنشور بالتركية في البحر ، بعد زيارة ذلك الضابط التركي وقبل النزول إلى المدينة ، وهو احتمال ضعيف ، فلا شك أن ذلك كان أيضا بسبب طبيعة هذا المنشور الخاصة . فهو أول خطاب من قائد الحملة إلى شعب مصر . وكانت مصر من الناحية الرسمية إيالة عثمانية ، يمثل سيادة الدولة بها جهاز تركي على رأسه الوالي . كما كانت أمورها من الناحية الفعلية في أيدي آلاف المماليك ، الذين يتكلمون التركية .

هذا فضلا عن أن بونابرت أراد أن يؤكد في المنشور صداقة الفرنسيين للسلطان العثماني ، وأنهم ما قدموا إلى مصر لينتزعوها من حوزته ، وإنما قصدوا بحملتهم أن يخلصوا مصر من شرور المماليك الذين عصوا السلطان واستبدوا فيها بالأمر دونه . فقد جاء بهذا المنشور أن «الفرانساوية في كل وقت من الاوقات صاروا المحبين الاخلاصين لحضرة السلطان العثماني وأعدا أعداياه أدام الله ملكه ، وبالمقلوب ( يقصد ) وعلى العكس من ذلك » ، ترجمة للأصل الفرنسي « au contraire » المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان غير ممثلين لأمره فما طاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم » . وجاء به كذلك : «المادة الثالثة . كل قرية التي تطيع للعسكر الفرانساوي الواجب عليها نصب السنجاك (العلم) الفرانساوي وأيضا نصب سنجاك السلطان العثماني محبتا دام بقاءه » .

وكانت آخر عبارات المنشور : « أدام الله اجلال السلطان العثماني ادام الله اجلال العسكر الفرانساوي لعن الله المماليك وأصلح حال الامة المصرية » .

ومن هنا فان اصدار هذا المنشور بالتركية كذلك له ما يبرره . غير

---

(١) راجع ص ٢٢ .

أنه من المستبعد - فيما نرى - أن يكون الفرنسيون قد أصدروا أية مضبوطات أخرى باللغة التركية . فلمن يصدرونها ؟

انهم سرعان ما قضوا على المماليك ، وفر من بقى من هؤلاء أما مع ابراهيم بك الى الشام ، وأما مع مراد بك الى أقاصى الصعيد . وكذلك خرج من مصر مع ممالك ابراهيم معظم من كانوا يعملون بها قبل الحملة من رجال الدولة العثمانية . بل إن زعماء المماليك الذين بقوا بصعيد مصر كانوا - إذا دعا الأمر - يقاتلون السلطات الفرنسية باللغة العربية . ومن ذلك ، مثلا ، رسالة مراد بك الى الجنرال منو التى ضمنها تعزيتة فى مصرع سلفه الجنرال كنير ، وأكد فيها استمرار الاتفاق الذى سبق أن عقد بين الطرفين ( شكل ٢٧ ) (١) . وقد بعث مراد بك عدة رسائل مماثلة الى جنرالات الحملة الآخرين . وهذه وغيرها من رسائل المماليك وعرائضهم العربية محفوظة بنسب الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية ، مع ترجمتها الفرنسية ، شأنها فى ذلك شأن سائر الرسائل التى كان يبعث بها الى قيادة الحملة مختلف الافراد والطوائف من المصريين وغيرهم .

وعلى ذلك فيمكن الجزم بأن العربية والفرنسية كانتا لغتى الاعلام الرئيسيتين للحملة الفرنسية فى مصر ، وأن اليوقانية والتركية ، إذا كانتا قد استخدمتا ، فإن ذلك لم يحدث الا قليلا جدا ، بل نادرا ، وفى مناسبات معينة اقتضت هذا الاستخدام .

وذلك بالطبع لا يتعارض مع ما سبق أن ذكرناه من استخدام بعض علماء الحملة فيما نشره من بحوث بصحيفة « لاديكاد اجبسين » لألفاظ وعبارات بلغات مختلفة غير الفرنسية ، تطلبت موضوعات البحوث استخدامها . ولا يتعارض كذلك مع ما أشرنا اليه من طبع أحد الكتيبات العلمية بالايطالية ، التى كانت اللغة الأولى لمؤلفه (٢) .

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ، وهى بتاريخ ١٥ سقر ١٢١٥ ( يوافق ٨ يوليو ١٨٠٠ ) . وكان هذا الاتفاق يقضى بأن يحكم مراد بك الصعيد الأقصى جنوبى بلدة بلصفورة ( بمحافظة سوهاج الآن ) باسم الجمهورية الفرنسية ، وأن يمنح خراج اقليم جرجا .  
(٢) انظر ص ٦١ - ٢ .

## الباب الثالث

---

### المنشورات العربية وسيلة إعلام



كثيرون ممن أرخوا للحملة الفرنسية في مصر ، من أجانِب ومصريين ،  
أهملوا ذكر المنشورات العربية التي أصدرتها سلطات الحملة ، بل أن  
بعض من أرخوا للصحافة في مصر أغفلوا أمر هذه المنشورات اغفالا تاما ،  
مثل فيليب دى طرازى (١) .

وهناك مؤرخون آخرون ، قدامى ومحدثون ، تناولوا في كتاباتهم  
هذه المنشورات . وقد تفاوت ماكتبوه عنها بين الاشارات العابرة والفقرات  
الموجزة .

وهناك أيضا ، غير هؤلاء وأولئك ، من سجلوا نصوصا كاملة أو  
مجتزأة لعدد من المنشورات العربية أو ترجمتها (أصولها) الفرنسية .  
ولكن معظمهم تعرض لهذه النصوص من حيث صلتها بموضوع معين ،  
وقليل جدا منهم من التفت الى «ظاهرة» إصدار المنشورات نفسها .

لقد كان الجبرتي ، مؤرخنا المعاصر للحملة ، هو أول من سجل  
نصوص عدد كبير من هذه المنشورات ، في مناسبات صدورها . وكلما  
تناول بالسرد أو التعليق مضمون أحدها ، كان لا يفوته أن يسجل كذلك  
عملية نشره وإذاعته . فيقول مثلا : «... وكتبوا نسخا من ذلك كثيرة  
أرسلوا منها الى الأعيان ولصقوا منها نسخا في مفارق الطرق ورءوس  
العطف وأبواب المساجد» ، أو «... كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها  
بالاسواق مضمونها ...» ، أو «... وكتبوا بذلك طومارا (٢) كبيرا  
بصموا منه نسخا كثيرة ... وألصقوا منها بالاسواق على العادة » .

---

(١) في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » الذي سبقت الإشارة اليه . وقد أعادت  
مكتبة المثنى ببغداد طبع أجزاء الكتاب الأربعة بالأوفست - بعد تصويرها - عام ١٩٧١ .  
(٢) « الطومار » و « الطامور » : الصحيفة .

وسجل نفولا الترك ، وفد عاصر الحملة الفرنسية كذلك ، نصوص عدد من تلك المنشورات ، ولكنه لم يكن في ذلك دقيقا . كما ان كتاباته عن الحملة بوجه عام اتسمت بالخفة والسطحية ، والافتقار الشديد الى الصدق والموضوعية (١) .

وعن الجبرني نقل كثير من المؤرخين المحدثين ، وبخاصة من كتبوا بالعربية ، ما أرادوا الاستدلال به أو التعليق عليه من نصوص تلك المنشورات .

ومن حص هذه المنشورات بالذكر من المؤرخين الفرنسيين لأكروا (٢) ، الذي أورد نصوصا فرنسية دقيقة وكاملة لعدد من المنشورات العربية في مناسباتها .

وفي دراسة ألبير جيس لطابع الحملة في مصر ، قال عن المنشورات بوجه عام انها « كانت كثيرة متواترة ، وكانت تطبع طبعتين ، واحدة للصدق والأخرى من حجم أصغر للتوزيع » . وقال أيضا انه تمكن من رؤية عدد من المنشورات التي أصدرها قواد الحملة الثلاثة للأهالي ، « ولكن الجزء الأكبر من هذه المنشورات ضاع أو تمزق » . وكذلك وصف جيس في دراسته أحد المنشورات التي طبعت بالعربية والفرنسية ، فذكر طوله وعرضه وعدد سطوره (٣) .

واكتفى شارل رو بأن أشار الى المنشورات العربية ضمن غيرها من المطبوعات المشابهة : كالأوامر اليومية والنشرات الادارية التي كانت تصدرها قيادة الجيش أو الادارة المالية للحملة (٤) .

أما مؤرخونا وباحثونا المحدثون ، فقد كان في مقدمة من أهتم منهم

---

١ - عن الترك يعمل في خدمة الأمير بشير اللبناني ، ثم أوفده هذا الى مصر أيام الحملة لمراقبة الاحوال . فاتصل بالفرنسيين اتصالا وثيقا . وكتب الترك عن الحملة بزميات صدرت مع ترجمتها العربية في طبعتين : احدهما في باريس عام ١٩٢٩ بواسطة المستشرق ديجرانج (Desgranges) بعنوان « ذكر تملك جهنم والفرنساوية الاقطار المصرية والبلاد الشامية » ، والثانية في القاهرة عام ١٩٥٠ على يد جاستون فييت (G. Wiet) بعنوان « مذكرات نفولا الترك » . وقد بالغ هذا المؤرخ كثيرا في تمجيد الفرنسيين ، كما تحامل بشدة على مسلمي مصر وسوريا .

٢ - في مرجعه السابق ذكره .

Op. cit., pp. 151, 154. (٣)

Op. cit., p. 153. (٤)



بالمنشورات العربية الأستاذ عبد الرحمن الرافعى (١) ، الذى أورد نصوص عدد منها ، نقلا عن الجبرتى ، أو ترجمة عن أصولها الفرنسية من بعض الكتب والمراجع أو من صحيفة «لو كورييه» • وفعل مثل ذلك أيضا الأستاذ أحمد حافظ عوض (٢) •

واستند الدكتور عبد العزيز الشناوى كذلك الى نصوص عدد من هذه المنشورات ، نقلا عن الجبرتى أو نقولا الترك أو المصادر الفرنسية ، فى دراسته الأخيرة عن موقف الأزهر ورجاله من الحملة الفرنسية (٣) •

ومن ناحية أخرى ، أشار بعض مؤرخينا الى هذه المنشورات ، من حيث استخدامها وسيلة دعائية ، حاول الفرنسيون عن طريقها توثيق صلة المصريين بهم • فقال الدكتور محمد فؤاد شكرى مثلا «٠٠٠ جريا على سياسته (فى الاستعانة بنفوذ علماء الدين لتنفيذ خطته) لم يلبث بونابرت أن استخدم الديوان والعلماء فى اصدار المنشورات لتسكين خواطر الأهالى وحضهم على التزام الهدوء والسكينة ، ثم لنقل الاخبار الهامة التى رأى اذاعتها على المصريين فى أثناء الحملة السورية » (٤) •

وقال الاستاذ محمود الشرقاوى : «أظهر نابليون كل ماعنده وعند رجاله من بلاغة وبيان لكى يؤثر فى المصريين عن طريق منشوراته العربية • ولكنهم قاوموه أعنف المقاومة وأشدّها ٠٠ » (٥) •

أما الدكتور ابراهيم عبده فقال فى تاريخه للطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية أن «أفضل المطابع التى خدمت القائد العام من الناحية السياسية فى مصر هى مطبعته العربية • فبواسطتها اذاع على السكان بين الفينة والفينة تلك النداءات التى كانت تساعد من غير شك على توجيه الوطنيين توجيهها خاصا » (٦) •

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، الجزء الأول والثانى ، القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٤٨ •

(٢) فتح مصر الحديث أو نابليون بوناپرت فى مصر ، القاهرة ، ١٩٢٥ •

(٣) صور من دور الأزهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى لمصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، القاهرة ، ١٩٧١ •

(٤) الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٧٢ •

(٥) مصر فى القرن الثامن عشر ، الجزء الثالث : شعب مصر وكلاجه ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٣٦ - ٧ •

(٦) مرجع سبق ذكره ، ص ٥٦ - ٧ •

ثم قال ، عندما كان يدلل على عدم صدور صحيفة عربية أيام الحملة ، انه « لم يكن من المستبعد أن يكون (بونابرت) قد فكر في انشاء صحيفة عربية تذيب أغراضه ونواياه . وقد رأيناه شديد العناية بإذاعة النداءات العربية بين الحين والحين ، وهذه كانت تقوم مقام الصحف على غير ميعاد . بيد ان ظروف الجنرال بونابرت لم تسمح له بأن يحور هذه النداءات بحيث تنصل وتتسع لأغراض أخرى وتصبح صحيفة يقرؤها الناس في ميعاد معلوم ، وكذلك لم يوات العمر الجنرال كليبر حتى يفكر في مثل هذا التفكير » . (١) .

وأما الدكتور لويس عوض فكان أكثر نفاذا الى حقيقة المنشورات العربية للحملة ، وأقرب الى تقويم دورها . لقد تحدث عنها من حيث صلتها بالمبادئ الدستورية ، التي اعتبر أن سلطات الحملة الفرنسية حاولت اقرارها في مصر . فقد قال انه لمعرفة الأوضاع الدستورية في تلك الفترة « ينبغي تتبع الملصقات الكثيرة التي كانت أجهزة الحكم تنشر بها البيانات والمراسيم والقوانين والقرارات وعامة ما تنظم به العلاقة بين الحاكم والمحكوم » . ثم قسم هذه «الملصقات» الى ثلاثة أنواع : فهي اما موجهة من السلطات الفرنسية الى الشعب ، أو منها الى أحد الديوانين (٢) ، أو من أحد الديوانين الى الشعب . ولكنه لم يتعد في حديثه القصير عن المنشورات بعد ذلك نطاق صلتها بما سماه بالأوضاع الدستورية (٣) .



هذه النماذج تمثل أبرز الزوايا التي نظر منها المؤرخون والباحثون الى المنشورات العربية التي أصدرتها الحملة الفرنسية في مصر .

ومع التفاوت الكبير في اتجاهات هذه الزوايا ، وفي مدى نفاذ النظر منها ودقته ، ومع تعدد أساليب التناول واختلاف حصيلته كما وكيفاً ، تكوئت من تلك الكتابات والاشارات المتناثرة حزمة ضوء هاديء ، لغت نظر الباحث الى أهمية تلك الظاهرة الفريدة في تاريخ مصر الحديث ، وضرورة

(١) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢) يقصد الديوان العمومي والديوان الخصوصي ، وهما يمثلان الشكل الثاني من أشكال نظام التمثيل الشعبي الذي وضعه بونابرت لمصر . وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد .

(٣) تاريخ الفكر المصري الحديث، الجزء الثاني : الفكر السياسي والاجتماعي، القاهرة.

أن نوفي خفها من البحث ، وأن يبذل في دراستها وتحقيقها مزيد من الجهد .

وقد سبق أن أشرنا (١) الى الاهمية التاريخية التي يمثلها اصدار الحملة الفرنسية للمنشورات العربية المطبوعة . وقلنا ان ظهور هذه المنشورات كان نقطة تحول كبرى في نظام الاعلام بمصر ، حددت النهج الاعلامي الذي عرفته مصر بعد الحملة لسنوات طويلة .

ومعنى هذا انه كان لتلك المنشورات في مجموعها قسما معينة تمثل كيانا متميزا لوسيلة اعلامية ذات مقومات واضحة . فما هو هذا الكيان المتميز ؟ وهل يمكن اعتبار تلك المنشورات صحيفة أو ما يشبه الصحيفة ؟ أن تحديد سمات المنشورات العربية ، أيا كانت درجة نضجها واكتمال مقوماتها ، أمر ضروري لإبراز صورتها واستجلاء حقيقتها ، وبالتالي لتأكيد ما ذكرناه من أهميتها .

وهذا التحديد يقتضى تحليلا لمضمون تلك المنشورات ، سواء ما استطعنا الحصول على صورته منها أو ما نقلته المصادر المعاصرة للحملة من نصوصها ، وفي مقدمة هذه المصادر تاريخ الجبرتي . وذلك من حيث دلالة ما يحمله ذلك المضمون من رسائل اعلامية ، ومن حيث لغة هذه الرسائل وأسلوب تحريرها . ويقتضى كذلك دراسة للخصائص التيبوغرافية للمنشورات ، أى من حيث الطباعة والاخراج وما يتصل بهما . هذا فضلا عن بحث بعض الجوانب الأخرى المتعلقة بظهورها أو بامتداد أثرها .



وقبل هذا لا بد من جلاء نقطة أساسية ، وهى الخاصة باصدار صحيفة عربية فى عهد الحملة الفرنسية .

لقد ظن بعض المؤرخين أن قادة الحملة أصدروا فى مصر بالفعل صحيفة عربية كاملة المقومات . فقال فيليب طرازى أن هذه الصحيفة كانت تسمى «الحوادث اليومية» ، وكان يحرقها اسماعيل الخشاب ، وقد أنشأها بونابرت . وقال أن هذه الصحيفة كانت تصدرها «البعثة العلمية» ، الى جانب «لاديكاد» و «لوكوربيه» . واعتبر طرازى أن هذه

(١) راجع ص ٣٦ - ٤١ .

الصحيفة هي « جده الصحف في لغة الناطقين بالضاد » (١) .

وزعم مؤرخون آخرون أن الصحيفة كانت تسمى «التنبية» (٢) ، وإن منشئها هو الجنرال منو ، نالت قواد الحملة وآخرهم . وأول هؤلاء المؤرخين هو جيس الذي ذكر «التنبية» ضمن قائمته المشهورة لمطبوعات الحملة في مصر (٣) . وقد نفل عنه شارل رو دون تحفظ أو تعليق (٤) . ومن المحدثين الذين قالوا بذلك جرجي زيدان (٥) وأبو الفتوح رضوان (٦)

وقد بصدى عدد من المؤرخين والباحثين ، من فدامي ومحدثين كذلك ، نعى صدور هذه الصحيفة ، وإن تفاوتت درجة النفي بين القطع الحاسم ، وبين الترجيح الهادي الذي لا يوصد الباب تماما في وجه الاحتمال المضاد أيا كان ضعفه . ومن هؤلاء جرجي (٧) وأوجين آتان (Eugène Hatin) (٨) ثم عبد الرحمن الرافعي (٩) وإبراهيم عبده (١٠) وأمين واصف (١١) .

واكتفى آخرون بموقف سلبي بحت ، فأغفلوا الإشارة تماما إلى أية صحيفة عربية ضمن ما ذكروه من مطبوعات الحملة . ومن هؤلاء كاثيغيه (١٢) وديهران (١٣) .

فما هي الحقيقة وراء هذا كله ؟

لا شك أولا في أن طرازي قد أخطأ خطأ كبيرا عندما فسر وطيفة اسماعيل الخشاب في ديوان القاهرة بأنها تحرير لصحيفة عربية اسمها «الحوادث اليومية» . لقد وصف الجبرتي عمل صديقه الخشاب في

(١) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(٢) ترجمة للكلمة الفرنسية « L'Avertissement » .

Op. cit., p. 149. (٣)

Op. cit., p. 153. (٤)

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٥١ - ٢ .

(٦) مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ .

(٧) Rigault, Georges, Le Général Abdallah Menou et la dernière phase de l'Expédition d'Egypte, Paris, 1911, p. 161.

(٨) أنظر : Wassef, op. cit., p. 245.

(٩) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ص ١٤٥ ، ج ٢ ص ٢٢٨ - ٩ .

(١٠) مرجع سبق ذكره ، ص ٩٣ - ٧ .

Op. cit., p. 245. (١١)

(١٢) « L'Imprimerie de l'Expédition Française » .

(١٣) Deherain, Henri, Dans Hanotaux, Histoire de la Nation Egyptienne, Tome V, p. 367.

الديوان وهو يترجم له ضمن وفيات عام ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م ، في عهد محمد علي) بقوله : «ومات البليغ النجيب ٠٠ السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب ٠ تولع المترجم بحفظ القرآن ثم بطلب العلم ٠ ولما رنب الفرنسية ديوانا لقضايا المسلمين تعين المترجم في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه من ذلك اليوم لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها في جميع الجيش حتى لمن يكون منهم في غير مصر من قرى الأرياف فتجد أخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم فلما رتبوا ذلك الديوان كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس من أمر أو نهى أو خطاب أو خطأ أو صواب » (١) .

وواضح من هذا النص أن عمل الخشاب في الديوان ، كما وصفه الجبرتي ، كان «سكرتير» الجلسات» بالمعنى الحديث . وعلى ذلك فلا علاقة بين عمل الخشاب في الديوان وبين تحرير الصحف . ولم تكن «الحوادث اليومية» في الحقيقة سوى وقائع جلسات الديوان التي تسجل في مضابطه . ثم إن الخشاب - كما سنرى - ألحق بالعمل في الديوان الأخير الذي أقامه منو في صورة جديدة ، بدلا من الديوانين اللذين قاما قبله (٢)، أى انه لم تكن له صلة بالديوان أيام بونابرت ، الذي يقول طرازي انه مؤسس تلك الصحيفة المزعومة .

ويلاحظ أيضا أن الجبرتي أشار في النص نفسه الى عناية الفرنسيين «بضبط الحوادث اليومية» ، لانهم كانوا « يجمعون المتفرق في ملخص » ويوزعونه «في جميع الجيش ٠٠ الخ» وواضح انه يعنى بذلك صحيفة «لوكورييه» أو المنشورات الفرنسية - اذ ليس من المعقول أن يوزع ذلك الملخص على جنود الحملة باللغة العربية . ومع ذلك فهو لا يذكر في هذه المناسبة شيئا عن صدور صحيفة عربية ، مع أن الاستطراء هنا الى ذكر مثل تلك الحقيقة - اذا وجدت - أمر منطقي .

(١) مرجع سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ٢٣٨ .

(٢) يتضح ذلك من المنشور الذي اذاع انشاء هذا الديوان والذي ستعرض له بعد قليل . ويقول الجبرتي عن هذه الحقيقة في بقية ترجمته للخشاب « ٠٠ فلم يزل متقيدا في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو حتى ارتحلوا من الاقليم ٠٠ » كما ان مؤرخنا قد أكد ما ورد في ذلك المنشور عند حديثه عن تكوين الديوان الجديد وسرده لاسماء اعضائه والعاملين به ( ج ٣ ، ص ١٣٧ - ٨ ) .

ومن ناحية أخرى فليس من المعقول ، كما قال الدكتور ابراهيم عبده ١١٠ . ان بفعل الجبرتي ذكر تحرير سديقه الخشاب لأول صحيفه عربيه ، اذا كان ذلك قد حدث ، مع انه ذكر عن أعماله المختلفه وشعره وحبابه كثيرا من التفصيلات .

اما الذين قالوا بصدور صحيفه «التنبيه» ؛ فقد كانت حجبهم اقل ديانا . وكان رأيهم بسند الى ظل من حقيقة . لقد اعتمد هؤلاء على مرسوم اصدره الجنرال منو بالفعل في ٥ فريمير سنة ٩ ( ٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ ) . وأشارت اليه صحيفه «لوكورييه» في عددها الصادر يوم ١٥ فريمير (٦ ديسمبر) (٢) ، ويقضى هذا المرسوم بانشاء صحيفه عربيه سمي «التنبيه» (l'Avertissement) .

وقد اصدر منو هذا المرسوم بعد ان فكر في ان انشاء صحيفه عربيه منتظمة سوف يساعد على تحسين العلاقات بين المصريين والفرنسيين ، وعلى ازالة ما قد يشعر به الشعب المصري من سوء الظن وعدم الثقة نحو سلطات الحملة . ونحن نرى صدى ذلك التفكير واضحا في نص بعض مواد المرسوم .

وقد تجاوب مع القائد الفرنسي في هذا التفكير ، وكتب له مجبدا مشروعه ، ديجنت كبير أطباء الحملة (٣) ، الذي كان في الوقت نفسه مسئولاً عن صحيفه «لاديكا» (٤) .

ويلاحظ في هذا الصدد امران :

اولهما ان منو كان أكثر من سلفيه محاوله للتقرب من المصريين . فقد شهر اسلامه ، وتزوج من مصريه مسلمة ، وكان حريصا في كل أوامره وقراراته ومنشوراته الفرنسيه والعربيه على التوقيع باسمه الجديد «عبد الله جاك منو» . وكذلك كان يكثر من التودد الى المصريين وزياره العلماء والمساجد .

(١) تاريخ الطباعة والصحافة ٠٠ ، ص ٩٧ .

(٢) ذكر جيس في مقاله الذي تقدمت الاشارة اليه هذا التاريخ باعتباره تاريخ صدور المرسوم ولكنه لم يحدد تاريخ صدور «التنبيه» نفسها ! .

(٣) Rigault, op. cit., p. 161.

(٤) راجع ص ٥٦ . ويقول ريجو ان منو ودجنت كليهما قد فكرا في وقت واحد في هذا المشروع . وينقل عن رسالة كبير الأطباء الى قائد الحملة في هذا الشأن قوله « ان هذه الفكرة قد شغلته كثيرا » .

وثاني الأمرين أن ظروف الحملة في أيامه كانت أسوأ من ظروفها في أيام بوناپرت وكليبر . فالاضطرابات الداخلية كثيرة ، وتحالف الانجليز والأتراك ضد الفرنسيين يزداد توطدا ، وحصارهم لمصر من الشمال والشرق يزداد أحكاما . وهم ، مع من بقى من المماليك ، لا يكمون عن ناليب المصريين على الحكم الفرنسى وتشجيعهم على مناوآته .

ومن هنا فقد تهيأ المناخ المناسب تماما للتفكير فى انشاء تلك الصحيفة .

وأهم ما تضمنه مرسوم انشاء « التنبيه » (١) :

١ - أن الهدف من الصحيفة هو التعريف بأعمال الحكومة الفرنسية ، وتبصير الاهالى حتى لا يسيئوا الظن بالفرنسيين ، أو يقعوا فريسة للقلق الذى قد يعمل البعض على بثه فى نفوسهم ، ثم تمكين الثقة والترابط بين المصريين والفرنسيين .

٢ - أن الذى سوف يتولى تحريرها هو السيد اسماعيل الخشاب . أمين محفوظات الديوان (Archiviste du divan) ، ومحرر الحوليات العامة (rédacteur des annales publiques) به (٢) .

(١) نشرت نص المرسوم ، عدا « لوكورييه » ، صحيفة « Le Moniteur Universel » التى كانت تصدر فى باريس ، بتاريخ ١٥ نيعوز سنة ٩ ( ٥ يناير ١٨٠١ ) . وكذلك أوردت نصه عدة مصادر تاريخية أخرى فى مقدمتها : Rousseau, M.F., Kléber et Menou en Egypte, Paris, 1900, pp. 373-5.

(٢) مما كتبه الجبرى من صديقه الخشاب فى مناسبات متفرقة ، ومن بعض ما وصفته به الوثائق الفرنسية المعاصرة ، نلمح قسمة واضحة من قسماته ، فقد كان « اسماعيل بن سعد الوهبى الشهير بالخشاب » - بمسئوى عصره - أديبا مطلعا موهوبا فى الكتابة . ومن هنا كان أهم ما تولاه من أعمال يتصل بالانشاء أو التحرير فى صور مختلفة . فمندا أخذ الجبرى يماون أستاذه مرفى الزبيدى ( صاحب « تاج العروس » ) فى وضع كتاب من اعلام القرن الثانى عشر الهجرى ، استعان بصديقه الخشاب ليحقق له المعلومات التى تتصل بكثير من أولئك الاعلام ، من الصكوك ، وحجج الملكية بالمحكمة ، حيث كان يعمل شاهدا عدلا . وبالفعل أعد الخشاب مع صديقه عددا من الطيارات ( البطاقات ) والكراريس . ولعل هذا العمل هو الذى أوحى للخشاب بكتابة مؤلفه « تاريخ حوادث وقعت فى مصر من سنة ١١٢٠ الى دخول الفرنسيين » ( مخطوط رقم ٢١٠٧ تاريخ ، المكتبة التيمورية ، دار الكتب المصرية ) .

وعندما أنشأ منو ديوان القاهرة الجديد ( فى أكتوبر ١٨٠٠ ) ، تولى الخشاب به عدة أعمال كتابية وتوثيقية . فقد وصف فى المنشور الذى أذاع مرسوم الانشاء ، وكان من الموقعين عليه ، بأنه « كاتب الخزنة السرية » أى أمين المحفوظات . وقد =

٣ - أن موادها سوف تتضمن : أعمال الحكومة الفرنسية ، وأعمال الديوان ، والأخبار الخارجية التي قد يهم المصريين معرفتها ، ثم نبذا علمية وفنية .

٤ - أنها سوف توزع على نطاق واسع بالقاهرة والأقاليم . وسوف تعمل سلطات الحملة كذلك على إرسال بعض أعدادها إلى اليمن والشام وداخل أفريقيا ، عن طريق القوافل .

٥ - أن العلماء أعضاء الديوان سوف يراقبون موادها لاجازتها قبل الطبع ، حتى لا ينشر بها شيء يسيء إلى الدين أو التقاليد (١) .

٦ - أنه سوف يشرف على إصدارها فوريه رئيس إدارة العدل الرئيس على سياسة الأحكام الشرعية (٢) .

وقد اعتمد من قالوا بصدر صحيفة «التنبيه» فعلا على هذا المرسوم وحده ، دون أن يتحققوا من وجود أعداد الصحيفة نفسها أو يذكروا أية تفصيلات عنها ، كما فعل بعضهم بالنسبة للصحيفتين الفرنسييتين «لوكورييه» و «لاديكا» .

== عناء ذلك المرسوم أيضا بقوله أنه سيكون ضمن هيئة موظفي الديوان « شخص مشرع ومؤرخ ينوط (يناط) به أن يضم كامل المواقف السنوية بالأمم » . ومن الواضح أن هذا الاختصاص هو الذي أطلق عليه الجبرتي « كاتب سلسلة التاريخ » (عنايب الآثار ج ٣ ، ص ١٣٧ ، ١٥٤) .

وبعد رحيل الفرنسيين عين الخشاب محمدا في ديوان الوالي ، حيث كتبت « بترصيفه » و « انشاءه » عدة فرمانات وحجج باللغة العربية ، واستمر يمارس هذا العمل كذلك في السنوات الأولى من حكم محمد علي ( الجبرتي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ج ٤ ، ص ٥٦ ) .

وعلى ذلك فقد كان الخشاب من أصلح الشخصيات لتولي مهمة تحرير أول صحيفة عربية ، سواء أكانت تلك الصحيفة قد صدرت بالفعل ، أم أن الظروف لم تتح لصاحب مشروعها أن ينقله .

(١) بلغت النظر في مرسوم إنشاء « التنبيه » دور الديوان البارز في مشروع هذه الصحيفة . وكان لذلك أربعة ملامح واضحة : (١) اختيار الخشاب ، أمين محفوظات الديوان ، لتحرير الصحيفة ، (٢) تأكيد حق العلماء أعضاء الديوان في إجازة نشر مواد الصحيفة أو منعه ، (٣) النص على ضرورة توقيع المترجم الأول للديوان على الأصول العربية باعتمادها ، (٤) النص على إيداع الأصول المعتمدة لمواد الصحيفة في محفوظات الديوان بعد إعداد نسخة منها للطبعة .

(٢) كان فوريه (Fourier) كذلك عضوا بالجمع العلمي ، ووكيل ( قوميير ) ديوان القاهرة الذي أنشاء منو .



وأما من نفوا صدورها فكانت أهم حججهم :

١ - أن ريجو ، الذى كتب دراسة تاريخية قيمة لفترة حكم منو ، أورد قصة المرسوم ورسالة ديجنت إلى منو ، ثم عقب على ذلك بقوله أن الصحيفة لم تصدر وأن مرسوم انشائها ظل حبرا على ورق .

٢ - أنه لا يوجد أثر لعدد واحد من أعداد هذه الصحيفة ، وبخاصة فى مكتبات القاهرة وبأريس ولندن ، بالرغم من وجود أعداد كل من «لوكوريه» و «لاديكاد» كاملة . ولا شك أن الفرنسيين الذين اعتنوا إلى حد كبير بحفظ تراث الحملة ومطبوعاتها ، كانوا جديرين أن يحتفظوا بما صدر من هذه الصحيفة ، لأهميتها التاريخية القصوى .

٣ - أن من قالوا بصدور الصحيفة ، وأبرزهم جيس ، لم يعتمدوا إلا على مرسوم انشائها ، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث . أى أنهم بعبارة أخرى اكتفوا بأن حولوا صيغة المستقبل فى مرسوم القائد الفرنسى إلى صيغة الماضى . وحسبوا أن الأمر وضع بالفعل موضع التنفيذ ، مع أن المنطق التاريخى يناقض بعض ما قرروه بشأنها . فقد قال جيس مثلا أن السلطات الفرنسية كانت ، فضلا عن اهتمامها بتوزيع الصحيفة فى القاهرة والأقاليم ، تعمل على توزيعها فى اليمن وسوريا وداخل أفريقيا . وليس هذا ، ببساطة ، سوى تجسيد لفقرة المرسوم التى تقول «أن نسخا كثيرة من هذه الصحيفة سوف توزع على القوافل المختلفة التى تصل إلى القاهرة ، وأنه سوف لا تهمل أية فرصة لارسالها عبر الطرق التجارية التى تصل مصر باليمن وسوريا وداخل أفريقيا » . ومع أن حكومة الحملة قد نجحت بالفعل فى تأمين تجارة مصر مع بلاد الجزيرة العربية بالذات ، فقد كانت أحوال مصر فى أيام منو مضطربة ، ولا تسمح ظروف حصار أعدائها لها بأن تتصل كما اعتادت بالبلاد الأخرى المجاورة .

ولا ريب أن هذه حجج قوية ، بالرغم من أنها فى مجملها جدلية ستنتاجية تعتمد على القرائن أكثر من اعتمادها على براهين يقينية .

ويرجح جانب هذه الحجج أن الجبرتى ، مؤرخنا المعاصر للحملة ، لم يشتر - كما قلنا - إلى تلك الصحيفة بكلمة ، حتى عندما ترجم لصديقه الخشاب . هذا مع أن كتابه حفل بذكر كثير من المنشورات العربية والمناسبات التى صدرت فيها . وكان ينقل نصوص هذه المنشورات مهما بلغ بعضها من الطول ، مثل المنشورات الخاصة بالتحقيق مع سليمان الحلبي قاتل كليبر وشركائه ، ومحاكمتهم .

ولكننا مع كل ذلك لا نقطع تماما بعدم صدور صحيفة « التنبيه » ،  
وان كنا نرجحه . فمن الجائز أن تكون اعدادها قد فقدت مع كثير غيرها  
مما تعد من مطبوعات الحملة ، وبخاصة المنشورات . وقد رأينا مثلا كيف  
لم يكن العنود على منشور واحد باللغة اليونانية ، رغم الشواهد التي  
تشير الى صدور بعض منشورات بهذه اللغة .

ومن ناحية أخرى ، فقد عثرنا في محفوظات وزارة الحربية الفرنسية  
على منشور عربي يحمل في رأسه الاسم المقترح لهذه الصحيفة بالذات  
(شكل ٢٨) . ومع أن تاريخ المنشور هو ٤ فركتيدور سنة ٧ (٢١  
أغسطس ١٧٩٩) (١) ، أى أنه صدر قبل يوم واحد من مغادرة بونا برب  
للاسكندرية عائدا الى فرنسا ، فيلفت النظر فيه أمران :

١ - انه المنشور الوحيد الذي عثر عليه يحمل اسما محددا واضحا .  
هذا بينما خلت المنشورات الاخرى ، عربية وفرنسية ، من أى اسم .  
وكانت تبدأ بعنوان أو مقدمة ، أو تبدأ بالنص المراد اذاعته مباشرة ،  
كما سنرى .

٢ - صحيح أن كلمة « تنبيه » وما يشتق منها استخدمت في  
المطبوعات العربية للحملة عدة مرات . فقد وردت مثلا في بداية نص  
منشور صدر في عهد كليبر (٢) : « تنبيه بموجب أمر من حضرة صاري  
عسكر أمير الجيوش الفرنسية » . واستخدمت كذلك أحيانا في بعض  
العبارات الواردة في سياق المنشورات . ففي منشور مطول يتضمن أمرا  
« لترتيب دواوين الجمر » صدر في عهد منو (٣) ، جاء بالمادة الرابعة

(١) يتضح من صورة المنشور انه ابتداء بعبارة « انه من أول يوم من شهر  
فركتيدور سنة ٧ للمشيخة الفرنسية فصاعدا سيبتدى مزاد الاقلام الآتي ذكرها » .  
ومعنى ذلك انه أعد على أن يذاع في ذلك اليوم أو قبله بقليل . ولكن العبارة المطبوعة  
سححت باليد الى « انه من عشرة أيام من شهر فركتيدور .. » ، ثم ألبت على يمين  
الرأس بخط اليد كذلك تاريخ « ٤ فركتيدور سنة ٧ » وتحتته بين قوسين « ٢١  
أغسطس ١٧٩٩ » . وواضح أن هذا هو التاريخ الحقيقي لصدور المنشور الذي تأخر  
طبعه أو توزيعه لسبب ما . وعلى يسار الرأس كتب اسم « دوجا » (Dugua)  
ولعل هذه النسخة التي صدرت من المنشور كانت خاصة بذلك الجنرال . وهى من  
قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية بباريس .

(٢) المنشور غير مؤرخ . ولكن يبدو من استقراء مضمونه انه صدر في النصف  
الأول من شهر بريريال سنة ٨ ( أواخر مايو ١٨٠٠ ) .

(٣) بتاريخ ١٦ فركتيدور سنة ٨ ( ٣ سبتمبر ١٨٠٠ )  
وسوف تشير الى هذين المنشورين في مواضع أخرى لاحقة من هذا البحث .

عشره : « وقت دخول المراكب الموسوقة بضائع فى مينا من الديار المصرية مدبرين الكارنتينا .. ملزومين .. انهم يعطوا الى الرئيس تنبيه ويكون محرر فى التنبيه من عند صارى عسكر .. وثانى يوم .. مدبرين الجنسوس .. يحرروا الى الرئيس التنبيه الذى أوصله مدبرين الكارنتينا .. » واستخدمت هذه الكلمة كذلك فى عنوان الطبعة العربية من الكتيب الذى أصدره ديڤنت كبير أطباء الحملة ، والذى سبقت الإشارة اليه : « هذا تنبيه فيما يخص داء الجدرى المتسلط الآن » . وقد كانت الكلمة فى كل من هذه الاستخدامات ترجمة للكلمة الفرنسية « Avis » . ولكن الكلمة تميزت فى ذلك المنشور الفريد بأنها ابرزت بطريقة تشد الانتباه . فهى تحتل وحدها رأس المنشور ، غير مسبقة أو متبوعة بأية الفاظ أخرى . وهى كذلك مطبوعة من قالب محفور عن أصل كتب بخط اليد الكبير ، وليست من حروف مجموعة . ثم انها مقترنة بأداة التعريف ، بينما كانت الألفاظ التى تبدأ بها بعض عناوين المنشورات لتحدد صفتها أو مضمونها تستخدم عادة دون تعريفها بهذه الاداة ، مثل : امر من حضرة صارى عسكر ، **ايجار** قلم سوق الرز ، صورة مكتوب ، صورة نصيحة ، **بيان** المبيع ... الخ .

ويثير هذا تساؤلا ملحا . فهل كان ذلك المنشور تجربة قصـد منها منح المنشورات العربية شخصية الصحيفة المنتظمة ذات الاسم الثابت ، ثم انقطعت هذه التجربة لسبب ما ، ولم تتج الظروف استثنائها فى عهد كليبر حتى أراد منو اعاتتها وأصدر من أجلها ذلك المرسوم ؟

ان مضمون المنشور قد يكون ذا صلة مباشرة بالمداول اللغوى للفظ « التنبيه » بمعنى الاعلان أو لفت النظر . فهو خاص بمزاد لاستئجار عدد من الوكالات والحصول على « التزامات » بعض الأعمال . وقد استخدم الفعل « نبه » نفسه فى نص المنشور : « أول دفعة التى يقدمها الطالب . وهنا **إنبه** أن الطالب لا يمكنه أن يدفع أقل من هذا الرقم المسطر » . وفى هذه الحالة لا يكون لاستخدام لفظ « التنبيه » أية دلالة منفصلة عن مضمون المنشور .

ومن ناحية أخرى ، قد يكون استخدام لفظ « التنبيه » فعلا بقصد اتخاذه اسما ثابتا لوسيلة اعلامية مطبوعة هى المنشورات العربية . ويدعو الى التفكير فى هذا الاحتمال وجود أداة التعريف فى الكلمة ، والطريقة التى ابرزت بها فى رأس المنشور .

وعلى أية حال ، فسواء وضع مرسوم منو بإنشاء صحيفة «التنبيه» موضع التنفيذ ، ولكن التاريخ لم يحفظ لنا عددا من أعدادها ، أو أن هذا المرسوم ظل مجرد حجر على ورق ، وهو الأرجح . وسواء أكان ذلك المنشور تجربة مبتورة تشي بسبق التفكير في إنشاء الصحيفة العربية الأولى . أم أن ظهور لفظ «التنبيه» في رأسه على تلك الصورة كان أمرا غير مفسود . فالذي نستطيع أن نقره أن مشروع منو بإنشاء صحيفة عربية ، الذي رسم فيه سياستها وحدد ملامحها ، لم يكن مبادرة جديدة تماما نبعت من فكرة طارئة خطرت للقائد الفرنسي وبعض رجال الحملة . وإنما كان مرسوم منو مجرد مرحلة تطويرية ، أراد بها آخر قواد الحملة أن ينظم عملية إصدار المنشورات العربية للمصريين ، بحيث تكتمل مقومات الصحيفة شكلا وموضوعا ، فينتظم صدورها ، وتحمل اسما ثابتا ، وتكون ذات سياسة واضحة محددة .

وسنرى كيف أن تلك المنشورات بخصائصها المختلفة لم تكن بالفعل إلا صحيفة لا ينقصها سوى عملية تقنين وتنظيم ، تحدد لها من السمات ما تبدأ به طورا جديدا من حياتها ، تغدو فيه مخلوقا اعلاميا كامل التكوين .

## الباب الرابع

---

### الدور الدعائي للمنشورات العربية



كان للفرنسيين سياستهم التي وضعها بوناپرت لحكم البلاد ، حتى تحقق الحملة أهدافها الاستعمارية التي قدمت من أجلها . وكان لابد لهذه السياسة من لسان يعبر عنها ويحاول اجتذاب المحكومين اليها ، ويساعد بالتالي على نجاحها .

ومما يناسب هذه السياسة كذلك أن يعمل الفرنسيون على اشاعة جو من الألفة والثقة في علاقة المصريين بهم ونظرتهم اليهم . ويمكن أن يتحقق ذلك ، الى جانب الفعل ، بالكلمة تنقل الى المحكومين بعض أخبار الحاكمين ونشاطاتهم في داخل البلاد وخارجها .

ثم ان الفرنسيين أرادوا أن يغيروا الشكل الحكومي للبلاد ، وان يحدثوا ثورة في نظمها التشريعية والادارية والمالية . وهذا كله يحتاج الى عملية « نشر » حتى يعرف المصريون معالم هذه التنظيمات الجديدة ليعملوا بها ويجتنبوا نتائج مخالفتها .

ومن هنا يمكن القول ان المنشورات العربية صدرت لتكون وسيلة الاعلام الرئيسية التي تتصلل بين السلطات الفرنسية والمصريين ، لكي تعمل على تحقيق غرضين أساسيين :

١ - أن تكون أداة دعاية للحكم الفرنسي الجديد ، تتسع لأساليب شتى تشترك جميعها في العمل على تثبيت أركان هذا الحكم .

٢ - أن تكون أداة اعلام بحت تضطلع في هذا المجال بمهمة مزدوجة فهي من ناحية لسان رسمي يحقق مبدأ قانونيا تقليديا ، هو اتاحة الفرصة للأفراد لكي يعرفوا حقوقهم وواجباتهم ، وأن يتبينوا حدود مخالفة القانون ونتائجها . وهي من ناحية أخرى وسيلة نشر تطلع المحكومين بين حين وآخر على كل ما يهم الحاكم أن يعرفوه عن نشاطه ،

حتى يدعم مركزه ، وحتى تضيق الفجوة الفدية التي كانت تفصل بين أبناء البلاد وحكامهم السابقين .

وقد برز الغرض الدعائي سافرا في عدد من المنشورات ، وامتزج بالإعلام البحث امتزاجا شديدا ، بل طغى عليه في منشورات أخرى . هذا الى أن النشر الرسمي نفسه لم يخل أحيانا من مقدمات أو تعقيبات دعائية .

ولقد كان رضا المصريين عن الحكم الفرنسي الجديد مطلبا أساسيا للحكام الجدد . فتحقيقه يعنى تحقيق العامل الرئيس لنجاح الحملة في تجسيد أملها بإنشاء مسنمرة في مصر .

ولذلك خطط قائد الحملة منذ البداية لاستمالة المصريين الى هذا الحكم . وارتكزت خطته على سياسة ذات ثلاث شعب : تستهدف أولاها ارضاء المشاعر الدينية للمصريين ، وتعمل الثانية على اذكاء مشاعرهم الوطنية ، أما الثالثة فتلوح لهم بذهب المعز وسيفه . أى أن هذه السياسة كانت اسلامية من ناحية ، وطنية من ناحية أخرى ، ترغيبية ترهيبية من ناحية ثالثة .

ولم يقتصر مجال النشاط الدعائي للحملة على مصر . فقد مارست قيادتها هذا النشاط كذلك في الأراضى السورية ، عندما غزتها أيام بونايرت .

ومن جهة أخرى فان اعداء الحملة كانوا لها بالمرصاد ، فأقضوا مضجعها بدعايتهم المضادة في مصر وخارجها .

وكانت حصيلة هذا وذاك معركة حامية سلاحها المنشورات المطبوعة، تلك الوسيلة التي ابتدعتها الحملة الفرنسية ، واتخذت منها أداة اعلام ودعاية ، وكانت من أبرز المعالم التي تميز بها عهدها القصير في مصر .



## الفصل الأول

### السياسة الإسلامية

كان المصريون يختلفون عن حكامهم الجدد في اللغة والجنس والعقيدة السائدة . ولم يكن الاختلاف في اللغة ليمثل عقبة ذات بال أمام استقرار الحكم الفرنسي . فقد خضع المصريون قبل الحملة قرونا طويلة لحكام يتحدثون ويتعاملون بالتركية . ثم ان الفرنسيين حرصوا من ناحية أخرى على أن يخاطبوا المصريين بلغتهم العربية بواسطة المترجمين ، وعلى صفحات ما أصدره من منشورات .

وكذلك لم يكن الاختلاف في الجنس عائقا ذا خطر . فقد كان حكام مصر ، منذ ما قبل الحملة بقرون ، ينتمون الى عدة جنسيات غير عربية .

أما الاختلاف في العقيدة مع معظم الاهالي ، فقد كان هو العقبة الرئيسية التي تحول دون تقبل المصريين لحكم غزاتهم الفرنسيين ، بل التي كانت خليقة بأن تثير عدام العالم الاسلامي كله لفرنسا .

ومن هنا اتخذ بوناپرت سياسة « اسلامية » ، تقوم على أساس احترام المشاعر الدينية للقطاع الاكبر من المصريين . وكانت لهذه السياسة عدة مظاهر ، من أبرزها :

١ - اهتمامه بالاحتفالات الدينية كالمولد النبوي وسفر كسوة الكعبة واشتراكه في بعض الاحتفالات بنفسه .

٢ - حرصه في تعليماته وأوامره الى رجاله على اظهار احترام العقيدة الاسلامية وشعائرها وتقاليدها .

٣ - محاولته انشاء صلات ودية مع الحكام المسلمين في الأنططار المجاورة ، مثل حاكم طرابلس الغرب ، وشريف مكة ، وأمام مسقط ، وسلطان دارفور .

وقد لعبت المنشورات العربية دورا رئيسيا في بسط هذه السياسة والدعوة لها ، في عهد بونايرت أولا ، ثم في عهد خليفته من بعده ، مع تفاوت في درجة الاهتمام .

لقد وضع بونايرت وهو في الطريق الى مصر أساس هذه السياسة ، بما حاول أن يبرزه للمصريين في منشوره العربى الأول ، (شكل ٢٩) (١) ، ثم تابعها في اهتمام خاص بعد ذلك .

بل انه قبل أن يطبع هذا المنشور أصدر منشورا فرنسيا لجنود الحملة في البحر ، يسفر بوضوح عن ملامح تلك السياسة . فقد أمر الجنود في هذا المنشور باحترام الدين الاسلامى ورجالهم وشعائره وأماكن

(١) أورد الجبرتي نص هذا المنشور (مجلد الآثار ، ج ٣ ، ص ٤ - ٥) . غير أن هذا النص الذى نقل عنه كل من تناول عهد الحملة الفرنسية من المؤرخين والباحثين العرب ، به عدة اختلافات عن نص المنشور الاصلى . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، وتوجد نسخة ثانية في المتحف الحربى الفرنسى وثالثا في المتحف البريطانى بلندن . ولم يعثر الباحث على أية نسخ أخرى من هذا المنشور النادر فى القاهرة أو لندن أو باريس . اما الاصل الفرنسى للمنشور فقد تضمنته ، مع معظم أصول المنشورات العربية الأخرى لبونايرت ، مجلدات الكتاب المعروف « مراسلات نابليون » ومن هذه الأصول نقل عند كبير من الباحثين . (انظر : مراسلات ٥٠ ج ٤ ، وثيقة ٢٧٢٣) .

هنا وقد قارن الدكتور مارسدن جونز (Marsden Jones) بين نص الجبرتي والنص الاصلى للمنشور ، فى بحث بعنوان « The First Proclamation and Al-Jabarti » قدمه الى الندوة التى عقدتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية من الجبرتي بالقاهرة ( ١٦ - ٢٣ ابريل ١٩٧٤ ) ، معتمدا فى ذلك على صورة من المنشور قدمها له المؤلف . وتاريخ المنشور ١٣ مسيدور سنة ٦ ( يوافق اول يوليو ١٧٩٨ ) .

عبادته (١) . وكذلك أصدر قائد الحملة منشورا فرنسيا آخر عقب احتلال الاسكندرية ، يتضمن أمرا عسكريا الى قادة جيشه بأن يعملوا على احترام الدين الاسلامي واطلاق حرية العبادة كاملة للمصريين . وأمر بوناپرت بإبلاغ هذه التعليمات الى جميع الضباط والجنود ، مع التشدد في عقاب من يخالفها . (٢)

وكذلك أفرج بوناپرت ، في حركة دعائية بارعة ، عن الأسرى المسلمين الذين كانوا في قبضة فرسان مالطة المسيحيين ، واصطحب عددا منهم الى الاسكندرية . وهناك أطلقهم ليوزعوا منشوره العربي الأول في مختلف أنحاء البلاد ، وليكونوا توكية حية لسياسته الاسلامية التي عبر عنها هذا المنشور .

راح بوناپرت ، في منشوره العربي ذاك ، يضرب على وتر المشاعر الدينية للمسلمين . فهو يبدؤه بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك في ملكه »

ثم حاول أن يزعم لهم أنه « أكثر من الماليك يعبد الله سبحانه وتعالى ويحترم نبيه والقرآن العظيم » (٣) .

بل ذهب بوناپرت الى أبعد من ذلك ، فادعى أن « الفرنساوية هم أيضا مسلمين خالصين ( كذا ) (٤) ، وانهم اثباتا لذلك « قد نزلوا في

---

(١) بدأت مطابع الحملة عملها في البحر، وسفنها تقترب من الشواطئ المصرية . وكان أول ما أخرجته هذا المنشور ومعه أمران يوميان لحضود الحملة . وقد كتبها بوناپرت على ظهر بارجة القيادة « لوريان » يومى ٣ و ٤ مسيلور سنة ٦ ( ٢١ و ٢٢ يونيو ١٧٩٨ ) ، وطبعت كلها يوم ١٠ مسيلور ( ٢٨ يونيو ) ، وقام برثييه ( Berthier ) رئيس الزكان جيش الحملة بتوزيعها على قواد الوحدات لاداعتها بن الجنود . وقد عثر المؤلف على نسخة من أحد الأمرين في دار الوثائق القومية بالقلمة ( شكل ٣٠ ) ، أما المنشور فلم يعثر عليه ، ولكن نصه الكامل مذكور في أكثر من مصدر . انظر مثلا : Charles-Roux, op. cit., pp. 22-4. وكذلك : Lacroix, op. cit., pp. 63-4.

(٢) انظر : الشناوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣ .

(٣) في الأصل الفرنسي « وأننى أحترم الله ورسوله والقرآن أكثر من الماليك » : Je respecte, plus que les Mameluks, Dieu, Son prophète ou Al Coran . انظر : Lacroix, op. cit., p. 80.

(٤) في هذه العبارة تحريف واضح للأصل الفرنسي الذى يصف الفرنسيين بأنهم « amis des vrais musulmans » ( المرجع السابق ) . ولاشك في أن هذا التحريف مقصود . فهو ادعاء حاول بوناپرت أن يتعلق به عواطف المصريين الدينية . ولكنه لم يستطع بالطبع أن يواجه به الفرنسيين أنفسهم .

رومية الكبرى ( كذا ) وضربوا فيها كرسى البسابة الذى كان يحث دائما  
النصارى ( كذا ) على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردها منها  
الكواليرييه (١) الذين كانوا يزعموا أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة  
المسلمين .. » .

ونلمح مظاهر هذه السياسة فى كثير من المنشورات التى أصدرها  
بونابرت بنفسه بعد ذلك أو صدرت فى عهده على لسان غيره (٢) . فمن  
الشائع أن يبدأ المنشور بالبسملة ، تتلوها عبارة مثل « لا إله إلا الله لا ولد  
له ولا شريك فى ملكه » ، أو « لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم » ، أو « الحمد لله وحده » .

وينتزه بونابرت كل فرصة تسمح بها طبيعة موضوعات بعض  
ما كان يصدره باسمه من منشورات ، أو يوعز - فى ذكاء - الى علماء  
ديوان القاهرة بإصداره ، ليؤكد أنه حريص على احترام الاسلام والحفاظ  
على أحكامه وشعائره .

ففى منشور صدر بعنوان « صورة نصيحة من علماء الاسلام بمصر  
المحروسة » ، ووقعه أعضاء ديوان القاهرة لتحذير المصريين من الاستجابة  
الى محاولات المالك تحريك الفتن ( شكل ٣١ ) (٣) ، أكد العلماء « أن  
الطائفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوائف الافرنجية دائما يحبون  
المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم » .

(١) « الكواليرييه » تعريب للفظ « Chevaliers » الفرنسى ، بمعنى  
« فرسان » . والمقصود فرسان القديس يوحنا الاورشليمى . وهم طائفة دينية تكونت  
فى الاصل فى مدينة القدس فى أعقاب الحرب الصليبية الاولى ( اوائل القرن الثانى  
عشر ) . وبعد أن تالت عليهم أحداث مختلفة استقروا فى جزيرة مالطة فى أوائل القرن  
السادس عشر . وقد امتلكت حكومة الثورة الفرنسية عدة اجراءات ضد اتباع هذه  
الطائفة وأملأها فى فرنسا . ثم قررت حكومة الادارة ( الديركتوار ) احتلال جزيرة  
مالطة نفسها بواسطة الحملة الفرنسية بقيادة بونابرت ، وهى فى الطريق الى مصر .

(٢) كانت بعض المنشورات تصدر عن غير بونابرت ، وخليفته كليبر ومنو ، من  
كبار رجال الحملة المسئولين . وكذلك صدر عدد من المنشورات على لسان أعضاء  
الديوان وغيرهم من طوائف المصريين . وستعرض لهذه النقطة بالتفصيل فيما بعد .

(٣) المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتي نموه فى حوادث يوم ٨ جمادى الثانية  
سنة ١٢١٣ ( ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ ) : « عتالِب الآثار ، ج ٣ ، ص ٣١ . وربما يكون  
المنشور قد صدر قبل ذلك وتأخر الجبرتي فى تسجيله كما كان يفعل كثيرا . وهذه  
النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس » .

ونصح العلماء مواطنيهم بالهدوء والانصراف الى أعمالهم واداء التزاماتهم ، «لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونايرته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام » \*

ونرجح أن هذا هو أول منشور عربى « يطبع » فى القاهرة (١) ، اذ سبقته بعض منشورات خطية ، عندما لم تكن مطابع الحملة الرسمية قد استقرت بعد فى العاصمة .

وفى منشور صادر « من محفل الديوان الخصوصى بمصر المحروسة » ، بتوقيع الشيخ عبد الله الشرقاوى « ريس الديوان » والشيخ محمد المهدي « كاتم سر الديوان » (٢) ، أن بونايرت استجاب لما طلبه منه العلماء من استئناف الاحتفالات الدينية المعتادة بشهر رمضان « وأمر باقامة شعائر الاسلام فى مساجدها العظام .. وأمرنا الا ننقص شيئا من شعائرها ونظامها .. الخ » \*

وفى المنشور الذى صدر على لسان الزعماء المصريين ، خليل البكرى « نقيب السادة الأشراف » وعبد الله الشرقاوى « ريس الديوان » ومحمد المهدي « كاتم سر الديوان » ، بمناسبة استيلاء القوات الفرنسية على يافا (٣) ، ملحظان يستحقان التسجيل فى هذا الصدد ، وهما :

١ - أن الكتاب الذى بعث به قائد القوات الفرنسية المحاصرة ليافا الى حاكم المدينة لتسليمها يبدأ بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله وحده لا شريك له » \*

٢ - أن حيس رسول الفرنسيين الى حاكم المدينة اعتبر أمرا مخالفا للقوانين الحربية « والشريعة المطهرة المحمدية » \*

وفى منشور صدر على لسان «محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر » ، بمناسبة عودة بونايرت من حملة الشام (٤) ، وصف أعضاء

(١) يلاحظ انه ذيل بعبارة « بمطبع (كذا) مصر المحروسة » .

(٢) فى ١٦ بلوفيز سنة ٧ ( ٤ فبراير ١٧٩٩ ) . وستعرض لهذا المنشور مرة أخرى فيما بعد .

(٣) المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتي قصة وصول الأصل الفرنسى للمنشور مع بعض الرسل ، ثم قراءته على أعضاء الديوان « بعد تعريه » يوم الخميس ١٤ شوال سنة ١٢١٣ ( يوافق ٢٠ مارس ١٧٩٩ ) ، وأثبت بعد ذلك نصه كاملا : ج ٣ ، ص ٤٩ - ٥١ . وستعرض لهذا المنشور كذلك فيما بعد .

(٤) لم نثر على نسخة من هذا المنشور ، ولأن عثرنا على طبعته الفرنسية فى دار الوثائق القومية بالقاهرة ( شكل ٣٢ ) . وقد أورد الجبرتي نصه ( ج ٣ ، ص ٧٠ - =

الديوان العائد الفرنسي بأنه « محب الملة المحمدية » ، ودعوا له بقولهم « شرح الله صدره للإسلام » . ثم ذكروا أن بوناپرت لما دخل غزة « أمر بإقامة الشعائر الإسلامية وإكرام العلماء » . وختموا المنشور بقولهم « ولما حضر صاري عسكر الى مصر أخبر أهل الديوان . . أنه يحب دين الإسلام ويعظم النبي عليه الصلاة والسلام ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم باتقان وأمر بإقامة شعائر المساجد . . وعرفنا أن مراده أن يبنى لنا مسجدا عظيما بمصر لا نظير له في الأقطار وأنه يدخل دين النبي المختار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام » ١ .

وأصدر بوناپرت منشورا موجها إلى « محفل الديوان » (١) يبرر فيه عزله لقاضي القضاة التركي ورغبته في أن يحل محله أحد العلماء المصريين . جاء فيه : « فاستحسننا أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا بانفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقلائهم لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين . . » . وقد قصد بالجزء الأخير من العبارة حسب ما جاء في الأصل الفرنسي ، « اتباعا لتعاليم القرآن الصحيحة » . والمنشور الذي أذاعه بوناپرت على المصريين من معسكر الرحمانية (٢) ، بينما كان يتأهب لمعركة أبوقير البرية ( شكل ٣٣ ) (٣) ، حافل بالشواهد على هذه السياسة .

== (٧٢) ، كما أثبتته نقولا الترك (ملوكات ، ص ٥٠ - ٥٤ ، ذكر تملك ص ١٠٤ - ١٠) . وكذلك كان هو المنشور الوحيد الذي نشر الأستاذ أحمد حافظ عوض صورته ، وأثبت منها نسخة ، نقلا عن كتاب « Bonaparte et l'Islam » بقلم C. Cherfils, Paris, 1914. وقد قارن بين هذا المنشور ونص الجبرتي والترك ، وعلق على ذلك بقوله « إن الاعتماد عليهما بغير تحقيق ولا تدقيق إساءة للتاريخ (مراجع سبق ذكره ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠) .

(١) لم نعثر كذلك على نسخة من هذا المنشور . وقد ذكره الجبرتي بنصه ( عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٧٣ ) . أما الراقى فنشر مع هذا النص ترجمة أخرى دقيقة لأصله الفرنسي (مراجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ - ٩) . وقارن المنشور بوافق يوم ٢٧ يونيو ١٧٩٩ .

(٢) بمحافظة البحيرة ، على الطريق بين الاسكندرية والقاهرة . وقد سبق أن مر بنا جيش الحملة ، قبل عام ، في زحفه لاحتلال البلاد .

(٣) تاريخ المنشور ١٧ صفر ١٢١٤ ( ٢١ يوليو ١٧٩٩ ) . وقد أخطأ الجبرتي ( المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٧٥ - ٦ ) في هذا التاريخ ، فذكر انه ١٥ صفر . وكذلك لم يكن دقيقا في نقل نص المنشور ، فأسقط بعض عباراته وألفاظه وأضاف أخرى ، كما بدل بعض كلماته . وقد يكون ذلك أو بعضه من فعل الناسخين قبل طبع الكتاب . وهذه النسخة من محفوظات قسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

فهو ملا يكفر الروس الذين ادعى أنهم كانوا ضمن قوات الحملة العثمانية التي نزلت الى الساحل المصرى لمحاربة الفرنسيين (١) ، ويذهب في ذلك الى حد مهاجمة عقيدة التثليث المسيحية نفسها : « وفي هذه العمارة خلق كبير من الموسعوا ( الروس ) الافرنج الذين كراهميتهم ظاهرة لكل من كان موحداً لله وعداوتهم واضحة لمن كان يؤمن برسول الله يكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن وهم نظروا لكفرهم في معتقدتهم يجعلون الآلهة ثلاثة وأن الله ثالث تلك الثلاثة تعالى الله عن الشركاء ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لا تعطى القوة وأن كثرة الآلهة لا تنفع لأنه باطل بل أن الله الواحد هو الذى يعطى النصر لمن يوحدده هو الرحمن الرحيم المساعد المعين القوى للعادلين الموحدين .. » .

وهو يؤكد فى مقابل ذلك اعتقاد الفرنسيين فى وحدانية الله وإيمانهم بكتبه المنزلة : « .. لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة قوة مثلي قوتنا لأنهم ما قدروا يعملوا الذى عملناه ونحن المعتقدون وحدانية الله ونعرف أنه العزيز القادر .. هذا ما فى الآيات وفى الكتب المنزلات » .

وتمشيا مع هذه السياسة فقد حرص بونابرت ، منذ منشوره الأول ، على أن يؤكد صداقة الفرنسيين للدولة العثمانية ولسلطانها خليفة المسلمين ، وعداءهم لأعدائه ، وأنهم سوف يعاونونه للقضاء على هؤلاء الأعداء . ولم يعدل عن هذه النغمة الا بعد أن تحالف السلطان مع الانجليز ضد فرنسا ، واتخذ الموقف بين الجانبين شكلا جديدا بعد الحملة السورية .

فهو يقول فى ذلك المنشور أن « الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا المحيين الأخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه ( أى وأعداء أعدائه ) أدام الله ملكه » .

وكذلك ينبه أهالى القرى التي يمر بها الجيش الفرنسى الى ضرورة « نصب السنجاقي ( العلم ) الفرنساوى وأيضاً نصب سنجاقي السلطان العثماني محبنا دام بقاءه » .

ثم يطلب فى ختام المنشور من المصريين أن يهتفوا « أدام الله اجلال السلطان العثماني أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى » .

---

(١) لم يكن مع الجيش العثماني الذى نزل فى ابو قير أية قوات روسية أو انجليزية ، وإنما ساعد الانجليز - فحسب - بسفنهم فى نقل القوات العثمانية ، وبهيئة استشارية تعاون أركان حرب القائد التركى .

وفي منشور «صورة نصيحة من علماء الاسلام» السابق ذكره (١) جاء على لسان موقعيه « ان الطائفة الفرنساوية أحباب مولانا السلطان نايمون بنصره وأصدقا له ملازمون لجودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويبغضون من عاداه » .

وجاء كذلك في هذا المنشور أن الروس ( الموسقو ) كفرة يضمرون أنشر للمسلمين ويتطلعون الى احتلال عاصمة الخلافة « اسلامبول المحروسة » ، والاستيلاء على مسجد أياصوليا « وبقية المساجد الاسلاميه يعلبوها كنائس للعبادة الفاسدة » . والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة مولانا السلطان على اخذ بلادهم ان شاء الله ولا يبقون منهم بقية » .

وبالغ بونايرت أحيانا مبالغة عريية في احاطة نفسه بهالة دينيه ضخمة . انه يذهب الى حد تصوير نفسه للمصريين في صورة « المهدي » ، يدعوون العناية الالهية ، البطل الملهم الذي قدر في الأزل أنه سوف يحكم مصر ليخلصها من ظلم الممالك ، ويصد عنها عدوان الكفرة ، وأنه سوف يكون حامى حمى الاسلام ومحطم أعدائه .

فقد أصدر بونايرت منشورا الى سكان القاهرة ( شكل ٣٤ ) ( ٢ ) ، بعد نحو شهرين من ثورتها الأولى ، أعلن به تشكيل ديوان العاصمة في صورته الجديدة ( ٣ ) . وفي هذا المنشور مقدمة طويلة ( ٤ ) تند فيها القائد الفرنسى بالثورة ، وأشاد بعدله ورحمته . وقال « وأعلموا أيضا أمتكم

(١) انظر ص ٩٤ .

(٢) بتاريخ ١٨ وجب ١٢١٢ / ٢٦ ديسمبر ١٧٩٨ . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية ببغداد .

(٣) كان الاعداد لهذا السليم السيد د . د . من ثوره الفاعره . وقد ذكر الحزب ان ممثل الاقاليم حضروا الى القاهرة يوم ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٢١٣ هـ ، ٥ أكتوبر ١٧٩٨ ، « ليحضروا الديوان الشارعين فيه لترتيب النظام الذى سبقت الاشارة اليه » . ثم ذكر بايجاز أهم الموضوعات التى دارت فيها مناقشات هذه « الجمعية العمومية » حتى اندلاع الثورة ( عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٢٢ - ٣ ) .

انظر كذلك : الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١٠٤ - ١٧ ، ج ٢ ، ص ١٤ - ٢٠ .

(٤) يبدو أنه صدر بهذه المقدمة وحدها - بل ذلك بضعة أيام - منشور مستقل ( لم نعثر عليه ) ، ثم أعيد طبعها مع التنظيم الجديد للديوان فى هذا المنشور . فقد ورد الأصل الفرنسى للمقدمة فى : مراسلات نابليون ( ج ٤ : وثيقة ٣٧٨٥ ) ، اعتمارها نص منشور تاريخه ١ تيفوز سنة ٧ ( ٢١ ديسمبر ١٧٩٨ ) .



ان الله قدر على الازل هلاك أعدائى ( أعداء ) الاسلام وتكسير الصليبان عنى  
بدى وقدر فى الازل بعد ذلك أن أجى من المغرب الى أرض مصر لهلاك  
الذين ظلموا فيها وأجرا الامر الذى أمرت به ولا يشك العاقل أن هذا كله  
بمقدير الله وادته وقضائه » .

ثم يستطرد فى حديث غيبى لعل مله يمنع المصريين « وأعلموا أيضا  
أمتكم أن القرآن العظيم صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل وأشار  
فى آيات أخر الى أمور تقع فى المستقبل وكلام الله فى كتابه صدق وحو  
لا يتخلف » .

وفى المنشور الذى وجهه بونايرت الى أعضاء الديوان بمناسبه  
عزله لقاضى القضاة التركى قال : « .. وأنتم يا أهل الديوان عرفوني عن  
المنافقين المخالفين أخرج من حقهم لأن الله تعالى أعطاني القوة العظيمة لأجل  
ما أعاقبهم .. » .

وفى المنشور الذى أذاعه من معسكر الرحمانية قبيل معركة أبو وير  
البرية ، قال ان الله « قد سبق فى علمه القديم وقضائه العظيم وتقديره  
المستقيم أنه أعطاني هذا الاقليم العظيم وقدر وحكم بحضوري الى مصر  
لأجل تغييرى الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة  
مع صلاح الحكم .. » .

ومادام احتلال مصر على يد الفرنسيين بقيادة بونايرت قدرا مفدورا  
سبق به علم الله . وما دام انتصار الفرنسيين بقيادة بطلهم اللهم حنما  
مقضيا ، فليس أمام المصريين سوى الرضى بقضاء الله والامتثال لأرادته ،  
والا حقت عليهم لعنته . ولينعوا بما يتيح لهم الحكم الجديده من أمن  
ورخاء .

وقد تردد هذا المعنى ، مع تفاوت فى درجة ما يصحبه من تهديد  
ووعيد ، فى كثير من منشورات عهد بونايرت . وفى المقدمة الطويلة  
للمنشور الذى أذاع به تشكيل الديوان الجديد بعد ثورة القاهرة الأولى ،  
قال : « .. الذى يعاديتى ويخاصمنى .. لا ينجو من بين يدي الله  
لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى » ، « .. الذى يفعل ذلك ( أى  
يعارض بونايرت ) يكون معارضا لأحكام الله ومنافقا وعيله اللعنة والنقمة  
من الله .. » .

وفى المنشور الذى وجهه الديوان « الخصوصى » الى المصريين بعد

تكوينه ( سكن ٣٥ ) (١) قال موقعه ( الشيخ الشرفاوى والشيخ المهدي )  
لواطينيهما : « .. فاستغلوا بامر دينكم واسباب دنياكم واتركوا الفتنة  
والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم وعليكم بالرضى بقضاء الله وحسن  
الاستعانة لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع في الندامة » .

وفي المنشور الذي وقعه زعماء الديوان أيضا بمناسبة استيلاء  
الفرنسيين على بافا . جاء بالعنوان بعد التسمية « سبحة مالك الملك  
بمعل هي ملكه ما يريد سبحة الحكم العدل الفاعل المختار ذو البطش  
الشديد » . وجاء في الحتام « فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله  
ولا تعرضوا على احكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا أن الملك لله يوتييه  
من يشاء » .

وفي منشور تضمن نص رسالة بعث بها غالب بن مساعد شريف  
مكة الى الجنرال بوسيلج ( Poussielgue ) ( شكل ٣٦ ) (٢) ، ردا على  
رسالة اليه ، جاء في المقدمة : « وحاصل مكتوب الشريف للوزير لأجل  
ما يعتبر به الكبير والصغير ويسلموا الى مولاكم في سائر المقادير فان  
الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وهو اللطيف الخبير » .

وفي المنشور الذي صدر على لسان أعضاء الديوان في مناسبة عودة  
بونابرت من حملة الشام ، وجهوا النصح الى مواطنيهم بقولهم : « فالويل  
كل الويل لمن عاداه ( أي بونابرت ) والخير كل الخير لمن والاه فسلموا  
يا عباد الله وارضوا بتقدير الله وامثلوا لأحكام الله ولا تسعوا في سفك  
دمائكم » .



وليس من العسير أن نلاحظ سذاجة منطق بونابرت والتهافت  
الواضح في حججه التي كان يسوقها ليؤكد بها موقفه وموقف الفرنسيين

(١) مؤرخ ٩ شعبان سنة ١٢١٣ ( ١٦ يناير ١٧٩٩ ) . وقد اشار الجبرتي  
عجائب الآثار ، ( ج ٣ ، ص ٤٢ - ٣ ) الى اذاعة هذا المنشور في حوادث يوم ٢١  
شعبان ( ٢٨ يناير ) . وربما يكون طبع المنشور قد تأخر بعد أن كتب في التايخ  
الأول . أو يكون الجبرتي نفسه تأخر في ملاحظة توزيعه ، أو في تدوين خبره ،  
وثبتا ما كان يفعل ذلك . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .  
(٢) المنشور غير مؤرخ ، ولكن ختامه يدل على أنه صدر في أواخر شهر ذي الحجة  
سنة ١٢١٣ ( النصف الثاني من مايو ١٧٩٩ ) . وقد ذكر الجبرتي له في حوادث  
شهر ذي الحجة أيضا ( المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٩ - ٦٠ ) ، دون تحديد اليوم .  
هذا وكان شريف مكة يبادل الرسائل مع بونابرت نفسه كذلك .

من الاسلام ، وبخاصة ماررده في منشوره الاول ، مستهدفا بذلك اجتذاب المصريين الى تأييد حكمه . ولكن لا شك في أنه كان من أركان سياسة بونايرت في مصر احترام شعائر أهل البلاد المسلمين وتقاليدهم ، وكانت هناك مظاهر عملية عدة لهذه السياسة .

وكان بونايرت في الوقت نفسه حريصا على عدم إثارة السباب العالي - خليفة المسلمين - أو العالم الاسلامي بعامه ، ضده . ويتضح ذلك من رسائله الى المسئولين العثمانيين ، حتى من قبل أن يدخل مصر ، وكذلك من محاولاته اقامة علاقات ودية مع حكام المسلمين في البلاد المجاورة لمصر (١) .

ومهما يكن من أمر فقد أثار بونايرت سخيرة المصريين ، بل الفرنسيين كذلك ، بادعاءاته الاسلامية التي بسطها في منشوراته وبمبالغته في تلك الادعاءات .

فكان الجبرتي ، مؤرخنا المعاصر للحملة ، كثيرا ما يردد أن الفرنسيين لا يؤمنون بدين ، وأنهم يكذبون في ادعائهم انهم يحترمون الاسلام . الخ ، وذلك كلما أثبت نصا لأحد منشورات بونايرت التي يتضح فيها هذا الاتجاه . فهو يقول مثلا في التعليق على بعض عبارات المنشور الأول (٢) : « وقوله ، فأما رب العالمين القادر على كل شيء قد حتم على انقضاء دولتهم ، هذا تحكم على الغيب وما بعد الكفر عيب . وقوله : اني ما قدمت اليكم الا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين ، هذه أول كذبة ابتدعها وفرية ابتكرها . » وقوله : ان جميع الناس متساويين عند الله ، هذا كذب وجهل وحماقة . كيف وقد فضل الله بعضهم على بعض وشهد بذلك أهل السموات والأرض » .

(١) انظر : محمد فؤاد شكرى ، الحملة الفرنسية ١٦٣ - ٤ ، وكذلك :

Charles-Roux, op. cit., pp. 85-9; Wassef, op. cit., p. 41.

وينقل بورين سكرتير بونايرت في مذكراته نص رسالة كتبها القائد الفرنسي الى الوالي التركي على مصر قبيل نزول الحملة الى الأرض المصرية ( بتاريخ ١٢ سبتمبر سنة ١٧٩٨ ) . وقد جاء فيها : « انك تعلم دون شك اني ما حث لكى أقوم بعمل ضد القرآن أو ضد السلطان . وانك تعلم أيضا ان الامه الفرنسية من حليفة السلطان الوحيدة في أوروبا » . انظر :

Bourrienne, L.A., Fauvellet de, Mémoires sur Napoléon, (1795-1814), Paris, 1828-30, Tome II, p. 95.

(٢) مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ج ١ ، ص

بل ان الجبري لم يصدق ان يكون كل مورعى ذلك المنشور من  
مصارى مألوفة المسلمين ، وانما اعتقد أن منهم جواسيس « من كفار مالطة  
مربين برى الاسارى » ويعرفون العربية (١) .

ويعول مورخا كذلك معييا على المنشور الذى أصدره بونابرت بعد  
انتهاء ثورة القاهرة الاولى ، وكرر فيه بعض مزاعمه « الاسلامية » :  
« ... وقد اوردت ذلك للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول  
والتمسلى على دعوى الخواص من البشر بعاسد الخيلات التى تنادى على  
ظلائها « به العمل فضلا عن المطر » (٢) .

وعلى جوير (Jaubert) المندوب البحرى المصاحب لجيش الشرق ،  
فى رساله له الى وزير البحرية الفرنسية ، على النص الفرنسى (المخفف)  
للمنشور الاول بقوله : « لعلكم أيها الباريسيون تضحكون حين تراءون  
هذا المنشور الذى أصدره فائدنا » ولكنه هو لم يعبا بكل سخريتنا من  
المنشور » . والغريب أن بونابرت نفسه اعترف ، وهو يعلق على هذا  
المنشور فى متفاه بجزيرة سانت هيلانة ، بأنه كان « قطعة من الدجل » ،  
ولكنه دخل من أعلى مسوى » (٣) .

ولم نخل كتابات المؤرخين المحدثين كذلك ، من مصريين وغيرهم ، من  
تعليقات ممانلة . فقد قال كريستوفر هيرولد مثلا (٤) : « وكان الاسلام  
... هو العقبة الكبرى التى تحول دون قيام جو الثقة المتبادلة ( الذى كان  
بنشده بونابرت ) » . لقد كان بونابرت يستطيع أن يعلن أكثر من مرة كل  
يوم انه ليس مسيحيا ، وأن رجاله كذلك ليسوا مسيحيين . وكان يمكنه  
أن يكرر أن انفرنسيين سجنوا البابا وأغلقوا الكنائس ، وانهم يحترمون  
الاسلام ... ولكن فى نظر المسلمين فان الفارق بين المسيحيين ،  
والرؤبيين ، وعباد العمل أو الكائن الأعظم ، والملحدين ، واليهود ،  
وغيرهم ... ليس بذى أهمية . الكل غير مسلمين ، فهم فى الكفر سواء » .

وقال محمود الشرقاوى (٥) : « ... أظهر نابليون كل ما فى قدرته  
من الحيل ، واستنفد كل ما عنده وعند رجاله من بلاغة وبيان لكى يؤثر

(١) المرجع السابق ، ص ٥٧ ، عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٣) Herold, op. cit., p. 70. ( نقلا عن بعض المصادر الفرنسية القديمة ) .

Ibid., p. 142. (٤)

(٥) مرجع سبق ذكره ، ج ٣ ، ص ٣٦ - ٧ .

من المصريين عن طريق منشوراته العربية ٠٠٠ يقول لهم انه محب للاسلام وصديق دولة آل عثمان ، وانه عازم على اقامة مسجد عظيم لا نظير له في الاقطار والدخول في دين النبي المختار ٠٠ وقال انه خرب كرسى البابا لانه كان يحرض على حرب المسلمين ٠٠٠ قال نابليون ذلك وفعله يترضى به ويتملق عواطف المسلمين حتى لا يقاوموه ، ولكنهم قاوموه أعنف المقاومة وأشدها ، لم يكفوا عن ذلك يوما أو بعض يوم ٠٠٠ ،



وفي عهد كليبر خفت هذا الصوت الدعائي « الاسلامي » الى درجة ملحوظة . ويرجع ذلك دون شك الى الاختلاف بين تفكير هذا القائد وتفكير سلفه بشكل واضح . فقد كان وراء سياسة بوناپرت الاسلامية دوافع أو أحلام استعمارية معينة ، لم تكن طبيعة كليبر الواقعية تجعله من المتحمسين لها كثيرا . ولعل ذلك يرجع أيضا الى الظروف التي تولى فيها كليبر قيادة الحملة بعد رحيل بوناپرت المفاجيء ، وعدم رضائه عن هذا الرحيل .

لقد كانت معظم المنشورات التي صدرت في عهد كليبر تتعلق بأمور ادارية أو تنظيمية ، وليس فيها من الدعاية التي تعتمد على تلك القواعد الاسلامية الا النادر .

ولعل المنشور الوحيد الذي أصدره كليبر ، وردد فيه بعض ما عرضنا له من أساليب الدعاية « الاسلامية » في منشورات سلفه ، هو أول منشور وجهه الى شعب مصر بعد أن تولى قيادة الحملة (شكل ٣٧) (١) .

لقد بدأ المنشور بالبسملة ، وهو أمر نادر الحدوث في منشورات هذا القائد . ثم ان كليبر وصف في بداية المنشور بأنه « محب أهل الملة المحمدية » . وفيه يخاطب المصريين بقوله : « علمنا أن غابة مرادكم ونهاية راحتكم اقامة دينكم دين الاسلام الدين القويم والمحافظة على أحكام الشريعة المحمدية واکرام الملة الاسلامية فاعلموا ان الدين المحمدي هو الدين المكرم المعتبر الاكرام المعظم عندنا بأحسن الاكرام والتعظيم واعلموا اننا نحب تعظيم دينكم ونريد اكرامه أكثر مما كان في زمن المماليك ٠٠٠ » .

---

(١) صدر في ٢٠ فركيدور سنة ٧ ( ٦ سبتمبر ١٧٩٩ ) . ومع ان كليبر كان قد خلف بوناپرت في قيادة الحملة قبل هذا التاريخ بأكثر من شهر ، فان بعض عبارات المنشور تعطي بأنه أول ما أصدره كليبر من منشورات بعد توليه الغداة ، إذ جاء به : « اعلوا ٠٠ ان لم يحصل منا خطاب لكم الا في هذا الوقت ٠٠ » وعده النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

ثم يحتمل المنسور بهذه العبارة : « وهذا مما نرى نعوسنا من تعظيم دينكم واحترام ملتكم التي أمرت بكل خير ونهت عن كل شر » .

وإن مقارنة سريعة بين هذا الكلام وبين ما قاله بونابرت في منشوره العربي الأول . لتوضح الى حد كبير موقف كل من القائدين من خطة الدعاية « الاسلامية » .

\*\*\*

أما في عهد منو ، فقد كان الخط الاسلامي في السياسة الدعائية التي ابعتها حكومة الحملة من خلال المنشورات العربية أكثر وضوحاً منه في عهد سلفه كليبر .

ومع أن الاساليب التي لجأ اليها منو في هذا الصدد تحمل سمات واصحة من أساليب بونابرت ، المخطط الاول لذلك الاتجاه ، فقد امتاز منو عن قائده بأنه اعتنق الاسلام بالفعل ، واتخذ اسم « عبد الله » فوق اسمه القديم « جاك منو » ، وأصهر الى أسرة مصرية بمدينة رشيد (١) .

وأياً ما كان القول في الدوافع الحقيقية التي أدت بمنو الى اعتناق الاسلام ، وسواء أكان ذلك في حد ذاته جزءاً من السياسة الدعائية الاسلامية ، أم كان لأسباب أخرى ، فقد كان هذا القائد يضمن منشوراته ما يلقى في روع قارئها أنه مسلم حقيقة .

لقد رأينا أن ما عبر عنه بونابرت في منشوراته من اتجاهات اسلامية كان موضع تعليقات لاذعة من المصريين وغيرهم . أما منو فلم يثر - بما رده في منشوراته - ما أثاره بونابرت قبله من ردود فعل غير مواتية ، وإن سخر بعض معاصريه الفرنسيين من اعتناقه الاسلام وزواجه من سيدة مسلمة .

إن منو لم يلجأ في هذا الاتجاه الى الادعاء أو المبالغة أو التميويه ، ولم يدر حول المعاني كما فعل قائده الأول ، ولكنه كان يخاطب المصريين بلسان المسلم الصادق ، وفي بساطة وتلقائية . وما دام قد اعتنق

(١) تزوج منو من السيدة زبيدة بنت السيد محمد البواب من أعيان رشيد . وقد اكتشف على بك بهجت عضو المجمع العلمي المصري ( وهو امتداد لمجمع الحملة الفرنسية ) وثائق هذا الزواج في محفوظات رشيد ، وترجمها رعلق عليها بمحاضرتين بالفرنسية نشرتًا بمجلة المجمع . انظر : الرافعي ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٢١٢ - ١٥ ، ٣٩٩ - ٤٠٣ ، وكذلك : Rigault, op. cit., p. 43.

الإسلام ، أو تظاهر باعتناقه « رسميا » ، فلم تعد به حاجة إلى الافتعال في التعبير .

لقد حرص منو ، في منشوراته الموجهة إلى المصريين ، على أن يذكر اسمه بالكامل « عبد الله جاك منو » ، سواء أكان ذلك في بداية المنشور أم عند التوقيع عليه في نهايته (١) .

وحرص كذلك على أن يبدأ المنشورات بالبسملة وعبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . وأحيانا كان يزيد على هذه العبارة « صلى الله عليه وسلم » . وكانت ترجمة هذه العبارات تصدر كذلك مادة النص الفرنسي للمنشور ، إذا طبع باللغتين معا ، بل تصدر أيضا الطبعة الفرنسية منه إذا كانت منفصلة ( شكل ٣٨ ) .

واستخدم منو عبارة « الحمد لله الذي يعطى ملكه من يشاء من عباده » ، بعد البسملة ، في صدر المنشورات المتضمنة لصيغ الفرمات الجديدة ، التي أصدرها ليعين بمقتضاها بعض أصحاب الوظائف العامة .

أما المنشور الذي يتضمن فرمان تعيين مشايخ البلاد ( العمد ) ، فزاد على ما سبق عبارة « والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي لطريق أسعاده » .

وكثيرا ما كانت هذه العبارات وأمثالها ، مما يتصدر منشورات منو ، تطبع بحروف العناوين الكبيرة ، إبرازا لها وتمييزا عن سائر النص ( شكل ٣٩ ) .

واعتماد منو أن يستعمل عبارات ذات طابع إسلامي ، ترد في سياق منشوراته بطريقة طبيعية ، مثل : « قدام الله ورسوله » ، خوفا من الله ورسوله » (٢) ، « هذا الرجل المرفوض من الله ورسوله » (٣) ، « شهر رمضان الشريف .. سنة .. من الهجرة النبوية » (٤) .

(١) مما يذكر في هذا الصدد أنه كان لمو خاتم عربي يصمم به أصول الوثائق ، ونسخ المنشورات ، التي كانت تحفظ بملفات القيادة العامة ، والتي يوجد الكثير منها في قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية . وبضمن الخاتم هذا الدعاء : « الهى أنت رحمانى رجائى منك غفرانى ولا تعافب عصفانى وكل نقصانى » .

(٢) منشور ٦ برومير سنة ٩ ( ٢٨ أكتوبر ١٨٠٠ ) .

(٣) منشور ٢٠ فريمير سنة ٩ ( ١١ ديسمبر ١٨٠٠ ) .

(٤) منشور ٨ نيفوز سنة ٩ ( ٢٩ ديسمبر ١٨٠٠ ) .

وكثيرا ما كان يحتمل منشوراه بعبارات مثل : « والصلاة والسلام على من ابغ الصدق والاسنعامه » (١) ، أو « والسلام على من اتبع الهدى والندى والاسنعامه » (٢) ، أو « وعزة الله وحرمة رسوله » ، فأقسمه لكم باسم الله الحى باسم الله الذى يرى ويهدى كل سىء ويعرف ما فى الضماير وسراير قلوبنا » (٣) ، أو « فأقسمت باسم الله الحى القيوم وبحرمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم » (٤) ، أو « فأقسمت بالله العظيم ورسوله الكريم » (٥) .

ويبدأ منو احد منشوراه (٦) ، بعد البسملة وعبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » بمقدمه يخذ فيها من القرآن الكريم مرجعا يستند اليه . قبل أن يعلن خبر اعدام بعض قطاع الطريق ، فيقول : « يا اهالى بر مصر القرآن عظيم الشأن الذى هو الكتاب المفضل بالحق نهى عن السرفه ... »

ويتخذ فى منشور آخر (٧) موقف الحاكم المسلم ، الحريص على اقامه حدود الله ، مهما تآثرت بسبب ذلك مشاعره الخاصة . فيقول بعد أن أعلن اعدام احد ثوار الأقاليم الذى زعم أنه لص وقائل : « انى أنا باعنى الحزن كلما لزم بالتعذيب وأنا مجبور عليه ولكن الحق الذى جاء من الله تعالى هو وظيفتى وأمرنى به والسلام على من اتبع الهدى » .

ويردد منو ما سبق أن ادعاه يونابرت من أن الفرنسيين مؤيدون دائما بنصر الله . فيقول فى بداية منشور أصدره (٨) ليحذر المصريين

- (١) منشور ٦ فنتوز سنة ٩ ( ٢٥ فبراير ١٨٠١ ) .
- (٢) من منشور نقله الجبرتي ( عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ، فى حوادث ١٤ شوال سنة ١٢١٥ ) ٢٨ فبراير سنة ١٨٠١ ، ولم نعث على نسخة منه .
- (٣) منشور ٦ برومير سنة ٩ ( ٢٨ أكتوبر ١٨٠٠ ) .
- (٤) منشور ١٥ فرمير سنة ٩ ( ٦ ديسمبر ١٨٠٠ ) .
- (٥) منشور ١٤ فنتوز سنة ٩ ( ٥ مارس ١٨٠١ ) ، رقد نقله الجبرتي ( ج ٣ ، ص ١٢٨ ، فى حوادث ٢٠ شوال سنة ١٢١٥ ) .
- (٦) بتاريخ ٢٩ برومير سنة ٩ ( ٢٠ نوفمبر ١٨٠٠ ) .
- (٧) بتاريخ ٢٠ فرمير سنة ٩ ( ١١ ديسمبر ١٨٠٠ ) .
- (٨) راجع هامش (٥) ، وكانت حملة انجليزية بقيادة السير رالف ابروكرومي (R. Abercromby) قد اقتربت من شاطئ أبو تر ومعها قوة بحرية عثمانية وتحركت فى الوقت نفسه قوة عثمانية برية بقيادة الصدر الأعظم يوسف ضيا نحو حدود مصر الشرق .



من التمرد ، بمناسبة تحرك الانجليز والعثمانيين تجاه مصر ، وان كان تعبيره عن هذا المعنى ليس « اسلاميا » تماما : « ان الله هو هادى الجنود ويعطى النصر الى من يشاء والسيف المشتعل فى يد ملاكه يسابق دائما الفرنساوية ويضمحل أعداؤهم ... »

ويكرر هذا المعنى . مؤكدا كذلك ان الله يشمل بوناوبرت ( الذى أصبح قنصلا أول لفرنسا ) بعنايته . فيقول فى صدر منشور آخر (١) ، مقدما لنبا انتصار فرنسا على النمسا : « .. ان كلما أراد الله لا بد يصير وهو هو الذى يرا ( يرى ) ويهدى كل شئ وانما أراد أن الفرنساوية يكونوا دائما مظفرين فالفرنساوية غلبوا أعدائهم أينما وجدوهم وأراد أن القنصل بوناوبرت الشهير .. يفوق فى كل ما أجاد ... »

ويقول فى المنشور نفسه ، بعد أن اذاع نبا وصول بعض السفن الفرنسية الى الاسكندرية : « ... ان الله الذى كرم الفرنساوية بعواطف حسن نظره وحمايته اجاز ان المراكب المذكورة وصلوا بمدة عشرة ايام من بلاد فرنسا الى اسكندرية فاذا أراد الله شيئا هيا أسبابه »

ولم تقتصر مظاهر هذه السياسة على المنشورات التى اصدرها . منو بتوقيعه ، بل اننا نلمحها كذلك فى بعض المنشورات التى كان يوجهها الى الشعب المصرى غير منو من المسئولين الفرنسيين فى مناسبات معينة .

فعندما تخرج مركز الحملة فى اواخر ايامها ، اصدر الجنرال بليار حاكم القاهرة وقائد حاميتها منشورا ينوه فيه بحسن سلوك المواطنين فى تلك الايام العصيبة ، وينذر بشديد الانتقام كل من بناوى الفرنسيين (٢) . وقد بدأ هذا المنشور بعبارة « الحمد لله وحده » مطبوعة بحروف كبيرة تتوسط وحدها أول سطور العنوان .

(١) بتاريخ ١٩ بلوفوز سنة ٩ ( ٨ فبراير ١٨٠١ ) ، والمنشور موجه « الى كافة المشايخ والعلماء الكرام فى محفل الديوان المنيف بحروسة مصر » .  
(٢) المنشور غير مؤرخ . ولكن من استقرأه مضمونه يتضح انه صدر بعد موقعة كانوب (Canope) جنوبى أبو قير ( ٢١ مارس ١٨٠١ ) ، التى هزم فيها منو وارتد الى الاسكندرية ليتحصن بها ، بينما واصلت القوات الانجليزية زحفها نحو القاهرة ، تدعمها القوات العثمانية وفرسان المماليك من الشرق ، وقبل أن يطلب بليار الصلح فى يونيو ١٨٠١ . وتؤكد ذلك السفسه التى اضافها بليار الى وظيفته من عنوان المنشور « .. قايمقام مصر .. وحاكم العرض وعساكره المنصورة » فالعرضى ، هو كلمة منقولة عن الأصل التركى « أوردو » أو « أوردى » تعنى الجيش أو الفيلق ، وتؤدى كذلك معنى المعسكر الذى ينصب من أجل معركة معينة . وتؤكد =

وجاء كذلك فى هذا المنشور عبارات مثل : « والله تعالى  
يساعدنى » و « والله تعالى يرشدكم » ، كما ختم بعبارة « فكونوا  
صابرين لحكمه منتظرين أمره معتمدين عليه جل جلاله . . . »  
وبعد ان وقع بليار اتفاقية جلاء الفرنسيين عن مصر مع قواد  
الحملة الانجليزية العثمانية اصدر منشورا اذاع به على المصريين هذا  
النبأ وضمنه من مواد الاتفاقية ما يهم الشعب معرفته (١) . وقد بدأ هذا  
المنشور بعبارة : « ثم انه اراد الله تعالى بالصلح ما بين عساكر فرنساوية  
وعساكر . . » ، وختمه بقوله : « . . ان الله تعالى جل جلاله هو الذى  
يفعل كل شئ . . »

---

== كذلك ان المنشور يحمل فى اسفله عبارة « طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بقلعة  
مصر المحروسة » ، ولم تنقل مطابع الحملة الى القلعة الا فى أواخر شهر مارس  
١٨٠١ ، بعد معركة كانوب بالذات . ويتضح ذلك من العبارة التى ذيل بها العدد  
١٠٩ من صحيفه «أوكوربيه» ، بتاريخ ١٠ جرمينال سنة ٩ ( ٢١ مارس ١٨٠١ ) ،  
والاعداد التالية له : « طبعت بمطابع الحملة الرسمية بالقلعة . . » وستناول هذا  
المنشور مرة أخرى فيما بعد .

(١) مؤرخ ١٨ صفر ١٢١٦ ( يوافق ٢٨ يونيو ١٨٠١ ) . وقد اشار اليه الجبرتم  
فى حوادث يوم ٢٠ صفر (مجايب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٨٢ - ٣ ) .

## الفصل الثاني

### السياسة الوطنية

لم نتح الظروف السياسية للمصريين من قبل الحكم الفرنسي بقرون أن تنمو شخصيتهم القومية . وصحيح أنه حدثت في مصر بعض الانتفاضات الشعبية التي سجلها المؤرخون المعاصرون قبل الحكم العثماني وفي أثنائه (١) ، ولكنها لم تكن من القوة أو الاتساع بحيث تؤدي إلى بلورة الشعور القومي . ولقد كان الحكم التركي المملوكي بالذات يقوم على نظام لا يجعل للمصريين أدنى نصيب في حكم بلادهم أو ادارتها ، ويسلبهم حقهم في أن يكون لهم رأى في أى شأن من الشؤون العامة .

ولذلك رأى قائد الحملة أن تكون بعض وسائله لاجتذاب المصريين إلى تأييد الحكم الفرنسي تنمية احساسهم بمصيرتهم الى حد ما ، عن طريق ما أنشأه من دواوين في القاهرة والأقاليم ، وعن طريق تمصير

---

(١) سجل المقرئى وابن تغرى بردى والقلشندى وابن اياس والجبرتي عددا من هذه الانتفاضات الشعبية ، سواء ضد الحكم الأجنبي أو ضد النظام الاقطاعي . ولعل من أهم هذه الحركات واقربها الى عهد الحملة الفرنسية ، الثورة التي قامت في الصعيد بزعماء همام شيخ قبيلة الهوارة ، الذي ظل يحكم الصعيد جنوبى المنيا من عام ١٧٦٦ حتى عام ١٧٦٩ ( الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ١ ، ص ٣٣٥ - ٦ ) . وكذلك حركة الاحتجاج التي توعمها علماء الأزهر عام ١٧٩٥ ، وانتهت باضطراب الوالى والماليك الى كتابة ميثاق أو « حجة » تحدد الحقوق والواجبات بين الوالى والرعية ( الجبرتي : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٥٨ - ٩ ) .

بعض الرطاف الكبيرة • وكان ينهز كل مناسبة لاشعار قادة المصريين.  
بن لهم نصيبا • ولو محدودا • فى ادارة شئون بلادهم •

ولعد فضى النكوين الاجتماعى والفكرى للشعب المصرى فى العصر  
الدى اذن الحملة الفرنسية بنهايته ، ان تتمثل قياداته فى فئات معينة  
على راسها علماء الازهر ومن اليهم من الزعماء الدينيين • مثل نصيب  
الإنراف و كبار مشايخ الطرف الصوفية • ومن هذه الفئات كذلك كبار  
التجار فى المدن ، ومشايخ البلاد ( العمدة ) فى القرى ورؤساء البدو  
فى مجتمعات الأعراب القبلية •

ومن هنا كانت هذه العيادات • وفى مقدمتها علماء الأزهر • هى  
محور التنظيمات التشريعية والادارية • وغيرها من الاجراءات المبررة  
عن السياسة الوطنية التى انتهجتها الحملة الفرنسية • وقد رأى  
بونابرت أن ذلك ضرورى ، بعد القضاء على سلطة المماليك وازاحة  
طبقتهم من مراكز الحكم والادارة •

وكان انشاء الدواوين أبرز مظاهر هذه السياسة • وقد بدأ بونابرت  
عيده بانشاء ديوان فى القاهرة ، يتألف من عدد من الزعماء الدينيين ،  
ودواوين على غرازه فى سائر الأقاليم •

وتعرض تكوين هذه الدواوين لعدة تطورات فى ايام بونابرت  
نفسه ، ثم فى ايام منو •

وقد تفاوتت آراء المؤرخين فى الحكم على هذه المجالس التى مثلت  
سبب مصر ، سواء على المستوى القومى أو المحلى • وأيا ما كان الرأى  
فى تفويم هذه المجالس التمثيلية للشعب المصرى ، فهناك أمران لا شك  
فيهما : أولهما أن هذه المجالس أنشئت لتكون واسطة حيوية بين حكومة  
الحملة والشعب ، يتعرف ممثلوه عن طريقها على اتجاهات الحكومة ،  
وينقلون اليها بدورهم تطلعات الجماهير وردود الفعل لديها ، وبذلك  
لا يبقى نمة مجال للدسائس أو لسوء الفهم • وثانيهما أنها أتاحت  
للمصريين فرصة ليست لها سابقة للتدريب على ممارسة شىء من  
مسئولية الحكم • وان كانت اختصاصاتها محدودة وسلطتها مقيدة •

وكانت المنشورات مرآة صادقة لسياسة الفرنسيين الوطنية ،  
تحدد أبعادها ، وتجاوز صورتها ، وتعمل على اقناع المصريين بها •  
بل ان الفرنسيين كثيرا ما اتخذوا من اصدار المنشورات فى حد ذاته  
مظهرا من مظاهر هذه السياسة ، وذلك بجعلها على لسان ممثل  
الشعب •

ومن اليسر ان نلمس المظاهر الدعائية لهذه السياسة . سننظر  
في ذلك شأن السياسة الاسلامية ، من منشور بونابرت الاول . بل  
ان هذا المنشور في الحقيقة يتضمن المبادئ الأساسية لسياسة  
بونابرت الوطنية .

فهو يوغر صدور المصريين ضد حكامهم المماليك الذين افسدوا  
بحكمهم هذه البلاد ، كنانة الله في ارضه : « وحسرتا من مدة عصور  
طويلة هذه الزمرة من المماليك المجلوبين من جبال الألبازا والكرجستان (١) ،  
ليفسدوا في الاقليم الأحسن الذي يوجد في كرة الأرض كلها . . » .  
ثم ان المماليك لا يمازون عن المصريين بعقل او فضيلة او معرفة .  
بحيث يحتكرون دونهم أطايب العيش ومتع الحياة : « ان جميع الناس  
متساويين عند الله وان الشيء الذي يفرقهم من بعضهم بعضا فهو العقل  
والفضائل والعلوم فقط وبين المماليك ما العقل والفضائل والمعرفة التي  
تميزهم عن الآخرين وتستوجب أنهم يمتلكوا وحدهم كلما يحلو به حيات  
الدنيا » ( أى كل ما تحلو به الحياة الدنيا ) . وهو بذلك يهاجم اقطاع  
المماليك وما اقترن به من حقوق اغتصابية .

على ان أهم ما تضمنه المنشور في هذا الصدد هو العبارة التالية  
التي تؤكد ان المماليك ليس لهم أى سند شرعى في حكم البلاد ، وان  
الباب مفتوح أمام المصريين لتولى أكبر المناصب ، وان كبارهم  
سيشتركون في ادارة شئون البلاد : « ان كانت الأرض المصرية التزام  
للمماليك فيلورون الحجت ( أى فليظهروا الحجة ) التي كتبها الله لهم  
فلكن رب العالمين هو رؤوفا وعادل على البشر بعونه تعالى من اليوم  
فصاعدا لا يستثنى أحدا من أهالي مصر عن الدخول في المناصب  
السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلا والفضلا والعلماء بينهم  
سيدبروا الأمور (٢) وبذلك يصلح حال الأمة كلها » . أى انه لا امتياز  
الا للعقل والفضائل والعلم وحدها .

ويذكر المنشور المصريين بثروة بلادهم ورخائها القديم الذي أزاله  
المماليك ، محاولا بذلك إيقاظ مشاعرهم الوطنية ، في قوله : « سابقا  
في الأراضي المصرية كانت المدن المعظمة والخليجات الواسعة والمتجر  
المتكاثر وما أزال ذلك كله الا الطمع وظلم المماليك » .

---

(١) الألبازا ( أو الإبازة ) من شعوب العوقاز ، والكرجستان هي جورجيا . رز  
الاسل الفرنسى « achetés dans la Georgie et le Caucase » .  
(٢) العبارة في الأصل الفرنسى أكثر تحديدا ، فهي تقول « ... gouverneront »  
أى « سيتولون الحكم » . وهذا من الاختلافات الأساسية بين النصين .

ويلف النظر . الى جانب ذلك . فى هذا المنشور أمران :

١ - أنه يحرص على تذكير المصريين بكيانهم القومى المتميز . فهو يوجه الخطاب اليهم ، باعنيارهم أبناء وطن معين له كيانه الخاص ، وله أمجاده وحضارته القديمة : « .. يعرف أهالى مصر جميعهم .. » ، « يا أيها المصريين .. » . « .. لا يستثنى أحدا من أهالى مصر .. » . وآخر عبارة فى المنشور هى « ... وأصلح حال الأمة المصرية » . أى أن المصريين ، بمضمون هذه العبارات ، ليسوا مجرد أفراد يعيشون فى « دار الإسلام » الكبير . أو مجرد رعايا للسلطان العثمانى خليفة المسلمين . وهذا أمر لم يكن مالوفا لهم قبل الحملة الفرنسية . وبغض النظر عن المطامع الاستعمارية للحملة ، فالواقع أن بونابرت فى هذا المنشور ، كما يقول الرافعى (١) ، « قد استثار الروح القومية المصرية ولم يسبق لفاح قبل هذا العصر أن يشيد بمكانة مصر وعظمتها ويوجه خطابه الى المصريين وبعدهم بأن يكونوا أصحاب الحل والعقد » .

٢ - أنه يبدأ بعبارة « من طرف الجمهور الفرنساوى ( أى الجمهورية الفرنسية ) المبني على أساس الحرية والتسوية ( أى المساواة ) وكلمتا « الحرية » و « المساواة » هما - كما تعلم - شعار الثورة الفرنسية (٢) . ولا شك أن استخدام هذا الشعار فى رأس المنشور العربى الأول . وهو ما لم ينضمه أصله الفرنسى ، له دلالة . ففيه إحياء للمصريين بالمبادئ الوطنية والديموقراطية التى تعد بها الحملة الفرنسية . وسوف نلاحظ استخدام هذا الشعار فى الأغلبية الساحقة من المنشورات العربية التى صدرت فى عهد الحملة .

\* وفى اليوم التالى لانتصار جيش الحملة على المماليك فى موقعة إمبابية ( الأهرام ، أى فى يوم ٢٢ يوليو ١٧٩٨ ، أرسل بعض علماء الأزهر الى بونابرت ، وهو بعد فى معسكر الجيزة لم يعبر النيل الى القاهرة ، رسالة يستفسرون فيها عن نواياه ، ويطلبون تصريحاً بطمأن الأهالى . فأصدر بونابرت ، فى اليوم نفسه ، منشوراً ثانياً يؤكد به منشوره الأول . وقد أمر الجنرال ديبوى (Dupuy) الذى عينه بونابرت قائداً لمنطقة القاهرة بتعليق نسخ هذا المنشور بمجرد وصوله

(١) مرجع سبق ذكره . ص ١ ، ص ٨٨ .

(٢)

الى الفلعة (١) .

ومع انه من المؤكد ان هذا المنشور لم يطبع ، فلم تكن مطابع الحملة - التي تحتوى على الحروف العربية - قد بدأت عملها بعد في القاهرة ، فانه قد اذيع على الأهل ، وأحدث بالفعل أثره في تهدئة خواطرهم ، اذ نقول الجبرنى : « فلما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس .. » .

وأهم ما ورد في هذا المنشور ، بعد ترديد بعض ما جاء في المنشور الأول من عبارات ومعان ، قول القائد الفرنسى : « .. لابد ان المشايخ والجرجية (٢) يأتون الينا لترتب .. ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور » (٣) .

وبالفعل أصدر بوناپرت بعد ثلاثة أيام ( فى ٢٥ يوليو ) مرسوما بتأليف أول ديوان مصرى (٤) ، وكان يتكون من تسعة من علماء الأزهر ، ثم اختار هؤلاء امينا ( كاتم سر ) للديوان من العلماء أيضا . وبعد يومين أصدر بوناپرت مرسوما آخر يقضى بانشاء دواوين اقليمية ، يتألف كل منها من سبعة أعضاء ، ويتعاون مع السلطات الفرنسية المحلية في

(١) ذكر لاکروا ذلك بالتفصيل ، واورد الاصل الفرنسى للمنشور ( نقلا عن : مراسلات نابليون ، ج ٤ ، وثيقة ٢٨١٨ ) . انظر :

Lacroix, op. cit., pp. 122-3.

وقد أوجز الجبرنى مضمون المنشور ( عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٠ ) ، كما نشر الرافى ( المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٩١ ) ترجمة عن أصله الفرنسى ، وكذلك فعل أحمد حافظ عوض ( مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٩ - ٥٠ ) .

(٢) « الجرجية » أو « الشورجية » تعنى هنا كبار الأعيان . وكانت هذه الكلمة التركية تطلق كذلك ، فى الاصطلاح المنخص ، على الضباط حامل رتبة « جورجى » وهى تعادل رتبة « النقيب » الحالية .

(٣) الاصل الفرنسى أكثر دقة وتفصيلا من نص الجبرنى . فهو يقول : « بما انه من الأمور المألوفة ان يعهد الى بعض الأشخاص بالاشراف على النظام العام حتى لا يعكر صفو الأمن معكر ، فستكون ديوان من سبعة أعضاء يجتمعون فى الأزهر ، وسيكون اثنان منهم على اتصال دائم بقائد المنطقة ، ويتولى أربعة آخرون مهمة المحافظة على الأمن العام ومراقبة أعمال الشرطة » .

(٤) كان من أجهزة الحكم الثابتة فى مصر طوال العهد العثمانى « ديوان » أو مجلس حكم . ولكن عضويته كانت مقصورة على الاتراك والمماليك . والأصل الفرنسى لهذا المنشور فى : مراسلات نابليون ، ج ٤ ، وثيقة ٢٨٣٧ . وكذلك أورده لاکروا ( المرجع السابق ، ص ١٢٧ - ٨ ) .

فجر الصحافة - ١١٣

## السهر على مصالح الافليم (١) \*

\* وبعد بورة القاهرة الاولى - التى اندلعت فى ٢١ اكتوبر ١٧٩٨ ، تعطل عمل الديوان شهرين . ثم أعاده بونايرت فى صورة جديدة . استئنفا لسياسته الوطنية . وقد أصدر بهذه المناسبة منشورا صممه ، بعد مقدمة سبعت الاشارة اليها (٢) ، مواد التنظيم الجديد . واهم معالم هذا التنظيم :

١ - أن الديوان الجديد يكون من هيتين : ديوان عمومى من ستين عضوا عينتهم السلطة الفرنسية بالفعل وذكر المنشور اسماءهم . وديوان خصوصى ( ديمومى ) من اربعة عشر عضوا ينتخبهم اعضاء الديوان العمومى من بينهم . ولهذا الديوان كذلك وكيلان ( قوميسران ) معينان ، أحدهما فرنسى ( هو جاوييه : Gloutier ) والثانى مسلم مناصر ( هو الامير ذو الفقار كتحدا (٣) بونايرت ) .

٢ - أن مهمة الديوان العمومى الرئيسة تنتهى بانتخاب اعضاء الديوان الخصوصى . ولا يجتمع بعد ذلك الا بدعوة .

٣ - أن الديوان العمومى يمثل فاعدة عريضة جدا من اهالى القاهرة . فهو يضم ممثلين عن علماء الأزهر ومشايخ الطرق الصوفية والتجار وأرباب الحرف والمسيحيين ( من المصريين والسوريين ) ، وكذلك الأجانب (٤) ، فضلا عن ممثلين للعسكريين القدامى من رؤساء الأوجاقات (٥) . ومما يلفت النظر فى تكوين هذا الديوان أن بونايرت

(١) نص المرسوم ، معربا عن « مراسلات نابليون » ( ج ٤ ، وثيقة ٢٨٥٨ ) .  
فى كتاب الرافعى ( المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٣ ) .

(٢) راجع ص ٩٨ .

(٣) ورد الاسم فى المنشور هكذا « ذلفقار كاخيا » . وكلمة « كاخيا » أو « كخيا » محرفة عن « كتحدا » ، ومعناها « وكيل » الوالى أو من اليه . وقد ذكر الدكتور عبدالعزير الشناوى - دون ما سند واضح - أن اسم هذا الوكيل كان « زين الفقار » ( « هوجج سيق ذكوه ، ص ١٧٢ » ) .

(٤) كان ممثلو الأجانب هم : فولمار ( Wolmar ) الطبيب السويدى المستوطن بالقاهرة ، وكاف ( Caffé ) ويودوف ( Beaudouf ) التاجران الفرنسيان .

(٥) « أوجاق » أو « وجاق » كلمة تركية معناها فى الأصل « موقد » ، ثم استخدمت بمعنى « فرقة عسكرية » . وصيغة الجمع « أوجاقات - وجاقات » تستخدم وحدها أحيانا ، على سبيل الإيجاز ، بمعنى رؤساء الفرق العسكرية ، بدلا من الصفة « وجاقلية » ( مفردا « وجاقل » ) .



حرص على أن يضم إليه عضوين يمثلان أهم أحياء ( أخطاط ) القاهرة التي تركزت فيها الثورة . وهما - حسب نص المنشور - شيخ الجزارين بالحسينية وشيخ العطوف (١) . ولا شك في أنه قصد بذلك التمثيل العريض لسكان القاهرة ، وبضم ممثلين شعبين إلى الفئات التقليدية ، وبإهتمام بالأحياء التي تزعمت الثورة ، مزيدا من التأكيد لسياسة الوطنية . وقد حرص بونابرت على أن يحتفظ الديوان العمومي بهذا التمثيل الشامل لسكان القاهرة . ويتضح ذلك من الأمر الذي أصدره فيما بعد إلى الوكيل الفرنسي للديوان ، بأن يبلغه بما يخلو من مفاد الأعضاء لكي يعمل على شغلها بأعضاء جدد ، لأنه يريد للديوان أن يكون مؤلفا دائما « من هيئة تمثل تمام التمثيل سكان القاهرة ، بحيث تطمئن الحكومة وهي تخاطب الديوان إلى أنها تواجه فيه الرأي العام » (٢) .

٤ - أنه ينص على الأخذ بالأسلوب الديموقراطي في استكمال تكوين الديوانين . فهو يحتم أن يختار أعضاء الديوان العمومي رئيسه وكاتبه ، وكذلك أعضاء الديوان الخصوصي ، بالانتخاب المباشر : « المادة الرابعة - وعليهم أن يختاروا من بينهم ريس الديوان وكاتبين اثنين بالقرعة باعتبار الأكثر والأغلب اختيارا » المادة الخامسة - بعد ذلك يشعروا في تعيين أربعة عشر نفس الذين يجتمعوا في الديوان الديمومي ( الخصوصي ) بالقرعة أيضا باعتبار الأكثر والأغلب اختيارا » (٣) .

(١) يتضح من رواية الجبرتي ( ج٣ ، ص ٢٥ - ٧ ) أن دور هذين العيين في الثورة كان أكبر من غيرهما . هذا وقد نشرت « لوكوربيه » في العدد ٢٣ ( بتاريخ ٩ نيفوز سنة ٧ = ٢٩ ديسمبر ١٧٩٨ ) نص المرسوم . ويلاحظ على هذا النص أن هناك اختلافات طفيفة مع المنشور المطبوع في بعض الأسماء ، لعل مردها إلى ضعف الترجمة ، كما يلاحظ أن هذه الأسماء مقسمة إلى فئات توضح انتماءاتها ، بل أن التجار أنفسهم قسموا إلى فئات حسب تخصصاتهم .

(٢) مراسلات نابليون ، ح ٥ ، وثيقة ٤٢١٨ ، تاريخ ١٠ مسيدور سنة ٧ ( ٢٨ يونيو ١٧٩٩ ) .

(٣) يرجع الرافي ( مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ص ١٩ ) ، أنه حدث تدخل ما أو توجيه من السلطات الفرنسية في اختيار أعضاء الديوان الخصوصي (الديمومي) ، لكي يكون كامل التمثيل للقاعدة العريضة التي انبثق منها . ويستدل على ذلك بوجود الأعضاء الأوربيين في هذا الديوان ، مع أنهم في غالب الظن لم يكونوا معروفين لأعضاء الديوان العمومي . وهذا احتمال غير قوى . وحى إذا كان ظن الرافي صحيحا ، فالأرجح بعد ذلك النص الصريح في المرسوم وما تلاه من نصوص مماثلة ، أن التدخل كان في نطاق ضيق جدا لمجرد توجيه الأعضاء إلى الانتخاب على أساس فئوي وبنسب =

وعو يغضى كذلك فى المادة السادسة بأنه « بعد ما يستحسن حضره السارى عسكر الكبير اشخاص الذين يتعينوا من اهل الديوان العمومى برسم الديوان الديمومى ( أى بعد أن يصدق القائد العام على انتخابهم ) فيشرع الأربعة عشر المعينين فى تعيين ( اختيار ) ريس من جملتهم ويكتب أيضا ٠٠ » .

وقد أثبت الجبرنى صدر هذا المنشور وحده (١) ، مما يؤكد أنه طبع - كما سبق أن ذكرنا - فى منشور مستقل . ولكن الجبرنى لم ينقل نص مواد التنظيم الجديد ، ولا أسماء الأعضاء الذين اختيروا للديوان العمومى . وانما قدم للجزء الذى أثبتته بقوله « ٠٠ شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم آخر وعينوا له ستين نفرا منهم أربعة عشر ٠٠ يقال لهم الديوان الخصوصى والديوان الديمومى ٠٠ والأربعة عشر هم ٠٠٠ » ، ثم ذكر أسماء ثلاثة عشر فقط . ويبدو أنه أضاف هذا الجزء الى أصول كتابه بعد ان كان أعضاء الديوان العمومى قد اختاروا بالفعل أعضاء الديوان الخصوصى (٢) . ومن هنا أهمية المنشور المطبوع نفسه ، من حيث هو وثيقة أصلية فى هذا الموضوع .

= معينة ، وأن الأسلوب الديموقراطى قد اتبع بالفعل داخل الديوانين . ويدل على أن ذلك أن أصلا من أصول التنظيمات النيابية لذلك العهد عدة شواهد ، منها ما حدث عند انتخاب الشيخ الشرقاوى رئيسا للديوان العام الذى يمثل مختلف أقاليم مصر . والذى انعقد بناء على دعوة القائد العام قبيل ثورة القاهرة الأولى . وقد روى الجبنى تفصيل هذه الواقعة ، فقال انه فى أول جلسة لذلك الديوان تليت خطبة الافتتاح « ثم قال الترجمان نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا عليكم ٠٠ فقال بعض الحاضرين الشيخ الشرقاوى فقال نو نو ( أى لا لا ) وانما يكون ذلك بالقرعة فعملوا قرعة بأوراق فطلع الأكثر على الشيخ الشرقاوى فقال حينئذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس ٠٠ » ( عجائب الآثار ، ج ٣ ص ٢٢ - ٢٣ ) . ومن هذه الشواهد كذلك ما جاء فى المنشور الذى أصدره أعضاء الديوان الخصوصى أنفسهم بعد تكوينه . فقد قالوا ان هذا الديوان يتألف من « أربعة عشر شخصا » خرجوا بالقرعة من ستين رجلا » ( راجع ص ٩٩ - ١٠٠ ) .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧ - ٨ ، من حوادث ١٦ رجب ١٢١٣ ( أى قبل تاريخ المنشور الآخر ) ، مما يؤكد أن هذا الجزء تضمنه منشور مستقل ، ثم نكرر طبعه بعد ذلك مع مواد التنظيم الجديد ، انظر ص ٩٨ ، هامش ٤ .

(٢) مما كتبه الحربى نفسه فى مقدمة « عجائب الآثار » نعرف انه كان عادة بدون الحوادث بعد وقوعها بأيام ، ومن هذه الحوادث « أمور شاهدناها ثم نسيناها وتذكرناها » . ونعرف كذلك ان مؤرخنا بدأ فى تنسيق مادة كتابه فى عام ١٢٢٦ ، أى بعد خروج الفرنسيين بعشرة أعوام . ومن هنا فانه يخطئ أحيانا فى تواريخ بعض الحوادث ، أو يغفل تسجيلها أو يخلط بينها . هذا وكان أعضاء الديوان الخصوصى هم : « المشايخ » الشرقاوى والمهدى والصاوى والبكرى والقيومى ( من العلماء ) ، =

ونتيجة لورود ذلك النص وحسده في الجبرتي ، اعتمد المؤرخ عبد الرحمن الرافعي في مناقشته لتكوين الديوان في صورته الجديدة (١) على الترجمة من النص الفرنسي الذي نشر في صحيفة « لو كورييه » ، وكذلك فعل الأستاذ أحمد حافظ عوض (٢) . وعندما أثبت ترجمة المادة السابعة من أمر التنظيم ، التي تنص على أن أعضاء الديوان الخصوصي يجتمعون يوميا « للنظر في مصالح الناس وتوفير أسباب السعادة والرفاهية لهم ومراعاة مصالح الجمهورية الفرنسية » ، عقب على ذلك بقوله ان عبارة « مراعاة مصالح الجمهورية الفرنسية وردت في الأصل الفرنسي ولم ترد في بيان الجبرتي ( مع أنها وردت بالفعل في المنشور العربي المطبوع ) .

وقد تابع الدكتور لويس عوض الأستاذ الرافعي في ذلك ، وزاد عليه قوله « وربما مرد ذلك الى وجود صيغتين ، صيغة رسمية فرنسية وصيغة عربية روعي فيها ألا تخدش شعور المصريين » (٣) .

والحقيقة أنه لا تناقض هناك بين الصيغتين . فنص المادة المذكورة كما وردت في المنشور العربي هو : « فالأربعة عشر المعينين للديوان الديمومي لابد من اجتماعهم كل يوم ويلقوا بالهم ونظرهم في كل ما يتحصل منه الخير لأهالي البلد ولجمهور الفرائسواي والعدل والتوفيق بين الجميع » .

ونتج عن عدم اطلاع الرافعي على هذا المنشور كذلك انه اجهد نفسه في التعليق على تسمية « الديوان العمومي » و « الديوان الخصوصي » بقوله انها « التسمية الواردة في الجبرتي ، أي التي كانت معروفة في عصره ، فأبقيناها كما هي لأنها صارت من المصطلحات التاريخية لنظام الحكم في ذلك العصر . وفي الجبرتي ان الديوان

---

= **أحمد المحروقي وأحمد محرم ( من التجار ) ، ولطف الله المصري وإبراهيم جر العابط ( من الأقباط ) ، ويوسف فرحات وميخائيل كحيل ( من السوريين ) ، ثم الثلاثة الأوربيين الذين مر ذكرهم ( فولمار وكاف وبودوف ) . وانتخب الأعضاء الشيخ الشراوى رئيسا والشيخ المهدي كاتباً للسر . وقد أغفل الجبرتي اسم إبراهيم جر العابط ، كما أخطأ في أسماء الأعضاء الأجانب وحرفها جميعا . ويلاحظ ان هذا التكوين قد تعدل فيما بعد ، مع المحافظة على العلات المثلة ونسب التمثيل .**

(١) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٢) مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .

(٣) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ١٦٩ - ٧٠ .

الخصوصى يسمى ايضا الديمومى . ولعلها اسمه بالفرنسية  
Divan permanent : (١) .

وللسبب نفسه وقع احمد حافظ عوض فى خطأ آخر . فقد  
اعتد ان بونابرت « أعقب الأمر بإنشاء الديوان . . بنشور طويل قصد  
به اكتساب مودة المصريين مع الارهاب والانداز » (٢) . وهذا غير  
صحيح . فقد رأينا أن ذلك المنشور انما صدر أولا مستقلا ، ثم ظهر  
مرة أخرى مع الأمر بإنشاء الديوان ، على شكل مقدمة أو مذكرة  
إيضاحية .

والى جانب هذه المنظمات النيابية . شملت سياسة بونابرت  
الوطنية إنشاء هيئات أخرى عهد الى المصريين بمسئوليتها أو بالنصيب  
الأكبر منها . وكانت المنشورات كذلك هى وسيلة الاعلام بهذه الخطوة  
وإنشويه بها .

فقد أنشأ قائد الحملة بالقاهرة «ديوانا» سمي «محكمة القضايا» ،  
ويعول الجبرتي (٣) ان الفرنسيين عينوا لهذا الديوان « ستة أنفار من  
النصارى القبط وستة أنفار من تجار المسلمين . . وجعلوا قاضيه الكبير  
ملطى القبطى . . وفوضوا اليهم القضايا فى أمور التجار العامة  
والموارث واللعاوى . . » .

وإذاع المسئولون مضمون هذا الاجراء فى منشور خطى (٤) ، فقد  
« كتبوا نسخا من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها الى الاعيان ولصقوا منها  
نسخا فى مفارق الطرق ورعوس العطف وأبواب المساجد » .

ويتضح مما نقله الجبرتي من محتوى هذا المنشور ، ومن تعقيبهِ  
عليه ، أن الديوان المذكور كان جهازا يجمع بين اختصاصات المحكمة  
المدنية التجارية وإدارة الشهر العقارى . ويقول الرافعى (٤) انه  
انشئت على غرار هذا الديوان « دواوين مماثلة فى بعض الأقاليم .  
وقد عثرنا على نسخة من المنشور الخطى الذى أصدره منو ، وهو بعد

(١) المرجع نفسه ، ج ٢ هامش ص ١٥ . وكذلك أورد فى ص ٣٨٤ - ٥ نص  
الجزء الاول وحده من المنشور نعلنا عن الجبرتي .  
(٢) مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٧ .  
(٣) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٩ - ٢٠ ، حوادث ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ (يوافق  
٢٧ ستمبر ١٧٩٨ )

(٤) لم تكن المنشورات العربية قد بدأ طبعها بعد فى القاهرة .

(٥) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١١٢ .

حاكم لرشيد والاسكندرية والبحيرة ، بإنشاء « ديوان التجار » فى اقليمه من سبعة اعضاء من المصريين والمستوطنين برئاسة فرنسى ، مع تحديد اختصاصات هذا الديوان بما لا يكاد يخرج عن مثيله القاهري ( شكل ٤٠ ) ( ١ ) .



ومن الاساليب الدعائية البارعة التى لجأ اليها بونابرت لنديم هذه السياسة انه لم يكتف بأن تصدر المنشورات باسمه لكى تذيب أنباء اجراءاته التمهيدية ، وانما أراد أن يجعل من طريقة اصدار كثير من هذه المنشورات برهانا على انهاجه تلك السياسة . فقد كان يستكتب العلماء اعضاء الديوان منشورات تصدر على لسانهم الى افراد الشعب ، فيتأكد بذلك مكانهم من المسئولية القيادية . هذا بالطبع الى جانب ما يجنيه من كسب سياسى ، فما يتمتع به هؤلاء الاعضاء من مكانة فى نفوس الشعب كفىل بأن يقنع الناس بما يذيعونه عليهم فى تلك المنشورات .

وكان من المنطقي أن يتخذ بونابرت من طائفة علماء الأزهر بالذات واسطة بين سلطات الحملة وبين الشعب . فلقد كان التوسط بين الشعب وحكامه دورا تفليديا لعلماء الأزهر من قبل الحملة ، وبخاصة فى العهد العثماني ، وان اتخذ ذلك صورا مختلفة . فالشعب كثيرا ما كان يستجير بهم لرفع المظالم عنه ، والحكام كانوا يلجأون اليهم أحيانا ليهذبوا ثائرة الناس أو ليحولوا دون انفجار سخطهم . وهم أنفسهم - من ناحية أخرى - كانوا يتدخلون لدى الحكام ليتحدثوا باسم الشعب ويدافعوا عن مصالحه .

والمنبع الفرنسى للمنشورات التى صدرت على لسان العلماء واضح تماما مما تتضمنه من عبارات وما تردده من معان . ويؤكد الجبرتي ذلك ، بما لا يدع مجالا للشك ، فى اشاراته التى يقدم بها لنصوص تلك المنشورات ، كما سنرى .

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . ومن تاريخ المنشور ( ١٩ بلويز سنة ٧ = ٧ فبراير ١٧٩٩ ) تبين انه صدر بعد المنشور الخاص بإنشاء الديوان المائل فى القاهرة بأكثر من أربعة أشهر ، أى ان إنشاء هذه « الدواوين » بالاقليم تأخر عنه فى القاهرة بمدة طويلة . وقد يرجع ذلك الى اضطراب أحوال العاصمة وقتئذ ، اذ اندلعت ثورتها الأولى وتمطل ديوانها شهرين . ولما هدأت الاحوال وبدأت الامور تستقر للفرنسيين ، كان طبيعيا أن سئانفوا اجراءاتهم الادارية والتنظيمية .

✽ وكان أول ما أصدره العلماء أعضاء الديوان فى هذا القبيل منشورا تضمن نس كتاب أرسلوه الى السلطان العثمانى وآخر الى شريف مكة « بصموا منه عدد نسخ ولصقوها بالطرق والمنازل » . وقد أورد الجبرتى ملخصا لهذا المنشور (١) وقال ان العلماء بدءوه بذور دخول الفرنسيين مصر « وقتالهم مع الممالك وهروبهم ( أى الممالك ) وان جماعة من العلماء ذهبت اليهم بالبر الغربى فأمنوهم وكذلك الرعية دون الممالك » . وأكد الفرنسيون فى هذا المنشور على لسان العلماء « انهم من اخضاء السلطان العثمانى وأعداء أعدائه وان السكة والخطبة باسمه وشعائر الاسلام مقامة على ما هى عليه . . الخ » .

وأعلن الفرنسيون كذلك حرصهم على سيادة السلطان الروحية على مصر ، فقالوا باسم العلماء « واتفق إرأينا وأرأهم على لبس حضرة الجنب المحترم مصطفى أغا كتحدا بكر باشا والى مصر حالا » ، أى على تعيين وكيل الوالى التركى فى منصب أمير الحج ، بعد خروج أمير الحج السابق من مصر ، مع ابراهيم بك ، الى سوريا (٢) . وكذلك طمانوا شريف مكة والمواطنين الى انهم « أوصلوا الحجاج المشتتين وأكرمهم » ، وانهم كذلك « مجتهدون فى اتمام مهمات الحرمين » .

✽ وعقب ثورة القاهرة الاولى أصدر العلماء أعضاء ديوان القاهرة المنحل (٣) منشورا تبرءوا فيه ممن أشعلوا الثورة ، ونصحوا مواطنيهم بالاخلاد الى الهدوء وعدم الاصغاء الى المحرضين على الفتن .

(١) قال الجبرتى فى هذا الصدد (مخالفات الآثار ، ج ٣ ص ٢١) : كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه الى السلطان وآخر الى شريف مكة . . الخ . ولكن السياق بعد ذلك ، فضلا عن المفسون الذى أوجزه الجبرتى ، يدلان على أن الكتاب واحد ، أرسلت منه نسخة الى السلطان وأخرى الى الشريف . انظر كذلك ص ٢٤ ، هامش ٤ ، من هذا البحث .

(٢) قال الجبرتى فى ذلك (المرجع السابق ج ٣ ص ١٦) ، من حوادث ٢٠ ربيع الاول ١٢١٣ (يوافق ١ سبتمبر ١٧٩٨) : « . . قلدوا مصطفى بك كتحدا الباشا على امانة الحج فحضروا الى المحكمة عند الفاضى وليس هناك الخلعة بحصرة مشايخ الديوان والتزم بونايرته بنشهيل مهمات الحج » . (٣) كان النشاط فى ديوان القاهرة قد لفر من قبل الثورة بأكثر من شهر . ويبدو ان ذلك كان تمهيدا للاعداد للنظام التشريعى الجديد . وقد أشار الجبرتى الى هذا فى حوادث يوم ١٦ ربيع الثانى (٢٧ سبتمبر) : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٦ ، -

وفى المنشور أشادا بموقف « صارى عسكر » الذى قبل شفاعتهم « ومنع عسكره من حرق البلد ونهبها لأنه رجل كامل العقل عنده شفقة ورحمة للمسلمين وحب للفقراء والمساكين ولولاه لهلك مصر أجمعين .. » .

وأشار الجبرنى الى هذا المنشور بقوله : « .. كتبوا ( اى الفرنسيين ) عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد والصقوا منها نسخا بالأسواق والشوارع » ، ثم أثبت نص النسخة الموجهة الى سكان القاهرة ( أهل مصر المحروسة ) .

وقد عثرنا على النسخة الموجهة الى « أهل اقليم رشيد » ( شكل ٤١ ) ( ١ ) . ولهذه النسخة أهمية تاريخية متعددة الجوانب :

١ - أنها خطية ، وهى بذلك برهان مادى على أن مطابع الحملة الرسمية لم تكن بعد قد بدأت تمارس نشاطها فى القاهرة ، اذ لو كانت هذه المطابع تعمل حينئذ لانتجت هذا المنشور بنسخه المختلفة .

٢ - أن مضمونها لا يكاد يختلف فى لفظه عن مضمون نص الجبرتى ، بل انه يكشف كذلك سقوط عبارة من هذا النص ، اما خطأ فى النقل من الكاتب أو الناسخ ، أو نتيجة خطأ مطبعى ، فنص الجبرتى يقول بعد الاستهلال (٢) « نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنسية » . وهذا كلام مضطرب ، يستقيم اذا أضيفت اليه العبارة الساقطة التى أثبتنا نص نسخة رشيد : « نعرف أهل اقليم رشيد .. انه حصل بعض فتنة وخلل بمدينة مصر من بعض الجعيدية وأشرار الناس فحركوا الشرايين .. » .

= يقوله « وفيه اهل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ .. فاستمروا اياما يذهبون فلم يأتهم أحد فتركوا المذهب فلم يطلبوا » . أما الديوان الكبير الذى انبثق عن « جمعية عمومية » ، وضم ممثلى القاهرة والأقاليم ، فقد مارس نشاطه فعلا طيلة الاسابيع اللذين سبقا نشوب الثورة ، وفى خلالهما اتخذ عدة قرارات مالية وقضائية . كما درس النظام الجديد المقترح للدواوين . ولكن فى أيام الثورة وما بعدها « بطل العمل بالديوان المعتاد » كما يقول الجبرنى (المرجع السابق ، ص ٢٩) . وكان طبعاً أن يستمر هذا التوقف بأمر بونايرت بعد ذلك «عقب اخماد الثورة عقابا لسكان القاهرة» ، كما يقول الراقى (مراجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٣٠٨) .

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) ج ٣ ، ص ٣٠ .

٢ - انه موقع عليها من نقيب الاشراف وعشره من علماء الازهر (١) . ومع انهم لم يضيفوا الى نوقيعاتهم أية صفات رسمية . فان اسماءهم هي بعينها اسماء أعضاء الديوان الذى توقف عمله باندلاع ثورة القاهرة . وقد ذكرهم الجبرتي من قبل ، بالاضافة الى اسم الشيخ محمد الأمير . وربما يكون قد اختير لعضوية الديوان فيما بعد . فقد تضمن مرسوم بونابرت الصادر فى ٢٥ يوليو ١٧٩٨ أسماء تسعة أعضاء من العلماء ( منهم محمد الأمير ) ، غير أن ثلاثة منها غابت أسماء ثلاثة أخرى ذكرها الجبرتي .

وقد أخذ الرافعى بقائمة الجبرتي (٢) . ولكنه خطأ فى اعتبار الشيخ محمد المهدي عاشر الأعضاء : بينما هو سكرتير ( كان سر ) اندبوان الذى اختاره اعضاؤه من خارج دائرتهم . ثم فسر اختلاف الأسماء الثلاثة بين النصين ، بأن أولئك الذين تضمنهم المرسوم كانوا بين غائب عن مصر ورافض لعضوبة الديوان .

ووقف الدكتور لويس عوض عند هذه النقطة ، فقال (٣) ان الاختلاف فى تلك الأسماء الثلاثة بين نص الجبرتي ومرسوم بونابرت « يشير الى وجود مرسوم بونابرتى ضائع يجب مرسوم ٢٥ يوليو . . فمن غير المعقول أن يباشر الدمنهورى والشبراخيتى والدواخلى فى التشكيل الجديد سلطة الوزراء عرفيا وبغير سند قانونى » . وبغض النظر عن تعبير « سلطة الوزراء » الذى بالغ فيه هذا الكاتب كثيرا ، فالذى لا شك فيه ان فكرة وجود مرسوم ضائع هي التفتاة وجيهة . ومن المحتمل فى هذه الحالة أن يكون التعديل المقترض قد أعاد تعيين الشيخ الأمير ، الذى لم يكن قد مارس مهمته بعد المنشور الأول .

{ - انها تثبت توجيه المنشور لاهالى مصر جميعا : وليس لاهالى القاهرة وحدها كما ظن بعض المؤرخين ، حتى فى أحدث ما ظهر من بحوث عن الحملة الفرنسية . فقد أشار الدكتور عبد العزيز الشناوى

---

(١) السيد خليل البكرى ، والمشاخ عبد الله الشرفاوى ومحمد المهدي وسليمان الفيومى ومصطفى الصاوى وموسى السرسى وأحمد العريشى ومصطفى الدمنهورى ويوسف الشبراخيتى ومحمد الدواخلى ومحمد الأمير .

(٢) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٩٧ - ٨ .

(٣) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١٤١ .



مثلا الى هذا المنشور (١) وعلق عليه بقوله : « كان هذا البيان موجها الى سكان القاهرة فقط ، خلافا لبيان اذاعه علماء الأزهر بتاريخ ٨ من جمادى الآخرة ٠٠ وكان موجها الى الشعب المصرى » (٢) .

وهذا المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتي انه صدر يوم اول جمادى الثانية عام ١٢١٣ ( يوافق ١٠ نوفمبر ١٧٩٨ ) . غير ان الرافعى يصحح هذا التاريخ (٣) الى ١٤ جمادى الأولى ( يوافق ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨ ) . اعتمادا على ما جاء بالترجمة الفرنسية للمنشور التى ظهرت بصحيفة « لوكوربييه » (٤) . وهذا التاريخ ولا شك أدق وأكثر اتفاقا مع الواقع مما ذكره الجبرتي . ففيه لم تكن مطابع الحملة الرسميه — كما قلنا — قد مارست نشاطها بعد فى القاهرة ، ولذا صدر ذلك المنشور بنسخه المتعددة مخطوطا . والواضح ان الجبرتي قد ناخر فى اثبات هذا المنشور كما كان يفعل كثيرا .

وبعد ابام اصدر العلماء منشورا آخر بعنوان : صورة نصيحة من علما الاسلام بمصر المحروسة . وقد قدم له الجبرتي بقوله (٥) : « ... كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ ... » . فضلا عن ملامح السياسة الاسلامية لبونابرت الواضحة فى هذا المنشور ، التى سبقت الاشارة اليها (٦) ، فان له عدة دلالات أخرى :

١ — انه صدر على لسان العلماء ، لا على لسان قيادة الحملة . ردا على محاولات دعائية من جانب المماليك والعثمانيين . وفى ذلك اثبات لزعامتهم ولحقهم فى توجيه الشعب فى مثل تلك المواقف . ويبدو ، كما يقول الرافعى (٧) ، أن منشور العلماء الأول « لم يكن له الأثر المطلوب فى تهدئة الخواطر ... لأن فكرة الثورة ... كانت قد عمّت الأقاليم ... وتواترت الأنباء بأن سلطان تركيا قد

(١) مرجع سبق ذكره ، هامش ص ١٤٢ .

(٢) هو البيان الذى تضمنه منشور سبق الحديث عنه فى صفحة ٩٤ ، وسعرس له مرة أخرى بعد قليل . وروايه الجبرتي بعسها تصحح استنتاج الدكتور الشناوى . فهو يقول فى التعديى لمنشور : « كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وارسلوها الى البلاد والحققوا منها نسخا بالاسواق والشوارع » .

(٣) ج ١ ، ص ٣١٩ .

(٤) بتاريخ ١٠ برومير سنة ٧ (٣١ أكتوبر ١٧٩٨)

(٥) عجائب الآثار ج ٣ ، ص ٣١ .

(٦) راجع ص ٩٤ .

(٧) مرجع سبق ذكره ج ١ ، ص ٣٢٠ .

جاءه الفرنسيين بالعداء . . » . ومن ثم طلب بونابرت من العلماء اذاعة هذا المنشور الثانى على لسانهم . ولا شك ان اصدار هذا المنشور على لسان العلماء يدل على تخطيط دعائى ذكى . فهم بالطبع اقدر من الفرنسيين على مواجهة دعاية المماليك واقناع المصريين بما يضادها .

٢ - انه يستثير كراهية المصريين للماليك ، مذكرا بطغيانهم ومظالمهم ، ثم يحاول تنفيذ دعواهم بانهم مؤيدون من السلطان وحكومته . وفى ذلك نديد بحكم المماليك ، وتأكيده لخلع مصر من هذا الحكم ولعدم شرعيته على السواء .

٣ - ان الجزء الأخير منه يؤكد من ناحية ان العلماء هم قادة الشعب الذين يتحدثون باسمه مع السلطات ، ويرسم من ناحية أخرى حدود علاقة الحاكم الفرنسى بالمصريين . فيقول العلماء فى هذا الجزء ان « حضرة صارى عسكر . . بونابرته اتفق معنا على انه لا ينازع احدا فى دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام . . الخ » .

٤ - ان الموقعين على هذا المنشور هم انفسهم الذين وقعوا المنشور السابق ، فيما عدا الشيخ يوسف الشبراخيتى . ولعله كان غائبا عن القاهرة لسبب ما ، أو لعله استبعد لعله لا ندرىها . والواقع اننا لا نلمح اسمه منذ ذلك الوقت فى أى تنظيم ، فلم يكن عضوا بالديوان العمومى أو الخصوصى ، ولا بالديوان الأخير الذى أنشأه منو .

٥ - انه اول منشور عربى طبع فى القاهرة . وهو بهذا يؤكد ان الانتاج العربى لطابع الحملة الرسمية بدأ فى الظهور منذ اوائل شهر نوفمبر ١٧٩٨ . وبذلك يصحح خطأ المؤرخين الذين قرروا ان مطابع الحملة لم تبدأ عملها - بعد نقلها من الاسكندرية - الا فى شهر يناير ١٧٩٩ (١) .

✽ وأقبل شهر رمضان عام ١٢١٣ . واهتم بونابرت هو ورجاله بأن يشاركوا المسلمين احتفالاتهم التقليدية بحلول شهر الصوم ، كما فعلوا

---

(١) راجع ص ٢٥ .

في مناسبات سابقة مثل المولد النبوي • وزاد في اهتمام الفرنسيين بمجاملة المسلمين اتفاق أول أيام هذا الشهر مع اليوم الذي بدأ فيه تحرك الحملة التي جردها بونا بورت لغزو بلاد الشام (٦ فبراير ١٧٩٩) ، وحرص القائد الفرنسي على تأمين ظهره في أثناء غيابه عن مصر •

وبدأ بونا بورت بأن أقام احتفالا كبيرا برؤية (باستطلاع) الهلال ، هيا له كل المراسم التقليدية ، وما اعتاده الناس من مظاهر التكريم والابتهاج ، والتفت كعادته الى كبار العلماء ليكونوا لسانه الذي يذيع به على الناس أنباء هذا الاهتمام • فاستكتب أعضاء الديوان الخصوصي منشورا وقعته الشراوى والمهدى ( شكل ٤٢ ) (١) •

وفي هذا المنشور أبرز العلماء عدة نقاط :

١ - فقد بدءوا خطابهم للشعب بقولهم انهم طلبوا من بونا بورت أن يأمر بفتح أسواق مصر في ليالي الشهر المبارك «حكم عاداتها السابقة» • وفي هذا الاستهلال البارع تأكيد لمكانهم القيادي وحقوقهم الرسمية التي يتيحها لهم تمثيلهم للشعب في الديوان •

٢ - وقالوا ان بونا بورت أجابهم «بالقبول والموافقة» • وفي هذا اثبات لموقف ديموقراطي للحاكم الفرنسي •

٣ - ثم قالوا ان بونا بورت أمر «باقامة شعائر الاسلام في مساجدها (أي مساجد القاهرة) العظام وعمرانها بالادكارى (أي بالاذكار) والجموع والقناديل والشموع وأمرنا ألا ننقص شيئا من شعائرها ونظامها وأن يدور في الليل أمراها (أي أمراؤها) وحكامها ليضمن بذلك الفقرا والمساكين وتنسر بذلك قلوب أمة سيد المرسلين •» • وفي هذا تنويه باحترام بونا بورت لمراسم الشهر الكريم وحرصه على تقاليده (٢) •

(١) هذا المنشور غير مؤرخ ، وإنما جاء في رأسه بالفرنسية انه «صدر بمناسبة الاحتفال الذي أقيم بالقاهرة عشية أول رمضان ، أى يوم ١٦ بلوفبوز سنة ٧» • وهذا اليوم يوافق ٤ فبراير ١٧٩٩ و ٢٨ شعبان ١٢١٣ • ويبدو ان هناك خطأ في التاريخ «الجمهورى» ، لان يوم الاحتفال باستطلاع هلال رمضان (أى ٢٩ شعبان كما نعرف) وافق عامته يوم ٥ فبراير و ١٧ (لا ١٦) بلوفبوز وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

(٢) الواقع أن السلطات الفرنسية ، بايعاز من بونا بورت ، جاملت المسلمين في هذا الشهر باللذات الى حد بعيد ، مما كان موضع عجب الناس • وكان من مظاهر هذه

٤ - وبعد ذلك وصفوا احتفال القائد الفرنسى بهذه المناسبة فى منزله .  
 واستقبله لوكب الرؤية العظيم الذى « لم يسبق مثاله ( أى مثاله )  
 ولم يتقدم فى الزمن السابق نظيره ومنواله » . وذكروا حسن  
 استقباله للعلماء وكبار الموظفين ، وعطفه على الفقراء والمساكين .  
 وفى هذا محاولة ذكية من بونابرت يستنر بها وراء ممثلى الديوان  
 ليتفرب الى الشعب حتى يظفر بوده ورضاه .

وقد وصف الجبرنى الاحتفالات التقليدية التى سبقت تبوت رؤية  
 علال رمضان فى تلك السنة ، ولكنه لم يذكر شيئاً عن احتفاء بونابرت  
 بهذه المناسبة ، مما يبرز الفارق بين النص التاريخى للجبرتى والنص  
 الدعائى للمنشور . قال الجبرتى (١) : « وفيه (٢٦ شعبان) أعرض ( أى  
 عرض ) حسن أغا محرم المحتسب لسارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لآليات  
 علال رمضان فرسم له بذلك على العدة القديمة فاحتفل بذلك المحتسب  
 احتفالاً زائداً وعملاً وليمة عظيمة فى بيته أربعة أيام ٠٠ وركب يوم  
 الثلاثاء (٢٩ شعبان) بالابهة الكاملة زيادة عن العدة ٠٠ وشق القاهرة على  
 الرسم المعتاد ومر على قائمقام (أى نائب القائد العام وحاكم القاهرة)  
 وأمير الحج وسارى عسكر بونابرته ثم رجع بعد الغروب الى بيت  
 القاضى ٠٠ » .

ولهذا المنشور أهمية خاصة . فمن الغريب أنه لم يرد ذكره مطلقاً  
 فى أى مرجع من مراجع الحملة الفرنسية . ولم يشر اليه الجبرتى الذى تابع  
 عهد الحملة يوماً بيوم ، أو نقولاً الترك الذى عاش أيام الحملة كذلك وسجل  
 أحداثها ونقل نصوص كثير من منشوراتها .

ولم يلبث بونابرت أن اجتمع فى اليوم الرابع من شهر رمضان هذا ،  
 وهو اليوم السابق على سفره للحاق بحملته السورية ، بالمشايخ  
 والوجاقات . وفى هذا الاجتماع أبلغهم بسفره للقضاء على البقية الباقية  
 من المماليك الذين فروا مع إبراهيم بك : « ٠٠ تكلم معهم فى أمر خروجه  
 للسفر وأنهم ( أى الفرنسيين ) قتلوا المماليك الفارين بالصعيد ، وأجلوا  
 باقيهم الى أقصى الجنوب ( أتباع مراد بك ) وأنهم متوجهون الى الفرقة

= المجاملة أن الفرنسيين كانوا يقيمون ولائم الافطار والسحور ويدعون اليها كثيراً من  
 المسلمين . ومنها كذلك التنبيه على المسيحيين ألا يجاهروا بالاكل أو الشرب أو  
 التدخين بمرأى من المسلمين ، وترك الحرية المطلقة للناس فى اجتماعهم وتحركهم ليلاً .  
 انظر : الجبرتى ، عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ٤٥ و ٤٨ : الشناوى ، مرجع سببى .  
 ذكره ، ص ١٨٠ - ٨٢ .

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٣ .

الأخرى ( أتباع إبراهيم بك ) بناحية عزة فيفطعونهم ( أى ليفضوا عليهم ) ويهدون البلاد الشامية لأجل سلوك الطريق ومشي القوافل والتجارات ٠٠٠ « (١) ٠ وأبلغ القائد الفرنسي المجتبعين أنه سيغيب سهرًا وأن عليهم « ضبط البلد والرعية » في مدة غيابه ، وأن ينهبوا « مشايخ الاخطاط والحارات كل كبير بضبط طائفته خوفاً من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر » ٠

ويقول الجبرتي أن المجتبعين « التزموا له بذلك وكتبوا له أوراها مطرعة على العادة في معنى ذلك والصقوها بالطرق ٠٠٠ » . ولكنه لم يذكر نص ما كتبوه ، ولم نستطع نحن العثور على أصله ٠ غير أن نقولاً الترك نقل نص هذا المنشور (٢) الذي اكتفى الجبرتي بالإشارة إليه في إيجاز شديد ٠

ويلعل أحد المؤرخين إيجاز الجبرتي (٣) بأن بونابرت لقب في المنشور لأول مرة بلقب «سلطان» ، وأن الجبرتي «ضن أن يكون في مصر لقب سلطان مع وجود سلطان آل عثمان خليفة المسلمين» ، ولذلك رفض تسطير المنشور ٠

وهذه ملاحظة تلفت النظر ، وقد تكون صحيحة ٠ غير أننا نلاحظ من ناحية أخرى أنه بالرغم مما يقال عن مبالغة بعض المؤرخين الفرنسيين عندما يؤكدون أن المصريين كانوا يلقبون بونابرت «بالسلطان الكبير» (٤)، فإن استخدام لقب «سلطان» مع اسم بونابرت لم يكن أمراً غير معروف في بعض وثائق ذلك العهد ٠ فقد عثرنا على أصل خطي لمنشور أصدره . باسم بونابرت ، بوسيلج مدير الشؤون المالية ، خاصاً ببعض الإجراءات ٠ وهو يبدأ بعبارة « من مشيخت السلطان بونابرتو جنرال أعني أمير عام على جيوش فرنساوى » ، ويختم بعبارة « تحريراً بنزول ( أى بمقر ) بونابرتو سلطان عام ٠٠ » ( شكل ٤٣ ) (٥) ٠ ويلاحظ كذلك أن تاريخ

(١) الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٤ - ٥ ، من حوادث ٤ رمصد ١٢١٣ ٠

(٢) ذكر تملك ... ص ٧٥ - ٧ ٠

(٣) أحمد حافظ عوض ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩٤ - ٥ ٠

(٤) مثل بينفيل ، انظر :

Bainville, Jacques, Bonaparte en Egypte, Paris, 1936, p. 53.

(٥) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ٠ ويلاحظ أن لغة هذا المنشور شديدة الركاسة ، وأنه يستخدم العاظا وتعبيرات كثيراً سما ٠

صمدور هذا المنشور قريب جدا من تاريخ المنشور سالف الذكر ، فهو محرز يوم ١٣ بلوفيوز سنة ٧ ، الذى يوافق ٢٥ شعبان ١٢١٣ وأول فبراير ١٧٩٩ ، أى قبل تاريخ إثبات ذلك المنشور فى الجبرتى بثمانية أيام .

ومهما يكن من أمر فقد وقع ذلك المنشور باسم الديوان - كسابقه - الشيخان الشرقاوى والمهدى ، وفيه بسطا ما ذكره الجبرتى موجزا عن اجتماع بونايرت «بالمشايع والوجافات» قبيل سفره :

١ - فهو يخبر المصريين أن « السر عسكر الكبير بونايرته » سوف « يغيب ثلاثين يوما لأجل محاربة ابراهيم بيك الكبير وبقية المماليك المصرية حتى تحصل الراحة الكلية للأقاليم المصرية » .

٢ - ويشرهم بأنه عن قريب سوف يأتهم و خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معه من المماليك نظير ما وقع فى قطيعة أخيه مراد بيك ومن معه فى اقليم الصعيد » .

٣ - ثم يتضمن بعد ذلك بعض عبارات الوعد والوعيد التى سنعرض لها فيما بعد .

ويلاحظ على الأسلوب الدعائى لبونايرت فى المنشورات التى أصدرها على لسان العلماء فى أعقاب ثورة القاهرة الأولى أنه تحاشى أن يشير الى عدائه مع الدولة العثمانية ، وإنما ركز هجومه على المماليك الذين خرجوا من مصر مع ابراهيم بيك ، وعلى أحمد باشا الجزار والى صيدا وعكا . وظل بونايرت متمسكا بالخط الدعائى الذى حددته منذ دخل مصر ، وهو أن الفرنسيين أصدقاء للسلطان العثمانى ، وأنهم ماحضروا الى هذه البلاد الا لتخليصها من طغيان المماليك وظلمهم . وبذل القائد الفرنسى جهودا مسميته فى سبيل الحيلولة دون أن يعلن العثمانيون عداءهم لفرنسا بسبب الحملة المصرية . ودعمت حكومة الإدارة هذه الجهود بعدة محاولات دبلوماسية .

هذا بينما كان الباب العالى قد انضم الى المحالفة الدولية ضد

---

= كان مالوفا فى منشورات ذلك العهد . ومن مراجعة المنشورات المائلة التى كان يصدرها أحيانا بعض كبار المسؤولين فى حكومة الحملة (خارج نطاق القيادة العامة) ، يتضح - بوجه عام - أن تحريرها لم يكن يلقى عناية كافية .

(١) انظر : محمد نؤاد شكرى ، الحملة التركسية ، ص ١٨٩ - ٩٦ .

فرنسا منذ أواخر سبتمبر ١٧٩٨ ، بالرغم من الجهود التي بذلها بوناپرت للجيلولة دون اتخاذ هذه الخطوة ، ومن المحاولات المتعددة لحكومة الادارة ندعيما لهذه الجهود .

✳️ وحرص بوناپرت طيلة غيابه عن مصر مع حملته السورية على أن يواصل العلماء قيامهم بتحرير المنشورات الى الشعب المصرى ، يضمونها ما يبعث به اليهم من أخبار انتصارات جيشه ، ويرددون نصائحهم ( أو نصائح بوناپرت ) التقليدية للمواطنين بالانصراف الى أعمالهم والتزام الهدوء وتجنب اثاره الفتنة . الخ .

فبعد استيلاء القوات الفرنسية على مدينة العريش ، تلقى علماء ديوان القاهرة أبناء هذا الحدث من الجنرال دوجا نائب (قائمقام) القائد العام ، فى رسالة أرفق بها رسالتين بعث بهما اليه بوناپرت ورئيس أركان حربه الجنرال برتية ، تتضمنان تفصيلات تلك الأنباء .

وقد أذيعت رسالة دوجا ومعها رسالتا بوناپرت وبرتية فى منشور عثرنا على طبعته الفرنسية ، وعنوانها : « من الجنرال دوجا الى أعضاء ديوان القاهرة (شكل ٤٤) (١) وواضح أن هذه الطبعة تهدف الى اعلام جنود الجيش الفرنسى الذين لم يخرجوا مع الحملة السورية ، وأعضاء المجمع العلمى ، ثم الأجانب المقيمين فى مصر بأميرين ، هما :

١ - أبناء الانتصار الفرنسى فى العريش ، من ناحية ؛

٢ - أن هذه الأنباء أبلغت فى الوقت ذاته الى أعضاء الديوان لاذاعتها على المصريين ، من ناحية أخرى .

ويلفت النظر فى رسالة دوجا الى العلماء قوله ان القائد العام بعث اليه بثلاثة عشر بيرقا غنمتها القوات الفرنسية من الممالك ، وانه أمر بأن تعلق هذه البيارق على الجامع الأزهر ، « رمزا لانتصاره على الجزائر وعلى أعداء المصريين » .

وختم دوجا رسالته قائلا انه يرفق بها التفصيلات التي تلقاها من القائد العام ورئيس أركان حربه . وطلب من العلماء أن يبادروا بالعمل على طبعها واعلام الناس بها . وطلب أن يذيعوا على الناس كذلك أن القائد

---

(١) بتاريخ ١٣ فنتوز سنة ٧ (يوافق ٣ مارس ١٧٩٩ و ٢٦ رمضان ١٢١٣) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

انعام رأى أن يتم الاحتفال بذلك الانتصار ، مع الاحتفال بختام شهر الصوم .

وأصدر العلماء بالفعل منشورا ، ذكروا فيه انتصار الفرنسيين وسقوط قلعة المدينة ، ونوهوا بعفو « السر عسكر » عمن استسلموا من الماليك وقوات الجزائر باشا . ثم وجهوا النصح للمواطنين كالمعتاد ، بعد أن طمانوهم الى تأمين طريق القوافل التجارية بين مصر و « بر الشام » (١) . وهكذا نفذ كبار العلماء ما طلبه القائد العام ، فأبلغوا رسالته الى الشعب ، ورددوا بالضبط ما تضمنته من معلومات . وبذلك قاموا بدور الوسيط الاعلامي . ولكنهم في الوقت نفسه كانوا بهذا العمل يحققون سياسة بونابرت الدعائية في ابراز مكانهم القيادي من الشعب ، وفي اسباغ صفة « المصرية » على حكومة الحملة وجيشها .

وتأكيدا لهذا الخط الدعائي اشترك العلماء فعلا في الاحتفال برفع البيارق التي غنمها الفرنسيون فوق الأزهر ، بعد أن تسلمها الشيخ الشرقاوي رسميا « فنصبوا يرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال يرقا وعلى منارة أخرى يرقا ثالثا ٠٠ » (٢) .

وقد عزز بونابرت فكرته في اسباغ صفة المصرية على جيش الحملة السورية برسالة بعث بها في هذه المناسبة الى نائبه الجنرال دوجا من العريش ، وطلب اليه فيها مقابلة أعضاء الديوان والاتفاق معهم على الاحتفال باستقبال البيارق « ٠٠٠ واذا كان في الاستطاعة تنظيم هذا الاحتفال بطريقة طبيعية فضعوها ( البيارق ) في الجامع الأزهر رمزا للانتصار الذي أحرزه جيش مصر على جند الجزائر وأعداء المصريين » (٣) .

وتكرر قيام العلماء بهذا الدور بعد استيلاء القوات الفرنسية على مدينة غزة . فقد أرسل الجنرال برتبيه أخبار هذه الواقعة الى الجنرال دوجا وقرئت بالديوان ، ثم أصدر العلماء بها منشورا كسابقه ضمنوه

(١) لم ينقل الجبرتي نص هذا المنشور ، ولكنه اشار الى حادث الاستيلاء على العريش وحضور الرسل بهذه الانباء (عجائب الآثار ج ٣ ، ص ٤٥ - ٦١) . هذا بينما أثبتته نقولا الترك (ذكرى محمد ٠٠ ، ص ٧٩ - ٨١) ، وذكر أن موقعه كانوا : البكرى والشرقاوي والمهدى ، وقد نقله عنه أحمد حافظ نوح (مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠٣ - ٤) . ولم نستطع العثور على نسخة أصلية منه .  
(٢) الجبرتي : المرجع السابق ج ٣ ، ص ٤٦ - ٧ .  
(٣) مراسلات نابليون ، ج ٥ ، وثيقة ١٩٨٧ .



ما بلغهم من تفصيلاتها • وختموا هذا المنشور بقولهم : « هذا ما وقع  
لملكهم لغزة وقد أخبرناكم على ما وقع في كيفية ملك العريش سابقا  
فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله وتأدبوا في أحكام مولاكم الذي  
خلقكم وسواكم • • • » (١) •

وبعد أن استولى الفرنسيون على مدينة يافا وقلعتها (٢) وردت  
الأنباء بتفصيلات هذا الحدث ، وأصدر بها علماء الديوان - كالمعتاد -  
منشورا الى الشعب ، طال في هذه المرة الى أكثر من ثمانين سطرا  
( شكل ٤٥ ) (٣) • وهذا المنشور لا يختلف كثيرا عن سابقه ؛ فهو مليء  
بتفصيلات المعارك والأسلاب ، وحافل بالطعن في الجزار والماليك ؛ وهو  
يردد في البدء والختام دعوة المواطنين الى التسليم بقضاء الله الذي يهب  
ملكه من يشاء • وقد وقع كذلك خليل البكري نقيب الأشرف وعبد الله  
الشرقاوي رئيس الديوان ومحمد المهدي كاتم سره •

ومع أن الاستيلاء على يافا قد صحبته مذبحة من أبتسح ما عرف  
التاريخ ، سجلت أحداثها الرهيبة أقلام عدد من شهودها العيان ، فقد  
أغفل المنشور أهم التفصيلات المشينة للجيش الفرنسي ، وحول غيرها الى  
بطولات وأمجاد ، ثم حرص على امتداح سلوك بونابرت والإشادة  
بانسانيته !

وقد ذكر الجبرتي نص هذا المنشور (٤) ، وقدم له بقوله : « حضر  
عدة من الفرنسيين وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر  
وأخبروا أن الفرنسيين ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من ساري عسكرهم  
بالاخبار عما وقع فلما كان يوم الخميس ( ١٤ شوال ١٢١٣ ) واجتمع  
أرباب الديوان فقرا ( ٩ ) عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها وترصيفها على  
هذه الكيفية وهي عن لسان رؤساء الديوان الى الكافة وذلك بالزامهم  
وأمرهم بذلك وصورتها • • • »

(١) كان الاستيلاء على غزة يوم ٢٤ فبراير ١٧٩٩ (الموافق ١٩ رمضان ١٢١٣) •  
وقد أورد الجبرتي نص هذا المنشور في ختام تاريخه لحوادث شهر رمضان دون  
ماتحديده ليوم صدوره : ج ٣ ، ص ٤٧ - ٨ • ولم نعث على نسخة مطبوعة منه •

(٢) لم ذلك في يوم ٧ مارس ١٧٩٩ (الموافق آخر رمضان ١٢١٣) •

(٣) من محفوظات المكتبة القومية ببغداد ، وهو غير مؤرخ •

(٤) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٩ - ٥١ ، في حوادث يوم ١٣ شوال ١٢١٣

(٢٠ مارس ١٧٩٩) •

وبعض من عبارات الجبرني اشارتين بالغنى الاهمية :

١ - أن الأنباء التي حضرت بها الرسل من القيادة العامة لحملة سوريا عربت وفرت بالديوان في أقل من أربع وعشرين ساعة . ويدل ذلك على حرص السلطات الفرنسية على تأكيد أهمية الديوان ومكانه من المسئولية العامة .

٢ - أن أقطاب الديوان أصدروا ذلك المنشور على لسانهم بأمر السلطات الفرنسية . وتؤكد العبارات بما لا يدع مجالا للشك أن أولئك الزعماء كانوا يصدرن المنشورات تنفيذا لمخطط دعائي مدروس؛ ذي أهداف سياسية معينة .

✳ واصلت قوات الحملة السورية تقدمها بعد احتلال يافا ، وبدأت حصارها لمدينة عكا (١) . وطال الحصار بعد أن توالى النكبات على الجيش الفرنسي ومال ميزان القوة الى غير جانبه ، فلم تعد قيادته تبعث الى القاهرة بأنباء معاركها كالمعتاد .

وفي الوقت نفسه كانت المقاومة في صعيد مصر تشتد في وجه القوات الفرنسية الزاحفة جنوبا لتتم احتلال البلاد .

وتسربت الأخبار الى القاهرة . وأخذ الناس يلفطون ، وانتشر القيل والقال . وبدأ أن الأمر في حاجة الى منشور جديد على لسان المشايخ ، يستأنف الحديث عن قوة الفرنسيين وانتصاراتهم ، ويحذر الناس من تصديق الأخبار الكاذبة . وفعلا أصدر العلماء المنشور المطلوب .

ويقول الجبرني في تقديمه لهذا المنشور (٢) : لخص الفرنسيون طوماراقرىء بالديوان وطبع منه عدة نسخ وأصبحت بالأسواق على العادة وكان الناس أكثر من اللفظ بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيين المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلاني والأشراف الذين معه (٣) وغير ذلك وصورتها «...» .

(١) يوم ١٩ مارس ١٧٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج ، ص ٥٦ - ٧ . في حوادث يوم ٢٧ ذي القعدة ١٢١٣ (مايو ١٧٩٩) . ولم نثر على نسخة مطبوعة من هذا المنشور .

(٣) الشيخ الكيلاني ( أو الجيلاني ) رجل مغربي « كان مجاورا بمكة والمدينة والطائف » . فلما رددت أخبار الحملة الفرنسية على مصر قاد الكيلاني حركة تدعو الى الجهاد ضد الفرنسيين عن طريق التطوع لمساعدة المصريين في الدفاع عن بلادهم . =

وقد اتبع في هذا المنشور الأسلوب الاعلامي نفسه الذي اتبع من قبل في منشورات العلماء التي أصدروها بعد قيام الحملة السورية . فقد أبلغوا مضمونه والتعليمات الخاصة بإصداره من الجنرال دوجا نائب القائد العام . وفي هذه المرة كان دوجا قد تلقى نص ما يراد إبلاغه من زميله حاكم دمياط الذي تلقاها بدوره من بونابرت .

ويتضمن المنشور نص رسالة بونابرت التي تحدث فيها عن سلامة موقف القوات الفرنسية ، وذكر عدة تفصيلات مبالغ فيها عن قوة الفرنسيين ، ثم بشر بقرب سقوط عكا « (١) » .

وبعد أن فرغ العلماء من ذكر رسالة القائد العام وجهوا الخطاب الى مواطنيهم ، فكذبوا ما شاع بينهم من حديث عن الأشراف : « والحال ان الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت أخبارهم... بأن الأشراف المذكورين الذين بصحبة الكيلاني قد مزقوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا... » .

ويتضح من نص نداء العلماء في هذه المرة كذلك أنهم أصدروه بأمر السلطات الفرنسية . فقد قالوا في مستهلها : « أرسل إلينا بالديوان حضرة الوكيل ساري عسكر دوجا... يخبرنا بصورة هذا المكتوب ويأمرنا اننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والانصاف ويتركوا الكذب والخراف... » .

---

= واستجاب له عدد كبير من العرب ، فعبروا البحر الى القصير ، حيث انضموا الى قوات الثوار ضد الزحف الفرنسي على الصعيد . وقد مات الكيلاني في اثناء عمليات المقاومة هذه ، وكانت وفاته في شهر ذي القعدة ١٢١٣ (ابريل ١٧٩٩) (الجهري ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٤ ، ٥٧) . وأما الاشراف فهم زعماء مكة الذين قادوا حركة جهاد كبيرة لتدعيم مقاومة المماليك والمصريين بالصعيد . وقد نجحوا في تكوين قوة من نحو ثمانية آلاف رجل من اهالي مكة والمدينة وينبع وجدة والطائف وغيرها ، أبلوا في مقاتلة الفرنسيين بالصعيد بلاد حسنا . وبذلك كان الفرنسيون يواجهون في زحفهم على مصر العليا مقاومة اشتركت فيها ثلاثة عناصر هي : المصريون من فلاحين وأعراب ، والمماليك الذين انسحبوا جنوبا بعد مقاومة اميابة ، وعرب الحجاز المتطوعون . انظر : الرافعي ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، الشناوي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٦ .

(١) هذا مع ان الفرنسيين بدءوا يرفعون الحصار عن عكا ويتجهقرون عائدين الى مصر ، بعد صدور المنشور بخمسة عشر يوما . وذلك لفشلهم اللريع في اقتحام حصونها ، ولما منوا به من خسائر فادحة في الحصار .

واختتم «رؤساء الديوان» هذه الدورة الاعلامية التي صاحبت الحملة السورية بمنشور طويل أصدره عقب عودة بونايرت بجيشه ، بعد أول اندحار فى حياته أمام عكا ، التي صمدت بشجاعة لحصاره أكثر من شهرين .

ولقد حرص القائد المندحر على أن تكون عودته مظاهرة ضخمة يستر بها فئسله ويكذب ما أشيع عن وفاته من ناحية ، ومناسبة تعزز سياسته فى التقريب بين المصريين والفرنسيين من ناحية أخرى . ولذلك دخل القاهرة دخول الظافرين فى موكب ضخم ، اشترك فيه رسميا كبار المصريين وذوو المكانة فيهم مع غيرهم من المستولين . ثم أقيمت الاحتفالات «مثل أيام الاعياد والمواسم» ، كما يقول الجبرتي (١) واستمرت ثلاثة أيام .

واحتاج الأمر الى خطاب يوجهه بونايرت الى الشعب ، يدعم به هذه المظاهرة ، ويرد فيه على التساؤلات التي ثارت والشائعات التي انتشرت فى غيبته . ومن ثم صدر ذلك المنشور على لسان العلماء (٢) .

والى جانب العبارات الدعائية التي تتصل بسياسة بونايرت الاسلامية ، والتي سبق أن أشرنا اليها ، فان محتوى هذا المنشور يدور حول النقاط التالية :

١ - التأكيد على أهمية مكانة الزعماء المصريين ، والتنويه فى الوقت نفسه بحسن الصلة بينهم وبين القائد الفرنسى ، فقد خصهم بذكر استقبالهم لبونايرت ، ومرافقتهم اياه فى دخوله القاهرة : «... ودخل الى مصر من باب النصر ... وصحبته العلماء الأزهرية والسادات والبكرية ...» .

(١) وصف الجبرتي بالتفصيل موكب دخول بونايرت وجيشه الى القاهرة . ولم يمتعه أن يلاحظ ، رغم كل المظاهر ، أن الجنود الفرنسيين قد « اصفرت ألوانهم وقاموا مشقة عظيمة من الحر والتعب » .. وعلق على ذلك بأنهم « أقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيمة ليلا ونهارا وأبلى أحمد باشا (الجزاير) وعسكره بلاء حسنا وشهد له الخصم ... المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦٩ ) .

(٢) أورد الجبرتي - كما ذكرنا من قبل - نصه ، وذكر أنه صدر يوم ١٩ محرم ١٢١٤ (٢٣ يونيو ١٧٩٩) ، أى بعد وصول بونايرت الى القاهرة بتسعة أيام (انظر ص ٩٥ - ٩٦ ) .

٢ - محاولة انبات قيام العلاقات الطيبة والمشاعر الودية المتبادلة بين المصريين وسارى عسكر . فقد « . . خرجت سكان مصر جميعا لملاقاته . . » ثم ان « حبه لمصر واقليمها شيء عجيب ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها وزرعها بفكره وتدييره المصيب يجب الخير لأهل الخير والطاعة ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة . . »

٣ - تكذيب ما شاع ولغظ به الناس ، من ان بونا برت قد قتل فى حصار عكا وخلفه غيره فى قيادة الجيش الفرنسى . فقد بدأ المنشور بوصف وصول بونا برت الى مشارف القاهرة « سليما من العطب والاسقام . . » وقال أن مستقبله جميعا تحققوا من انه « . . الأمير الأول بونا برت بذاته وصفاته وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه . . » والنزاع أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز (الماليك) الهاربة . . » وقد كانت هذه النقطة هى الوحيدة التى لفتت نظر الجبرتي فعلق عليها ، بعد أن أثبت نص المنشور ، بقوله : « وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من الشام بان سارى عسكر بونا برت مات بحرب عكا وتناقله الناس وانهم ولوا خلافه فهذا هو السبب فى قولهم فى ذلك الطومار : وقد حضر سليما من العطب فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته الى آخر السياق المتقدم » .

٤ - الطعن على الماليك و « العربان » الذين « يسعون فى الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين » ويريدون كذلك « وقوع الناس فى الهلاك والضرر » .

٥ - مهاجمة الجزار بقسوة ، ووصفه بأقبح النعوت ، وتصويره للمصريين بصورة الطاغية السفاح الذى كان يستهدف الاستيلاء على مصر « . . لأخذ أموالها وهتك حريمها . . » . ويلاحظ فى هذا الصدد ان المنشور تحاشى تماما أن يشير الى أى عداء مع السلطان العثمانى ، وانما ركز على أن حملة سوريا كانت لمحاربة الجزار وردة ، والماليك الهاريين ، عن غزو مصر !

٦ - تبرير عودة بونا برت بجيشه الى مصر . فقد أكد المنشور على لسان العلماء ، أن ذلك كان لسببين : « الأول ، انه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر ووعد الحر دين عليه . . والسبب الثانى أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشور فى بعض الأقاليم والبلدان فلما حضر سكنت الفتنة وزالت

الانصرار مثل زوال الغيم عند شروق الشمس وسط النهار ، • أى ان العودة لم تكن أبدا بسبب الفشل فى اقتحام حصون المدينة بعد حصارها الطويل ، وهو ما علمه المصريون يقينا وثرثروا به . وردده الجبرتى كما رأينا .

وتبقى على هذا المنشور بعد ذلك ملاحظتان :

١ - انه بينما اكتفى فى المنشورات المشابهة السابقة بتوقيع رئيس الديوان الخصوصى وكاتم سره ، او بتوقيعهما مع توقيع نقيب الأشراف ، فقد وقع على هذا المنشور ثمانية • ومن هؤلاء ستة من الأعضاء الأصليين فى الديوان ، هم : البكرى نقيب الأشراف ، والمشايخ الشرقاوى والمهدى والصاوى والفيومى ، وأحمد المحروقى كبير التجار • والاثنان الباقيان هما : يوسف باشا جاويش ، وعلى كتحدا باشا اختيار مستحفظان ، وهما من رؤساء الاوجاقات (١) • وأول الاثنين كان عضوا بالديوان العمومى ، أما ثانيهما فلعله حل محل عضو آخر نظره بذلك الديوان • ويبدو أنه كان قد حدث تغيير فى تكوين الديوان الخصوصى بحيث أصبح يضم - كالديوان العمومى - ممثلين عن الاوجاقات ، لان المنشور يبدأ بعبارة « من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر » •

ولا شك ان هذا التوسع فى قائمة الموقعين على المنشور ، بحيث أصبحت تضم - الى جانب الثلاثة الكبار - اثنين من العلماء وممثلا لطائفة التجار واثنين من رؤساء الاوجاقات ، لأمر ذو دلالة • فهو يشير الى الأهمية التى كان يعلقها بونا بورت على المنشور ، الذى صدر بعد عودته من مغامرته السورية فى ظروف غير مواتية •

٢ - ان كلا من النص الذى أورده الجبرتى والذى نقله نقولا الترك لهذا المنشور يختلف عن النص الأسمى للمنشور فى عدة أجزاء • ويدل هذا على وقوع التحريف أحيانا فى رواية هذين المؤرخين المعاصرين للحملة ، كما سبق القول • ويؤكد ذلك أهمية النسخ الأصلية للمنشورات •



ولم يقتصر تكليف ممثلى الشعب باصدار المنشورات على المناسبات التى تتصل بالسياسة العامة لقيادة الحملة ، وانما امتد ذلك أيضا الى

(١) نقلا عن النص الذى أورده نقولا الترك •

بعض الشئون الداخلية . وسنتعرض لهذه المنشورات التي يغلب عليها الطابع الاعلامي الخالص ( الاخبارى ) فيما بعد .

ولا شك ان فى تكليف الديوان باصدار مثل هذه المنشورات اعترافا ، ولو شكليا ، بشخصيته وبشرعية نيابته عن الشعب . غير انه من المبالغة أن يؤخذ ذلك دليلا على اتساع سلطات الديوان وشمول ولايته . فالواقع ان الدواوين التي أنشأها الفرنسيون ، بصورها المختلفة ، لم تكن سوى تنظيمات نيابية محدودة السلطان . وهى تمثل تجربة جديدة لتنمية الشخصية المصرية ، عن طريق تعويد القيادات الوطنية على ممارسة عقد المجالس والمشاركة الضيقة فى تحمل أعباء الحكومة . وكان الفرنسيون يتخذون من هذه المنظمات واجهة دستورية يستعينون من ورائها بمكانة الأعضاء على تفهم آراء الشعب ومطالبه ، ووسيلة تمكن الحاكم من انجاز المشروعات التي يرى تنفيذها من غير اصطدام مع الأهالى . والهدف من ذلك ضمان التفاهم مع المصريين من جانب ، وتوطيد السيطرة الفرنسية من جانب آخر (١) . ولم يكن نفوذ أعضاء الديوان يتجاوز بعض المسائل التفصيلية التي لا تتعارض وسياسة الحملة .

وتمشيا مع هذه الخطة التي انتهجها بونابرت لتأكيد مكانة أعضاء الديوان من الشعب من ناحية ، ولإستغلال هذه المكانة من ناحية أخرى ، لم يكتف بان يصدر هؤلاء الأعضاء على لسانهم بعض المنشورات التي يوحى بها هو أو من ينوب عنه ، وانما كان يصدر هو نفسه أحيانا منشورات تتضمن بعض رسائله اليهم .

ومن ذلك المنشور الذى يحوى رسالته الى « السادات العلماء » بشأن عزل قاضى قضاة مصر التركى وتعيين خلف مصرى له ، والذى سبق أن أشرنا اليه عند الحديث عن سياسة بونابرت الاسلامية (٢) .

وهذا المنشور من أخطر المنشورات التي أصدرها بونابرت . فهو وثيقة تاريخية تحمل عدة دلالات بالغة الأهمية على سياسته الوطنية :

لقد أصدره بونابرت بعد عودته من مغامرته السورية بأيام . وكان « ابراهيم أدهم بجمقشى زاده » قاضى القضاة التركى ( قاضى العسكر )

(١) أنظر : محمد مؤاد شكرى ، الحملة الفرنسية ١٧٩٨ ، ص ١٧١ .

(٢) راجع ص ٩٦ .

فد خرج على الحكم العرنسي في أثناء الحملة ، وانضم مع مصطفى بك ( أمير الحج ونائب الوالي التركي ) الى المعسكر العثماني (١) . ومن ثم ندب الجنرال دوجا ( قائمقام ساري عسكر ) « ملا زاده » ابن القاضي مكان أبيه . ليصرف الأحكام مؤقتا .

ولكن بونايرت رأى أن يحسم الأمر باتخاذ خطوة جديدة جريئة . لقد قرر تغيير النظام القضائي كلية ، بتمصير هذا المنصب الذي كان صاحبه منذ الفتح العثماني تركيا . فقبض على ابن القاضي الهارب ، وأرسل رسالة الى أعضاء الديوان أخبرهم فيها بذلك وطلب منهم أن « يقتنعوا ويختاروا » شيخا من العلماء « يكون من أهل مصر ومولودا بها ينول القضاء ويقضى بالأحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأى العلماء للعلماء » (٢) . وبالفعل اختار العلماء الشيخ أحمد العريشي عضسو الديوان وأرسلوا الى بونايرت بذلك ، فأقر اختيارهم واحتفل رسميا بالقاضي الجديد ، ثم أفرج عن ابن القاضي المعتقل استجابة لشفاعاة العلماء .

وقد سجل بونايرت هذا الحدث التاريخي في صدر منشوره ، فقال : « ٠٠ إن القاضي لم أعزله وإنما هو هرب من اقليم مصر ٠٠ وخان صحبتنا ٠٠ وكنت استحسننت أن يكون ابنه عوضا عنه في محل الحكم في مدة غيبته ويحكم بدله ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام لانه صغير السن ليس هو أهلا للقضاء فعلمتم ان محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعي يحكم الشريعة واعلموا اني لأحب مصر خالية من حاكم شرعي يحكم بين المؤمنين فاستحسننت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقلائهم » . وأشاد بالعلماء ، مستثيرا احساسهم بمكانتهم ، ، فقال : « ٠٠٠ والعامل يعرف ان علماء مصر لهم عقل وتدريب وكفاية وأهلية للأحكام الشرعية يصلحون للقضاء أكثر من غيرهم في سائر الأقاليم ٠٠٠ » .

(١) طلب بونايرت ، قبل خروجه في الحملة السورية ، أن يصحبه مصطفى بك كتخد (وكيل) الباشا ، وقاضى العسكر ، وأربعة من علماء الأزهر ، «وجماعة أيفسا من التجار والوجاقية ونصارى القبط والشوام» ، وذلك لتعزيز مركز حملته دينيا وسياسيا . وقد خرجوا بالفعل الى الدلتا ، ولكنهم لم يكملوا رحلتهم لاسباب لا محل للذكرها . ونجح الكتخد وقاضى العسكر في اللحاق بمعسكر العثمانيين ، بينما رجس العلماء «الوجاقية والتجارة» الى القاهرة . انظر : الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٣ - ٥٤ .

(٢) الحبرني . المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٧٢ .



ولا شك أن هذا الاجراء التمصيري الخطير له أكثر من دلالة : فهو يكسب المصريين حقا يختصون به ، لم يكن لهم من قبل . ثم هو ، كما قال الرافعي (١) ، « خطوة كبرى في سبيل تقدم النظام القضائي بمصر ، لان حكومة الآستانة لم تكن ترسل الى مصر سوى قضاة أكثرهم جهلاء لا يعرفون لغة البلاد وليس لهم قدم راسخة في العلم ولا في القضاء » . وفي تعيين قاضي القضاة بعد اختياره بالانتخاب من بين العلماء تكريم لهم ، وتقدير لأهمية هذا المنصب الخطير وضرورة ارتباطه بالتفقه في العلوم الشرعية ، كما أن في ممارسة الديوان لهذا العمل تقريرا لمبدأ ديموقراطية على قدر كبير من الأهمية .

٢ - وفي هذا المنشور أسفر بونابرت لأول مرة عن موقفه العدائي الصريح من الدولة العثمانية ، وأعلن قطع كل علاقة تربط مصر بها . ويتصل هذا الموقف اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت الوطنية ، كما انه كان من ناحية أخرى تداعيا منطقيا لقراره بتمصير ذلك المنصب الكبير ، الذي كان صاحبه يعين بفرمان سلطاني . فهو يقول للعلماء : « وعرفوا أهالي مصر انه انقضت وقرغت دولة العثملي من أقاليم مصر وبطلت أحكامها منها وأخبروهم أن حكم العثملي أشد تعباً من حكم الملوك (٢) وأكثر ظلماً » .

ولتأكيد انقضاء تبعية مصر لدولة الخلافة قال بونابرت : « مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعاً أن يكون لابسا من عندى وجالسا في المحكمة ... » . ويقصد بتعبير « اللبس » هنا الحفل التقليدى الذى يقدم فيه الى القاضي الخلع الدالة على تعيينه في منصبه الجديد . وقد أقيم ذلك الحفل فعلا - كما أسلفنا - فذهب العلماء « ... الى بيت سارى عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشى فألبسه فروة مثمعة وركبوا جميعاً الى المحكمة ... » (٣) .

(١) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٢) يقصد «الماليك» كما جاء في الاصل الفرنسى للمنشور ، ولعله خطأ من الجبرى في النقل كما كان يحدث كثيرا ، او لعله تحريف من ناقل نسخة الجبرى الاصلية او خطأ مطبعي . انظر : مراسلات نابليون ، ج ٥ ، وثيقة ٤٢٢٤ .

(٣) هذا الاجراء الذى يرمز الى قرار تقليد السلطة كان مألوفا في العرف الدستورى الاوروبى كذلك . ولفظ « investiture » الذى يدل عليه يفيد في اصله معنى «اللبس» او «الكسو» . انظر : لويس عوض ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

وفد عزز بونايرت هذا الاجراء برسالة وجهها الى حكام الاقاليم ،  
كلفهم فيها ان يبلغوا اعيان البلاد بما حدث ، وبانه ينبغي أن يتلقى قضاة  
الأقاليم تقليد القضاء من قاضي القضاة المصرى . وكرر اعلان انتهاء  
السيادة التركية على مصر والتنديد بالحكم العثمانى الذى هو أشد ظلما  
من حكم الماليك » (١) .

٣ - وكان مجرد تسجيل هذا الوضع الجديد وملابساته ، والاشارة  
الى ما دار بشأنه من اتصالات مع أعضاء الديوان ، فى منشور يطبع ويذاع  
على الشعب باسم بونايرت ، عملا اعلاميا دستوريا ، يؤكد به القباة  
الفرنسى سياسته الوطنية الديموقراطية ، ويلتمس به سندا مصرىا شعر  
بحاجته الشديدة اليه بعد الحملة السورية .

### \*\*\*

تخرج موقف بونايرت فى مصر بعد فشل حملته السورية . فقد  
تحركت قوات العثمانيين ، بمساعدة حلفائهم الانجليز ، بحرا نحو  
الشواطىء المصرية ، لاسترداد البلاد من الفرنسيين . وبعد عودة بونايرت  
الى القاهرة بشهر (٢) ، نزل الأتراك الى شاطىء أبو قير وأخذوا يحصون  
مواقعهم . وفى الوقت نفسه كان الفرنسيون يواجهون بعض المتاعب  
الداخلية ، فقد اشتدت حركات المقاومة ضدهم فى عسدد من الاقاليم  
المصرية . وكذلك حاولت بعض السفن الانجليزية ضرب الاسكندرية .

تحرك بونايرت بسرعة لمواجهة الحملة العثمانية ، وعسكر فى  
الرحمانية بعد وصول العثمانيين . ومن هناك ، وقبل أن يشتبك فى أية  
معركة ، واصل سياسته الجديدة التى اتضحت منذ عاد الى القاهرة .  
وكانت هذه السياسة تستهدف توثيق علاقته بالعنصر المصرى ، عن طريق  
الاتصال بزعماء الشعب ، وإدارة لون من « الحوار » معهم يستهدف  
اشراكهم معه - شكليا - فى خطته ومشروعاته ، ثم اذاعة مضمون هذه  
الاتصالات على الشعب لكسبه الى جانبه (٣) .

(١) مراسلات قابليون ، ج ٥ ، وثيقة ٤٢٣٨ .

(٢) فى ١٤ يوليو ١٧٩٩ .

(٣) الواقع ان هذه السياسة قد بدت بوادها منذ اخفاق بونايرت فى حصار  
مكا . فمن هناك بعث الى « محفل ديوان مصر » برسالة ، ذكر لهم فيها قرب عودته الى  
مصر ، وتحدث عن انتصاراته وغنائمه ، وابلغهم بعض انبائه . ولكن هذه الرسالة لم  
تطبع ، وانما تليت بالديوان لحسب . (انظر : الجبرتى ، عجائب الآثار ، ج ٣ ،  
ص ٦٧ - ٨) .

ومن معسكر الرحمانية بعث بونابرت برسالة الى « ديوان مصر المحروسة » ، هي بمثابة تقرير الى ممثلى الشعب من القائد الذى ذهب لمحاربة أعداء البلاد . وقد طبعت هذه الرسالة فى منشور يحمل تاريخ تحريرها (١) ، رسبق أن تعرضنا للناحية الاسلامية من مادتها (٢) .

وفى هذا المنشور بالغ بونابرت فى تقربه وتودده الى أعضاء الديوان . فقد بدأ خطابه لهم بقوله : « نخبر محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير . . » . وبعد أن وجه لهم « مزيد السلام وكثرة الاشواق . . . » ، وصفهم « بالمكرمين العظام » .

ثم اشار الى أن قوات العثمانيين بدأت تنزل الى البر عند أبو قير ، وقال : « . . . وأنا الآن تاركهم وقصدى انهم يتكاملوا الجميع فى البر وأنزل عليهم أقتل من لا يطيع وأخلى بالحياة طايعين وآتيكم بهم محبوسين تحت اليسق (٣) لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر » .

وحاول استثارة الشعور الوطنى ضد العثمانيين الذين سبروا حملتهم للانضمام الى « المماليك والعربان . . . » لأجل نهب البلاد وخراب الاقليم المصرى ، ثم هاجمهم من زاوية جديدة ، هى انهم – كما سبق القول – متحالفون مع الروس (الموسقوا) أعداء الاسلام . وقد أوغل بونابرت فى تشويه صورة العثمانيين من هذه الزاوية ، محاولا بذلك زعزعة مايربط المصريين بهم من وشائج روحية . وكان ذلك ضروريا فى الوقت الذى تعددت فيه الاضطرابات الداخلية ، وأنعشت أنباء قدوم العثمانيين أمل المصريين فى الخلاص من الحكم الفرنسى (٤) .

وتأكيدا للصفة النيابية والمركز القيادى لديوان القاهرة قال

(١) ١٧ صفر ١٢١٤ (بوانفى ٢١ يوليو ١٧٩٩) .

(٢) راجع ص ٩٦ – ٧ .

(٣) أغلب الظن أن « اليسق » محرفة عن « الأيسق » ، وهو القلادة ، بمعنى كل ما يجعل فى العنق ، سواء اكان ذلك حليا ام طوقا مثلا . والجمع « أيساق » . وقد اشارت المعاجم العربية الى شيوع استخدام صيغة الجمع والى ندرة استعمال المفرد . ويلاحظ ان هذا اللفظ ورد فى النص الذى أثبتته الجبرتي للمنشور محرفا الى « السيف » . وتبع الجبرتي فى ذلك كل من نقل عنه من المؤرخين .

(٤) الى جانب بعض الانتفاضات المحلية ، بدأت قوات المماليك تتحرك نحو الحدود الشرقية ، انتظار الانضمام الى حملة عثمانية متوقعة من بلاد الشام . وكذلك اشار الجبرتي (الرجع السابق) ج ٣ ، ص ٧٥ الى بعض الحوادث التى تدل على ترحيب الاهالى واستبشارهم بقدوم العثمانيين .

بونابرت لأعضائه في آخر المنشور : « نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والامصار » .

وربط بونابرت نفسه ربطا قديرا حتميا بمصر ومستقبلها ، فقد أعطاه الله « هذا الاقليم العظيم » ، وقدر وحكم بحضوره الى مصر « لأجل تغيير الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والرفقة مع صلاح الحكم ... » .

هذا وتشير المنشورات التي صدرت منذ قيام الحملة السورية حتى معركة أبو فير البرية متضمنة أخبار تحركات القوات الفرنسية ، سواء اكانت تلك المنشورات صادرة من بونابرت الى الشعب رأسا أم على لسان العلماء ، الى اتجاه جديد في سياسة هذا القائد الوطنية . فهو يحاول فيها اتهام المصريين بأنه يعد نفسه ، من الناحية الشكلية ، مسئولاً أمام ممثليهم .

وتمشيا مع هذا الاتجاه كان طبيعيا ، بعد أن انتصر بونابرت على العثمانيين في أبو قير انتصارا حاسما رد له اعتباره بعد هزيمة حصار عكا (١) ، أن يحاط أعضاء الديوان علما بذلك . فأصدر رئيس الديوان وكاتم سره منشورا يتضمن نص رسالة الجنرال دوجا الى أعضاء الديوان ، التي يبلغهم فيها نبا ذلك الانتصار ، ويطلب منهم - كالمعتاد - على لسان بونابرت أن يشهروا ذلك الخبر « بين الخاص والعام » ، وأن يعلنوه « في جميع أقاليم مصر » (٢) .

واختتم بونابرت هذه السلسلة الاعلامية التي كان لأعضاء الديوان فيها دور بارز كما رأينا ، برسالة بعث بها اليهم بمناسبة عودته الى فرنسا ، وأصدروها في منشور وقعوه بأسمائهم .

(١) بدأت المعركة يوم ٢٥ يوليو ، وانتهت بهزيمة ساحقة للعثمانيين ، وتم للفرنسيين احتلال القلعة يوم ٢ أغسطس ١٧٩٩ .

(٢) أشار الجبرتي الى هذا المنشور إشارة موجزة جدا دون أن يذكر نصه . فقال ، بعد أن ردد ماشاع في القاهرة عن انتصار الفرنسيين وهزيمة العثمانيين ، انه في يوم الخميس ٢٩ صفر (يوافق ٢ أغسطس ١٧٩٩) حضرت مكتبة من الفرنسيين بحكاية الحالة التي وقعت لم ألق على صورتها (الرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٧٧) . ولكن نقولا الترك أورد نص هذا المنشور (ملامحات ٠٠ ، ص ٥٧ - ٨) ، وقال انه مؤرخ ٢٢ تمسود سنة ٧ الموافق ٧ ربيع الاول سنة ١٢١٤ (٩ أغسطس ١٧٩٩) . ولم نشر على نسخة منه .

وكان بونايرت قد غادر الاراضى المصرية سراً في ٢٢ أغسطس ١٧٩٩ ، ومعه عدد قليل من خصاصه ، بعد أن استخلف في قيادة الحملة الجنرال كليبر . وقبل سفره كتب عدة رسائل أهمها ما وجهه الى خلفه ، والى دوجا نائبه بالقاهرة ، وبوسيلج مدير الشئون المالية للحملة ، وأعضاء الديوان . وهكذا لم ينس بونايرت ، وهو يشد رحاله عائدا الى وطنه نهائيا ، أن يواصل الحفاظ على ذلك الجسر الذى أقامه على أساس اعلامي بينه وبين ممثلى الشعب المصرى لتحقيق سياسته الوطنية . ومن ثم كان الديوان احدى الجهات الأساسية التى وجه لها آخر رسائله قبل السفر .

وقد أشار الجبرتى الى رسالة بونايرت لاعضاء الديوان التى قرأها عليهم دوجا ، وأوجز مضمونها ، ولكنه لم يذكر أنها طبعت في منشور (١) . غير أن نقولا الترك أورد نصها كاملا (٢) وأكد طبعا واذاعتها . وكذلك فعل عدد من مؤرخى الحملة الفرنسيين (٣) .

وهذا المنشور وقعه أعضاء الديوان الخصوصى ، الذين وجهوا خطابهم « لسائر الاقطار المصرية والاقاليم من الجهات القبلية والبحرية وكامل رعاياها » . وفيه أعلنوا ان دوجا أبلغهم رسالة « صارى عسكر الكبير بونايرت » . بأنه « سافر الى بلاد الفرنساوية لأجل حصول الراحة الكاملة الى الاقطار المصرية » . وقالوا ان القائد المسافر ولى بدله « على اهل مصر وعلى رئاسة الفرنساوية جميعا » الجنرال كليبر . وختم أعضاء الديوان منشورهم بنصيحتهم التقليدية الى المواطنين بالتزام الهدوء وتجنب الفتن .

ولم يشأ بونايرت فى رسالته أن يسفر عن نيته المبيتة فى عدم العودة الى مصر ثانية . وإنما أراد أن يؤكد استمرار صلته بهذه البلاد ،

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٨ ربيع الاول ١٢١٤ (٢١ أغسطس ١٧٩٩) .

(٢) مذكريات ، ص ٦٢ - ٣ . وقد نقل أحمد حافظ عوض هذا النص كاملا من الترك : مرجع سبق ذكره ، ص ١٤ .

(٣) انظر مثلا : Charles-Roux, op. cit., p. 365 ، فقد قال هذا المؤرخ :

بالنص : « Son (Bonaparte) épître au Divan faite pour être paraphrasée en proclamation aux indigènes, contenait... »

اى أن « رسالة بونايرت الى الديوان التى كتبت لى تصاغ فى منشور الى المواطنين تضمنت » . ولم تعثر على نسخة مطبوعة من هذا المنشور .

وأن يضرب في الوقت نفسه على وتر الاحساس بالمصرية . فقد قال انه  
سيعود «بعد شهرين أو ثلاثة» ، وذلك بعد «تسليك البحر» بين فرنسا  
ومصر ، التي هي «أجمل بلاد الدنيا» (١) .



امتدت ظاهرة اعتبار القيادات المصرية ركنا اعلاميا أساسيا في  
عملية إصدار المنشورات للشعب الى غير القاهرة .

ففي الاسكندرية كان من أوائل المنشورات العربية التي يقرؤها  
المصريون ، بعد المنشور الشهير الذي أعده بوناپرت قبل نزوله الى الثغر  
منشور صادر على لسان عدد من كبار علماء المدينة وأعيانها .

صدر هذا المنشور يوم ٢٥ محرم ١٢١٣ (١٢ يوليو ١٧٩٨) ، أي  
بعد بدء الاحتلال الفرنسي ببضعة أيام . وقد طبع المنشور - اذ كانت  
مطبعة الحملة قد أقيمت بالاسكندرية - ووقعه تسعة من كبار رجال  
المدينة ، من بينهم اثنان من أبرز علمائها ، هما الشيخ محمد المسيرى  
شيخ علماء الاسكندرية ورئيس أول ديوان لها (٢) ، والشيخ ابراهيم  
البرجى مفتى الحنفية (شكل ٤٦) (٣) .

والمنشور موجز . وهو ، الى جانب ما تضمنه من اخبارية بحث  
سنشير اليها فيما بعد ، يطمئن المواطنين على استئناف الحياة العادية

(١) اعتمدنا في الالام بمضمون هذا المنشور على نصه الفرنسى . ونقلنا نمادج  
العبارات العربية من كل من الملخص الذى أورده الجبرى ، والنص الناقص الذى  
أورده نقولا الترك .

(٢) اختير الشيخ المسيرى رئيسا لديوان الاسكندرية الذى أنشأه كليبر فى ٢١  
أغسطس ١٧٩٨ . وقد اشتهر بالورع والنزاهة ، وكانت له منزلة كبيرة فى نفوس  
المصريين والفرنسيين على السواء . تودد اليه بوناپرت فى رسائله أكثر من مرة . فقد  
أرسل من القاهرة رسالة الى الجنرال مارمون (Marmont) قائد المنطقة ،  
يطلب منه فيها أن يتوجه لمقابلة الشيخ المسيرى ويشرح له كيف احتفل قائد الحملة  
بالمولد النبوى فى القاهرة ، وكيف انه يجتمع مع كبار علمائها وأشرفهم . الخ .  
( مراسلات نابليون ، ج ٤ ، وثيقة ٣١٤٧ ، فى ٢٨ أغسطس ١٧٩٨ ) . وكتب بوناپرت  
الى الشيخ رسالة أخرى فى اليوم نفسه بداها بقوله : « انك تعلم مدى التقدير الخاص  
الذى شعرت به تحرك منذ اللحظة الأولى التى عرفتك فيها » ( مراسلات ، ج ٤ ، وثيقة  
٣١٤٨ ) . انظر كذلك : الرافعى . مرجع سسبى ذكره ، ج ١ ، ص ٢٣٩ - ٤٠ ،  
الشناوى ، مرجع سبق ذكره ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) من نسخة وحيدة لهذا المنشور النادر ، من محفوظات المكتبة التومية ببازيس .

بالمدينة ، وينذر من ينسبب في الاضرار بغيره . وفى هذا الصدد يحدث موقع المنصور بلهجة من يحتل مركزا من مراكز السلطة ، ومن يملك توجيه المطالب الى الحكام باسم الشعب : « . . . وكل من حدث منه ضرر الى غيره لا يلوم الا نفسه وتكون جميع الناس مأمونين على أنفسهم ومتاجرهم ولا ضرر ولا ضرار حتى حصل الطلب أن تفتح الجوامع وتقام الصلاة حكم الشريعة وتفتح الحمامات ولا يخشوا من شيء . . . » .

✽ وفى الاسكندرية كذلك أصدر قائدها (قومندانها) الجنرال كليبر منشورا ينضمّن رسالة موجهة الى أعضاء ديوان المدينة ، عثرنا على أصله الفرنسى المخطوط ومسودته العربية ، دون نسخته المطبوعة ( شكل ٤٧ ) (١) .

ويتميز هذا المنشور بظاهرة فريدة غير مألوفة فى منشورات عهد كليبر ، وهى توجيه الخطاب الى أعضاء الديوان بعبارات تبالغ فى تحيتهم وتمجيدهم والتأكيد على أهمية دورهم القيادى وفعاليته . فهو يبدأ بمقدمة طويلة جاء فيها : « من طرف حضرة الجنرال . . . الى المختارين الصلحا الكاملين افتخار العلماء المدبرين منظمين أمور أهالى الاسكندرية بالفكر الثاقب متممين مهام البلاد بالرأى الصائب أصحاب العلوم والفضائل ملاك الفنون والخصائل أسيادنا المكرمين يعنى بهم أهل الديوان بثغر اسكندرية محبين الصديقين ومودينا العزّاز الحقيقين زيد اقبالهم مساواة لفضلهم وكمالهم آمين » .

ومضمون رسالة كليبر التى صدر بها هذا المنشور له أوثق الصلة بسياسة بونابرت الوطنية . فهو يطلب منهم أن يختاروا - بناء على تعليمات بونابرت - « ثلاثة أنفار من المشايخ وثلاثة أنفار من التجار وثلاثة أنفار من الفلاحين مشايخ البلد ومشايخ العربان بثغر اسكندرية . . . » . والغرض من ذلك هو أن يذهب هؤلاء المنتخبون الى القاهرة لى « يخبروا . . . السر عسكر . . . بجميع المطلوبات المتعلقة للخير العام والخاص . . . »

وباستقراء حوادث تلك الايام يتضح أن المقصود من هذه العملية هو تمثيل فئات شعب الاسكندرية فى «الجمعية العمومية» التى أمر بونابرت

---

(١) تاريخ المنشور ٢ نىء سنة ٦ (١٨ سبتمبر ١٧٩٨) وهو من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . ويلاحظ توقيع كليبر بخطه على كل من الاصلين . ولم يكن هذا القائد يعرف العربية ولكنه رسم اسمه بالعربية رسما هكذا «قله بر» ، ويبدو أنه كتبه من اليسار الى اليمين .

(فى ٤ سبتمبر ١٧٩٨) بتكوينها من ممثلى العاصمة والاقاليم . وكان الهدف من دعوة هؤلاء المندوبين الى الاجتماع بالقاهرة هو استشارتهم فى النظام النهائى للدواوين التى أسسها بوناپرت ، وفى ادارة الحكومة ووضع نظامها الادارى والمالى والقضائى . وقد حدد لانعقاد هذه الجمعية يوم اول اكتوبر ، ثم عدل الموعد الى ٥ اكتوبر . وسميت الجمعية «الديوان العام» تمييزا لها عن ديوان القاهرة (١) .

وتجلى هذه الفقرة من المنشور حقيقة تاريخية خفيت على المؤرخين الذين تعرضوا بالدراسة لنظام الدواوين فى عهد الحملة الفرنسية ، وهى طريقة اختيار ممثلى الاقاليم فى ذلك الديوان العام . وقد اكتفى بعضهم باغفالها ، بينما عبر البعض الآخر عن عدم التوصل الى معرفتها . ويمثل الفريق الاول الاستاذ الرافعى . أما الفريق الثانى فيمثل الدكتور لويس عوض ، الذى قال بالنص : «أما طريقة اختيار هؤلاء المندوبين فغير معروف ان كانت مجرد تعيينات فرنسية أم انها قامت على نوع من الانتخاب القنوى أو شئ قريب من البيعة» (٢) . وكرر الكاتب هذا المعنى نفسه مرة ثانية (٣) . هذا بينما يبين المنشور فى جلاء أن اختيار أولئك المندوبين كان يتم بواسطة أعضاء الدواوين الاقليمية .

ويختتم المنشور بتأكيد أن كلا من «السر عسكر» «وكلبير» «يجب الهنا والراحة لأهالى بر مصر كلها» .



ومما يلفت النظر ان السياسة الوطنية التى وضعها بوناپرت ، والتى كان كثير من منشوراته — كما رأينا — مرآة تعكس مظاهرها ، ووسيلة

---

(١) الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، نقلا عن عدد من المصادر الفرنسية . وقد اوجز الجبرمى كثيرا فى الحديث عن هذا التنظيم ، ولكنه اشار الى اجتماع الجمعية فى حوادث ٢٥ ربيع الثانى ١٢١٣ (٦ اكتوبر ١٧٩٨) ، ووصفه بدقة . ولا يبعد انه كان من ممثلى علماء القاهرة فيها ، وان تخرج من الاشارة الى ذلك (مخطوطات الآثار ج ٣ ، ص ٢٢) . ولم يعش هذا «الديوان العام» أكثر من أسبوعين ، اندلعت بعدها ثورة القاهرة الاولى . ثم عدل النظام التشريعى بعد ذلك ، كما سبق ان اشرنا ، الى شكل جديد ، جمع فيه بين «الديوان العمومى» و «الديوان الخصوصى» أو «الديمومى» .

(٢) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .



اعلامية تدعو لها ونسجل معالمها ، قد تهافتت بشكل حاد أيام خليفته كليبر ، شأنها في ذلك شأن السياسة الاسلامية .

ويرجع ذلك الى موقف كليبر من مستقبل الحملة بوجه عام ، وبخاصة بعد سفر بوناپرت المفاجيء . فمن الثابت ان كليبر لم يكن يرغب في بقاء الحملة بمصر ، وانه أصبح بعد توليه قيادتها أشد معارضة لفكرة تكوين مستعمرة فرنسية بهذه البلاد . ويتضح ذلك من تقريره المطول المشهور الذي بعث به الى حكومة الادارة بباريس بعد شهر من توليه القيادة ، والذي رسم فيه صورة قاتمة لمركز الحملة في مصر (١) . وقد سعى كليبر بالفعل الى الخروج بحملته من مصر ، ففاوض العثمانيين والانجليز ، وانتهت المفاوضات بعقد اتفاقية العريش ، كما سنرى .

ويمكن أن يعزى تهافت سياسة كليبر الوطنية كذلك الى موقفه الشخصي من المصريين وزعمائهم . فلم يكن كسلفه حريصا على مودتهم أو راغبا في التقرب اليهم ، مع أن بوناپرت أوصاه قبل سفره بقوله : « ان من يكسب ثقة كبار المشايخ في القاهرة يكسب ثقة الشعب المصري » (٢) . وقد اتضح هذا الموقف منذ مقابلته الاولى لكبار المصريين بعد وصوله الى القاهرة خلفا لبوناپرت . ويصف الجبرتي هذا اللقاء بعبارة موجزة قوية الدلالة ، فيقول : « ذهب أكابر البلد من المشايخ والاعيان لمقابلة ساري عسكر الجديد للسلام عليه فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ووعدوا الى الغد فانصرفوا وحضروا في ثاني يوم فقابلوه فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بوناپرت ، فانه كان بثوشا ويباسط الجلساء ويضحك معهم » (٣) .

وقد لاحظ مؤرخو الحملة أن كليبر كان حريصا على أن يحيط نفسه بهالة من العظمة والجبروت ، مما ساعد على اتساع الفجوة بينه وبين

---

(١) محمد فؤاد شكرى ، الحملة الفرنسية .. ، ص ٢٥٠ - ٥٥ . وتوجد نسخة نادرة من هذا التقرير بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ملحقة باحد مجلدى صحيفة «لوكونيه دى ليجيبى» ، وهو يقع في ٨٨ صفحة .

(٢) من رسالة مطولة هي اشبه بتقرير ، وصف فيه بوناپرت الحالة التى ترك عليها مصر وصفا دقيقا ، وشرح فيه معالم الخطة التى رأى أن يتبعها كليبر ( مراسلات نابليون ، ج ٥ وثيقة ٤٣٧٤ ) . وقد عربها وعلق عليها الرافى : مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٩٧ - ١٠١ ) .

(٣) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٩ ربيع الاول ١٢١٤ ( ٣١ أغسطس ١٧٩٩ ) .

المصريين ، على العكس من سلعته • ويكفى أن نفرأ في الجبرني وصف  
«إليه الجافله • وماكان بضفيه عليها من مظاهر الابنة والإرهاب (١) •  
وفي مظاهر هذا الموقف الذي اتخذته كليبر من المصريين عدم تحمسه  
لعكوة انشاء الدواوين التي كُنت أهم معالم سياسة بونايرت الوطنية •  
وكان يصعد ان هذه الدواوين « لا فائدة منها مطلقاً » ، فقد أوقف عمل  
ديوان القاهرة بعد انتصاره في موقعة عين شمس على العثمانيين (٢) •  
وكان قبل ذلك قد أبطل الدواوين الاقليمية بمجرد التوقيع على اتفاقية  
العرينس • التي اتفق فيها على جلاء الفرنسيين عن مصر • وقد ظلت  
الدواوين المصرية معطلة ، حتى أعاد منو انشاء ديوان القاهرة أولاً • ثم  
دواوين الاقاليم بعد ذلك • (٣)

وبعد ان أحمد كليبر نورة القاهرة الثانية (٤) • عامل المصريين  
وزعماءهم أسوأ معاملة وأقساها ، وأهانهم إهانات بالغة ، وفرض عليهم  
الغرامات الفادحة • وقد لقي المصريون من ذلك عنثاً شديداً ، « • ونزل  
بهم من البلاء والذل ما لا يوصف • • فضاق خناق الناس ، وتمنوا الموت  
فلم يجدوه » (٥) •

وعلق أحد مؤرخي الحملة الفرنسيين على هذا الموقف من كليبر ،  
فقال ان القائد الفرنسي كان في الحقيقة لا يهتم بشعور المصريين ، أو  
عظفهم أو ميلهم اليه والى جيش الشرق ، مادام يستطيع ابتزاز الاموال  
الى يريدها للـ « خزائنه والانفاق منها على جيشه » (٦) •

وكان المصريون من جانبهم قد اندفعوا في التعبير عن كراحتهم للحكم  
الفرنسي ، وتطلعهم الى الخلاص منه ، مع انتشار أنباء الزحف العثماني

(١) مثل وصف موكبه الهائل عقب توليه قيادة الحملة ، المرجع السابق ، ج ٣ ،  
ص ٨٠ •

(٢) في ٢٠ مارس ١٨٠٠ •

(٣) Rigault, op. cit., p. 152. • وليس صحيحاً ما ذكره الرافعي  
(مجمع سبق ذكره ، ج ٢ ص ٢٦٩) من أن دواوين الاقاليم في عهد كليبر د قد بقي  
نظامها كما وضعه نابليون من قبل •

(٤) من ٢٠ مارس الى ٢٠ ابريل ١٨٠٠ •

(٥) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٠٩ • وقد وصف الجبرني ما لحق بعامة الناس  
وكبارهم ، من جراء انتقام كليبر ، عقب ثورة القاهرة الثانية التي ايدتها عدة ثورات  
اقليمية ، بمباراة مؤثرة للغاية (المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٦ - ٩) •

Rigault, op. cit., p. 77.

(٦)

المملوكي على مصر من الديار الشامية ، واللفظ حول مسروعات الانفاق على  
جلاء الفرنسيين عن البلاد .

ولذلك لانكاد نلمح انرا لمنتور دعائى واحد أصدره كليبر . يدور  
حول فكرة مصر والمصرية ، أو يمجّد الزعامة الوطنية ، بطريق مباشر أو غير  
مباشر . وما أبعد الفارق هنا بين هذا الموقف وبين الاتجاه الذى عبر عنه  
منتشور كليبر ، الذى أصدره متضمنا رسالته الى أعضاء ديوان  
الاسكندرية ، وهو بعد «قومندان» لهذه المدينة ، والذى تعرضنا له من  
قبل .

لقد سبق أن أشرنا الى المنشور الذى أصدره كليبر فى بداية عهده،  
وحاول فيه أن يتقرب الى الشعب متبعا أسلوب الدعاية الإسلامية (١) .  
ولم يسجل له التاريخ بعد ذلك سوى منشور واحد وجه فيه الخطاب الى  
ممثلى الشعب بأسلوب معقول ، يحفظ لهم قدرهم ، ويؤكد مكانهم من  
مواطنيهم ، وهو الذى أصدره من معسكر الصالحية ، بعد أن وقع اتفاقية  
العريش مع العثمانيين وأذاع نصوصها على المصريين ببضعة أيام .

صدر هذا المنشور بالعربية والفرنسية ، ووجهه القائد العام الى  
«جميع أرباب الديوان بمصر المحروسة والى كافة دواوين الاقاليم المصرية  
اعزهم الله» (شكل ٤٨) (٢) .

وقد نوه كليبر فى هذا المنشور بعقد الصلح مع العثمانيين ، الذى  
بدأ السعى من أجله فى عهد سلفه . وقال ان بونا برت ترك البلاد بسبب  
«اشغال مهمة .. وخلفنى عوضه لاجل تمام ذلك وأنا فى هذا الوقت آتمه  
واسلم هذا الاقليم المصرى ليد أحبائنا قديما ..»

ثم أشاد كليبر بسياسة الفرنسيين قبل المصريين عامة ، فقال :  
«وقد عرفتم ورأيتم ترتيب قوانيننا فى الديار المصرية خليئناكم واکرمنا  
شريعتكم ودينكم وأجريناكم على قوانين ملتكم وأبقينا يداكم متصرفة فى  
أموالكم وأملاككم ولم نكدر عليكم فى تعلقاتكم حتى لا يخطر ببالكم اننا  
ظلمناكم ..»

وأكد الجانب الوطنى من هذه السياسة ، مذكرا ومنوها بالدور الذى

(١) راجع ص ١٠٣ - ٤

(٢) بتاريخ ١٢ بلوفيو سنة ٨ (يوافق اول فبراير ١٨٠٠) . وهذه النسخة من  
مخطوطات المكتبة القومية بباريس .

قام به ممثلو الشعب أعضاء الدواوين ، فقال يخاطبهم: «فى مدتنا لم تعرفوا لنا مظلمة قهرية فانتم الذين توكلتم بالخصوص فى أمور الرعية القاطنين بالديار المصرية توسطتم بين الفرنساوية والرعية لأجل تمشية القوانين القديمة المصرية فى سائر بلادكم من غير تغيير عوايدكم ونظامكم وهذا النظام من تدبير سلفنا وأنا رأيت من المحاسن واللوازم الضرورية وبسبب همتمكم وغيرتكم فى صلاح الرعية واستقامتكم فى الافعال التى الزمناكم استحققتوا اعتباركم عند كل عاقل واستوجبتم شكركم عند كل كامل ..»

ولهذا المنشور قيمة خاصة . فقد أغفل الإشارة إليه تماما كل من الجبرتي ونقولا الترك ، وان كان بعض مؤرخى الحملة الفرنسيين قد ذكروا نصه الفرنسى (١) . ومن هنا فانه يسد ثغرة تاريخية فى قصة «الاتصال» ، أو التخاطب ، بين قيادة الحملة الفرنسية والمصريين .



وفى عهد منو عاد الاتجاه الوطنى فى السياسة الدعائية للحملة الى الظهور فى المنشورات العربية . ولكنه اتخذ فى عهد هذا القائد سمات متميزة ، تختلف الى حد ما عن سماته فى عهد بوناپرت :

أولاً : كان منو أكثر قصداً من قائده فى ترديد العبارات التى يخاطب بها مشاعر المصريين الوطنية ، أو يحاول أن يجتذب بها قاداتهم وكبراءهم . وبالرغم من كثرة المنشورات التى أصدرها هذا القائد الى المصريين ، والتى تمتلئ بها دور المحفوظات الفرنسية ، والتى أشار الى بعضها المؤرخون المعاصرون للحملة كالجبرتي ، فان عدداً قليلاً جداً منها هو الذى نلمح فيه معالم ذلك الاتجاه . ويلاحظ من ناحية أخرى انه لم يصدر فى عهد منو منشور واحد بتوقيع ممثل الشعب من أعضاء الدواوين ، يؤكد - ولو شكلياً - مكانتهم القيادية من مواطنيهم ، كما لمسنا فى أيام سلفه الاول . وانما كان منو يفضل أن تكون المنشورات الموجهة الى الشعب صادرة منه مباشرة .

وقد نجد تفسيراً لذلك فى المبادئ التى أقام عليها منو حكومته . فقد أثبت أدق من أرخوا لعهد (٢) انه كان « يعتبر ان مصر مستعمرة فرنسية بالفعل ، هو حاكمها وممثل حكومة باريس فيها . ولما كانت

Rousseau, op. cit., pp. 220-21.

(١) أنظر مثلاً :

Rigault, op. cit., p. III.

(٢)

الاتصالات الطبيعية بين هذه المستعمرة والدولة الحاكمة غير قائمة وقتذاك، فانه جعل من نفسه رئيس دولة \* ويقول أحد كبار معاوني منو \* ان أوامره اليومية (Ordres du Jour) قد حلت محل القوانين ، واتخذت أساسا لإدارة جيش الحملة (١) \* .

ثانيا : كان منو أكثر واقعية من بونايرت في ذلك الاتجاه . فهو يربطه بإجراءات وتنظيمات فعلية مفصلة ، أو بمواقف محددة ، ولا يكتفى فيه بمجرد المقولات النظرية \* .

ويتضح هذا الموقف بصفة خاصة في منشور من أهم المنشورات التي صدرت في عهده \* وهو منشور مطول يتضمن مرسوما بترتيب النظام القضائي للبلاد (شكل ٤٩)(٢) \* وقد فصل القول في هذا المنشور حول الهيئات القضائية وتكوينها ، وأسس التقاضي ودرجاته وإجراءاته \* وذكر في خلال ذلك إعادة تكوين ديوان القاهرة في صورة جديدة ، لإبراز دور هذا الديوان في مجال السلطة القضائية أساسا ، مع إشارة موجزة جدا الى مهامه الأخرى \* أى ان الأمر بإعادة تكوين الديوان قد ارتبط بوضع الاسس الجديدة للنظام القضائي \* .

ويبرز صدر المنشور هذا المعنى في وضوح \* فهو يتضمن ديباجة المرسوم التي نصها : « ان حضرة الجنرال سري العسكر العام لما اعتبر انه من أخص المهمات الملاحظة للحكام هو الاعتناء بأجرا العدل للرعايا أوليك الذين قد ائتمنا على سياستهم وأن يتحدد قيام المحاكم لمحاكمة الدعاوى المدنية التي تقع ما بين أبناء البلد ولعقاب الذنوب والجرائم التي ترتكب ضد النظام العام والجماعة فأمر بما يأتي بيانه » \* .

وبعد أن أعلن المرسوم في مادتيه الأوليين انقضاء العمل بالنظام القديم وضرورة حصول القضاة على مراسيم التعيين الجديدة ، جاء في المادة الثالثة (الشرط الثالث) : « فلا بد عن إقامة ديوان بمصر (بالقاهرة) مؤتلف من جماعة العلماء \* \* لكي يسهر على تقويم الحقوق وعلى نظام

(١) سارتلون (Sartelon) ، في رسالة الى وزير الحريسة الفرنسية ، بتاريخ ٢٢ يرمير سنة ٩ (١٣ نوفمبر ١٨٠٠) ، نقلا عن المرجع السابق \* .

(٢) تاريخ المرسوم ١٠ فندمير سنة ٩ (٢ أكتوبر ١٨٠٠) . أما المنشور العربي فقد صدر بتاريخ ١٧ فندمير ( ٩ أكتوبر ) ، وهو من محفوظات المكتبة القومية ببائيس ، ويبلغ عدد سطوره ٣١١ سطرا . وقد نشر ريجو نصه الفرنسى بشيء من الإيجاز ، ولكنه علق على كثير من نقاطه (الرجع السابق ، ص ١٥٣ - ٩) \* .

الجوامع وعلى نظام الاوقاف والرزف وعلى الارصاد العام وعلى الاعينا بحيمات الحج الشريف وأخيرا على أن تحفظ كامل العوايد الحميدة الدينية والمدنية وهؤلاء العلماء بوجهون لاهالى بلاد مصر كلما ( كل ما ) ينادى به عليهم ويقدمون ما يريدون اعراضه ( عرضه ) للحكام » .

وتنص المادة السابعة (الشرط السابع) من المرسوم على أن يقدم أعضاء الديوان إلى الحاكم في أول جلسة يعقدونها « اسما أوليك الذين يعتبرونهم كفوا للقيام بوظيفة القضاة ويحررون قائمة للاقتراع على أكر الاصوات ويشرعون أولا بما يلاحظ مرتبة قاضى عسكر أعنى به القاضى الاعظم بمصر القاهرة ضامين اسما العلماء الثلاثة (الثلاثة) الذين منهم يختار حضرة سرى العسكر العام من يجب أن يكون قائما على هذه الوظيفة ثانيا اسما أوليك الذين يتقدمون على القيام بهذه الوظيفة فى باقى الاقاليم » .

وتمنح المادة السابعة عشرة الديوان حق عزل « القضاة والمشرعين المفسدين » ، وكذلك حق الحكم «بإبطال سائر القضايا التى لا يكون رأى بها كامل الظروف المعينة (أى التى لا تراعى فى أحكامها القواعد الموضوعية) والواقع التحديد بها ان كان ذلك من قبل السنن المتقدمة أو من قبل هذا المرسوم » .

وتفصل المادة الثامنة عشرة حق الديوان فى نظر حالات استئناف الاحكام أو الطعن فيها .

أما المادتان الرابعة والثالثة والعشرون فهما تحددان عدد أعضاء الديوان وأسماءهم ومواعيد اجتماعاتهم وما إلى ذلك .

ان هذا المنشور وثيقة تاريخية خطيرة ، جديرة بدراسة تجلو صفحة غير معروفة من تاريخ التشريع الحديث فى مصر ، بكل دقائقها وما أحاط بها من ظروف ومقومات (١) . وهو فضلا عن ذلك يوضح عدة حقائق لها

(١) يتناول المرسوم الذى يتضمنه هذا المنشور ، والذى كان نتيجة لدراسة لجنة خاصة كونها متو ، عدة أمور تشريعية ذات أهمية كبيرة ، مثل التمييز بين القضاء المدنى والقضاء الجنائى وقضاء الاحوال الشخصية ، والقضاء المختلط ، وحس الاستئناف والطعن ، وغير ذلك مما لم تقنن قواعده وضوابطه فى مصر الا بعد الحيلة بعشرات السنين . ويلاحظ أن الجبرمى لم يشر الى هذا المنشور ، وان اكتفى بذكر تكوين الديوان وأسماء أعضائه ومكان اجتماعهم . الخ ، ضمن حوادث شهر جمادى الثانية ١٢١٥ ، دون تحديد اليوم ( هجالياً التاريخ ) ، ج ٣ ، ص ١٣٧ - ٨ ) . وقد أخطأ الجبرمى فى ذلك ، رغم أنه كان من أعضاء الديوان ، فان أول شهر جمادى الثانية ١٢١٥ يوافق يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٠٠ ، بينما صدر المنشور قبل ذلك بأحد عشر يوما ، أى فى خلال شهر جمادى الاولى .

أهميتها في التاريخ لسياسة الفرنسيين إزاء المصريين ، وبخاصة من خلال فكرة إنشاء الدواوين . أنه يتبين ما لم يذكره مؤرخ من قبل ، وهو أن دعو أنشأ ، الى جانب الديوان المكون من تسعة أعضاء ، هيئة أخرى من غير المصريين المسلمين ، تتكون من «أربعة عشر عضواً في محل كرامة (أى أعضاء شرف) فالمتقدمون بطايفه الأقباط وأهالي بلاد سوريا الشام والاروام» (١) اذ يتعينون من حضرة سرى العسكر العام فيعطى لهم الاذن بالجلسة (أى بالجلوس أو بالحضور) فى الديوان والرأى بالمشورة» (٢)

وعلى ذلك فلم يكن الجبرتنى دقيقاً حين قال ، وتبعه فى ذلك مؤرخينا ، ان الديوان الجديد كان يتكون من تسعة أعضاء متعممين لا غير وليس فيهم قبضى ولا وجاقل ولا شسامى ولا غير ذلك وليس فيه خصوصى وعمومى على ما سبق شرحه (٣) بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء .

ويوضح المنشور كذلك الاختصاصات القضائية الجديدة التى أضيفت الى مهام أعضاء الديوان . وقد أشار الرافعى الى هذه الاختصاصات بإيجاز شديد ، نقلا عن بعض الوثائق الفرنسية لحكومة الحملة فى عهد منو ، لا عن المنشور نفسه (٤) . وكان ريجو هو المؤرخ الوحيد الذى فصل القول فى مضمون هذا المنشور نقلا عن أصله الفرنسى .

وفضلاً عن أن المنشور وثيقة أصلية تقطع بعضوية الجبرتنى فى هذا الديوان (٥) ، اذ أثبت اسمه ضمن أسماء الاعضاء التسعة ، فإنه يحدد عمل شخصية أخرى ارتبط اسمها بالحديث عن السياسة الاعلامية للحملة الفرنسية ، هو اسماعيل الخشاب ، وذلك بصورة لا تدع مجالاً لآى خلط أو خطأ . وقد سبق أن تعرضنا لهذه النقطة عند الحديث عن مشروع صحيفة «التنبيه» (٦) .

وفوق هذا كله فإن المرسوم الذى تضمنه المنشور يقرر مبدأ

(١) يقصد بكلمة «الاروام» الاتراك ورعايا الدولة العثمانية ، من سكان ولايات غير العربية .

(٢) الشرط الرابع من المرسوم .

(٣) اى على أيام بوناپرت .

(٤) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ - ٦ .

(٥) ذكر الجبرتنى عضويته فى الديوان بطريقة ملتوية ، فقد اشار الى نفسه بكلمة

«وكاتبه» ، مما كان موضع تعليق المؤرخين .

(٦) راجع ص ٢٨١ - ٢ .

«مصريا» في غاية الاهمية ، فهو ينص في «الشرط الثامن» على ضرورة  
منع من يتولى منصب القضاء بالجنسية المصرية : « فلا أحد من الافراد  
يتقدم على القيام بوظيفة قاض بمصر (اى بالقاهرة) كان ذلك ام بباقي  
الاقاليم ما لم يكن من أرض مصر ولودة (أى ولادة) أو لا يكن له عشرة  
(كذا) سنوات قاطنا بأرض مصر » .

**ثالثا :** يتضح من هذا المنشور نفسه ان منو كان أكثر صراحة في  
تحديد الخط الوطنى فى سياسته الدعاية داخل نطاق الحكم الفرنسى .  
فقد حرص فى «الشرط الاول» من المرسوم على تأكيد أن «كل المحاكم  
الموجودة بالاقاليم المصرية وتلك التى يحكم بلزوم قيامها مع الزمان بأقاليم  
مصر يقضون بالعدل وذلك على اسم المشيخة الفرنسية» .

وكذلك أكد المرسوم فى هذا «الشرط» وفى «الشرطين» الثانى  
والثاسع على أن «سارى عسكر» هو الذى يقلد القضاة سلطة وظائفهم  
(يلبسهم) . وفى ثنايا غير ذلك من «الشروط» يخضع المرسوم كل اجراء  
تمصري ، سواء بالنسبة للنظام القضائى أو للديوان الجديد ، لاقرار  
«حضرة سرى العسكر العام» .

وتتردد نغمة ان مصر صارت ملكا لفرنسا فى كثير مما أصدره منو  
من منشورات ، بطريق مباشر أو غير مباشر . ويؤكد هذا كذا ما نقله  
الجبرتي من عبارات عن بيانات المسئولين الفرنسيين بالديوان ، وما  
استنتجه من معان تستتر وراء مضمون بعض تلك البيانات :

— فقد ذكر الجبرتي فى حوادث يوم ٢٤ رمضان ١٢١٥ (٨ فبراير  
١٨٠١) (١) انه «ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبتين عظيمين من  
فرانسا فيهما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونايرته أغار على بلاد  
النمسة وحاربهم . . . وسيأتى فى أثرهم مركبان آخران . . .» (٢) ثم علق  
على هذا الحدث بقوله : « ويستدل بذلك على ان مصر صارت فى حكم  
الفرنسيين لا يشركهم غيرهم فيها هكذا قالوا وقرأوة فى ورقة بالديوان .  
— واورد الجبرتي كذلك فى حوادث آخر أيام شهر محرم ١٢١٦

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٤٦ .

(٢) الوازع أن منو أصدر بمضمون ذلك منشورا مطبوعا ، ولكن الجبرتي لم ينقل  
نصه ، بل ولم يشر أصلا الى أن هناك منشورا بهذا المعنى . وقد سبق أن أشرنا الى  
هذا المنشور عند الحديث عن سياسة منو الاسلامية (ص ١٠٧) وسنعرض له مرة  
أخرى بعد قليل .



(١١ يونيو ١٨٠١) (١) نص بيان طويل جاء فيه : «اجتمع المشايخ والوكيل وحضر استوف ( يقصد استيف : Estève ) الخسازندار وترجم عنه رفايل (كبير مترجمي الديوان) بقوله انه يشئى على كل من القاضى والشيخ اسماعيل الزرقانى باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث . . . واعلموا ان أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك واركزوه فى اذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى . . . هذا مع أن الحكم الفرنسى فى مصر كان فى ذلك الوقت يلفظ أنفاسه الاخيرة ، وكانت القوات الانجليزية والعثمانية الزاحفة من الشرق والغرب قد أصبحت على مشارف القاهرة .

رابعا : فى الوقت نفسه اتخذ منو من زواجه بسيدة مصرية سببا قويا يتقرب عن طريقه الى المصريين . فكان يخاطب أبناء الشعب أو زعماءه فى منشوراته أحيانا بعبارات تتسم بطابع الألفة والمودة ، التى تنتج عن علاقة شخصية وطيدة باعتباره لم يعد غريبا عنهم . وقد رأينا من قبل كيف استغل ما صاحب هذا الزواج من اعتناقه الاسلام ، فى دعايته التى تركز على فكرة السياسة الاسلامية ، التى وضع أساسها بونابرت .

ونلمس مظاهر هذا الموقف منذ كان منو حاكما اقليميا لرشيد (٢) . فقد أصدر منشورا خطيا (٣) الى أعضاء ديوان المدينة بمناسبة سفره لتولى

#### (١) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٢) جرح منو فى أثناء احتلال الاسكندرية ، معين بونابرت الجنرال فيال (Vial) بدلا منه على رأس الفرقة التى كان يقودها ، وجعله حاكما (Gouverneur) لرشيد حتى لا يشترك فى عمليات الزحف الى القاهرة . وفى ٢٠ أكتوبر ١٧٩٨ أضاف بونابرت الى دائرة حكم منو اقليمى البحيرة والاسكندرية (Rigault, op. cit. pp. 40-41) . ويلاحظ أن بونابرت أصدر هذا الامر الاخير الى منو بعد أن استدعى من الاسكندرية فاندھا الاول الجنرال كليبر ليكون الى جانبه فى القاهرة . وقد وصل كليبر الى القاهرة بالفعل فى ٢٢ أكتوبر ، واتباع بونابرت هذا الامر بتعيين الجنرال مارمون (Marmont) قائدا (قومندان) لمدينة الاسكندرية (الرائى ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ص ٢٤٢ ، ج ٢ ص ١٠٨) .

(٣) هو واحد من منشورات خطية عدة أصدرها منو لى رشيد . وقد آثرنا تناولها بالدراسة فى هذا الموضوع ، لا عند الحديث عن المنشورات فى عهد بونابرت أو كليبر ، لما تحفل به من دلالات على سياسة منو منذ كان حاكما محليا ، أكثر مما تتصل بالسياسة العامة للحملة . وتضم محفوظات وزارة الحربية الفرنسية بباريس عددا لا بأس به من هذه المنشورات التى لم يتناولها أو يشر اليها من قبل احد من مؤرخى الحملة الفرنسية . ومحتوى هذه المنشورات وطريقة عرض مادتها ، فضلا عن وجود نسخ كثيرة من كل منشور ، يقطع بأنها كانت بالفعل منشورات اذيعت على الناس ، لا مجرد وسائل الى أعضاء الديوان مثلا .

منصبه الجديد حاكما لاندليم فلسطين (شكل ٥٠) (١) وفى هذا المنصور يتحدث الى الاعضاء حديثا شخصيا بحثا ، فهو يوصيهم خيرا بزواجه وامار بها : ٠٠٠ قبل السفر قصدت أن أوضح لكم وهو أنني أبقيت بهذا الطرف زوجتي وكامل أقاربها ٠٠ نعرفكم أن تخلوا بالكم من حريمنا ووالديهم وأخيهم وزوجة أخيهم بكامل ما يلزم الى راحتهم والمذكورين أبعيناهم فى طرفكم أمانة . ونظير معروفنا السابق معكم لازم تخلوا بالكم معاهم . ومثل ما أن نيتنا كانت دائما طيبة عليكم كذلك نكون نيتكم معنا لأن أعز ما عندي فى الدنيا حريمي » .

ومن هذا الفيل كتاب مطول وجهه ، وهو قائد للحملة ، الى «حضرة المتساخ والعلماء أهالى الديوان المتيف بمصر القاهرة» (٢) . والى جانب ما تضمنه هذا الكتاب من مسائل عامة ، فقد رد فيه على تهنتهم له بولادة ابنه من زوجته المصرية ، اذ جاء فى أوله : «أن الذى حررتموه لنا ملا نفوسنا سرورا وقلبنا حبورا» ، وجاء فى آخره : «اننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك منو ٠٠»

ومن ذلك أيضا أن منو اعتاد أن يسبق توقيعه على المنشورات بعد

(١) المنشور بتاريخ ٢١ فلوريال سنة ٧ (١٠ مايو ١٧٩٩) ، وهو من محفوظات قسم الوثائق التاريخية بوزارة الحرية الفرنسية . وقد عين بونايرت منو فى هذا المنصب الجديد فى أثناء تحركه ليلحق بقوات حملته السورية ، وأحل محله فى منصبه القديم الجنرال جوتيان (Jutien) ، وكان ذلك فى أوائل شهر مارس ١٧٩٩ ، أى عقب زواج منو . وتباطأ منو فى تنفيذ هذا الأمر شهرين ، وقد اعترف هو بذلك فى بداية منشوره : «انه قد حضر لى ادن اننى اكون حاكما على اقليم الشام من مضى شهرين . وانا الآن مستعد على السفر الى الناحية المذكورة ..» . وعندما وصل منو الى بلدة «قطية» قرب حدود مصر الشرقية قابله بونايرت الذى كان راجعا بعد اخفاه فى حصار هكا فارسلى للتفتيش على القوات الفرنسية بالعربى ، ثم عاد بعد ذلك الى مقره القديم . وقد عرف عن منو تمسكه بالبقاء فى مدينة رشيد ، فقد سبق ان تلقا فى تنفيذ امر آخر لبونايرت بتعيينه قائدا للعاصمة عندما بدأ الاستعداد لتحرك الحملة السورية . وتعلل بمختلف المعادير ، بل انه اعتزم فى عهد كليبر أن يجعل من رشيد عاصمة للأقاليم الثلاثة التى يحكمها ، بالرغم من أن بونايرت كان قد أضاف اليه قبل سفره منصب القائد العسكرى للمنطقة ، مما كان يقتضى اقامته بالاسكندرية . غير ان كليبر عيه قائدا للقاهرة (انظر : ريجو ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢ ، ٤٥ ؛ الرافى ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٢١٠ - ١١) .

(٢) ذكره الجبرتي (هجايب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٤٢ - ٣) ، فى حوادث يوم ٢٥ شعبان ١٢١٥ (١١ يناير ١٨٠١) ، ولكنه لم يوضح ما اذا كان هذا الكتاب قد طبع فى مشور . وكذلك لم يعثر المؤلف على ما يؤكد ذلك .

أن تولى قيادة الحملة بعبارة «خالص الفؤاد» . وهي عبارة نوددية واضحة، لم يفكر أى من سلفيه فى استخدامها هي أو ما يشبهها .

والى جانب ذلك فقد اتبع منو أسلوب بونايرت الدعائى الذى اختطه منذ منشوره الأول الى المصريين ، وجعله أساسا من أسس سياسته الوطنية ، وهو تذكيرهم بطفيان الماليك ، ومحاولة استثارة مشاعرهم ضد هؤلاء الذين اغتصبوا بلادهم واستأثروا بخيراتهما ، وتأكيد أن الفرنسيين انما حضروا الى مصر لتخليصها من حكم هؤلاء الظلمة .

وكان طبيعيا ان يفعل منو ذلك فى المنشورات التى أصدرها وهو بعد حاكم اقليمى فى عهد بونايرت ، حيث الأسباب التى تستلزم اتباع هذا الأسلوب مازالت قائمة . فالحملة فى أول عهدها ، والماليك يواصلون مؤامراتهم وجهودهم لمناواتها :

— وفى منشور خطى أصدره الى أهالى « ولاية رشيد وسكندرية والبحيرة » ( شكل ٥١ ) ( ١ ) أكد أن الفرنسيين « .. يعملوا غاية اجتهدهم لأجل أن يروكم أن مجيهم بسبب خلاصكم من الحكم القاسى الذى كان ساير عليكم ... » .

وخطبهم قائلا فى استنكار : « يا أهل مصر كيف ان لكم غرض وترضوا برجوع حكم الماليك ويعسود عليكم وان لم عندهم شفقة ولا دين .. » ثم قال : « ان الله سبحانه وتعالى لم خلق خلقه لأجل انهم يطيعوا الطائفة الخاسرة الذى ( كذا ) كانوا جاعلين انهم اسياذكم وانتم عبيدهم .. » .

— وفى منشور خطى آخر ( شكل ٥٢ ) ( ٢ ) ، أصدره الى « كامل أهل البلاد والعزب من ولاية رشيد » ، أكد أن « مراد بيك وإبراهيم بيك والانجليز لم قصدهم الا هلاككم وهم سبب لقتل ثمانية آلاف نفس فى المدينة » .

(١) المنشور غير مؤرخ ، ولكنه يبدأ بعبارة «من مدة الأربع شهور المتوطنين فيها الفرنسية ببر مصر» ، ومعنى هذا أنه صدر فى أوائل نوفمبر ١٧٩٨ . وهو من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) هذا المنشور أيضا غير مؤرخ ، ولكن ما تضمنه من ذكر مقتل آلاف من الأهالى، فى معركة مع القوات الفرنسية يرجح أنه صدر فى أوائل مايو ١٧٩٩ ، بعد ثورة «الهدى» التى كان مركزها دمنهور ، والتى انتهت بمذبحة كبيرة فى تلك المدينة . ولتر منو يبالغ فى عدد القتلى من الأهالى .

— وفي المنشور الذي ذكرنا آنفاً، ان منو أصدره الى ديوان رشيد:  
قبل توجهه لتولى منصبه الجديد بفلسطين ، قال : « وهو ( الله ) تعالى  
انذى أرسلنا الى بلادكم لأجل انقاذكم وخلصكم من أيادي حكامكم الظالمين  
الذين تبعدوا ٠٠ » .

ثم حذر الأهالي من تصديق دعايات المماليك الذين « ٠٠ لم قصدهم  
سوا (كذا) فساد الرعايا والضحك والاستهزاء فيما بعد» . .

ومع انه لم يصدر في عهد منو منشور واحد الى الشعب على لسان  
فادته من أعضاء الديوان ، كما كان الحال أيام بونابرت ، فقد اتبع منو  
سنة سلفه الأول في الاتصال بهؤلاء القادة لاطلاعهم على بعض الأمور ،  
في المناسبات التي تقتضى ذلك ، تأكيداً لصفاتهم النيابية من الشعب ،  
وانهم الواسطة بينه وبين حكامه . وفعل ذلك بوجه خاص عند ما اضطرته  
ظروف الحملة العسكرية الى مغادرة القاهرة .

واتخذ هذا « الاتصال » — كما رأينا — أحيانا شكل منشورات تأكد  
طبعها واذاعتها كالمعتاد ، وأحيانا أخرى شكل رسائل لم يتضح ما اذا  
كانت طبعت أو اكتفى بتلاوتها في الديوان .

وعلى أية حال ، فقد كانت تتم اذاعة مضمون بعض الرسائل عن  
طريق « المناذاة في الأسواق » أو الاتصال في شأنها بالمسؤولين من « مشايخ  
الحارات والاطحاط » ، أو « مشايخ البلاد » ، ومن اليهم ، كما ذكر  
الجبرتي في أكثر من موضع .

ومن المنشورات التي طبعت بالفعل المنشور الذي أصدره منو في  
١٩ بلوفيز سنة ٩ ( ٨ فبراير ١٨٠١ ) ، والذي أشرنا من قبل الى بعض  
ماتضمنه (شكل ٥٣) (١) . وقد وجه منو الخطاب في هذا المنشور الى  
« كافة المشايخ والعلماء الكرام في محفل الديوان المنيف بمصر المحروسة » .  
ويتضمن المنشور أمرين رأى القائد الفرنسي ضرورة ابلاغهما لممثلي  
الشعب ، وهما : انتصار الفرنسيين بقيادة بونابرت على النمسا ، وورود  
بعض السفن الفرنسية الى ثغر الاسكندرية محملة بالجنود والمعدات .

وأراد منو بإبلاغ هذه الأنباء الى القادة المصريين ان يؤكد قوة فرنسا  
واستكمالها لأسباب سيادتها على مصر ، وان كان قد غلف هذا المعنى —

(١) راجع ص ١٠٧ ، ١٥٤ : وهذه الصورة المنشورة مهداة من المتحف  
الحربي ببغداد .

على غير عادته - بعبارات معسولة . فقد قال في فقره الأخيرة من المنشور:  
« ويا مشايخ ويا علماء الكرام فأعلمناكم بتلك الأخبار الخير لأجل  
بنتهجوا بها معنا ولأجل ما تنيقنوا ان بونا برنه هو دائما ناظر الى بر مصر  
محبة وصيانة لأهلها كما هو بين لكم مرارا كثيرة حين اقامته بينكم .. » .

ومن الرسائل التي لم يوضح مؤرخها الوحيد ، الجبرتي عضو  
الديوان ، ما اذا كانت طبعت في منشورات ، ولم نعر نحن كذلك على  
ما يؤكد طبعا ، رسالة موجزة بعث بها منو من معسكره بالاسكندرية ،  
حيث كان يواجه زحف الحملة العثمانية الانجليزية المشتركة لاجلاء  
الفرنسيين عن مصر (١) . وفي هذه الرسالة اكد انه يرجو النصر على  
اعدائه من اجل خير مصر وأهلها : «وان ابتغيت النصرة فما هو الا  
لسهولة خيراتي الى بر مصر وسكان ولايتها وخير أمور أهلها» .

- ومنها كذلك رسالة أخرى بعث بها القائد العام من المعسكر  
نفسه ، بعد أيام من رسالته السابقة (٢) . وفي هذه الرسالة أبلغ  
اعضاء الديوان في عبارات ركيكة آخر انباء القتال بين الفرنسيين واعدائهم  
من العثمانيين والانجليز ، وأوهمهم بقرب جلاء قوات الأعداء عن البلاد ،  
ثم قال لهم : « فاعلموا واخبروا كل ذلك الى أهالي مصر .. » .

- ومن هذا القبيل أيضا الرسالة التي أبلغها الجنرال بليار «قائم مقام  
ساري عسكر» لأعضاء الديوان في تلك الأيام المضطربة (٣) . وفيها ان  
«الخصم قد قرب منا ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنسيين  
وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكوتهم  
وهدهم .. » .

( ذكر الجبرتي ( المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٥٣ ) ، ان هذه الرسالة فرئت  
بالديوان يوم ١٩ ذي القعدة ١٢١٥ (يوافق ٢ ابريل ١٨٠١) . وكانت الحملة المشتركة  
قد بدأت انزال قواتها الى شواطئ أبو قير يوم ٨ مارس ، وأخذت تنزل الهزيمة لحو  
الهزيمة بالقوات الفرنسية . وكان هناك في الوقت نفسه جيش عثماني آخر يزحف  
برا من جنوب سوريا صوب مصر ، بينما كانت القوات الفرنسية موزعة بين القاهرة  
(بقيادة بليار) ، والاسكندرية ورشيد وبليس والصالحية والجزيرة وغيرها .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٥ . والرسالة مؤرخة - كما ذكر الجبرتي - يوم ٣  
ذي الحجة ١٢١٥ (يوافق ١٦ ابريل ١٨٠١) .  
(٣) أشار إليها الجبرتي في حوادث يوم ٢٦ محرم ١٢١٦ (يوافق ٨ يونيو ١٨٠١) :  
المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .

— وعماك رسالة أخرى أبلغها بليار كذلك الى الديوان فى جلسة غير عادية (١) . حضرها مع الأعضاء «التجار ومشايخ الحارات والأغا المحافظ» . وقد قال فيها ان منو «طيب بخير» . وان الأقوات (فى معسكر الفرنسيين) كسرة . . يانى بها العربان اليهم . . » .

وتتضمن الرسالة كذلك اخبارا عن « وصول عمارة مراكب الفرساوية الى بحر (الخرز) (٢) » وانها عن قريب تصل الاسكندرية . . » .

— اما آخر هذه الرسائل فقد تليت ترجمتها العربية على أعضاء الديوان فى آخر جلسة عقدها قبل جلاء الفرنسيين عن مصر (٣) . وفى هذه الرسالة جامل منو أعضاء الديوان مجاملة ظاهرة ، وشكرهم على جهودهم ودعا لهم ووعدهم بنصر الفرنسيين على أعدائهم فى مصر كما انتصروا فى أوروبا . ولم ينس فى هذه الرسالة كذلك أن يوصيهم خيرا بزوجه وابنه ، وكانا قد حضرا الى القاهرة من رشيد قبل ذلك بنحو شهر .

والغريب أن منو عند ما كتب هذه الرسالة لم يكن يعلم بعد أن نائبه بليار قد وقع بالفعل — قبل ايام — اتفاقية الجلاء عن مصر (٤) . ومع أن الرسالة أصبحت بذلك غير ذات موضوع ، بعد أن أذيعت اخبار الاتفاقية ، فقد أمر جيرار (Girard) وكيل ( قوميسر ) الديوان بترجمتها وتلاوتها على الأعضاء فى تلك الجلسة التى دعى لحضورها مع الأعضاء كبار التجار والوجاقية وكبار المسؤولين الفرنسيين .

ويبدو أن السبب فى الاكتفاء بتلاوة بعض رسائل منو الى أعضاء

---

(١) فى ٣ صفر ١٢١٦ ( يوافق ١٥ يونيو ١٨٠١ ) : الجبرتي ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .

(٢) هكذا فى الاصل . ولاشك انه يقصد البحر المتوسط ، لان بحر الخزر (وقد اخطأ كذلك فى هجائه) ، ويسمى أيضا بحر قزوين ، هو بحر مفلق يقع — حاليا — بين ايران وجنوب الاتحاد السوفيتى .

(٣) ذكر الجبرتي ( عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ) أن هذه الرسالة مؤرخة يوم ١١ سيدور سنة ٩ الموافق ١٨ صفر ١٢١٦ (٣٠ يونيو ١٨٠١) . وقد عقدت الجلسة فى ٢٤ صفر (٦ يوليو) .

(٤) وقع بليار هذه الاتفاقية فى ٢٧ يونيو ١٨٠١ ، وأذيعت شروطها على الناس بالعربية والفرنسية ، كما سنرى .

الديوان عليهم . واذاعة مضمونها على الناس بالطرق التقليدية دون طبعها في منشورات ، هو حالة الاضطراب الى كانت تسود البلاد ، واشعور بالقلق وعدم الاستقرار الذي كانت تحسه أجهزة الحكم الفرنسي في تلك الأيام الحافلة . الى نخرج فيها مركز الحملة ، وأذنت الاحداث بانحسار ظلها عن البلاد .



ويتضح من هذا العرض لدور المنشورات العربية في الدعاية للسياسة الوطنية في عهد قواد الحملة النلانة ان منشورات عهد بونابرت كانت اصدق تعبيراً عن هذه السياسة ، من منشورات خليفته . ولاغرو فبونابرت هو المخطط الأول لهذه السياسة ، التي أراد أن يتخذ منها سبيلا يمهّد لبناء المستعمرة الفرنسية الجديدة في مصر ، ولتحقيق أحلامه في غزو الشرق . وكان إيمانه بها عميقاً ، كما يتضح من استقراء مراسلاته ومذكراته .

ولم يكن كليبر على دين سلفه في هذا الصدد . وانما كان - كما رأينا - ضعيف الايمان بتلك السياسة ، راغباً أشد الرغبة في تصفية موقف الحملة والعودة بفلولها الى فرنسا .

أما منو فقد كان من دعاة اتخاذ مصر مستعمرة فرنسية . ويدل ما أصدره من تشريعات ، وما قام به من تنظيمات ادارية لمختلف نواحي الحياة في مصر ، على انه كان يعمل جهده لتثبيت أركان الحكم الفرنسي بها . ولكنه من ناحية أخرى كان ذا نزعة ديكتاتورية عنيفة ، فأتسمت تصرفاته قبل المصريين بكثير من القسوة والظلم . ولم يكن في هذا خيراً من سلفه كليبر .

وتاريخ الجبرتي ملئ بالشواهد على ما عاناه المصريون في عهد منو من عنت وارهاق ، نتيجة لما فرضه عليهم من اتاوات وضرائب فادحة ، ولما أصاب مصادر رزقهم من نهب وتخريب .

صحيح أن منو وجد من الضرورة - كما رأينا - إعادة تكوين ديوان القاهرة بعد تعطله مدة طويلة ، وصحيح انه وسع اختصاصات هذا الديوان نوعاً ما . ولكن علاقته بممثلي الشعب كانت تفتقر الى ذلك المخطط الواضح ، الذي كان يحدد معالمها وهدفها أيام بونابرت .

لقد حرص قائد الحملة الأول على أن يشعر المصريون وقادتهم ،  
من خلال منشوراته العربية ، بذلك الاتجاه « الوطني » في سياسته ،  
حتى يمكنه أن يكتسب تأييدهم لحكمه . وقد رأينا كيف تنوعت أساليب  
إصدار المنشورات لتأكيد هذه السياسة .

ولكن يبدو ان منو ، رغم ولائه الكبير لبونابرت واعجابه البالغ  
بشخصيته ، لم يكن مقتنعا تماما بسياسته الوطنية أو متفهما لها ، من  
ناحية ، ولم يكن كذلك قد تمثل خطته الاعلامية الذكية ازاءها كما ينبغي ،  
من ناحية أخرى .



## الفصل الثالث

### سياسة الترغيب والترهيب

كانت هذه السياسة هي ثلاثة الركائز التي قامت عليها الخطة الدعائية التي وضع بونايرت أساسها ، وحاول تحقيقها بمنشوراته العربية ، بعد السياسة الاسلامية والسياسية الوطنية .

واستهدف بونايرت من هذه السياسة أن تكون سندا يدعم السياستين الآخرين ، ويساعد على اجتذاب قلوب المصريين ، واقتناعهم بالولاء للحكم الفرنسي .

وقد تعددت الأساليب الاعلامية لسياسة الترغيب والترهيب . ولكنها كانت تدور حول الاشادة بمزايا الحكم الفرنسي وازجاء الوعود لمن يؤيدونه من ناحية ، والتلويح بتهديد من يفكر في الانتفاض عليه بأشد النكال من ناحية أخرى .

واتضحت معالم هذه السياسة ، شأنها في ذلك شأن السياستين الآخرين ، منذ منشور بونايرت الأول . فهو يمني فيه المصريين الذين سوف يساعدون قوات الحملة ، بل أولئك الذين سوف يكتفون بموقف الحياد بين الفريقين المتحاربين ، بأحسن الجزاء . ثم يهدد من ينضم الى جانب المماليك بأوخم العقاب : « طوبى ثم الطوبى لأهالي مصر الذين يتفقوا معنا بلا تأخير فيصلح حالهم ويعلى مراتبهم طوبى أيضا للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين فاذا يعرفونا بالأكثر

يسارعون اليها بكل قلب . لكن الويل نم الويل للذين يتحدوا مع الممالك  
ويساعدوهم في الحرب علينا فما وجدوا طريق الخلاص ولا يبقى  
منهم ائر » .

ويذهب « المادة النائية » من هذا المنشور الى أقصى مدى في انذار  
من يفكر في مقاومة الغزو الفرنسي ، فتقول : « كل قرية انتى تقوم على  
المعسكر الفرنسي تنحرق بالنار » . ولاشك في أن هذا الانذار الرهيب  
هو كما يقول الرافي (١) « أمر لا يتفق والقواعد الانسانية في معاملة  
الشعوب » . ولم يكن ذلك على أية حال مجرد تهديد أو لغو من القول .  
ولكن تاريخ الحملة في مصر يحفل بالشواهد على أن الفرنسيين قد نفذوا  
بالفعل هذا الانتقام في بعض القرى والأحياء التي كانت تقاوم زحفهم أو  
تتمرد عليهم (٢) .

✽ وفي بداية الجزء الأول من المنشور الذي أعلن به إعادة تكوين  
الديوان على اساس جديدة ( عمومي وخصوصي ) (٣) ، قال بونابرت ،  
« ان بعض الناس ضالين العقول خالين من المعرفة وادراك العواقب . .  
أوقعوا الفتنة والشروع بين القاطنين بمصر فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم  
القيحة . . » .

وفي هذا الجزء أيضا خاطب ممثل الشعب . مهددا كل من تسول  
له نفسه التمرد على حكمه فقال : « . . ان الذي يعاديني ويخاصمني  
انما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد ملجأ ومخلصا ينجيه  
مني في هذا العالم » . ثم ختمه بقوله : « . . فطوبى للذين يسارعوا في  
اتحادهم وهمتهم معي في صفا النية وخلص السريرة . . » .

✽ وفي منشور الجنرال دوجا نائب القائد العام ، الذي وجهه الى  
اعضاء ديوان القاهرة ، متضمنا أخبار استيلاء قوات الحملة السورية على

(١) مرجع سبق ذكره ج ١ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) مثل قرى الجمالية وميت سلسيل والشعراء والورقا وعلقام بالوجه البحري،  
في أوائل أيام الحملة (سبتمبر - أكتوبر ١٧٩٨) ، وقرى سرسنا وأبو مناع وابند  
بالوجه القبلي ، في محاولة اخضاع الصعيد التي طالت حتى أواسط عام ١٧٩٩ .  
( انظر تفصيلات مقاومة القرى المصرية للحملة والمعارك التي دارت بها في المرجع نفسه ،  
ص ٣٢٤ - ٤٢٣ ) .

(٣) سبق الحديث عنه في ص ٩٨ ، ١١٤ - ١٨ .

العريش ورسالة بونايرت بهذا الشأن (١) ، اشادة بعفو بونايرت عن أسرى المعركة وإطلاق سراحهم وتأمينهم .

وتتضمن رسالة كل من دوجا وبونايرت في هذا المنشور كذلك تأكيداً للمصريين بأنهم يستطيعون أن يستأنفوا إرسال قوافلهم التجارية إلى سوريا ، وتأميناً لهم على بضائعهم وأموالهم ، فبونايرت « حريص دائماً على رعاية مصالح الأهالي من سكان القاهرة وسائر المدن المصرية » .

✳ وفي صدر المنشور الذي تضمن رسالة الشريف غالب سريف مكة إلى الجنرال بوسيلج «مدبر الحدود العامة بمصر» (٢) ، يبيد غير مباشر لمن يتمرّد على الحكم الفرنسي . فهو يندد بمتطوعي الحجاز الذين انضموا إلى المصريين في مقاومتهم للزحف الفرنسي على الصعيد ، ويصفهم بأنهم « قطاع طريق » ، ويشير إلى هلاكهم على أيدي القوات الفرنسية : «ان حضور الجماعة قطاع الطريق على القصير من غير اطلاعه (أي شريف مكة ) وبغير إذنه فجزاهم ما حل بهم حيث تخطفهم الطير وقد هلكوا في الصعيد بعسكر الفرنسيات أهله الشجاعة والمحاربة القوية الأسدية ...» .

✳ وتعلو نغمة التهديد في المنشور الذي تضمن رسالة بونايرت إلى « ديوان مصر المحروسة » من معسكر الرحمانية قبيل موقعة أبو قير البرية (٣) . فقد ختم رسالته تلك بقوله : « نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار لأجل أن بمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية في سائر الأقاليم والبلاد لأن البلد الذي يحصل فيها الشر يحصل لها مزيد الضرر والقصاص انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفاً عليهم أن نفعل فيهم مثل ما فعلنا في أهل دمنهور (٤) وغيرها من بلاد الشرور بسبب سلوكهم المسالك القبيحة قاصصناهم ...» .

\*\*\*

ولم يكتف بونايرت بأن يستخدم هو في خطابه للمصريين لغة الوعد والوعيد ، وإنما انطلق بها كذلك أحبابنا لسان زعمائهم من أعضاء الديوان

(١) انظر ص ١٢٩ .

(٢) انظر ص ١٠٠ .

(٣) انظر ص ٩٦ - ٧ ، ١٤١ - ٢ .

(٤) يقصد المذبحة الفظيعة التي تعرضت لها المدينة ، وانتهت بها ثورة المهدي

بالبحيرة . وقد أشرنا إليها من قبل .

في المنشورات التي استكتبهم اياها ، واتضح ذلك بوجه خاص في منشورات هؤلاء القادة الى الشعب في الاوقات التي تازمت خلالها احوال الحملة ، كما حدث عقب ثورة القاهرة الاولى ، وفي ايام الحملة السورية .

✽ ففي المنشور الذي اصدره العلماء اعضاء الديوان بعد ثورة الفاعرة الاولى ، ووجهت منه صور الى مختلف الاقاليم المصرية (١) ، قيل للمصريين : «لاتحركوا الفتن لتكونوا في اوطانكم مطمئنين ولا تطيعوا امر المفلسين ولا تسمعوا كلام المنافقين ولا تكونوا مع الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرءون العواقب .. والذين حركوا الفتنة قتلوا عن آخرهم واراح الله منهم العباد والبلاد وقد نصحناكم لتسلموا من الوقوع في البلية ..»

✽ ونرددت هذه التهديدات مرة أخرى في منشور العلماء الذي صدر بعد ذلك بأيام، لتحذير الشعب من الاصغاء الى دعاية المماليك (٢): « فننصحكم ايها الاقاليم المصرية انكم لا تحركوا الفتن ولا الشور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنسية بشيء من انواع الاذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .. »

واتبع العلماء هذا التهديد بمحاولة ل اظهار بونا برت للشعب في صورة الحاكم العادل الرحيم « .. حضرة صارى عسكر الكبير .. بونا برتة اتفق معنا على انه لا ينازع أحدا في دين الاسلام .. ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم .. »

✽ ولما استقرت الامور في القاهرة بعد ثورتها ، وأخذ بونا برت يستعد لحملة على بلاد الشام ، استكتب أعضاء الديوان الخصوصي المنشور الذي وجه «الى جميع أهل مصر من خاص وعام (٣)» . وتتردد في الجزء الاكبر من المنشور نفحة ترغيب تشيد بحسن معاملة بونا برت للمصريين ، وتنوه باصلاحاته ومشروعاته :

- فقد « صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية بسبب

(١) سبق الحديث عنه في ص ١٢٠ - ٢٣ .

(٢) انظر ص ٩٤ ، ٥ ، ١٢٣ - ٢٤ .

(٣) انظر ص ٩١ - ١٠٠ .

ما حصل من اراذل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر  
الفرنساوية » .

- وعمل على انشاء الديوان العمومي والديوان الخصوصي ، الذي  
يجتمع « كل يوم لاجل قضا حوايج الرعايا وخلص المظلوم من ظالم  
القوم » .

- ومما يدل على عدله المطلق انه اعدم اثنين من جنوده لاعتدائهم على  
منزل الشيخ محمد الجوهري (١) ، وانه اعتقل بالقلعة أحد محصلي  
الضرائب «لانه بلغه انه زاد المظالم في الجمر بك مصر القديمة» .

\* وفي المنشور الذي أصدره ممثلو الديوان الى الشعب في مناسبة  
سفر بونا بورت للحاق بحملته السورية (٢)، تحدثوا عن رحمته بالمصريين  
وشفقته عليهم و «نية الخير» لديه تجاههم ، وانهم بفضلهم سوف «يحصل  
لهم النجاح والصلاح ويكمل في ساير أقطارها السرور والاصلاح وتفرح  
أقاليمها» .

ثم أخذ ممثلو الديوان يعدون مواطنيهم ويمنونهم بالمستقبل الرغد  
السعيد على يد بونا بورت . فالبلاد في عهده سوف «تكمل زروعها الفاخرة  
وأنواع تجارتها الباهرة ويحدث فيها بحسن رأيه وتدبيره التحف من أنواع  
الحرف» . ويجدد فيها ما أندثر من صنائع الحكماء والاولين ويرتاح في  
دولته كل الفقراء والمساكين .

وما لبث هذا الكلام المعسول أن اقترن بمر الوعيد : «فالتزموا» .  
بحسن المعاملة والادب واجتنبوا في غيبته أنواع الكذب والقبايح . وان  
حصل منكم في غيابه أدنى خلل ومخالفة حل بكم الوبال والدمار ولاينفعكم  
الندم ولا يقر لكم قرار» .

\* وفي المنشور الذي صدر على لسان ممثلي الديوان بعد استيلاء  
القوات الفرنسية على يافا (٣) فقرة تتصل اتصالا وثيقا بسياسة بونا بورت  
في ترغيب المصريين ومحاولة اجتذابهم اليه، بالتنويه بحسن صنيعه معهم .

(١) من شيوخ الازهر الاجلاء . ترجم له الجبرتي في وفيات سنة ١٢١٥ هـ ترجمة  
ضافية ، وأشاد بخلقه وعلمه واستاذيته ومكانته الرفيعة ( عجائب الآثار ، ج ٢ ،  
ص ١٦٤ - ٦٥ ) .

(٢) سبق تناوله من وجهة نظر السياسة الوطنية . انظر ص ١٢٧ - ٢٨ .

(٣) انظر ص ١٣١ .

وبعول هذه المعرة : ٠٠٠ في يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة صارى عسكر الكبير ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير الذين كانوا في يافا وأعطاهم الامان وأمرهم برجوعهم الى بلادهم مكرمين ٠٠٠ .

وفى ذلك اشارة الى المصريين الذين خرجوا من ديارهم وانضموا الى الجبهة المعادية للفرنسيين ، وكان منهم عدد كبير مع حامية يافا عند محاصرتها ، وعلى رأسهم الزعيم المصرى السيد عمر مكرم نقيب الاشراف الذى عين الفرنسيون بدله السيد خليل البكرى .

وبهذا التصرف يبدو بونايرت فى صورة القائد الشفوق العطوف الذى يؤنرهم بكرمه وعفوه ، فيحرص على ألا يمسهم أذى ، بالرغم مما صاحب تلك المعركة الرهيبة من أهوال وفظائع .

✽ وفى ختام المنشور الذى أصدره العلماء قبيل عودة الحملة السورية ، فى محاولة للرد على ما شاع بين الاهالى من أخبار المقاومة المصرية للفرنسيين فى الصعيد (١) ، وجهوا النصح التقليدى الى مواطنيهم بالانصراف الى أعمالهم والتسليم بأحكام الله ٠٠ ثم حذروهم ألا يصغوا الى أحاديث الفتنة وأن يجنبوا أنفسهم عواقبها الوخيمة : «فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف وامسكوا ادبكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار والاولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه وأن يترك الكذب وأن يسلم لاحكام الله وقضاء فان العاقل يقرأ العواقب وعلى نفسه يحاسب ٠٠٠ » .

\*\*\*

بقدر ما كان كليبر خافت الصوت فى الاعلام الدعائى الذى يرتكز على السياسة الاسلامية، وبقدر تهافت دعايته القائمة على السياسة الوطنية لضعف ايمانه بهذه السياسة ، فقد كان كذلك مقلا الى حد كبير فى استخدام المنشورات لمحاولة استرضاء المصريين بالوعد ، أو تخويفهم بالوعيد .

ومن النماذج النادرة التى نلمح فيها ظلا ، ولو باهتا ، لهذا الاتجاه عند كليبر ، المنشور الذى سبق أن أشرنا الى انه أصدره وهو بعد قائد

---

(١) انظر ص ١٣٢ - ٣٣ .

لمنطقة الاسكندرية (١)، يدعو فيه أعضاء ديوان المدينة الى اختيار ممثلها في الجمعية العمومية التي أمر بونابرت بتكوينها في القاهرة .

ففي هذا المنشور الذي لاحظنا من قبل تضمنه لكثير من عبارات المجاملة والتودد الى ممثلى شعب المدينة اكتفى كليبر في محاولة استرضاء المصريين بعبارات عامة رددتها في بداية المنشور ونهايته . لقد قال بعد عبارات المجاملة لأعضاء الديوان : « ان حضرة السر عسكرا الكبير بونابرتنه دائما مشغول في تحصيل أسباب الراحة والهنا لأهالى مصر كلها » . ثم ختم المنشور بقوله : « مثل ما هو ( أى بونابرت ) يحب الهنا والراحة لأهالى بر مصر كلها وانا كذلك نحب الهنا والراحة لكم » .

✳ وفي المنشور الذى أصدره الى شعب مصر في أوائل عهد قيادته للحملة (٢) ادعى أن مصر تتمتع بالرخاء والأمن « بسبب العدل والتدبير الواقعين من سلفنا محبكم حضرة صارى العسكر بونابرتنه في أيام حكمه وبسبب ذلك دام مجده وعزه وحصلت الراحة التامة للرعية في مدته. »

وعكست آخر فقرة في هذا المنشور وجهى سياسة الترغيب والترهيب معا فى ايجاز ووضوح « واعلموا أن أيام حكمنا نكرم الناس الطيبين ونحبهم بغاية المحبة والاكرام ويحصل لهم منا الخير والمعروف وان الناس المفسدين يحصل لهم الدمار والادب الشديد » .

✳ وفى ختام المنشور الذى أصدره كليبر من معسكر الصالحية بعد توقيع اتفاقية العريش (٣) ، قال بعد أن نوه بجهود أعضاء الدواوين فى تحسين العلاقات بين المصريين وحكامهم الفرنسيين : « وبسمى أن هذا التوافق لم ينقطع الى تمام الشروط (٤) واذا وقع بعض خلل من سفهاء العقول يلزمنى بالقهر عنى قصاصهم بالسلاح والسلام » .

\*\*\*

أما منو فقد كان أكثر قادة الحملة الثلاثة اهتماما بسياسة الترغيب والترهيب ، بحيث أصبحت تمثل الركن الأساسى من أركان اعلامه

(١) انظر ص ٩٨ ، هامش ٣ ، ١٤٥ - ٦ .

(٢) راجع ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) راجع ص ١٤٩ - ٥٠ .

(٤) يقصد الى تمام تنفيذ الاتفاق (الذى عقد بالعريش) ، كما جاء فى الاصل

الفرنسى :

« jusqu'à l'entière exécution du traité ».

الدعائي . وقد نادى منو في الأخذ بهذا الاتجاه حتى أن كثيرا من منشوراته المخصصة أصلا للاعلام البحث لا تخلو من عبارات وعد أو وعيد . بل انه أسرف في الأخذ بأسلوب الارهاب في مخاطبة المصريين ، كما سنرى . اسرافا شديدا .

ونلمح مظاهر هذا الاهتمام من قبل أن يتولى منو قيادة الحملة ، في المنشورات التي أصدرها وهو حاكم اقليمى . ففي المنشور الذى أصدره الى شعب ولايته فى أوائل نوفمبر ١٧٩٨ (١) نقرأ عدة عبارات تردد بقوة ، على ركاكتها وخطائها ، صوت هذه السياسة وتمتزع فيها الملاينة بالتهديد امتزاجا شديدا .

يقول منو فى هذا المنشور ، محذرا المصريين من الانسياق وراء دعاية حكامهم السابقين ، بعد أن أكد أن الفرنسيين لم يجيئوا الى مصر الا لتخليصها من حكم المماليك : «وطول الأربعة أشهر المذكورين واحنا نلاطفكم ونشفق عليكم وأنتم طانين فينا على قدر عفولكم وكراهتمكم فينا ويتسمعوا الأخبار الكاذبة الذى بتورد عليكم وتميل عقولكم لتصدق الكلام الكذب من أتباع الظلمة السابقين .. فلاى شى تتبعوا كلامهم اما علمتوا ( كذا ) ان بونا برته ان قال كلمة تكون سبب هلاككم عن آخركم لكن لم مرادنا نحكم فيكم بطريق التخويف الا بالرضا والتسليم فاعلموا أننا أصحابكم ولم ترموا أنفسكم فى الهلاك مثلما فعلوا أهل مصر (القاهرة) المخدوعين وبعض أهل الأرياف ولم لزمنا أننا عاقبناهم العقاب الشديد الا قهرا عنا فمن هو الذى عادانا وحاربنا وسلم من الموت فبقا ( كذا ) بسبب غرضكم للمماليك يحصلكم ( يحصل لكم ) كامل الهلاك .. » .

وكرر هذا المعنى فى فقرة أخرى قائلا : « .. فاعلموا أن الفرنسياتوة كانوا تاركينكم طول هذه المدة لعدم ميلكم لهم وأنهم يحصل منهم عقاب شديد فى حق أصحاب العقول الضالة الذى ( كذا ) قصدهم القيام علينا » .

وختم المنشور بأن كل من يخالف الأوامر « .. علمنا أنه مايل لطايفة الغز ( المماليك ) فلا يكون جزاءه الا أخذ روحه .. » .

وكان المنشور الذى أصدره فى أوائل مايو ١٧٩٩ ، محذرا أهل اقليمه مرة أخرى من الانخداع بدعاية المماليك والانجليز (٢) ، زائرا

(١) و (٢) انظر ص ١٥٧ .



بعبارات التهديد والارهاب الصارخة . فبعد أن أكد أن أولئك الأعداء كانوا سببا في قتل « ثمانية آلاف نفس في المدينة وهم الذين مثلكم صدقوا قول الانجليز » ، استدرك معللا مقتل هذا العدد الكبير من الأهالي « الثائرين » على يد القوات الفرنسية ، بقوله ان « صارى عسكر الكبير بونا برته الذى هو دايميا محب للناس الطيبين كان مقصوده عدم موت من قتل من أهل المدينة وتعبد في منعهم وردهم بكل معروف وكل لطف لكن هؤلاء الطائفة التعيسة من تسليط الغز فيهم لم سمعوا النصيحة فانفنو عن آخرهم من هجمة الفرنساوية عليهم كالرعد القاصف . . » .

واستطرد بعد ذلك الى الحديث عن موقفه هو فقال : « ان كما فعل صارى عسكر الكبير أفعل معكم كل معروف وكل نصيحة لأردكم بحسن لطافة لكن الى ( الذى ) يسلك في الأفعال القبيحة أكون له ضد وافعل معه كما فعل المذكور فاسمعوا منى لأنى أنا محب لكم وكل من ( كل من ) خاصم الفرنساوية يقتل والذى يقول لكم خلاف ذلك هو عدوكم ومراده هلاككم . . » .

وفي المنشور الذى أصلره لتوديع أعضاء ديوان «بندر رشيد» قبل سفره لتولى مهام منصبه الجديد بالشام (١) غلبت نغمة الملاينة وخفض الجانب وانعاش الآمال فى مستقبل حافل بالرخاء والنعمة . فهو يخاطب أعضاء الديوان بقوله : « ونحن دايميا شاكرين منكم لأننا من حين دخولنا الى هذا الطرف ولوقت تاريخه لم وقع منكم الا كل محبة ومعروف فى حق الجمهور الفرنساوى . . » .

ثم يقول : « كل ابتدا صعب ولكن تجيء الآخرة طيبة وعن قريب . . بعد وقوع الصلح وانفتاح البواغيز (أى الموائىء) تنظروا ما يكون فى الاقليم المصرى من معاطات ( كذا ) الأسباب والمتاجر والبيع والشرى ( كذا ) الذى لم صار مثله ولا فى الزمان السابق . . » .

ويردد بعد ذلك نغمة تحذير وتهديد ، ولكنها تظل ، الى جانب النغمة الأخرى ، هادئة الجرس : « فأنتم دايميا كونوا متحدين معنا ولم تصدقوا كلام المنافقين وأعداء الجمهور الفرنساوى . . وكل من ( كل من ) يصدقهم ويسمع كلامهم يحصل على غاية الندم من حيث لا ينفعه ذلك . . » .

لقد تولى منو قيادة الحملة عقب مصرع كليبر ، بوصفه أقدم قواد

الفرق في الحملة ، بالإضافة الى أنه كان قائداً ( قومنداناً ) لمنطقه القاهرة (١) .

وكان مقتل كليبر من الحوادث التاريخية البارزة ، نظرا لمركز المجنى عليه وظروف الحادث وما ترتب عليه من نتائج . وكان طبيعيا أن تسود الأهالي حالة من الذعر والفرع بعد هذا الحادث ، وأن يتلقاه الفرنسيون بالغضب والسخط ، وأن تتوتر تبعا لذلك العلاقات بين الجانبين توترا شديدا .

وقد لعبت المنشورات العربية في تلك الظروف غير العادية دورا تاريخيا ، عزز به منو الاجراءات التي اتخذها لكي تسترد الحملة هيبتها ، وتجتاز تلك المحنة دون صدام خطير مع الأهالي .

لقد أجمع المؤرخون ، وبخاصة المصريين منهم ، على الاعجاب بعدالة الاجراءات التي اتخذت في التحقيق مع المتهمين باغتيال كليبر ومحاكمتهم . فيقول الجبرتي (٢) ان الفرنسيين « الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين » لم ينساقوا وراء انفعالهم فيقتلوا القاتل ومن أرشد اليهم من شركائه ، « بعد أن عثروا عليه وجدوا معه آلة القتل .. بل رتبوا حكومة ومحاكمة واحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام .. ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه الحكم » . ويقول الجبرتي بعد ذلك في جراحة ان عدل الفرنسيين في هذا الموقف « بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر (يقصد العثمانيين) الذين يدعون الاسلام ويزعمون أنهم مجاهدون وقتلهم الأنفس .. بمجرد شهواتهم الحيوانية .. » .

ويقول الرافعي (٢) : « ولا جدال في أن محاكمة المتهمين في هذه القضية كانت عنوانا للعدالة العسكرية .. ومن الانصاف أن نقول ان القضاة الفرنسيين .. كان في استطاعتهم أن يأخذوا كثيرا من الأبرياء بجناية القاتل ، لكنهم لم يفعلوا فكانوا نموذجا للعدل ومدعاة للاعجاب .. » .

واهتم لويس عوض (٤) بأن يبرز في حماس « الوقفة الطويلة التي وقفها الجبرتي أمام محاكمة سليمان الحلبي قاتل كليبر وأظهر فيها

- 
- (١) عينه كليبر في هذا المنصب في شهر مايو ١٧٩٩ ، وذلك عقب اخماد ثورة القاهر الثانية . وقد قتل كليبر يوم ١٤ يونيو ١٨٠٠ .  
 (٢) هجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١١٧ .  
 (٣) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .  
 (٤) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

دهشته واعجابه من الطريقة التي يجرى بها الفرنسيون محاكماتهم » .  
وكذلك نوه بالتنفات الجبرتي الى « احاطة المحاكمة بكافة ضمانات  
العدالة ، واكتشافه أن الاجراءات الجنائية لها قوانين تنظمها . . »

ولا شك أن اعجاب الجبرتي ، الذي عبر عنه في حرارة ، كان صورة  
لاعجاب غيره من المصريين الذين عاصروا تلك الوقائع . وواضح أن الاعجاب  
بعدالة الفرنسيين في هذه القضية يرجع الى ما علمه الناس من اجراءات  
التحقيق والمحاكمة . ولم يكن ذلك ليتحقق لولا حرص السلطات الفرنسية  
على اذاعة تفصيلات تلك الاجراءات ، في منشورات طبعت بالعربية  
والفرنسية والتركية .

لقد أثبت الجبرتي نصوص المنشورات التي تضمنت التقرير الطبي  
ومحاضر التحقيق وما اليها ، ثم نص المنشور الذي يتضمن وصفا كاملا  
لجلسة المحاكمة الأخيرة ، واستغرق ذلك من كتابه سبع عشرة صفحة (١) .  
ونشر المؤلف على نسخة من منشور الجلسة الأخيرة التي صدر فيها الحكم  
دون المنشورات الأخرى (شكل ٥٤) (٢) ، وهو بعنوان : فتوة  
( الفتوى ، أي الحكم ) الخارجة من طرف ديوان القضاة المنتشرين  
( المعينين ) بأمر صاري عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنسي في مصر  
لأجل يشعروا ( أي لمحاكمة ) كل من له جرة ( أي كل من تسبب ) في غدور  
وقتل صاري عسكر العام كليبر .

ولا شك أن اصدار منشورات مفصلة بما جريات الحادث على هذه  
الصورة هو عمل اعلامي جدير بالتنويه . وسنتعرض له فيما بعد عند  
الحديث عن المادة الاخبارية في منشورات الحملة . غير أن لهذه المنشورات  
من ناحية أخرى جانبها الدعائي ، فلقد حقق اعجاب المصريين بتصرف  
السلطات الفرنسية في هذه المحاكمة ، نتيجة لما اطلعوا عليه من تفصيلاتها،  
أحد جانبي سياسة الترغيب والترهيب التي طبقها منو بدقة في ذلك  
الموقف العصيب .

أما الوجه الثاني من هذه السياسة ، فقد تحقق بدوره ، بطريق  
غير مباشر ، من خلال ما أذيع في تلك المنشورات . ويتمثل ذلك في نص  
العقاب القاسي الذي طالب به الادعاء للقاتل وشركائه ، وبخاصة تلك

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١١٧ - ٣٣ .

(٢) بتاريخ ٢٨ بريريال سنة ٨ (يوافق ١٧ يونيو ١٨٠٠) . وهذه النسخة من  
مخطوطات المكتبة القومية بباريس .

الصورة الانتقامية البشعة لعقاب سليمان الحلبي بالذات • وقد وافقت هيئة المحكمة بالفعل على العقاب المقترح ، ثم نفذ فيما بعد • وتكررت الإشارة الى هذا العقاب أكثر من مرة • ففي ختام مرافعة سارتلون (Sartelon) ممثل الادعاء طالب بأن سليمان الحلبي « يكون مدحوس بتحريق يده اليمنى وبتهريقه حتى يموت فوق خازوقه وجيفته باقية فيه لماكولات الطيور » • وطالب كذلك بقطع رءوس شركاء الحلبي الأربعة (١) وتضمن آخر منشورات هذه القضية ، الذي عرض صورة الحكم ووصف الجلسة التي صدر فيها ، نصا أكثر توضيحا يحدد الشكل النهائي للعقوبة المقترحة ، كما استقر عليه رأى القضاة فقد جاء فى هذا المنشور أن القضاة « تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس عذاب لايق لموت المذنبين .. ثم اتفقوا جميعهم أن يعذبوا المذنبين بعذاب من العذابات المعتادة بالبلد لأعظم المذنبين ويكون لايق للذنب الذى صدر وافتوا أن سليمان الحلبي تحرق يده اليمنى وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تأكل رتمته الطيور .. قدام كامل العساكر وأهل البلد الموجودين فى المشهد .. » •

أما بالنسبة لشركاء الحلبي الأربعة ، فقد حكم القضاة بأن « تقطع رؤوسهم وتوضع على نيابيت وجسمهم يحرق بالنار .. ويكون ذلك قدام سليمان الحلبي قبل أن يجرى فيه شئ » •  
ان مثل هذه العبارات لكفيلة بأن تبعث القشعريرة فى نفوس الناس ، وان تردعهم عن مجرد التفكير فى التآمر على الفرنسيين أو معارضتهم •

وكان من نتائج حادث مصرع كليبر ، وما تبعه من محاكمة سريعة وتنفيذ علنى لما صدر فيها من أحكام اتسمت بالقسوة والتفنن والارهاب ، أن ساد الفزع والذعر بين سكان القاهرة بالذات ، فسافر « بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم الى بلاد الأرياف بعيالهم وحریمهم وبعضهم بعث حريمه وأقام هو .. » • وكان طبيعيا أن يتبع كثير من الأهالى هؤلاء الأعيان فى هجرتهم من مسرح الحوادث : « فلما رأهم الناس عزم الكثير منهم على الرحلة واكثرُوا المراكب والجمال وغير ذلك .. » (٢) •

ورأى منو أن يقف هذا التيار من الهجرة فورا ، خشية شيوع.

(١) الجبرتي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٣١ •

(٢) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣٤ ، من حوادث شهر صفر ١٢١٥ (يوليو ١٨٠٠) •

البلبلية والاضطراب ، واتبع فى ذلك أسلوبا تهديديا قاسيا . ويقول الجبرتي فى هذا الصدد (١) « فلما اشيع ذلك كتب الفرنسيين أوراقا وقادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ورجوع المسافرين ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يوما نهبت داره ٠٠ » . وكان لهذا التهديد أثره ، « فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر ٠٠ » ولكن ما لبث الفرنسيون أن زادوا من مظالمهم ، « فقرروا فردة ( غرامة ) أخرى قدرها أربعة ملايين . . وكان الناس ما صدقوا قرب تمام الفردة الأولى (٢) بعد ما قاسوا من الشدائد مالا يوصف ومات أكثرهم من الجبوس وتمت العقوبة وهرب الكثير منهم وخرجوا على وجوههم الى البلاد ثم دهوا بهذه المداهية أيضا . . » (٣) .

خرج كثير من الناس هربا من هذه المغارم الجديدة . فأصدر « صارى عسكر بليار قيمقام مصر » منشورا بالعربية والفرنسية ، يتضمن أمرا شديدا للهجة من مقدمة وسبع مواد ( شكل ٥٥ ) . (٤) .

ويقول بليار فى مقدمة أمره بلهجة منذرة (٥) ان كثيرا من سكان القاهرة غادروها ، وان المشايخ وكبار التجار بعثوا بعائلاتهم الى الريف ، وان ذلك يخالف الأوامر السابقة . ثم يدفع هذه الهجرة بأنها تثير الذعر وتعطل مصالح الناس .

ويمضى نائب القائد العام فى انذار رهييب كحد السيف فى برودته وحدته معا ، موجه الى الأهالى وزعمائهم ، أو دهمائهم وسادتهم ، على السواء ، فيقول انه فى هذا الوقت الذى تلتزم القاهرة فيه بالعمل على أداء « الفردة » المقررة عليها ، يجب أن يبقى بها جميع سكانها . وينبغى كذلك ألا يفادر المشايخ والكبراء أماكنهم حتى يعملوا على أن يدفع كل صاحب نصيب ما فرض عليه .

#### (١) المرجع السابق .

(٢) يقصد الغرامة التى فرضها كليبر على سكان العاصمة عقابا لهم على ثورتهم الثانية .

(٣) الجبرتي ، المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٢٤ - ٥ ، من حوادث شهر صفر ١٢١٥ أيضا .

(٤) مؤرخ ١٩ ترميدور سنة ٨ (٧ أغسطس ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٥) الصيغة العربية لهذا الامر غاية فى الركاقة ، وبخاصة فى المقدمة . لذلك آثرنا هنا النقل عن الاصل الفرنسى .

وينص الأمر على منع الخروج من المدينة الا بتصريح من « حضرة قيمقام مصر » ، ومصادرة أموال كل من يخرج بغير هذا التصريح ، وكذلك على منح مهلة خمسة عشر يوما يعود خلالها الذين سبق أن خرجوا منذ أيام القتال مع العثمانيين ، والا صودرت أموالهم ، أما المشايخ والتجار وغيرهم ممن بعثوا بأهلهم خارج المدينة فعليهم أرجاعهم فى مدة خمسة عشر يوما كذلك ، والا زاد نصيبهم من الغرامة بمقدار النصف .

ثم تفرض المادة الأخيرة من هذا الأمر على « المشايخ والعلماء » أن يرسلوا نسخا منه بمعرفتهم الى القرى التى هاجر اليها سكان القاهرة .

وقد أشار الجبرتى الى هذا المنشور وأثره فى ايجاز بقوله (١): « نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها بأن من لم يحضر .. نهبت داره وأحيط بموجوده وكان من المدنبيين واشتد الأمر بالناس وضائق منفسهم .. » .

والظاهر أن ذلك المنشور ، على عنفه ، لم يحدث الأثر المطلوب ، وبخاصة لدى من غادروا الأراضى المصرية كلها . فأصدر منو منشورا آخر بعد نحو خمسين يوما ( شكل ٥٦ ) (٢) ، ضمنه أمرا جديدا يغلب عليه هدوء اللهجة ونعومة الأسلوب .

وقد بدأ «صارى عسكر» هذا الأمر بديباجة قال فيها انه يميل الى « عبرة العفو والكرم المعطى الى كل الولاة والحكام المكرمين عن القنصل الأول من الجمهور الفرنسي » .

ثم حث منو « جملة الأشخاص المصرية الذين خرجوا من مصر خوفا من أسلحتنا وهربوا لعدم اعطاء الفردة المأمورين بدفعها » على العودة ، ووعدهم بأن يرد اليهم ما يكون قد صودر من أموالهم وأملاكهم .

واستدرك قائلا أن « هذا اللطف » الذى كرم به أولئك الأشخاص « ما يحسب الا الى اليوم الأول من شهر برومهر ( برومير ) الآتى (٣) » .

---

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٣٥ ، من حوادث شمس ربيع الأول ١٢١٥ (أغسطس ١٨٠٠) .

(٢) فى قندمير سنة ٩ (٩ أكتوبر ١٨٠٠) . وقد طبع المنشور - كما يفهم منه - بالعربية والفرنسية ، ولأنه كان فى طبعين منفصلتين . وهذه النسخة العربية من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٣) هو الشهر التالى لشهر قندمير الذى صدر فيه المنشور ، وأوله كان يوافق ٢٣ أكتوبر ، أى أن المهنة التى أشار اليها الامر مدتها اسبوعان .

وبعد مرور هذه المدة كل من أهالي مصر ما يرجع الى موضعه فيكون ماله وأرزاقه كلها ميريا الى جمهور فرنساوية » •

✽ ومن النماذج البارزة في منشورات سياسة الترغيب والترهيب منشور مطول وجهه منو « الى جملة أهالي بر مصر » ، أى الى سكان مصر جميعا ، لتنظيم عملية جباية الأموال الحكومية ومنع ما كان يشوبها من استغلال ومغارم ( شكل ٥٧ ، ٥٧ ١ ) ( ١ ) • ومن هذه الزاوية انطلق منو يتحدث الى المصريين حديثا طويلا كله من وترغيب ، ومقارنة بين عدالة الحكم الفرنسي وظلم الحكام السابقين •

وهو اذ ينبه الأهالي الى ألا يدفعوا أكثر مما هو مقرر بحكم القانون ، يذكرهم بأن ثمار جهدهم كانت تذهب من قليل ، عسفا واقتدارا ، الى جيوب الملاك وجباةهم وأتباعهم • ثم يقول : « فيا أهالي بر مصر أنا أوعدكم باسم الجمهور فرنساوى • • ولا أنا ولا أحدا من فرنساوية مادام بقالى شعرة فى رأسى لا يتصدوا الى أملاككم فما دام أنتم مؤيدين الرسم الموضوع قانونا • • فأنتم مأذونين بمحاطظة ( ! ) مع صفاء خاطركم كلما لكم مقنى • • » ( ٢ ) •

ولفت نظر المواطنين كذلك الى عدم تقديم هدايا أو « بلص » الى مشايخ البلاد أو المحصلين ومن اليهم ، وينذر كل من يحاول من هؤلاء تحصيل شئ يزيد على ما قرره القانون بأنه سوف يلقي أشد العقاب •

وتمضى عبارات المنشور على هذه الوتيرة ، فى محاولة ملحة من منو ليتألف قلوب المصريين • وهو يؤكد لهم أن واجبه وواجب كل المسئولين من عسكريين واداريين « هو أن يسمعواكم ويعينواكم ويحمواكم ويجروا حقكم مدام أنتم سائرين فى خير حالكم • • » • ويقول انه أوصى رجال حكومته بتحرى الحق دون محاباة ، وبألا يطلبوا أو يقبلوا من الأهالي أية هدايا • « وكل من يخالف هذا الأمر فله عذاب عقيب ( كذا ) » •

(١) صدر بتاريخ ٦ برومير سنة ٩ ( ٢٨ أكتوبر ١٨٠٠ ) فى طبعتين ، احدهما عربية فرنسية والثانية فرنسية خالصة • وهاتان النسختان ، اللتان تمثلان الطبعتين ، من محفوظات المكتبة القومية بباريس • والنريب انه لم يشر الى هذا المنشور ، على اهميته ، أحد من مؤرخى الحملة ، حتى الجبرى •

(٢) عبارات هذا المنشور العربية ركيكة ، ولذلك حرصنا على ألا نستشهد منها الا بالقليل الذى يمكن فهمه ، ولو بشئ من الجهد أو الشرح • والعبارة الاخيرة فى هذه الفقرة ترجمة للاصل الفرنسى :

« vous serez libres de jouir de tout ce qui vous appartient... »

وأخذ منو يذكر المصريين ببعض أنواع المظالم المالية والابتزاز ،  
ويمن عليهم بأن حكومته أبطلتها • تم يتساءل في سخرية عن مصير  
الأموال التي أوقفها أجدادهم « طاب ثراهم » على المساجد لتعميرها  
وصيانتها ، وعن الأوقاف الخيرية التي خصصوها للفقراء والمساكين ،  
بينما المساجد مهتمة ، والفقراء « في كل الجوانب موتى من الجوع والسكك  
والطرق مليئين منهم • • »

ويتضمن هذا المنشور فقرة خص فيها منو بالذكر ديوان القاهرة  
ومهمته • وبلغت النظرة في هذه الفقرة التهديد الصريح الذي وجهه  
القائد العام الى أعضاء الديوان ، اذا لم يؤديوا واجبهم كما ينبغي • وهذا  
أمر غريب لم يعهد من قبل في منشورات بونابرت أو كليبر •

يقول منو في هذه الفقرة : « يا أهالي بر مصر قد جعلنا • • ديوانا  
منيفا (١)، بمصر القاهرة فهو مركب ( مكون ) من المشايخ الأبهى والأشهى  
بالتقوى والحكمة فهم منصوبين لتقوية الدين وطره ومأمورين  
بمحاكماتكم • انى أنا ميكن ( متيقن ) أنهم يجروا وضايغهم ( وظائفهم )  
كما ينبغي بين الناس خوفا من الله ورسوله والا أعلنت لكم واليههم أن  
كان لم هم ثابتين في الاستقامة الواجبة لهم وان كان هم ناقصين من  
وجوب وضايغهم فلا بد لهم منا من أعقب العذاب ( كذا ) • »

وختم منو هذا المنشور بعبارة وجه فيها انذارا قاسى اللهجة وتهديدا  
بأشد أنواع الانتقام الى كل من يناهض الحكم الفرنسى أو يعارضه • وتقول  
عبارات الفقرة الركيكة : « ولكن أخبركم أيضا ان كان أنتم غير صادقين  
لجمهور الفرنساوية وان كان أيضا أنتم منصتين لنصيحة الأشرار وتقوموا  
علينا بالصد والمخالفة ففي الحال انتقمنا قريب ومخوف وعزة الله وحرمة  
رسوله ان كل ما يوقع من الشرور ما يسقط الا على روسكم فاذكروا  
ما وقع بمصر القاهرة وببولاق والمحلة الكبرى وسائر مدن بر مصر ( التي  
ثارت على الفرنسيين ) فان دماء آبايكم واخوانكم وأولادكم ونسايكم  
وأحبابكم قد جرى ( كذا ) . مثل أمواج البحار وبيوتكم أهتدموا وأملاككم

---

(١) في الاصل الفرنسى « tribunal suprême » ، أى « محكمة عليا » . وتبرز هذه  
الصفة للديوان ما أضافه منو اليه من اختصاصات قضائية • وقد سبق ان القينا  
الضوء على هذا الاجراء الخطير عند الحديث عن المنشور الذى أعلن به منو تكوين  
الديوان في صورته الجديدة ( ص ١٥١ - ٥٤ ) • ودان ذلك في ٢ أكتوبر ١٨٠٠ • أى قبل  
صدر المنشور الذى نحن بصدده بأقل من شهر •



انتهبوا وتلفوا بالنار . . فليكون دائما هذا الدرس لخيركم وكونوا بعد اليوم عاقلين . . » .

وأصدر منو بعد ذلك بأقل من شهر منشورا آخر بالعربية والفرنسية ( شكل ٥٨ ) . (١) ، ضمنه انذارا الى العصاة ومحركى الفتنة بأسلوب جديد . فقد أعلن فيه أنه أمر « بقطع رأس المسمى يوسف السمان بسبب أنه جهد بتحريك الاختلال بين أهالى مصر القاهرة » . . . وكان هذا التأثير قد حرض الناس على ألا يبيعوا الفرنسيين شيئا ، لاعتقاده بقرب عودة العثمانيين .

ومضى المنشور يحذر الأهالى من دعاة العصيان : « وإياكم من الناس الطالبين لتحريك الاختلال فهم أعدائكم الذين هم مفتشين على جلبكم للعصيان بعد ما هم عارفين يقينا أن انتقام الفرنسيات فى تقدير عصيانكم هو قريب مهيب فيضيعوا أعماركم ألوا ألف . . »

ويمثل هذا الانذار ، وهو لب المنشور ، الجزء الثانى منه . أما الجزء الأول فقد أذاع فيه منو نبأ اعدام ثلاثة من اللصوص قطاع الطرق وأعلن أن « كل من يصير مثلهم بالشر فلا بد له من عذاب مثله » . وقد فعل منو ذلك لأن «دولة الجمهور الفرنسيات وقنصلها الأول بونابارته» عهد اليه بالعمل على ما فيه راحة الأهالى وأطمئنانهم .

ويبدو أن الهدف الاعلامى من هذا الجزء من المنشور مزدوج . فهو يرمى الى مضاعفة التأثير النفسى المطلوب من التخويف فى الجزء الثانى من ناحية ، كما أنه يحاول من ناحية أخرى استرضاء المصريين باظهار منو بمظهر الحارس على أمنهم وراحتهم .

ولم ينس منو ، امعانا فى سياسة الترغيب والترهيب ، أن يوقع المنشور بعبارة « خالص الفؤاد . . منو » .

✽ وبعد اسبوعين أصدر منو منشورا هادىء النبرة (شكل ٦٠) (٢) طمأن فيه المصريين وأنذرهم ، وحضهم على الحرث والتعمير وحذرهم فى

(١) بتاريخ ٢٩ برور سنة ٩ (٢٠ نوفمبر ١٨٠٠) . ولم يذكره الجبرى أو غيره من المؤرخين المعاصرين ، وكذلك لم يشر اليه أحد من المتأخرين . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية ببائيس . وللمنشور طبعة أخرى فرنسية خالصة ، عثر الباحث على نسخة منها فى مكتبة المتحف البريطانى بلندن (شكل ٥٩) .

(٢) صدر بتاريخ ١٥ فبراير سنة ٩ (٦ ديسمبر ١٨٠٠) . ولم يشر الى هذا المنشور كذلك أحد من المؤرخين . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية ببائيس .

الوقت نفسه من الشطط أو الانحراف . فجمع بذلك بين طرفي هذه السياسة جمعا متجانسا يلفت النظر .

لقد وجه المنشور هذا الخطاب الى « أهالي مصر القاهرة وجميع بر مصر » :

« قلت لكم بمرات عديدة انما أنا لا أعاقب الا الأشرار .. قلت لكم أيضا أنا أعذب بالموت القتالين والحرامية .. »

« ان الجمهور الفرنسي وقنصلها الأول .. امرؤى بحسن سياسة هذه المملكة وأهاليها وذاك بالانصاف والعدل والمروءة .. فليعيشوا بالاستراحة ورفاهية الببال الذين يهدوا ويتمسكوا بالتقوى .. ولا أحدا منهم يفزع انما يفزع المفسدون والأشرار والسراف (١) انما نحن ناظرون وتابعون خطواتهم وعارفون بتمشيئاتهم »

« انى أدعيكم بتفليح وتحرير أراضيكم .. وإغنوا بالبركة جميع أطيان بر مصر بالهنا والعافية فلا تفزعوا قط .. »

وعاد منو الى أسلوب الردع بالتهديد مرة أخرى في منشوره الذى أصليه بمناسبة اعدام أحد قادة الثورة فى اقليم البحيرة ، وهو سليمان محمد شيخ بلد ( عمدة ) قرية سنهور ( شكل ٦١ ) ( ٢ ) ،

ولكى يبرر منو اجراءه العنيف ضد هذا الثائر اتهمه باللصوصية والقتل : « أعلموا أن سليمان محمد .. قد جعل نفسه من زمان مديد مذنب بأوحش وأغرب الخطايا سارقا وقتلا فى كل الطرق والمواضع حتى أنشر ( كذا ) الخوف والفزع .. »

ولم ينكر منو مع ذلك أن هذا الرجل كان « منذ سنتين » من الأسباب القوية « لحصيان أهالى مدينة دمنهور ضد الفرنسيات » ، أى عندما رددت الأقاليم صدى ثورة القاهرة الأولى فى بداية عهد الحملة ، (٣) ولكنه صوره

(١) فى الاصل الفرنسى :

« les méchants, les voleurs et les perturbateurs du repos public »

أى « المفسدون واللصوص ومعكرو صفو الأمن العام »

(٢) أشرنا من سل الى هذا المنشور فى ايجار (س ١٠٦) . وقد وجهه منو الى أهالى بر مصر ومصر القاهرة ، بتاريخ ٢٠ فريير سنة ٩ (١١ ديسمبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحرية الفرنسية بباريس .

(٣) كانت منطقة دمنهور وماحولها بالذات من مراكز المقاومة ضد الحكم الفرنسى . وقد أشرنا من قبل الى حركة «المهدى» التى عانى منها الفرنسيون كثيرا هناك عام =

فى صورة الغادر الذى تظاهر بصداقة الفرنسيين ثم انقلب عليهم : « فهو أيضا هنالك استغرق نفسه فى أسود السيئات فذبح فيها مقدارا كبيرا من الفرنسيات الذين كانوا يظنون أنه محبهم .. » . وعلى ذلك فان « هذا الرجل .. يستحق له القتل من كل بد فلذلك أمرت بضرب عنقه وإنما كل من يفعل بفعله لابد له بمثله » .

ثم وجه انذارا حاسما الى الشعب بأسره : « فيا أهالى بر مصر فليكون هذا الجزا للخاطى سليمان محمد المذكور عبرة لكل من يتبع هذه الطريق الشنيعة .. » .

وعاد مرة أخرى الى تبرير أجراءاته القاسى بقوله انه فعل ذلك رغم انه يثير حزنه ، لأن مهمته هى تطبيق شريعة الله العادلة . ثم وقع المنشور بعبارة التوددية المعروفة « خالص الفؤاد ... » .

✽ ومن محاولات منو الدعائية لأغراء المصريين بالتعاون مع حكامهم الفرنسيين ، أو على الأقل بمسالمتهم ، أشادته بسلوك المصريين الذين يقومون للحكم الفرنسى بخدمات ما ، واعلانه مكافأتهم على صنيعهم . ومثال ذلك المنشور الذى أصدره موجهها الى « المشايخ أبو كت وبركت مشايخ بلد قوة القدامى بولاية اطيحية » ( شكل ٦٢ ) ( ١ ) . فى هذا المنشور أعلن منو مكافأة الشيخين المذكورين لأنهما قدما العون لثلاثة من الجنود الفرنسيين تحطم قاربهم على شاطئ القرية ، وقاما بحمايتهم من اعتداء الأهالى .

وقد خاطب منو الشيخين فى المنشور قائلا انه فى مقابل ما قاما به من عمل جليل « ... أرسلنا الى كل منكما فروة لاعلام محبتنا لكما وأنعمت عليكما وعلى بلدكما ربع الرسوم التى عليكم اداها بسنة تاريخه .. » . ثم دعا لهما بالخير والنعمة وطول العمر ، ووقع « خالص الفؤاد » .

✽ وعندما تأزمت أحوال الحملة الفرنسية فى أواخر أيام منو ، وبدأ أعداؤها العثمانيون والانجليز تحركهم لاجلاء الفرنسيين عن مصر ،

= ١٧٩٩ ، التى ارتكبوا بسببها فظائع عدة . وكانت «سنهور» بلدة هذا الغائر بالذات مسرحا لمعركة عنيفة بين الثوار والفرنسيين ، فى ٣ مايو ١٧٩٩ ( الرافعى ، مرجع صبح ذكره ، ج ٢ ، ص ٦٠ ) .

(١) بتاريخ ١٣ يلفوز سنة ٩ ( ٣ يناير ١٨٠١ ) ، ولا يخفى تحريف الاسماء الواردة به ، ولعل اسم القرية محرف عن « القضاء » بمحافظة بنى سويف حاليا . ولم يشر الى هذا المنشور كذلك أحد من المؤرخين . وهنـه النسخة من محفوظات المكتبة القومية ببـاديس .

واخذ الناس على عادتهم يلفظون بما تواتر اليهم من انباء ، تابعت منشورات القائد العام تحذر المصريين من الفتنة ، وتهددهم بسوء العواقب . فمن ذلك المنشور الذى وجهه منو محنقا الى « كامل الأهالى كبير وصغير غنى وفقير المقيمين حالا بمحروسة مصر ( أى القاهرة ) وبمملكة مصر » ( شكل ٦٣ ) ( ١ ) .

وفى هذا المنشور ندد منو بمن يذيعون أخبارا كاذبة مضللة مثيرة للخواطر ، وهدد بأن كل من يثبت عليه قيامه بإذاعة مثل تلك الأخبار ( من أى طائفة وملة كان ) ، سوف « يمسك وترمى رقبتة بوسط واحدة طرق مصر » .

ثم وجه النصيح الى المصريين بأن يقرأوا فى بيوتهم وينصرفوا الى أعمالهم ، مطمئنين الى حماية السلطات الفرنسية لهم . ونبههم كذلك الى ان هذه السلطات لن تغفل عينها عن مثيرى القلاقل والمتمردين .

وختم «خالص الفؤاد» منشوره بتحذير خفى مغلف بالود : «والسلام على من اتبع الصدق والاستقامة» .

وقد علق الجبرتى على هذا المنشور بقوله : «فعلّم الناس من ذلك فرمان ورود شيء وحصول شيء على حد كاد المرتاب أن يقول خذنى» .

\* ويبدو انه بالرغم مما تضمنه هذا المنشور من تهديد ، وبالرغم من حرص الفرنسيين على تكتم انباء الحملة الانجليزية العثمانية بوجه عام ، فقد ذاعت انبأؤها بين المصريين وتحدثوا بها (٢) . ولنا رأى منو من المناسب أن يصدر منشورا آخر يعترف فيه بحقيقة الموقف ، ويواصل فيه أسلوب التهديد لكل من يحاول إثارة الفتنة .

وقد صدر هذا المنشور بالفعل بعد بضعة أيام من المنشور السابق

(١) فى ٦ فنتوز سنة ٩ (٢٥ فبراير ١٨٠١) . وكان تحرك الانجليز والعثمانيين قد بدأ بالفعل ، بحرا من ساحل الأناضول سرب الاسكندرية ، وبرأى بلاد الشام سوب برنخ السويس . وقد نقل الجبرتى نص هذا المنشور فى حوادث ١٤ نوال ١٢١٥ (٢٨ فبراير ١٨٠١) ، أى بعد تاريخ تحريره بثلاثة أيام ، ولكنه حرف كثيرا من كلماته . وقسم له مؤرخنا بقوله : «قرأ فرمان من سارى عسكر بالديوان وألصقت به نسخ فى مفارق الطرق والأسواق» : عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٤٦ - ٧ .

(٢) ذكر الجبرتى فى هذا الصدد ( المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٨ ) : «استفيضت الاخبار بوصول مراكب الى أبى قير ٥٠» ، و «.. خرج جملة من العسكر الفرنسية وسافروا الى الجهة البحرية برا وبحرا ٥٠» .

(شكل ٦٤) (١)، وتلى على أعضاء الديوان فى اجتماع خاص (٢) . وقد بدأه منو بتأكيد قوة الفرنسيين، وان النصر حليفهم دائما . ثم اعترف بأن الانجليز اقتربوا من السواحل المصرية ، وقال انهم «أن كانوا يستجروا ويوضعوا رجلهم فى البر فيرتدوا فى الحال الى اعقابهم فى البحر » . أما العثمانيون فانهم «أن كان يقدموا ففى الحال يرتدوا ويبتلعوا فى غمار وعفار البادية » .

وبعد هذا التمهيد النفسى ، الذى قصد به ارهاب المصريين ، ارفع صوت منو يهددهم بلهجة بالغة العنف : « فأنتم يا أهالى مملكة ومحروسة مصر . . ان كان تسلكوا فى الطريق الخافين الله وتبقوا مستريحين فى بيوتكم . . فحينئذ لا شىء خوف عليكم ولكن أن كان واحد منكم يسلك للفساد واضلالكم بالعصاوة ضد دولة الجمهور الفرنسي فاقسمت الله العظيم وبرسوله الكريم ان رأس ذى المفسد ترمى فى ذيك الساعة . . » .

ولم يكتف منو بذلك ، وانما أخذ يذكر المصريين ، فى وعيد ، بما أصابهم ، وبخاصة أهالى العاصمة ، من أهوال ومغارم نتيجة ثورة القاهرة الثانية وما تبعها من اضطرابات فى بعض الاقاليم : «فتذكروا كل المواقع حين محاصرة مصر الاخيرة وجرى دماء آباء ونساء وأولادكم فى كامل مملكة مصر وخصوصا بمحروسة مصر وخواصكم (أى أمتعتكم وأملاككم) انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فرداة ( أى فرضت عليكم غرامات ) قوية غير المعتاد » .

ثم ختم «خالص الفؤاد» منشوره بتحذير موجز حاسم : « . . فدخلوا (أى فضعوا) فى عقولكم وأذهانكم كلما (كل ما) قلت لكم الآن والسلام على كل من هو فى طريق الخير فالويل ثم الويل على كل من يبعد عن طريق الخير » .

وقد أعقبت تلاوة هذا المنشور على الاعضاء مناقشة حامية ممتعة

---

(١) فى ١٤ فنتوز سنة ٩ (يوافق ٥ مارس ١٨٠١) . وقد ذكر الجبرتى أنه مع بعض التحريف (المرجح السابق) . وسبق أن أشرنا فى ايجاز الى هذا المنشور عند الحديث عن السياسة الاسلامة (انظر ص ١٠٦) . وهذه النسخة من محفوظات المتبة القومية بباريس .

(٢) فى ٢٠ شوال ١٢١٥ (٦ مارس ١٨٠١) ، أى فى اليوم التالى لتاريخ طبع المنشور .

دارت بينهم وبين وكيل الديوان (القوميسير) الفرنسي فورييه (١) \* وحاول الاعضاء في هذه المناقشة مراجعة ممثل السلطة الفرنسية في فكرة الانتقام الجماعي الذي هدد به القائد العام في منشوره \* وأخذ العلماء يدللون على وجهة نظرهم بآيات من القرآن الكريم تقرر مبدأ شخصية العقوبة ، مثل «كل نفس بما كسبت رهينة» ، و «ولا تزر وازرة وزر أخرى» \*

وحاول فورييه من ناحيته أن يبرر موقف الفرنسيين بأنه لا مفر من أن تعم العقوبة كما حدث قبلا ، لان «المدافع والبنيات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح فانها لا تقرأ القرآن» \* وأراد أن يؤكد مبدأ المسؤولية الجماعية ، فلا يكفي صلاح الفرد أو خلوص نيته ، لان «المصلح من يشمل صلاحه الرعية فان صلاحه في حد ذاته يخصه فقط والثاني أكثر نفعاً ٠٠» \*

✽ أقلقت أخبار هذه المناقشة منو \* ولعله - كما يقول الراجعي (٢) - «ارتاب في نية أعضاء الديوان» ، فأصدر منشوراً آخر في عصر اليوم نفسه . وقد حرص وكيل الديوان على أن يبعث به الى الأعضاء في بيوتهم فور صدوره (٣) \*

وفي هذا المنشور الموجز ، الذي وجهه القائد العام «الى كافة المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر» ، أوضح منو انه يلقي عليهم تبعة ماقد يقوم به الاهالي من حركات ضد الحكم الفرنسي \* ونبههم - لأول مرة - الى انههم «رجال دولة الجمهور الفرنسي» ، كما كرر تذكيرهم بكل «ما وقع حين قصاص مصر الأخير» \* ومن ثم فلكي يضمنوا أمنهم وسلامتهم يجب أن يعملوا على «ضبط الخلائق لأنه ان كان يصبر أصغر الحركات فلا بد أثقالها تقع على رهوسكم ٠٠» \* ولا شك أن أعضاء الديوان اضطربوا لذلك الانذار العنيف من قائد

---

(١) سجل الجبرتي هذه المناقشة ، التي يبدو انه اشترك فيها مع زملائه من أعضاء الديوان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٨ - ٩ \*

(٢) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ١٤٠ - ٤٩ \*

(٣) يقول الجبرتي في هذا الصدد : «فلما كان عصر ذلك اليوم ورد فرمان من ساري عسكر الى وكيل الديوان فارسل خلف الشيخ اسماعيل الزرقاني (القاضي بالديوان) فاستدعاه وسلمه اليه والفره أن يطوف به على مشايخ الديوان في بيوتهم فيقرءونه وهو مبني على جواب المناقشة المذكورة» . وقد ذكر الجبرتي نص هذا «الفرمان» وان كنا لم نثر على نسخة مطبوعة منه . ويحتمل أن الوقت لم يتسع حينئذ لطبعه في منشور ، واكتفى بنسخ عدة صور منه \* ( المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٤٩ ) \*

الحملة • فقد ألقى على عاتقهم - كما يقول الرافعي (١) - تبعه رهيبة «لأنهم إذا ضمنوا أنفسهم فمن أين لهم أن يضمنوا سلوك الجماهير ؟»

على أية حال ، لقد أحدث الانذار أثره ، واحنى العلماء رؤسهم للعصافنة • ويذكر الجبرتي - دون ما تعليق (٢) - انه فى اليوم التالى «اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوى (رئيس الديوان) وحضر الاغا (المحافظ) والوالى (رئيس الشرطة) والمحاسب وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الاخطاط ونصحوهم وأنذروهم وأمرهم بضبط من هو دونهم وانهم لا يغفلوا أمر عامتهم وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين وجهل الجاهلين وانهم هم المأخوذون بذلك كما ان من فوقهم مأخوذ عنهم فالعاقلة يشتغل بما يعنيه .. » •

✽ وكان آخر منشورات الوعد والوعيد التى صدرت فى عهد منو ذلك المنشور الذى وجهه الجنرال بليار نائب القائد العام الى «كافة أهل مصر المحروسة» (شكل ٦٥) (٣) •

والغريب ان عهد الحملة الفرنسية كان فى تلك الايام يلفظ أنفاسه الاخيرة • ومع ذلك فان بليار تمسك فى صلافة بالموقف التقليدى لقواد الحملة ، الذى يقوم على التودد الى المصريين بمعسول الكلام ، وتهديدهم فى الوقت نفسه بأقسى العبارات •

ويبدأ بليار منشوره بالتعبير عن ارتياحه لحسن سلوك المصريين : «... فأنا مسرور منكم لشغلكم بأسبابكم وعدم تداخلكم فيما لا يخصكم...» ثم بمن عليهم بقوله: «وقد جربتم جميعا شفقتى عليكم وعدلى فى أغنياكم وفرايكم وأعيانكم وصغاركم فيجب عليكم أنكم تشكروا الله وتشكرونى على علو همتى وحسن صنيعى معكم فانه لم ينقص عليكم شئ من مونتكم ولم أتأخر عن معونتكم فى تحصيل جميع ما تحتاجون اليه من أصناف الاقوات واللوازم والمهمات ... » •

وشيئا فشيئا تتداخل مع هذه النغمة الرقيقة نغمة أخرى غليظة ، تبدأ بهممة خافته : « انتم تجهلون الحروب والى اليوم ما رأيتم شيئا من خرابها فأوصيكم كما يوصى الاب أولاده ... ان لا تخرجوا عن طريق

(١) المرجع السابق ذكره •

(٢) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٩ •

(٣) صدر فى أواخر مارس ١٨٠١ • وقد سبق أن أشرنا الى ما تضمنه هذا المنشور من عبارات تنصل بالسياسة الاسلامية فى اعلام الحملة (انظر ص ١٠٧) •

الاستقامة وكونوا حافظين لأولادكم وحريمكم .. واعزموا عزمًا ثابتًا على خلوص النية وطاعة حكامكم لأن في ذلك حفظ أرواحكم وأموالكم وأعراضكم ولا تهلكوا أنفسكم بالمخالفة » .

ثم لا تلبث نغمة التهديد أن تعلو لتصبح زمجرة فزيرًا هادرا :  
« .. وان صادف أن جيش الاعداء تقارب من أسوار البلد فإن حرك أحدا (كذا) منكم الفتنة وزينت له نفسه الانقياد أو اجتمع أهل خط أو حارة على ذلك وأعلنوا بقيام الفتنة وتحريك الشرور .. فلا بد من إيقاع القصاص الزايد فأعيالهم (كذا) وأولادهم وأموالهم .. يكونوا للسيف والنهب والنار وجميع القلع (القلع) الذين (كذا) بدأير البلد تمطر عليهم جلا وقنابرا .. على الخط الذي يخرج عن الطاعة وتظهر منه الفتنة فتفكروا المشقة والخراب الذي حصل لكم سابقا وكيف حل ببولاى والقرى الذين عادوا الجمهور (١) ويلزم أيضا أن تنيقنوا أن فتنتكم لا تريحوا بها شيئا غير التعب والمشقة والخراب الذي ينزل بكم من جميع النواحي ويكون أكثر مما رأيتم .. »

وتهدأ النغمة شيئا لتعود زمجرة غليظة تردد انذارا فى شكل نصيحة : « فاسلكوا طريق العقلاء وتدبروا عواقب الامور لتعيشوا تحت حماية الجمهور فى ظل الأمان وراحة السر ويكون ذلك نتيجة سكوتكم وثمره امثالكم .. » .

---

(١) يقصد الذين عادوا حكومة الحملة التى تمثل الجمهورية الفرنسية . وهو يشير بذلك الى ثورة القاهرة الثانية التى تابعتها فيها بعض الأقاليم ، والتى قمعا كليبر بكل قسوة وعنف . وكان نصيب حى بولاى بالذات من التدمير بالغنا .



## الفصل الرابع

### المنشورات الدعائية بين الحملة وأعدائها

اتسعت دائرة النشاط الدعائي للمنشورات ، اذ تجاوز حدود العلاقة بين الحكام الفرنسيين وجماهير المصريين ، ودخلت فيه - بحكم الظروف - أطراف أخرى .

ولقد لمسنا من قبل طرفا من مظاهر هذا الاتساع ، عندما تحدثنا عن الكتب التي تبادلها بونايرت مع بعض الحكام المسلمين ، وأذاع نصوصها على المصريين في عدد من المنشورات .

وكان ذلك في المقام الاول جزءا من سياسة بونايرت الاسلامية ، التي استهدف من ورائها تثبيت دعائم الحكم الفرنسي الجديد في مصر ، عن طريق استرضاء الاغلبية العظمى من أبناء البلاد . وقد ابتغى بونايرت من وراء هذا النشاط كذلك تحقيق بعض أغراض اقتصادية كتبادل التجارة .

وغنى عن القول أنه لم يكن لهذا النشاط «الاسلامي» أى أثر سياسى موات يعتد به بالنسبة للحملة وتطلعات قادتها ، وبخاصة لدى السلطان العثماني ، خليفة المسلمين ، الذي كان ممن كتب «اليهم بونايرت ، فضلا عن الاشارة اليه في كثير من المنشورات التي أصدرها للمصريين .

غير انه كان لنشاط الحملة الدعائي في عهد بونابرت بالذات مجال آخر أوجدته ظروف مختلفة ، وإن اتصلت أوثق اتصال بكيان الحملة وسياستها العامة .

لقد أعد بونابرت عدته لغزو سوريا . وتلخص أهداف حملته السورية - كما بينها في رسالة منه إلى حكومة الإدارة قبيل رحيله من القاهرة (١) ، في ثلاث نقاط هي : دعم نظامه في مصر بتأمينها من أي غزو محتمل تقوم به جيوش الأعداء من الشرق ، وإرغام الباب العالي على توضيح موقفه من الحملة في المفاوضات المرتقبة بينه وبين فرنسا ، ثم حرمان الاسطول الانجليزي الذي كان يجوب البحر المتوسط من قواعد تموينه في سوريا .

وكان أعداء بونابرت الذين يود كسر شوكتهم في سوريا هم المماليك القارين من مصر بقيادة ابراهيم بك ، وقوات العثمانيين تحت امره أحمد باشا (الجزار) وآلى صيدا وعكا ، فضلا عن الانجليز الذين يتحالفون مع العثمانيين ويساعدونهم من البحر .

وقد سبق نشاط بونابرت الدعائي في سوريا نشاطه العسكري بعدة شهور ، إذ انه بدأ في أوائل عهد الحملة بمصر ، حتى قبل أن يكتب إلى الشريف غالب بمكة وتبو صاحب بالهند وغيرهما من حكام المسلمين . فقد بعث إلى أحمد باشا الجزائر - ولما يمض على استقرار الحملة بالقاهرة شهر واحد - برسالة عثرنا على نصها الفرنسي مطبوعا في منشور (شكل ٦٦) (٢) . وأغلب الظن أنه كانت لهذا المنشور طبعة عربية لم نعر عليها .

ردد بونابرت في هذه الرسالة ما سبق أن أعلن مثله أكثر من مرة في منشوراته الدعائية للمصريين . فقد قال ، محاولا التودد إلى الباشا ، الذي قدر له أن تتسبب مقاومته العنيفة في هزيمة القائد الفرنسي أمام عكا بعد شهور : «انني عندما قدمت إلى مصر لمحاربة البكوات المماليك ، انما فعلت ما يتفق تماما ومصالحك ، لانهم كانوا يعادونك ، انني لم أحضر لأحارب المسلمين مطلقا ، فينبغي أن تعلم انني عندما نزلت بمالطة ، كان

(١) بتاريخ ١٠ فبراير ١٧٩٩ . انظر : مراسلات نابليون ، ج ٥ ، وثيقة ٣٩٥٢ .

٣٩٥٢ .

(٢) بتاريخ ٥ فركتيدور سنة ٦ (بوافق ٢٢ أغسطس ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

اهتمامى الأول موجهها الى اطلاق سراح الفين من الاتراك (١) الذين ارفعهم ذل الأسر سنوات عديدة . وعندما وصلت الى مصر أشعت الطمأنينة بين الناس، وظللت بحمايتى رجال الدين والمساجد . هذا ولم يقدر لحجاج مكة (الذين يخرجون من مصر أو يمرون بها) أن ينعموا من قبل بمثل ما اتحت لهم من رعاية وحذب ، كما اننى احتفلت بمولد النبى احتفالاً لم يسبق له نظير فى عظمته . . .

ثم قال بونابرت للجزائر انه يبعث له بهذه الرسالة مع أحد ضباطه لتعبر له « بصوت قوى » عن رغبته فى أن تقوم العلاقات بينهما على أساس من الوفاق والمودة . . الخ .

والراجع أن الرسالة التى تضمنها هذا المنشور هى التى أشار إليها الجبرتي فى حوادث شهر ربيع الاول ١٢١٣ بقوله : « . . . حضر القاصد الذى كان أرسله كبير الفرنساوية بمكاتبات وهدية الى أحمد باشا الجزائر بعكا وذلك عند استقرارهم بمصر وصحبته أنفار من النصارى الشوام . . . ونزلوا من ثغر دمياط فى سفينة من سفائن أحمد باشا فلما وصلوا الى عكا وعلم بهم أحمد باشا أمر بذلك الفرنساوى فنقلوه الى بعض النقاير (السفن) ولم يواجهه ولم يأخذ منه شيئاً وأمره بالرجوع من حيث أتوا » (٢) .

وتكشف رواية الجبرتي عن بواذر الموقف العدائى الذى اعتزمه الجزائر أن يقفه من قائد الحملة الفرنسية .

وعندما بدأ بونابرت زحفه على سوريا « . . . أخذ معه المديرين ( أى الموظفين الإداريين ) وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع . . » (٣) . ولا شك أنه كان ضمن المعدات التى حملها معه بونابرت الى سوريا وحدة طباعية كاملة ، وأن لم يرد ذكر ذلك صراحة فى المراجع . فقد أصدر فى أثناء هذه الحملة عدة منشورات أشارت إليها المراجع واثبتت نصوص بعضها ، وإن لم نستطع أن نعثر الا على النزر اليسير منها . هذا فضلاً عن

(١) يقصد « المسلمين » بوجه عام ، لان هذا العهد كان يتكون من ٦٠٠ من الاتراك و ١٤٠٠ من المغاربة .

(٢) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٥ - ١٦ . وقد كان مبعوث بونابرت هو الضابط بوفوازان (Beauvoisins) الذى وصل الى القاهرة عائداً من مهمته الفاشلة بعد أن رده الجزائر رداً غير كريم فى ١١ سبتمبر ( يوافق ٣٠ ربيع الاول ) . أنظر : محمد فؤاد شكرى ، الحملة الفرنسية ، ص ١٩١ - ١٩٢

Lacroix, op. cit., pp. 166-67.

(٣) الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٥ .

عشرات الاوامر اليومية التي حفلت بذكرها مصصادر الحملة التاريخية والعسكرية على السواء (١) . والراجح ان فانتور كبير مترجمي الحملة - الذي صحب قائدها في الحرب السورية ومات أمام عكا - كان يعمل هناك في ترجمة المنشورات إلى العربية ، بحكم خبرته السابقة في مثل هذا العمل بمصر .

لقد أثبت الجبرتي نص أول منشور عربى أصدره الفرنسيون في بداية الحملة السورية ، بعد احتلال العريش (٢) . وقد وجه بونابرت الخطاب في هذا المنشور الى «حضرة المفتين والعلماء وكافة أهالى نواحي غزة والرملة ويافا» . وأكد لهم انه حضر «في هذا الطرف لقصد طرد المماليك وعسكر الجزائر» عنهم .

ثم صور الجزائر في صورة البادية بالعدوان الذى يستحق الردع: « الى أى سبب حضور عسكر الجزائر وتعديه على بلاد يافا وغزة التى ما كانت من حكمه وإلى أى سبب أيضا أرسل عساكره الى قلعة العريش بذلك هجم على أراضى مصر فلاشك كان مراده اجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحاربه » .

وأراد أن يطمئن الأهالى وينالف قلوبهم ، فقال : « غاما انتم يا أهالى الاطراف المشار إليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فانتهم استمروا فى محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان خارجا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم فى محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الامان الكافى والحماية التامة ولا أحد يتعرض لكم فى مالكم وما تملكه يدكم وقصدنا ان القضاة يلزمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه » .

وعاد الى الضرب على وتر المشاعر الدينية قائلا : « وعلى الخصوص ان دين الاسلام لم يزل معتزا ومعتبرا والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين » .

ثم ألقى اليهم بوعده ووعيده فقال : « ان كل خير يأتى من الله تعالى وهو يعطى النصر لمن يشاء ولا يخفاكم ان جميع ما تأمر به الناس ضدنا فيغدو باطلا ولا نفع لهم به لان كل ما نضع به يدنا لا بد عن تمامه بالخير والذى يتظاهر لنا بالجيب يفلح والذى يتظاهر بالغدر يهلك ومن كل

(١) انظر مثلا المجلد الرابع من :

La Jonquière, C. De, L'Expédition d'Egypte, Paris, 1899-1907.

(٢) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

ما حصل تفهمون جيدا اننا نقمع أعداءنا ونعصد من يجبنا وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين .

وبعد الاستيلاء على يافا بيومين (١) أصدر بونا برت عدة منشورات :  
- منشور موجه الى «شيوخ وعلماء وأهالي غزة والرملة ويافا» يطلب منهم فيه أن «يلزموا بيوتهم ويخلدوا الى الهدوء والسكينة» ، ويتعهد لهم بأنه يضمن سلامة الجميع وأمنهم ، «وسوف يكون الدين بوجه خاص موضع الحماية والاحترام . لان جميع الطيبات من عند الله وهو الذي يمنح النصر لمن يشاء» (٢) .

- منشور موجه الى الجزار يدعو فيه الى ترك القتال ومسالمة الفرنسيين والتحالف معهم ضد المماليك والانجليز . ثم يقول لهم في لهجة ذات مغزى : «مأدام الله تعالى هو الذي يمنحني النصر فاني أود أن أتبع مثاله الكريم فأكون رحيما لا بالاهالي وحدهم وانما بحكامهم أيضا» (٣) .

- منشور موجه الى شيوخ وعلماء ورؤساء مدينة القدس عثرنا على نسخته الفرنسية (شكل ٦٧) (٤) . وقد بدأه ، بعد البسملة ، بأن أكد لهم في ايجاز : انه قد دمر المماليك وقوات الجزار واجلاهم عن غزة والرملة ويافا ، وانه لا يعتزم مطلقا أن يحارب الاهالي ، وانه صديق للمسلمين . ثم قال في انذار حاسم ان أمام سكان القدس أن يختاروا بين السلم والحرب . فان اختاروا الاولى ، فعليهم أن يبعثوا الى معسكره في يافا بمندوبين عنهم يتعهدون بعدم القيام ضده . وان كانوا من الحق بحيث اختاروا الثانية ، فإنه سوف يذيقهم طعمها ! ويجب أن يعرفوا أنه مخيف كالنار لمن يعاديه ، ولكنه رعوف رحيم بمن يواليه . الخ .

وفي أثناء الحصار الطويل الشاق للمدينة عكا استخدم بونا برت سلاحه الدعائي ، مع ما استخدم من أسلحة حربية . فبعث بعدة رسائل الى زعماء بعض المناطق السورية المجاورة ، يحاول بها استمالتهم اليه . وأغلب الظن أنه طبع هذه الرسائل في منشورات ، كما فعل بمثلها من قبل . ومن هؤلاء الزعماء بشير الشهابي أمير جبل لبنان وعباس بن الشيخ ظاهر العمر في صفد (٥) .

(١) في ٩ مارس ١٧٩٩ (١٩) فنتوز سنة ١٧ .

(٢) مراسلات نابليون ، ج ٥ ، وثيقة ٤٠٢٢ .

(٣) مراسلات نابليون ، ج ٥ ، وثيقة ٤٠٢٦ .

(٤) من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٥) وردت الاصول الفرنسية لهذه الرسائل في : مراسلات نابليون ، ج ٥ ،

الوثائق ٤٠٤٤ ، ٤٠٤٧ ، ٤٠٩٦ .

ومن نماذج المنشورات الخاصة بجنود الحملة السورية المنشور الذي أصدره بونابرت بتاريخ ١٧ مايو ١٧٩٩ ، بعد أن قرر الانسحاب من أمام عكا ، نتيجة لمقاومتها الشديدة وللخسائر الكبيرة التي منى بها جيشه من القنال والمرض (١) . لقد أشاد القائد في هذا المنشور بجنوده منوها بأنهم عبروا «الصحراء التي تفصل أفريقيا عن آسيا بسرعة تفوق سرعة أي جيش عربي» ، وبأنهم قضوا «على الجيش الذي كان يستعد للزحف على مصر» ، وشتموا «الجحافل التي تجمعت .. أسفل جبل طابور (٢) .. طمعا في سلب مصر ونهبها» .

ثم بدأ يمهّد لإعلان قراره بالانسحاب ، فزعم للجنود أن السفن التركية الثلاثين التي شاهدوها راسية في مياه عكا إنما «كانت تقل جيشا لحصار الاسكندرية» . ولكن بما أن هذا الجيش اضطر للتوجه إلى عكا لمساعدتها في مقاومة الحصار ، فقد انتهى أمره بها .

وأخطرهم بونابرت بعد ذلك بأن الجيش سيعود إلى مصر «بعد أن وطدنا أقدامنا في قلب سوريا طيلة ثلاثة أشهر وغنمنا .. وأسرنا .. وهدمنا حصون غزة ويافا وحيفا وعكا ..» . وبرر قرار الانسحاب بأنه اضطر إلى اتخاذه لتوقعه محاولة انزال قوات معادية إلى مصر في ذلك الوقت من العام . وأضاف أنه كان من الممكن الاستيلاء على عكا وأسر الجزار باشا ، ولكنه يحتاج إلى الرجال والبواسل الذين من المحتمل أن يخسرهم ، ويحتاج كذلك إلى الوقت الذي يمكن أن ينفق في هذا السبيل ، حتى ولو كان أيا ما قليلا .

ومن الواضح أن بونابرت كان يغالط . فلم تهدم حصون عكا ، ولم يقض على الجيش التركي . وكذلك لم تكن القوات التي أقلتها السفن الثلاثون متجهة إلى الاسكندرية ، وإنما كانت تقصد عكا ، وقد نزلت فيها بمساعدة السير سيدنى سميث لتدعيم المقاومة ، وكانت من العوامل الحاسمة في فشل الحصار الفرنسي للمدينة .

وبينما كان بونابرت يستخدم أمام عكا مع أسلحته الحربية سلاح دعايته ، فيصدر المنشورات التي تتضمن تارة رسائله إلى زعماء سوريا ،

La Jonquière, op. cit., p. 530.

(١) النص الفرنسي للمنشور في

Lacroix, op. cit., pp. 334-5.

(٢) قرب عكا . وقد دارت في مفتح هذا الجبل يوم ١٦ أبريل ١٧٩٩ معركة كبيرة

بين جزء من جيش الحملة بقيادة كليبر وبين قوات تفوقه عددا بقيادة الجزار ، وكان لتدخل بونابرت بنفسه في اللحظة المناسبة أثره الحاسم في انتصار الفرنسيين .

وقارة أخرى ببياناته الى جنود جيشه ، ويبعث فى الوقت نفسه برسائله الى القاهرة ليصدرها الديوان فى منشورات الى المصريين ، نشط أعداؤه الى محاربته بهذا السلاح نفسه .

لقد وجد السير سيدنى سميث ، وهو يرى معنوية الجنود الفرنسية تهبط بشكل محسوس ، ان الفرصة سانحة لينسج عليهم حربا نفسية .  
ففى الايام الاخيرة للحصار المرير انهالت على الخنادق خارج اسوار المدينة أعداد ضخمة من منشور مطبوع بالفرنسية فى المطبعة السلطانية بالاستانة . (١) كان المنشور صادرا عن الصدر الأعظم ، وموجها الى قواد جيش الحملة وضباطها وجنودها ، ويحمل خاتم الديوان السلطاني . ولكن كاتبه - كما يرجح المؤرخون - هو السير سيدنى سميث نفسه .

استهدف المنشور ان يثير غضب الجنود على حكومتهم ، ويقنعهم بأنهم كانوا ضحية مؤامرة للتخلص منهم : « هل تشكون فى ان حكومة الادارة عندما ارسلتكم الى بلد بعيد كهذا انما كان هدفها الوحيد هو نفيكم من فرنسا . . والقضاءكم الى التهلكة ؟ »

ومضى المنشور يحاول تأكيد هذا الادعاء ، فقال للجنود : « اذا كنتم قد نزلتم ارض مصر وأنتم لاتعلمون شيئا عن وجهتكم ، واذا كنتم قد استخدمتم أداة لنقض معاهدة ٠٠٠٠ افلا يكون هذا خيانة وتمردا من جانب حكامكم ؟ بلى ، ان ذلك حق لا مرية فيه ، »

واتجهت عبارات المنشور بعد ذلك الى تخويف الجنود ، ودعوتهم الى التسليم اذا كانوا يؤثرون العافية ، مع اغرائهم بضمان سلامتهم وأمنهم : « ان مصر يجب ان تحرر من هذا الفزو الوحشى . وهناك فى هذه اللحظات جيش كبير وأسطول ضخم فى طريقه اليها . فعلى الذين يرغبون منكم فى اجتناب هذا الخطر الداهم الذى يتهددهم ، ايا كانت رتبهم ، أن يبادروا فوراً بابتداء هذه الرغبة لقواد جيش الحلفاء وقواتهم البحرية . وسوف نضمن لهم سلامة السفر الى أى مكان يريدون . »

La Jonquière, op. cit., pp. 527-8.

(١) نص المنشور فى :

وتاريخ تحرير المنشور هو ١١ رمضان ١٢١٣ (١٥ فبراير ١٧٩٩) . أما تاريخ طبعه فهو ٣ ذو القعدة (٨ ابريل) . وقد ذيله سيدنى سميث بعبارة « أقر ، أنا الموقع على هذا بوصفى الوزير المفوض لجلالة ملك انجلترا لدى الباب العالي وقائد الاسطول المشترك حاليا أمام عكا ، بصحة هذا المنشور ، وضمن تنفيذ ما يعرضه » . وتاريخ هذا التدبيل هو ٨ مايو ١٧٩٩ .

وليسارع هؤلاء بالافادة من هذا الموقف الكريم للباب العالي ، وباغتنام هذه الفرصة المواتية للنجاة من الهوة الرهيبة التي دفعوا اليها دفعا .

وتجتمع مراجع الحملة على ان منشور الصدر الأعظم لم يحدث اثره المرجو . ومع ان السير سيدنى أكد ان الجنود الفرنسيين كانوا يتخاطفون نسخ المنشور ويقرءونها باهتمام ، فانه لم يقل لنا ان واحدا منهم القى سلاحه واستسلم . (١) ولعل ذلك راجع - كما يقول المؤرخون - الى المبالغة في عبارات المنشور ، وعدم القدرة على فهم نفسية جنود الحملة كما ينبغي . وقد يكون من أسباب ذلك أيضا قوة سيطرة بونابرت على جيشه ، وأجراءاته المتشددة لقمع أية بادرة للفتنة بين قواته .

ولم تكن هذه هي المرة الأولى أو الوحيدة التي استخدم فيها اعداء الحملة هذا السلاح الدعائي ضدها . فقد حدث قبل ذلك وبعده أن تعرضت الحملة في مصر لعدة هجمات دعائية مضادة ، كان سلاحها هو المنشورات المطبوعة ، التي وجهت الى المصريين غالبا وإلى غيرهم أحيانا .

كان المماليك هم أول اعداء الحملة الذين اقتبسوا سلاحها الدعائي لمحاربتها به ، وكان ذلك رد فعل منطقيا ومعقولا . فقد قضت الحملة على سلطان المماليك في مصر ، كما ان منشوراتها الى المصريين كانت لاقت تهاجما المماليك وتظعن في حكمهم ، منذ المنشور الأول المعروف الذي أصدره بونابرت وهو يتأهب لدخول مصر . وقد تحالف العثمانيون في هذا المجال مع المماليك ، فمصر أعز أجزاء امبراطوريتهم ، وقد انتزعها الفرنسيون منهم بعد ما يقرب من ثلاثة قرون (٢) . وبالرغم من أن حكم المماليك لم يترك للعثمانيين في مصر سوى السيادة الاسمية وبعض مظاهر السلطان . وبالرغم من ان قيادة الحملة حرصت في منشوراتها الأولى على تجنب المساس بحقوق السيادة العثمانية على مصر ، وكذلك على تأكيد صداقة العثمانيين للباب العالي - كما سبق بيانه - ، فقد كان من الطبيعي أن يقوم ذلك التحالف بين المماليك والعثمانيين ضد الحملة الفرنسية .

ومع أننا لم نعثر على منشور واحد من منشورات حرب الدعاية المضادة التي شنتها جبهة المماليك والعثمانيين على الحكم الفرنسي بمصر ، فإن منشورات الحملة نفسها تحفل بالاشارات الصريحة الى صدور تلك

Hérolt, op. cit., pp. 299-300.

(١) انظر :

(٢) كان الفتح العثماني لمصر عام ١٥١٧ .



المنشورات المضادة . هذا فضلا عن أن معظم مراجع الحملة قد أشارت الى ذلك ، بل أن بعض المؤرخين أثبتت نصوص عدد منها . وقد لاحظنا كيف ان منشورات السلطات الفرنسية كثيرا ما كانت تتضمن تكذيب ما يدعيه أعداؤها ، وتندد - ردا عليه - بمساوئ الحكم السابق على عهد الحملة ، وتنوه بجهود الفرنسيين لازالة تلك المساوئ .

والراجح ان اختفاء تلك المنشورات ، رغم ما ثبت من صدورهما ، انما يعود من ناحية الى سرية تداولها ومسارعة الناس الى التخلص منها اجتنابا لعنت السلطات الفرنسية ، ومن ناحية أخرى الى تعقب هذه السلطات للمنشورات المعادية بالمصادرة والاعدام .

لقد سبق أن أشرنا ، عند الحديث عن « السياسة الوطنية » و « سياسة الترغيب والترهيب » لقواد الحملة الى ما تضمنته بعض منشوراتهم من ذكر لوجود دعاية مضادة من جانب المماليك والعثمانيين . وكذلك تعرضنا لما صاحب هذا من انذارات شديدة اللهجة للمصريين ، اذا هم أصفوا لتلك الدعاية (١) .

والواقع ان عددا من منشورات الحملة التي صدرت قبل أن يزحف بونايرت على سوريا ، قد أثبتت بوضوح وصول المنشورات المضادة الى أيدي المصريين ، وحدد مصادرها ، فنجد مثلا ان المنشور الثاني الذي صدر على لسان العلماء لتحذير المصريين من الفتنة بعد ثورة القاهرة الأولى ، بعنوان « صورة نصيحة ... » (٢) ، يبدأ بهذه العبارة : « نخبركم يا أهل المداين والامصار من المؤمنين وياسكان الأرياف من العربان والفلاحين أن ابراهيم بيك ومراد بيك وبقيّة دولة المماليك ارسلا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سائر الاقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات رادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان » ثم يعقب على ذلك بقوله : « ... ولو كانوا في هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لارسلها جهازا مع اغاوة (كذا) معينين ... » وجاء في المنشور الخطي الذي أصدره منو الى أهالي « رشيد وسكندرية والبحيرة » في الوقت نفسه تقريبا (٣) انه ينبغي أن يكون الناس على حذر من اتباع « الذين يفرقوا الفرمانات ( أى المنشورات )

(١) انظر مثلا الصفحات ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٧٠ من هذا

البحث .

(٢) صدر حسب ما ذكر انجبرتي - في ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ . انظر ص ٩٤

(٣) صدر أوائل نوفمبر ١٧٩٨ . ص ١٥٨ .

**الباطلة** ٠٠ وبيصنعوهم باسم حضرة محينا مولانا السلطان دام بقاه أو باسم أحمد باشا الجزار أو باسم ابراهيم بيك وكلهم فرمانات كاذبة ٠٠ واختتم بقوله ان « صارى عسكر الناحية قصده منع الناس من تصديق **الفرمانات الباطلة** الذى ( كذا ) بتورد وعدم خديعة أصحاب العقول الخفيفة ومنع ما يحصل لهم من العقوبة فأمر ان جميع أبواب الأحكام ومشايخ البلاد يقبضوا على كل من ( كل من ) أنا ( كذا ) ومسه **فرمان كاذب** ويرسلوهم مع من يحتفظ بهم الى حضرة سارى عسكر برشيد ٠٠ »

وأكد الجبرتي ورود بعض المنشورات المعادية للحملة في ذلك الوقت بالذات ، فقال (١) انه « حضر هجان من ناحية الشام وعلى يده مكاتبات وهى صورة فرمان وعليه طرة (٢) ومكتوب من أحمد باشا الجزار وآخر من بكر باشا الى كتخدائه مصطفى بيك ومكتوب من ابراهيم بيك خطبا للمشايخ وذلك كله بالعربى ومضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ولعن طائفة الأفرنج والخط عليهم وذكر عقيدتهم الفاسدة وكذبهم وتحيلهم وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك ٠٠ »

وأثبت لأكروا من ناحية أخرى ترجمة فرنسية لأحد تلك المنشورات (٣) . وقال انه بالرغم من يقظة سلطات الحملة فقد تسربت نسخ كثيرة من هذا المطبوع الى مصر . والمنشور طويل ملئ بالطعن في سياسة الفرنسيين ومهاجمة عقائدهم . بل انه يهاجم مبادئ الثورة الفرنسية ذاتها ، مما جعل لأكروا يعلق عليه بأن كاتبه لابد أن يكون أوربيا . ويدعو المنشور المصريين الى مقاومة الفرنسيين « الكفرة » ، مؤكدا أن جيوش السلطان « ستقتلع جذورهم من مصر » .

وامتد النشاط الدعائى لأعداء الحملة في تلك الايام الحافلة الى خارج مصر . فعندما أصدر بونابرت منشورا الى سكان القاهرة ، بعد شهرين من ثورتها الأولى ، مهد به لاعلان إعادة تكوين ديوان القاهرة (٤) ،

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٢٨ . من حوادث ٢٤ جمادى الاولى ١٢١٣ ( يوافق ٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨ )

(٢) تحريف لكلمة « طغراء » أو « طغرى » ، وهى علامة ترسم على المنشورات والمسكوكات السلطانية وما اليها ، وتنصص نعوب الحاكم والقباه . وتعنى هنا شعار السلطان العثمانى . واللفظ دخيل على العربيه .

(٣) Lacroix, op. cit., pp. 244-7.

(٤) انظر ص ٩٨ - ٩٩ ، ١١٤ - ١ .

اتخذ بعض أعدائه من هذا المنشور مادة لدعاية مضادة في إيطاليا . فقد التقطه الوطنيون الإيطاليون الذين كانوا يكافحون الحكم الفرنسي لاجزاء من بلادهم وقتذاك ، بطريقة ما ، وترجموه الى الإيطالية ، وطبعوه - للتشهير - مع مقدمة نددوا فيها بسياسة بونايرت في مصر . ودلوا على ذلك بما ورد في صدر المنشور العربي من عبارات وصفوا مضمونها بالغش والخداع والدجل . وقالوا انها تفصح عن الطبيعة الشيطانية الكافرة للأمة الفرنسية ولبونايرت ( شكل ٦٨ ) ( ١ ) .

ولم يكف أعداء الحملة بعد الحرب السورية ، وبعد عودة بونايرت الى فرنسا ، عن مناوئتها ومهاجمة حكمها بوساطة المنشورات . وقد سجل الجبرتي واقعة باذاعة منشور معاد بالفرنسية في أيام منو ( ٢ ) . فذكر انه في ليلة التاسع من رمضان ١٢١٥ ( يوافق ٢٣ يناير ١٨٠١ ) « حصلت كاتبة سيدي محمود وأخيه سيدي محمد المعروف بأبي دقية » وخلاصتها ان محمودا هذا كان عينا للعثمانيين في مصر ، « فكانوا يرسلونه ويطلبهم بالأخبار سرا فلما قدموا الى مصر في السنة الماضية وجرى ما جرى من نقض الصلح ( يقصد نقض اتفاقية العريش مع كليبر ) ورجوع الوزير ولم يزل سيدي محمود تاتيه المراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقي أيضا . . فيطلبهم كذلك بالأخبار مع شدة الحذر خوفا من سطوة الفرنسية وتجنس عيونهم . . فلما كان في التاريخ ( المذكور ) ورد عليه رسول ومعه جواب وأربعة أوراق مكتوبة باللغة الفرنسية وفيها الأمر بتوزيعها ووضعها في أماكن معينة حيث سكن الفرنسية فوزع اثنتين وقصد وضع الثالثة في موضع جمعيتهم فلم يمكنه ذلك الا ليلا فأعطاها خادمه وأمره أن يشكها بسمار في حائط ذلك المكان . . ففعل وتلكأ في الذهاب فاطلع عليه بعض الفرنسيين من أعلى الدار فنزل اليه وأخذ الورقة وقبضوا على ذلك الخادم . . » .

وأيا ما كان من أثر هذه الدعاية المضادة في اضعاف مركز الحملة الفرنسية في مصر ، سواء اكانت موجهة الى المصريين أم الى جنود الحملة

---

(١) صدر هذا المنشور الفريد في روما . وجاء في صفحة العنوان التي سبقت النص المترجم : « منشور من الجنرال بونايرت الى سكان القاهرة الكبرى » ، في ٢١ يناير ١٧٩٩ ( اي بعد صدور المنشور الاصلى بشهر ) مترجم عن العربية بقلم أحد المواطنين الروس . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٤٤ - ٥٥ .

أم الى غيرهم ، فالذى يعنينا قبل غيره فى موضوع بحثنا هو تسجيل هذه الظاهرة : لقد ادخل الفرنسيون مع حملتهم الى مصر وسيلة اعلام لم تعرفها البلاد من قبل ، وكان استخدامها فى مختلف الأغراض جزءا اساسيا من سياستهم • وسرعان ما التقط اعداؤهم هذه الوسيلة وحاربوهم بها فى مجال الدعاية •

## الباب الخامس

---

الدّور الإعلّامى البّحث (الإخبارى)  
للمنشورات العربّية



لم تقتصر مهمة المنشورات العربية على الدعاية ، اينا كانت دوافعها واتجاهاتها ، ومهما اختلف أسلوبها ومنهجها أو موقف قائد الحملة منها . وإنما ادت هذه المنشورات دورها الاعلامي البحث ، أى الاخبارى ، مثل أية صحيفة عامة ، أو وسيلة اتصال جماهيرى أخرى .

ولقد تفاوت نصيب المادة الاخبارية من محتوى المنشورات تفاوتاً كبيراً . ففي بعض المنشورات كانت المادة الدعاية تختلط بالمادة الاخبارية اختلاطاً يبرز من خلاله الخبر أحياناً فى وضوح ، وتطغى عليه الدعاية أحياناً فلا يكاد يبين .

ومن ناحية أخرى كانت بعض المنشورات تخصص للمادة الاخبارية ، ولكن هذه أيضاً لم تكن تخلو بين حين وآخر من دعاية ظاهرة أو خفية . وقد تعددت هذه المنشورات وتنوعت موضوعاتها ، فكانت بذلك ورائق معاصرة سجلت كثيراً من وجود الحياة والنشاط الحكومى فى مصر أيام الحملة .

ومن ابرز نماذج المنشورات التى اختلط فيها الاعلام بالدعاية ، مع تميز كل منهما ، فى عهد بونابرت ، المنشور الذى اصدره بعد شهرين من ثورة القاهرة الأولى ، وأعلن فيه إعادة تشكيل ديوان القاهرة من مجلسين ، عمومى وخصوصى .

ان الجزء الأول من هذا المنشور - كما رأينا - دعائى بحت . كان قد صدر به وحده منشور مستقل . وهو يمثل نحو ثلث حجمه . أما الجزء الثانى فاعلامى بحت يتضمن النص الكامل لأمر القائد العام بإنشاء الديوان الجديد . ويتكون هذا الأمر من ثمانى مواد ، تحدد أولها أسماء أعضاء الديوان العمومى الستين .

ويمكن القول هنا بوجه عام أن كل المنشورات التى تضمنت قرارات القائد العام بإنشاء المنظمات التشريعية والقضائية فى القاهرة والاقليم ،

والتي تتصل اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت الوطنية « التمصرية » ، هي في حد ذاتها اعلام للجماهير بقيام تلك المنظمات .

وقد لا يكون الفصل بين الدعاية والاعلام يسيرا في بعض المنشورات، وانما يمتزجان وتتداخل عباراتهما . ومثال ذلك أول منشور صدر على لسان العلماء أعضاء « الديوان الخصوصي » بعد تكوينه ، ووقعه عنهم الشيخ الشرقاوى رئيس الديوان والشيخ المهدي كاتم سره .

فبينما يتحدث أعضاء الديوان عن موقف بونابرت من « فتنة » القاهرة ، يذكرون واقعة تكوين الديوان الخصوصي « من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان » . واضاف الأعضاء « للعلم » ان هذا الديوان يجتمع « في بيت قايد اغاه بالأزبكية .. » .

وبينما يتغنون بمناقب بونابرت وحسن رعايته للمصريين ، يقولون انه يريد أن « يفتح الخليج الموصل لبحر النيل الى بحر السويس الاعظم لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الأفخم وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق وتكثر .. أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق .. » . وهذه هي أول اشارة صريحة الى مشروع الفرنسيين بتوصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط عن طريق النيل ، فيما وصلنا اليها من مطبوعات الحملة الفرنسية ووثائقها ، وفيما تضمنته بحوث علماء الحملة ومؤرخيها (١) .

(١) ذار بونابرت منطقة السويس ، وشاهد آثار القناة القديمة التي كانت تربط النيل بالبحر الأحمر عن طريق البحيرات المرة . وقد اشار الجبرتي الى هذه الرحلة الاستطلاعية للقائد الفرنسي في حوادث ١٦ رجب ١٢١٣ هـ = ٢٥ ديسمبر ١٧٩٨ ( عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٣٦ - ٨ ) . والراجع ان تلك القناة القديمة حفرت أيام الدولة الحديثة الفرعونية . وقد اهلكت واميد حفرها اكثر من مرة بعد ذلك عبر المصور المصرية المختلفة . ويسجل التاريخ للفرعون نخاو الثاني (٦٠٩ - ٥٩٤ ق م) من الاسرة السادسة والعشرين انه شرع في اعادة حفر القناة ، ولكنه توقف بعد ان هلك في هذا العمل نحو ١٢٠ ألف عامل مصري ، وبعد ان تلقى نبوءة بان هذه القناة ستكون وبلا على البلاد ولن يفيد منها الا الاجنبي !

ويقول بعض مؤرخي نابليون بونابرت انه صرح عقب عودته من رحلته تلك بقوله « ان اعادة حفر القناة مشروع عظيم ، ولكنى لست بالذى يستطيع انجازها في الوقت الحاضر » . ومع ذلك فقد أمر بونابرت بعمل الدراسات اللازمة للمشروع وفتح ملف خاص به ، حتى يحين الوقت المناسب لتنفيذه . انظر : Spillmann, Général Georges, Napoléon et l'Islam, Paris, 1969, p. 87.



ولا يلبث الأعضاء ، وهم ينصحون مواطنيهم « بالرضى بقضا الله وحسن الاستقامة » ، ان يعلنوهم بان « من كان له حاجة فليات الى الديوان بقلب سليم الا من كان له دعوة ( دعوى ) شرعية فاليتوجه ( كذا ) الى قاضي العسكر المتولى بمصر المحمية بخط السكرية » .

ومن هذا القبيل المنشور الذي أصدره « محفل الديوان الخصوصي » كذلك ، بمناسبة بدء شهر الصوم عام ١٢١٣ هـ . فمن الناحية الاخبارية تتضمن مادة هذا المنشور عدة أنباء هي :

١ - أمر القائد العام باقامة المعتاد من الشعائر الاسلامية ، وممارسة مظاهر الاحتفال التقليدية ، خلال هذا الشهر .

٢ - الاحتفال بموكب الرؤية .

٣ - مشاركة بونايرت في هذا الاحتفال ، ومقابلته لكبار المشتركين في الموكب .

٤ - ثبوت رؤية هلال رمضان وإعلان الصيام .

ومع ذلك فلانكاد نعث في مادة المنشور على عبارة اخبارية خالصة، وانما تتخلل الفاظ الثناء على بونايرت وامتداح عطفه وسماحته وكرمه كل عبارات المنشور . فقد أمر باقامة الشعائر . . الخ « ليطمن بذلك الفقرا والمساكين وتنسر بذلك قلوب أمه سيد المرسلين . . » ثم انه عندما قابل أعضاء وفد الموكب « كساهم . . والبسهم القفاطين وأعطاهم عوايدهم . . وجبر قلوب الفقره ( كذا ) والمساكين والبس أمين الاحتساب كرك سمور فخيم . . » .

وتمثل المنشورات التي صدرت على لسان أعضاء الديوان في أثناء غياب بونايرت عن مصر مع حملته السورية لونا من البلاغات الحربية التي تتضمن كثيرا من الانباء . وقد لمسنا من قبل ان الهدف من إصدار هذه المنشورات لم يكن اعلاميا خالصا ، وانما كان في المقام الأول دعائيا ————— يلتمس تحقيقه بمختلف الاساليب والوسائل . ومع ذلك فقد حفلت هذه المنشورات بكثير من المادة الاخبارية :

— فالمنشور الذي صدر بعد الاستيلاء على العريش (٢) يذكر عدة

---

(١) انظر ص ١٢٩ .

تفصيلات خبرية لهذا الحادث : لقد حوصرت قلعة المدينة « من عشرة رمضان إلى سبعة عشر منه ٠٠ » ، « وكان في القلعة نحو ألف وخمسمائة نفر ٠٠ » ، « وبعض الكشاف والماليك الذين كانوا في القلعة نحو ستة وثلاثين ٠٠ طلبوا ان ينعم عليهم برجوعهم الى مصر ٠٠ فاحسن ( سارى عسكر ) اليهم وأرسلهم ٠٠ » . بل ان المنشور تضمن كذلك احصاء بالغنائم : « الفرنساوية وجدوا ٠٠ ارز وبقسماط وشعير وثلاثمائة رأس من الخيل الجياد وحمير كثيرة وجمال غزيرة اكتسبته جميعة الفرنساوية ٠٠ » .

أى ان هذا المنشور بعبارة أخرى تضمن « قصة خبرية » مستوفية الأركان ، تجيب عن الأسئلة التقليدية « من ، ماذا ، متى ، أين ، لماذا . كيف ؟ » طبقا لما تقرره قواعد كتابة الخبر المعروفة .

— وينطبق ذلك أيضا على منشور الاستيلاء على غزة . فمنه يمكن استخلاص قصة خبرية كاملة . ومضمون هذه القصة ان « العساكر الفرنساوية » توجهوا فجر التاسع عشر من رمضان من خان يونس الى غزة . فلما تنبه « عسكر المماليك وعسكر الجزائر » الى قدومهم « فروا هارين » . وبينما كانت قوات الجنرال مورا (Murat) (١) تناوش فلول الهارين ، « دخل حضرة سارى عسكر كليبر ٠٠ الى بندر غزة وملكها من غير معارض له ٠٠ » . وهناك وجد الفرنسيون « حواصل مشحونة بالفخائر من بقسماط وشعير وأربعمائة قنطار بارود واثنى عشر مدفعا وحاصلا كبيرا مملوءا بالخيام الكثيرة وجللا وبنبات ( قذائف ) ٠٠ »

— أما المنشور المطول الخاص بالاستيلاء على يافا ، فهو بلاغ حربي يحتشد بالتفصيلات التي تحكى قصة هذا الاستيلاء . وهنا أيضا يمكننا ان نستخلص هيكل القصة مما يتداخل معها من عبارات دعائية كثيرة ، سبق ان تعرضنا لدلالاتها .

ان القصة تحكى انتقال القوات الفرنسية من غزة الى يافا ، مروراً بالرملة واللد ، وتذكر مقدار ماغنمه الفرنسيون من ذخائر ومؤن . وتتضمن القصة بعد ذلك وصفا لحصار يافا وحفر الخنادق واقامة المتاريس حول سور حصنها . ثم تشير الى أن القائد الفرنسي عرض على قائد الحامية المحاصرة التسليم ، ولكن هذا رفض وحبس رسول الفرنسيين .

(١) ذكر اسم هذا القائد خطأ في نص المنشور الذى نقله الجبرتي (عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٧ - ٨) فكتب مرة «مراوا» ومرة «مراد» ، ولعل الخطأين مطبعيان .

ونتيجة لذلك « هييج صارى عسكر واشتد غضبه » ، وأمر ببدء الضرب بالمدافع . وما لبث جزء من سور الحصن أن دمر . « وفي الحال أمر حضرة صارى عسكر بالهجوم عليهم وفي أقل من ساعة ملكت الفرنسيات جميع البندر والابراج ودار السيف في المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج .. الخ » .

ولا تغفل القصة توارينج التحرك من غزة ، والوصول الى يافا ، وسقوط المدينة . وكذلك لا تغفل أرقام الخسائر من الجانبين أو كمية ما سقط في أيدي الفرنسيين من سلاح أعدائهم . فهي إذا قصة خبرية كاملة المقومات ، بالرغم مما قد يشوب حقائقها من مغالطات أو تمويهات .

— ولا يكاد يختلف المنشور الصادر على لسان العلماء ليصور للشعب موقف القوات الفرنسية المحاصرة لعا ، بعد أن انقطعت أخبارها زمنًا ، عن المنشورات التي مر ذكرها . فالى جانب ما يتضمنه هذا المنشور من مادة دعائية تمثل الهدف الأساسي من إصداره في تلك الظروف ، فإنه يحوى كذلك مادة خبرية ، وإن كانت موجزة .

وتتضمن هذه المادة بيانًا يؤكد وفرة الذخائر والمؤن لدى القوات الفرنسية ، ويحدد مواقع هذه القوات بالنسبة لقلعة المدينة . ويذيع المنشور بعد هذا نبأً مبالغاً فيه عن بعض الانتصارات التي أحرزها الفرنسيون : « ونخبركم أيضا أن الجنرال يونوت (١) انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة فقتلهم بثلاثمائة عسكرى مشاة من عسكرنا فكسروا التجريدة المذكورة وأوقع منهم نحو ستمائة نفس مابين مقتول ومجروح وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره في الحروب ... » .

— ولا يخلو المنشور الدعائي المطول الذي صدر على لسان العلماء أيضا ، بمناسبة عودة بونابرت الى القاهرة من سوريا ، من محتوى اخباري . فقبه تلخيص لخط سير الحملة السورية وعرض لأهم أحداثها، مع التركيز على انتصارات القوات الفرنسية . وفيه كذلك إشارة الى حصار عكا بعبارات موجزة توهم أن الفرنسيين دمروها ، حتى « لم يبق فيها حجر على حجر » .

---

(١) لا يوجد في ثبت جنرالات الحملة الفرنسية ، أو ضباطها بعامة ، اسم بهذا الهجاء الذي أورده الجبرتي . والارجح أنه محرف عن «بودو» أو «بودوت» (Baudot) وكان فعلا برتبة جنرال .

- وعندما أصدر بونا بورت منشوره الى أعضاء الديوان من معسكر الرحمانية قبيل معركة أبو قير البرية، ليحقق به أغراضا دعائية معينة ، حرص على أن يضمه بعض الأخبار التي جعلها نواة لحديثه الدعائي .

فقد قدم للمصريين في هذا المنشور عرضا موجزا للموقف الحربى الذى سبق نشوب المعركة : « وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة (١) وبعد ذلك سرنا الى اقليم البحيرة ٠٠ وفى هذا التاريخ ن خبركم انه وصل ثمانون مركبا صفارا وكبارا حتى ظهروا بشعر اسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنية وجلل المدافع النازلة عليهم فرحلوا عنها وتوجهوا يرسوا بناحية أبو قير وابتدوا ينزلوا فى بر أبو قير ٠٠ »

- وكان اصدار منشور يتضمن رسالة الشريف غالب أمير مكة الى الجنرال بوسيلج « مدبر الحدود العامة بمصر » عملا دعائيا واعلاميا معا . فالى جانب ما تضمنته المقدمة التى سبقت نص رسالة الشريف غالب ، والخاتمة التى ذيلت بها ، من محتوى دعائى سقت مناقشته ، فان اذاعة الرسالة ذاتها كان عملا اعلاميا بحثا . لقد قدمت هذه الرسالة الى القارئ المصرى مادة اخبارية تحفل بكثير من الحقائق التى تتصل بالعلاقات بين شريف مكة والسلطات الفرنسية فى مصر . فمنها علم المصريون :

١ - أن الفرنسيين رفعوا العشور ( الضرائب ) عن البن الوارد من الحجاز ؛

٢ - وأن شريف مكة أرسل بالفعل الى مصر ، بعد انقطاع ورود هذه السلعة ، خمسة مراكب مشحونة من جدة ؛

٣ - وأنه يطلب من الفرنسيين العمل على حراسة تجار البن وبضاعتهم ، فى انتقالهم من السويس الى القاهرة ، وفى عودتهم بعد اتمام صفقاتهم ؛

٤ - وان بونا بورت أرسل الى شريف مكة عدة رسائل ، بعضها له ،

---

(١) تل فى مديرية التحرير حاليا ، يوجد على بعد ١٥ كيلومترا شمالى بلدة الخطاطبة ، على الطريق من محافظة البحيرة الى وادى النطرون . وتقع فى سفحه قوية الطرانة او طرنوت (Terenuthis) . وبهذه المنطقة كثير من المعالم الأثرية التى تدل على أنها كانت مركزا مسيحيا مزدهرا .

والبعض الآخر لغيره « فما كان لنا منها فنأملناه وصار اليه الجواب ...  
وما كان منها معول في إرساله علينا الى نواحى الهند وابن حيدر (١)  
وأمام مسكت ( مسقط ) ووكيلكم ( أى القنصل الفرنسى ) الذى فى  
المخا (٢) فجميعا صدرناها من طرفنا مع من نعمده الى أربابها .. » .

هذا الى أن التذييل ، الذى أضيف تعليقا على الرسالة فى ختام  
المنشور ، تضمن بدوره مادة خبرية . فمنه علم القراءة أن كتاب شريف  
مكة « ... وصل ٠٠ لمصر فى ١٦ شهر الحجة فيكون مدة وصوله ...  
ثمانية وعشرين يوما وبعد وصول هذا الكتاب بسبعة أيام وصلت مكاتيب  
البشارة بدخول احدى عشر داوا ( سفينة ) الى بندر السويس بسلام .. »

أما المنشورات التى صدرت أساسا للاعلام ، سواء آكانت خالصة لهذا  
الغرض أم خالطها بعض الدعاية ، فكثيرة مختلفة الأغراض . ويتصل  
معظمها بالقوانين التى سنّها بوتابرت والقرارات والاجراءات التى أراد  
هذا القائد أن يغيّر بها صورة المجتمع المصرى ، كما أن بعضها يشير الى  
أحداث عابرة أو مواقف معينة . ويلاحظ من ناحية أخرى كذلك أن بعض  
هذه المنشورات كانت تصدر من ممثلى الشعب .

— ولعل أول هذه المنشورات المنشور الذى صدر بالاسكندرية بعد  
أيام قليلة من احتلالها ، ويتضمن بيانا بتعريف النقود المتداولة وقتذاك  
فى مصر ، يحدد أسعار مبادلتها بالعملة الفرنسية . (٣) وقد طبع  
المنشور ، كما نص فى صدره ، بالعربية والفرنسية . ويتضح من النسخة  
الفرنسية التى عثرنا عليها ( راجع شكل ٢١ ) أن هذا البيان النقدي

(١) هو تيبو صاحب (Tippo Sahib) ابن حيدر على ، سلطان ميسور  
بالهند ، وكان ممن قاوموا امتداد الاستعمار البريطانى فى شبه القارة الهندية  
(١٧٥٣ - ١٧٩٩) .

(٢) الرفا اليمنى المعروف ، الذى كان وقتئذ يشتهر بتجارة البن .  
(٣) نص المنشور مؤرخ ١٨ مسيدور سنة ٦ (يوافق ٦ يوليو ١٧٩٨) . وهناك  
بالنسبة لطبعه احتمالان :

١ - أن يكون قد طبع على ظهر البارجة «لوربان» وهى راسية بالميناء ، إذ لم  
تكن مطابع الحملة قد أنزلت الى البر وأعدت للعمل قبل يول ٢١ مسيدور (٩ يوليو) .  
فنحن نعلم أن بوتابرت أصدر أمرا يوم مفادته الاسكندرية فى ١٩ مسيدور (٧ يوليو)  
بأنزال المطابع وإقامتها خلال ٤٨ ساعة (انظر ص ٢٣) . ولا ينقص هذا الاحتمال ماذيل  
به المنشور من أنه طبع بالاسكندرية «بمطابع الحملة الشرقية والفرنسية» . فقد سبق  
أن اختتم منشور بوتابرت العربى الاول بعبارة «تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ...» ،  
مع أن قوات الحملة لم تكن قد نزلت بعد الى المدينة .

اصدرته لجنة مصرية فرنسية مشتركة ، تتكون من ثلاثة من كبار تجار الاسكندرية ، وستة من المسؤولين الفرنسيين (١) .

- وفي الاسكندرية كذلك صدر منشور آخر بعد بضعة أيام ، وقعه تسعة من كبار رجال المدينة ، وقد سبق أن أشرنا اليه عند الحديث عن السياسة الوطنية (٢) . والجانب الاعلامى من هذا المنشور يتناول الاجراءات التنظيمية التى تبعت استقرار الأمور للفرنسيين بالمدينة ، وهو يتمثل فى خطاب من موقعه الى « حضرة حكام الاسكندرية ( أى مشايخ الاخطاط أو الحارات ) انهم ينادوا على جميع أهل الثغر بأنهم يعلقوا على كل أربعة ديار قنديل وعلى كل طاحونة وكل قهوة قنديل وانهم يرسلوا الى حضرة الجلنار ( أى الجنرال ، قومندان المدينة ) كل ليلة قبل المغرب ساعة اثني عشر رجلا من العقلا يدوروا مع جماعته لاجل أمان جميع الناس وعدم حصول ضرر الى أحد » .

وفى القاهرة كان طبيعيا ، بعد استقرار الأحوال للحكم الجديد فى الأشهر الأولى . أن تقوم المنشورات فى الحقل الاعلامى بدور الصحيفة الرسمية ، فتصدر متضمنة ما تقرره السلطات من التنظيمات لادارية . وقد أشار الجبرتى الى ما رآه من هذه المنشورات التى لاشك فى أنها كانت اما خطية أو مطبوعة بالاسكندرية . فلم تكن مطابع الحملة المزودة بمعدات الطباعة العربية ، كما أسلفنا القول ، قد وصلت الى العاصمة . ولم تكن مطبعة مارك أوريل - من ناحية أخرى - تملك حروفا عربية .

- ومن نماذج هذه المنشورات المنشور الخاص بربط ضريبة الأراضى الزراعية (المال) وقد ذكره الجبرتى بقوله (٣) « قدروا فرضة من المال

= ٢ - أن يكون فد نأحر طبعه بضعة أيام ، أى الى ما بعد اقامة المطابع بالمدينة .  
والراجع - على أية حال - أن هذا هو اول منشور «مطبوع» يصدر بالمدينة بعد احتلال الفرنسيين لها .

(١) التجار المصريون هم : الحاج أبو الريش ، والحاج عبد الوهاب الجواش والحاج مبرجى (مبارك ؟) الدفاق . أما الدبلوماسيون فهم : سوسى مدير التنظيم والادارة ، والعلمان برنوليه وفونج حضوا الجمع ، وبوسيلج مدير الشؤون المالية ، واستيف مدير الخزانة ، والفنصل «جانون» .

(٢) انظر ص ١٤١ .

(٣) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٦ ، من حوادث يوم ٢٠ ربيع الاول ١٢١٣  
(اول ستمبر ١٧٩٨) .

على القرى والبلاد ونشروا بذلك أوراقا وذكروا فيها انها نحسب من المال  
وقيدوا بذلك الصيارف من القبط » .

- ومن أبرز المنشورات فى هذا المجال المنشور الذى يتضمن الامر  
بانتشاء الديوان المسمى « محكمة القضايا » ، وقد سبق أن أشرنا اليه  
عند الحديث عن سياسة بونايرت الوطنية (١) . فقد أوضح هذا  
المنشور أسس تكوين تلك المحكمة وحدود مهمتها .

ونص المنشور كذلك على أنه الى جانب الاختصاصات القضائية  
المدنية : فان هذه المحكمة سوف تختص بتسجيل العقارات واثبات  
ملكيتها . « ومن لم تكن بيده حجة تملك . . أو كانت ولم تكن مقيدة  
بالسجل أو مفيدة ولم يثبت ذلك التقييد فانها تضبط لديوان الجمهور  
( أى تصدر لصالح حكومة الجمهورية ) . . »

- ومن هذا القبيل أيضا المنشور الخاص بتحديد الضرائب على  
العقارات . ويقول الجبرتى بصدده (٢) : « عملوا ( عقدوا ) الديوان  
وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار فجعلوا على ( الفئة ) الأعلى ثمانية  
( ريال ) فرنسة والأوسط ستة والأدنى ثلاثة وما كان أجرته أقل من  
ريال فى الشهر فهو معافى وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر  
والسيارح والخوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الحسنة  
والرواج والاتساع وكتبوا بذلك مناشير على عاداتهم وألصقوها بالمفارق  
والطرق وأرسلوا منها نسخا للأعيان » .

- ومن أمثلة المنشورات التى تتصل بالاجراءات المالية كذلك المنشور  
الذى طبع بالعربية والفرنسية ، متضمنا نص أمر من القائد العام فى أربع  
مواد ، لتنظيم اداء ضريبة الأرض الزراعية ( شكل ٦٩ ) (٣) .

ويحدد الأمر مهمة «قضاة الجمهور» (٤) والملتزمين فى هذا الشأن،  
كما يرتب تقسيط المستحقات وشروطه ومواعيده . وقد وقع المنشور

(١) راجع ص ١١٨ - ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥ ، من حوادث ١٠ جمادى الاولى ١٢١٣  
( ٢٠ أكتوبر ١٧٩٨ ) .

(٣) بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ٧ ( ١٤ ديسمبر ١٧٩٨ ) . وهذه النسخة من محفوظات  
المكتبة القومية بباريس .

(٤) أى ممثلى ادارة التسجيلات والاملاك العامة .  
(les administrateurs de l'enregistrement et domaines nationaux)

« قضاة الجمهور الفرنسيين بمصر » ، وهم خمسة : ثلاثة فرنسيون  
واثنان مصريان . واحد المصريين هو « ملطى » الذى عرفنا من قبل أنه  
كان على رأس « محكمة القضايا » .

— ومنها المنشور الذى صدر كذلك بالعربية والفرنسية ( فى طبعتين  
منفصلتين ) متضمنا نص أمر مماثل للقائد العام من ثمانى مواد ، لانهذار  
مستأجري الأراضى الزراعية الذين تأخروا فى سداد التزاماتهم الضريبية،  
وتحديد الغرامات والجزاءات التى توقع نظير هذا التأخير . وقد وقع هذا  
المنشور بوسيلج « مدبر الحدود العام بمصر » ( شكل ٧٠ ) ( ١ ) .

وأذاعت منشورات أخرى نصوص عدد من القوانين أو القرارات التى  
تستهدف تنظيم مختلف نواحي الحياة فى مصر على أسس حديثة . ومنها  
المنشور الذى يتضمن قانونا لا يختلف عن قانون تسجيل نزلاء الفنادق  
وما إليها ، الذى نعرفه فى مصر اليوم ، والذى لاشك فى أنه كان مطبقا  
وقتئذ فى فرنسا ذاتها ( ٢ ) . فهذا القانون « يلزم صاحب كل خمارية  
أو وكالة أو بيت الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة  
أو اقليم أن يعرف عنه حالا حاكم البلد ولايتأخر عن الإخبار إلا مدة  
أربعة (كذا) وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذى قدم منه وعن سبب  
قدومه وعن مدة سفره . . . »

ويوجه المنشور تحذيرا من التراخي فى تنفيذ هذه التعليمات ، يتضح  
منه أن اصدار القانون كان من اجراءات الأمن التى أراد الفرنسيون بها  
أن يتوقوا تسلل وكلاء أعدائهم الى البلاد : « والحذر ثم الحذر من التلبيس  
والخيانة واذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكره . . . يكون صاحب المحل  
متعديا ومذنبا وخائنا وموالسا مع المماليك » .

(١) صدر بتاريخ ٢٨ بريريال سنة ٧ (١٦ يونيو ١٧٩٩) . وهذه النسخة من  
مخطوطات المكتبة القومية بباريس .

(٢) ذكره الجبرتي فى حوادث ١٧ شوال ١٢١٣ ( ٢٤ مارس ١٧٩٩ ) ، عجائب الآثار،  
ج ٣ ، ص ٥٢ - ٣ . وقد قدم له بمبارة غير واضحة ، اذ قال ان مضمون هذا  
المنشور هو « الخطاب السابق من سارى مسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسى قائمقام  
( يقصد دومستان : Dustin حاكم القاهرة فى ذلك الوقت ) يلزم المدبرين  
بالديوان أنهم يشهرون الأوامر ويتنبهوا لها وكل من خالفه يحصل له مزيد من الانتقام  
وهو أنه يتحتم ويلزم . . . » . والراجع أن هذه العبارة تشير الى جزء محذوف من صدر  
المنشور يتضمن خطابا من الجنرال دوجا الى الديوان لاذاعة ذلك التتون . وفى هذه  
الحالة يكون المنشور قد صدر على لسان أعضاء الديوان .



ثم ينبه الى أن مخالفى هذا القانون سيعاقبون بغرامة « عشرين ريالا فرانسى فى المرة الأولى وأما فى المرة الثانية فان الغرامة تضاعف ثلاث مرات ... » . ويؤكد بعد ذلك مبدأ المساواة بين الجميع فى الخضوع لهذا القانون ، فيقول للمصريين « ان الأمر بهذه الاحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيين الفاتحين للخمائر والبيوت والوكائل » - ومن هذه المنشورات كذلك منشور يتضمن تدبيرا ( قرارا ) أصدره «خزندار العام استهوه» (١) ، بالعربية والفرنسية ، لتنظيم صناعة تقطير الخمر وتجاريتها (شكل ٧١) (٢) .

ويلزم هذا القرار ، الذى يتكون من ست مواد وتذييل ، « كل من يخرج عرقى فى مصر أو فى الجزيرة أو فى مصر القديمة أو فى بولاق انكان ( ان كان ) فرساوى أو مصرى أو خلافه ملزوم يحضر ويقيد اسمه عند المتوكل على معمل العرقى ( أى مفتشى المعامل ) فى دفتر وفى هذا الدفتر الذى يكون كل معمل بنمره » . وكذلك يلزمه « ان يحط على باب بيته نمره معمله وكتابه ( أى ويكتب ) بحروف كبار بالعربى والفرنساوى هذا معمل عرقى » .

ويحدد القرار السعر الذى يباع به العرقى ، والحد الأدنى لدرجة الكحول به ، كما يحتم «ان العرقى يكون طيب ولم يكون مخلوط ولم يكون يضر » ، ويفرض غرامة على بيع العرقى المقطر سرا ، ثم يفرض ضريبة انتاج على هذا المشروب مقدرة حسب كميات الثمار التى تقطر ، كالبالج . وقد تضمن « التعريف » الذى ذيل به القرار تفاصيل هذه الضريبة .

ومن هذا المنشور نستخلص حقيقة هامة تتصل بإدارة معامل العرقى . فهو ينص على أن «كل صاحب معمل يدفع الى مستأجر قلم العرقى المال الذى عليهم ( أى عليه ) بموجب التعريف أدناه ٠٠ » . وينص فى

(١) هو استيف (Estève) مدير الخزنة .

(٢) المنشور غير مؤرخ . ولكن نستطيع القول أنه صدر فيما بين شهرى مايو ويونيو عام ١٧٩٩ ، فى أواخر عهد بوناپرت . أما تحديد الشهر فنستدل عليه من صدر المنشور الذى يبدأ بعبارة «قبل شهر مسيدور القادم ١٨٠٠» . وأما تحديد العام فيؤكده منشور لاحق صدر فى أوائل عهد منو (تاريخه ٧ سبتمبر ١٨٠٠) ، وبه اشادة الى صدور هذا المنشور قبله بعام . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس . ولم يشر الجبرتى الى هذا المنشور مطلقا ، ويبدو أنه وجد فيه موضوعا لا يهمه ، أو أنه امتنع عن نشره بسبب مركزه الدينى .

موضع آخر على أن « مستأجرين أقالام العرقى يقبضوا دائما على الشيء الذى يخرج منه العرقى الميرى الذى لهم بموجب التعريف . . »

ويدل النص الفرنسى لهذه العبارات على أن المقصود بالمستأجر هو الملتزم (adjudicateur) . ومعنى ذلك أن معامل العرقى كانت تدار بواسطة ملتزمين يستأجرونها ويلتزمون قبل السلطات بتحصيل الضريبة المقررة عليها .

والواقع أن عددا من منشورات الحملة فى عهد قوادها الثلاثة ، يدل فى وضوح على أن كثيرا من مصادر الإيراد الضريبى كانت تُوجس بالمزاد ، الملتزمين يتولون ادارتها أو استغلالها وتحصيل ما يستحق عليها من الضرائب للحكومة (١) .

ومن ذلك منشور صدر فى الأيام الأخيرة لعهد بونايرت فى مصر ، وأشار الجبرتى الى محتواه بإيجاز فقال (٢) : « ٠٠ كتبوا أوراقا ٠٠ مضمونها انقضاء سنة مؤجرات أقالام المكوس ومن أراد استئجار شيء من ذلك فليحضر الى الديوان ويأخذ ما يريد به بالمزاد » . والمقصود بمباراة « أقالام المكوس » هنا هو الوحدات التى تغل إيرادا تحصل عنه الحكومة ضريبة ما ، فى مختلف قطاعات الانتاج والاستغلال . وسنرى نماذج متنوعة من هذه المنشورات فى عهد كليبر ومنو .

أن مثل هذه المنشورات لتدعو الى القول بأن موضوع النظام الاقتصادى لمصر أيام الحملة جدير بأن يلتفت اليه أحد الباحثين المتخصصين . وسوف يجد هذا الباحث ولاشك فى كثير من منشورات الحملة مادة طيبة تعينه

(١) الالتزام من النظم التى عرفت إبان العصر العثمانى ، وكان يطبق أساسا على الأراضى الزراعية . وأصله أنه لما تسدت الإدارة الحكومية انصرف كثير من الناس عن الزراعة ، فهبطت قيمة الأراضى وقل الخراج . فعمد الحكام الى طريقة الالتزام ، وهى تضمين الضرائب لأفراد يتولون جمعها عن الحكومة ، ويشتركونها فيما يجبونه من الأهالى ، وذلك بمقتضى صك يسمى « التقسيط » . وكانت حصص الالتزام توزع اما عن طريق المزايعة ، واما بالاتفاق سلفا على قيمة الحصيد السنوية (انظر : الرافعى، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٢٩ ) .

(٢) عجائب الآلاف ، ج ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٧ ربيع الأول ١٢١٤ ( ٢٩ أغسطس ١٧٩٩ ) . وكان بونايرت قد غادر مصر سرا قبل ذلك بستة أيام ، ولكن لم يكن خبر سفره قد أذيع ، كما لم يكن خليفته كليبر قد حضر الى القاهرة وماوس فيها سلطات القائد العام بعد .

على استكمال بحث تفتقر اليه مكتبتنا التاريخية بوجه عام ، وما ينصل منها بتاريخنا الاقتصادى بوجه خاص .

ويتناول كثير من هذه المنشورات الشئون الصحية التى لقيت من الفرنسيين منذ احتلالهم مصر اهتماما خاصا ، وإن كانت اجراءاتهم فى هذا الصدد قد أتارت نفور المصريين ، إذ اعتبروها تدخلا من السلطة فى حياتهم الشخصية . وقد اتفق كثير من المؤرخين على أن ذلك كان من اسباب ثورة القاهرة الأولى ضد الحكم الفرنسى (١) .

ولعل أول تلك المنشورات المنشور الذى أصدره الجنرال كليبر (قله بر ) بالاسكندرية بعد بضعة أيام من احتلالها (شكل ٧٢) (٢) . ويتضمن هذا المنشور أمرا من مادتين ، يفرض حظرا على كل أنواع المنسوجات الواردة « من بلاد العثمانية » ( فى النص الفرنسى « من بلاد الشام » ) . والغرض من ذلك « إبعاد الطاعون المهلك للناس مرحمة عليهم » .

ويشمل الحظر ما قد تحمله السفن الى الميناء من هذه المنسوجات ، وما قد يكون موجودا منها من قبل فى متاجر المدينة ، خصوصا إذا كانت مربوطة أو محشوة فى غراير . . . » . وينذر الأمر بأشد العقاب كل من يتراخى فى تنفيذه أو يتهاون فى ابلاغ الادارة الصحية عما قد يوجد من تلك المنسوجات المحظور استخدامها . ويبدو أن الهدف من وراء حظر المنسوجات بالذات كان الخشية من تسرب البراغيث الناقلة ليكروب ذلك الوباء .

ومن هذا القبيل المنشور الذى تضمن اتخاذ بعض الاجراءات للمحافظة على الصحة العامة ، والحد من انتشار الأوبئة . ويقول الجبرتي

(١) أنظر مثلا : الشناوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٤ - ٩٥ :

Herold, op. cit., p. 189.

وقد ذكر الجبرتي طرفا من هذه الاجراءات ، فقال فى حوادث يوم ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ ( ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ ) ، المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ٢١ : ان الفرنسيين « لبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترت القريبة من المساكن كثرة الاذكية والرويعى ولايدفنون الموتى الا فى القرافات البعيدة . . . وإذا دفنوا يبالغون فى تسفيل الحفر ونادرا ايضا ينشر الثياب والامتعة والفرش بالاسطحة عدة أيام وتخبر البيوت بالبخورات الملهمة للعفونة . . . » .

(٢) صدر بالعربية والفرنسية بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ٦ (بواينى ١٢ يوليو ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات مكتبة المتحف البريطانى بلندن .

عن هذا المنشور (١) «نودى فى الأسواق بنشر الثياب والامتعة خمسة عشر يوما وقيدوا على مشايخ الاخطاط ٠٠ بالفحص والتفتيش فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك فتصعد المرأة الى أعلى الدار وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ٠ وكل ذلك للذهاب بالعفونة الموجهة للطاعون وكتبوا بذلك أوراقا لصقوها بحيطان الأسواق على عاداتهم فى ذلك » ٠

ومن ذلك أيضا منشور صدر فى الاسكندرية بتوقيع قائدها ( قومندانها ) الجنرال مارمون ( شكل ٧٣ ) ( ٢ ) ، يتضمن أمرا مشابها يقضى بأن يقوم موظفو الادارة الصحية بتفتيش « جميع الأماكن والمحلات ليعلموا ان كان فعلوا بموجب الأمر ونضفوا والا باقى فيها شى مفسد للهوا (٣) » ٠

ويلزم هذا الأمر كذلك « الحكما والجراحين والمزينين » بالابلاغ عن المرضى ، كما يحتم الابلاغ عن المتوفين فور حدوث الوفاة ٠

ثم ينص الأمر على أن « جميع الغسالين والحفارين ٠٠ ممنوعين من تغسيل الأموات ودفنهم » الا بتصريح رسمى من السلطات الصحية ٠ ويفرض الأمر بعد ذلك عقوبة الغرامة والحبس لكل من يخالفه ٠

ولم يلبث الجنرال مارمون ان أصدر أمرا صحيا آخر ، طبع فى منشور بالعربية والفرنسية ( شكل ٧٤ ) ( ٤ ) .  
وأهم ما تضمنه هذا الأمر :

١ - انشاء محجر صحى ( قرانتينه ) على أحد مدخل الاسكندرية ، وهو باب رشيد ٠

٢ - منع السفر من الاسكندرية ، الا بتصريح من السلطات الصحية بعد قضاء عدة أشهر فى الحجر ٠

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤ من حوادث أول جمادى الأولى ١٢١٣ ( ١١ ) أكتوبر ١٧٩٨ ) ٠

(٢) بتاريخ ١٥ فبراير سنة ٧ (٥ ديسمبر ١٧٩٨) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٣) يبدو من هذه العبارة أن أمرا سابقا قد نشر من قبل ، يماثل الامر الذى ذكرناه آنفا لمدينة القاهرة .

(٤) بتاريخ ١٦ نيفوز سنة ٧ (٥ يناير ١٧٩٩) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

٣ - إقامة سياج خارج باب رشيد نحجز وراءه البضائع القادمة للمدينة . ويتسلمها أصحابها من خلال السياج ، دون أى اختلاط بمن جاءوا بها .

٤ - فرض الرقابة الصحية الصارمة على السفن الواردة الى الثغر من رشيد وأبو قير ، بحيث ترسو في مكان معين ولايسمح لبحارتها بالنزول ، وانما تتبادل البضائع دون اختلاط تحت اشراف صحي دقيق : «كل النواتية ( البحارة ) الذين يختلطو مع أهل البلد يوضعوا في القرنتينه » .

وتشير هذه الأوامر الى ما رددته بعض مصادر الحملة من تفشى وباء الطاعون الدملي وقتذاك في مصر ، وبخاصة في المدن الساحلية . وقد اشتد فتك الوباء بالاسكندرية في الوقت الذي صدر فيه منشور مارمون آنف الذكر بالذات . وبعث مارمون الى منو ، حاكم الاقليم الذي كان يقيم في رشيد ، بأكثر من رسالة يناشده فيها المعونة على مكافحة الوباء (١) .

ومن المعروف ان الطاعون قد تفشى بصورة أكبر بين جنود جيش الحملة السورية ، وبخاصة في أثناء حصار يافا . ويبدو أن السلطات الفرنسية في مصر رأيت وقتئذ ضرورة القيام بإجراءات وقائية مشددة ، حتى لا ينتشر الوباء في البلاد . فقد أصدر الجنرال دوجا نائب القائد العام منشورا شديدا باللهجة (٢) ، وجهه « لأهل مصر وبولاقي ومصر القديمة ونواحيها » أى لسكان القاهرة الكبرى ، يحذرهم فيه من « تشويش الكبة » (٣) . ويقول منبها : « كل من تيقنتم أو ظننتم أو توهتمتم أو شككنتم فيه ذلك في محل من المحلات يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيلة ( أى تعزلوه ) ويجب قفل ذلك المكان ... » .

ويلزم المنشور كذلك مشايخ الحارات بالابلاغ فورا عن حالات الاصابة المشتبه فيها ، كما يلزم الأطباء باخطار « قائمقام » نفسه عن الحالات التي يتحققون من اصابتها بالوباء « ليأمر بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش ... » .

La Jonquière, L'Expédition d'Egypte, IV, pp. 38-40.

(١)

(٢) ذكره الجبرني في حوادث يوم ١٧ شوال ١٢١٣ ( ٢٤ مارس ١٧٩٩ ) : عجائب الآثار ، ج ٣ ص ٥٢ ، أى أنه صدر في الوقت الذي كانت قوات الحملة السورية فيه قد بدأت تحاصر مدينا مكا ، بعد أن استولت على يافا .  
(٣) الكفة (نضم الكاف) : الطاعون . وهو لفظ عربي مولد .

والى جانب عقوبة الجلد التى يفرضها المنشور على مشايخ الحارات الذين يقصرون فى الإبلاغ ، فانه يذهب الى حد فرض عقوبة الاعدام على من أصابه هذا التشويش أو حصل فى بيته لغيره من عائلته . . وانتقل من بيته الى آخر . . . . . وكذلك على « كل رئيس ملة فى خط اذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى خطه أو بمن مات بها . . حالا فوريا . . » . وعلى « المغسل . . اذا رأى الميت انه مات بالكبة أو شك فى موته ولم يخبر قبل مضى أربع وعشرين ساعة » .

ومن هذا القبيل المنشور الذى أصدره « محفل الديوان العمومى » الى « جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة » كذلك (١) ، ينبههم الى « عدم المخالطة مع النساء المشهورات ، لأنهن « الواسطة الأولى » لنقل مرضى « تشويش الطاعون » ثم يوجه انذارا الى كل فرد « فرنساويا أو مسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من أى ملة كان » بأن جزاءه سيكون الموت اذا « أدخل الى مصر أو بولاق أو مصر القديمة من النساء المشهورات » . وكذلك ينذر بالموت أولئك النساء المشهورات ، اذا « دخلن من أنفسهن » . وواضح أن المقصود بعبارة « تشويش الطاعون » هنا هو مرض الزهري (Syphilis) الذى ينتقل فعلا بهذه الطريقة ، وليس وباء الطاعون الذى صدرت المنشورات التى سبق الحديث عنها من أجله ، وأشارت اليه بعبارة « تشويش الكبة » .

ولفت النظر فى هذا المنشور من ناحية أخرى أنه موجه الى كل « سكان » القاهرة الكبرى ، مصريين وأجانب ، مسلمين ومسيحيين ويهود ، بل انه يمتد كذلك ليشمل الفرنسيين أنفسهم . ويعلق الدكتور لويس عوض على هذا المنشور بقوله (٢) انه « وثيقة ذات أهمية عظمى لأنها تثبت أن ولاية البرلمان المصرى فيما يتصل بسن القوانين المدنية كانت نافذة لا على الرعايا المصريين فحسب ، ولكن على الأجانب أيضا بما فيهم جنود جيش الاحتلال . ونظيرها القانون الخاص بتسجيل نزلاء الفنادق . . وهى ونظائرها تثبت أن سلطة اصدار القوانين فيما لا يمس السياسة العليا كانت من اختصاص الديوان العمومى . . » . ويمكن التعقيب على هذا التعليق بأن ما سماه الكاتب بالبرلمان المصرى، وهو الديوان العمومى الذى صدر المنشور باسمه ، كان يتكون بالفعل من

(١) ذكره الجبرتى ( عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٥٧ ) ضمن حوادث شهر ذى القعدة ١٢١٢ دون تحديد اليوم . ويقع هذا الشهر بين ٦ أبريل و ٥ مايو ١٧٩٩ .  
(٢) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

ممثلين لكل سكان العاصمة بمختلف جنسياتهم وطوائفهم ، فلا غرابة في أن تمتد دائرة « اتصاله » - لا ولايته - لتشمل كل هؤلاء السكان .  
وغنى عن القول أن « الولاية » الحقيقية إنما كانت لسلطات الاحتلال الفرنسي وحدها . وأن « الديوان » في أى شكل من أشكاله كان محدود السلطة ، وكانت أهميته الرئيسة في أنه واسطة لها وزنها في « الاتصال » بالجماهير لتيسير مهمة حكومة الحملة .



وتناولت منشورات أخرى ، ومنها ما لم يشر اليه مرجع من قبل ، موضوعات لها أهميتها التاريخية الخاصة . فهي تلقي الضوء على بعض جوانب الحياة المصرية آنذاك ، ويمكن أن نستخلص منها عدة دلالات .

ولعل من أهم هذه المنشورات منشورا مطولا صدر في الاسكندرية، لم يشر اليه أحد من مؤرخي الحملة ( شكل ٧٥ ) ( ١ ) . ويتضمن الاتفاق على انشاء شركة مساهمة بين عدد من تجار الحملة والسلطات الفرنسية بالشعر .

ويتكون المنشور من أربعة أجزاء :

( أ ) نص الكتاب الذى بعث به عشرة من التجار الى الجنرال مارمون، يعرضون فيه انشاء « شركة الأخوية » ( ٢ ) ، ويطلبون معاونته على تنفيذ مشروعاتهم ، « لأن فى ذلك منفعة عظيمة الى جميع سكان الشعر » .

( ب ) رد الجنرال مارمون على التجار . الذى رحب فيه بمشروعاتهم وأعرب لهم عن سروره لاجتهادهم وغيرتهم « على تحصيل النخيل وجلبها للبلد » . ثم قال لهم مؤكدا : « ... وتقدروا تعتمدوا علينا فى اعانتكم وحمايتكم ونفعل كل ما يخرج من يدى لأجل تقديم شركتكم ولخيرية عاقبتها ... » . ونوه بأن هذا المشروع جدير بأن يعلن على الناس : « ولأزم ان أهل البلد يعرفوا هميتكم واجتهادكم فى لهذا الأمر مثل ما عرفتها أنا ... » .

( ج ) النص الكامل لمشروع « شركة الأخوية » المقترح . وهو يتكون من ست عشرة مادة ومقدمة ، ومضمونه :

( ١ ) مؤرخ ٧ جرمينال سنة ٧ ( ٢٧ مارس ١٧٩٩ ) . وهذه النسخة من مسمى المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . وقد صدر المنشور بالعربية والفرنسية فى طبعة واحدة من سبع صفحات .  
( ٢ ) فى النص الفرنسى « Compagnie de Commerce » ، أى « شركة تجارية » .

١ - ان تجار الاسكندرية فكروا في هذا المشروع لما المسوه من ركود الحالة التجارية ، وما أدى اليه ذلك من الاضرار بالاقتصاد العام « ظهر الى تجار الاسكندرية ان وقوف المتجر شى موزى ( شىء مؤذ ) الى جميع السكان ٠٠٠ » .

٢ - ان الشركة المزمع انشاؤها شركة مساهمة يبلغ رأسمالها ستين ألف فرنك ، تقسم على خمسين سهما .

٣ - ان المساهمين يتألفون من « تجار المسلمين والمسيحيين والافرنج » .

٤ - ان هذه الشركة سوف تختص بالتجارة فى المواد التموينية « مثل قمح ودقيق وفول وشعير ورز وغيره » . ويتضمن المشروع أيضا نظام العمل بالشركة وتوزيع الاختصاصات ثم يطلب التجار الذين اقترحوه من الجنرال مارمون « كل الحماية وكل الأوراق اللازمة (١) ، وأمر لاجل أخذ النفاير ( السفن ) والقوارب الذى ( كذا ) يحتاجوها » ، ويطلبون كذلك « أن يعطى لهذه الشركة المعانة والحماية المخصوصة » .

( د ) محضر اجتماع التجار بمنزل الجنرال مارمون لانتخاب المرتبين ( المديرين ) وأمين الصندوق وغيرهم من أصحاب المناصب الرئيسة فى الشركة . وقد وقع على هذا المحضر مؤسسو الشركة من التجار المصريين والمسؤولين الفرنسيين ، وممثل للتجار الأجانب الذين لم يتمكنوا من حضور الاجتماع .

وتوضح لنا هذه الوثيقة الخطيرة أكثر من حقيقة تاريخية بالغة الأهمية . فهى تشير الى تأسيس أول شركة مساهمة فى مصر ، على أحدث النظم الاقتصادية والادارية ، يمثل فيها العنصر المصرى بنسبة كبيرة (٢) . ثم ان اشتراك المسؤولين الفرنسيين فى هذه الشركة ظاهرة تلفت النظر حقا . فهى تجعل منها «مؤسسة» أر «هيئة» ذات طابع

(١) المقصود بهذه الأوراق ، كما جاء فى النص الفرنسى للمشروع ، جوازات السفر أو تصاريحات المرور (passeports) .

(٢) الواقع أن أسماء التجار الوطنيين الذين أسسوا هذه الشركة تدل على عنصرهم المصرى الأصيل ، بل ان معظمهم ينتمون الى اسرات مصرية مازالت معروفة بالاسكندرية حتى الآن ، مثل «ابو هيف» و «ابو شادى» و «الفربانى» و «جميعى» .



فريد يجمع بين ملامح مؤسسات القطاع العام كما نعرفها في مجتمعنا الحاضر ، وبين شركات الاقتصاد الحر كما عرفناها من قبل .

وسواء اكانت فكرة تكوين «شركة متجر الأخوية» نابعة أصلا من التجار الوطنيين بالثغر ، أم كانت بإيحاء وتشجيع من السلطات الفرنسية الحاكمة (١) ، فان ذلك لا يغير من حقيقتين : الأولى أن الشركة ، بعلامتها تلك ، قد سبقت في الوجود ما عرفتة مصر من الشركات التجارية الحديثة التي يسهم فيها المصريون بنصيب رئيسي ، بعشرات من السنين .  
والحقيقة الثانية أن الأسس التي قامت عليها الشركة تختلف تماما عن أسس النظام الاحتكاري الحكومي الذي اختطه ، بعد الحملة الفرنسية ، محمد علي .

ومن المنشورات التي اذاعت على المصريين بعض انباء الأحداث الهامة المنشور الذي تضمن أن مصطفى بك كتحدا الباشا ( أى وكيل الوالى التركى بكر باشا ) ، والذي كان فى الوقت نفسه أميرا للحج ، قد « رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه » (٢) . وأكد المنشور أن « أهل مصر علماء ووجاهات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ولم ينسب لهم شئ » . ثم أعلن أن « من كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة فى البحر والمراكب حاضرة والمعينون المحافظون من أهل مصر صحبة الحاج حاضرون ٠٠٠ » .

(١) لا نستبعد تدخل الفرنسيين بصورة ما فى تحريك فكرة انشاء هذه الشركة . فقد حدث قبل ذلك بأربعة أشهر (فى ١٤ نوفمبر ١٧٩٨) أن أوغز بونابرت الى بوسيلج مدير الشؤون المالية للحملة بأن يعمل على تأسيس شركة مساهمة من التجار الأوربيين الموجودين بالقاهرة ، برأسمال قدره ثلاثمائة ألف فرنك توزع على مائة سهم . ولكن لم تصم هذه الشركة واحدا من التجار المصريين . انظر : مراسلات نابليون ، المجلد الرابع ، وثيقة ٣٦١٩ .

(٢) ذكر الجبوتى ( عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٥٤ ) هذا المنشور ضمن حوادث ٢٦ شوال ١٢١٣ ( يوفى ٢ ابريل ١٧٩٩ ) . وكان الفرنسيون قد قلدوا مصطفى بك هذا المنصب فى أوائل أيام حكمهم ، وأشار الجبوتى الى ذلك فى حوادث ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ (أول سبتمبر ١٧٩٨) ، ص ١٦ ، بقوله : « قلدوا مصطفى بك كتحدا الباشا على اشارة الحاج فحضروا الى المحكمة عند القاضى ولبس هناك الخلمة بحضرة مشايخ الديوان ... » . واختار بونابرت مصطفى بك فيما بعد ضمن الكبراء الذين رأى أن يصبحوه فى الحملة السورية - كما ذكرنا من قبل - ، غير أنه تخلف عن السفر وقام بتصرفات اعتراها الفرنسيون خروجا عليهم وخيانة لهم . وقد نتجاً بعد ذلك الى بعض القرى وحاول أن يسترضى السلطات الفرنسية ليسافر مع بعثة الحج وكتب الى المسئولين بذلك ، ولكنهم رفضوا ثم أصدروا هذا البيان .

وهناك منشورات أخرى تناولت بعض شئون الحياة اليومية العادية، ولا تخلو أحيانا من طرافة أو ائارة • ومنها المنشور الذي أشار إليه الجبرتي في عبارة موجزة بقوله (١) : « ٠٠٠ كتبوا عدة أوراق مطبوعة والصقوها بالأسواق مضمونها أن في يوم الجمعة حادى عشرينه (٢) قصدنا أن نظير مركبا ببركة الأذبية في الهواء بحيلة فرنساوية » •

وكان طبيعيا أن يثير هذا الخبر الغريب اهتمام الناس • ومع أن الجبرتي قد أوجز في نقل نص المنشور ، فقد أطل في حكاية الحدث نفسه ، الذي كان أحد شهوده • وعبر من خلال ذلك عن مشاعره التي كانت صورة صادقة لمشاعر الناس • قال الجبرتي : « فكثرت لفظ الناس في هذا كعادتهم فلما كان ذلك اليوم قبل العصر تجمع الناس والكثير من الافرنج ليروا تلك العجيبة وكنت بجملتهم » •

ثم أسهب الجبرتي في وصف التجربة ، بما يفهم منه أنها كانت لتطير « بالون » من القماش • وقد علق على فشلها ، بعد أن سقطت كرة. البالون ، بقوله في شماتة غير المصدق لما ادعاه الفرنسيون : « فلما حصل لها ذلك انكشف طبعم لسقوطها ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسير في الهواء بحكمة مصنوعة ويجلس فيها أنفار من الناس ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة •• بل ظهر إنها مثل الطائرة. التي يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح •• » (٣) •

وتكررت هذه التجربة المثيرة مرة أخرى ، وأعلن عنها الفرنسيون كذلك بمنشور • وتحدث الجبرتي عن المنشور والتجربة بالروح نفسها، فقال (٤) : «... كتبوا أوراقا بتطير طائرة ببركة الازبية مثل التي

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٢ ، من حوادث يوم ٢٠ جمادى الثانية ١٢١٣ ( ٢٩ نوفمبر ١٧٩٨ ) •

(٢) أى ٢١ جمادى الثانية (٣٠ نوفمبر) •

(٣) الطريف ان الفرنسيين استغلوا هذا البالون - على ماروى الجبرتي - في توزيع بعض المنشورات ، اذ قال بعد ان وصف سقوط كرة القماش : « •• وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة •• » •

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤١ ، من حوادث يوم ٩ شعبان ١٢١٣ ( ١٦ يناير ١٧٩٩ ) • وقد علق الراحل ( مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١٣٢ - ٣ ) على هاتين التجربتين قائلا ان الذى أجراها هو العالم الفرنسى كونته (Conté) • وذكر عنه انه كيميائى ومكانكى ومبتكر لطائفة من المحترعات ، وان بونابرت عهد اليه بسك حروف لطابع الحملة ، وكان يعتمد عليه كثيرا في استثمار موارد مصر الطبيعية لاسيافا حاحات الحيش ، وبخاصة بعد تحطيم العمارة الفرنسية في موقعة أبو قير البحرية •

سبق ذكرها وفسدت فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر وطيروها وصعدت الى الاعلا ومرت الى أن وصلت تلال البرقية وسقطت ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين لتمت الحيلة وقالوا انها سافرت الى البلاد البعيدة بزعمهم » .

ومن نماذج هذه المنشورات كذلك منشور يعان عن بيع خيل تملكها حكومة الحملة للأهالي ، ويحدد مكان البيع وزمانه (١) . « فلأجل هذا المشتري كل من أراد أن يقتني خيلا فمئنا له الاجازة انه يقتني كما يريد ويشاء » .



مع قلة ما صدر من منشورات في عهد كليبر بوجه عام ، فقد غلب على معظم هذه المنشورات الطابع الاعلامي البحث ، ومنها ما كان على قدر كبير من الأهمية في هذا المجال .

ومن أبرز هذه المنشورات المنشور الذي أصدره كليبر في أوائل عهده ، ليذيع به مرسوما من عشر مواد ، باعادة التقسيم الادارى للبلاد (٢) . ويقضى المرسوم بأن يقسم القطر المصرى كله ، بما في ذلك العاصمة والمدن الساحلية ، الى ثمانى ولايات (arrondissements)

ويتضمن المرسوم ، بعد بيان التقسيم الجديد ، عدة تنظيمات تتصل بالكيان الاقليمى للولايات وهيكلها الادارى ، وتحدد مهمة ممثلى الحكومة المركزية فيها . وأهم هذه التنظيمات :

١ - أن يكون فى كل ولاية « رزمنجى فرنساوى » أى ممثل (agent) مالى للحكومة المركزية ، ومعه وكيل ومترجم ، وان هذا « الرزمنجى » أو وكيله « يلزمه أن يرافق دائما العساكر الذين يجولون فى الولاية لتحصيل الاموال الديوانية » ( المادة الثانية ) .

٢ - أن يكون فى كل ولاية « مباشر » أى معتمد مسئول (intendant) قبطى ، مهمته تزويد « الرزمنجى » الفرنسى أو وكيله بالمعلومات « عن كل شىء يسأله عنه فيما يخص ولايته » ، وان يرافقه أو وكيله « الى أى محل ينتقل اليه مع العسكر » .

٣ - ان الدواوين الاقليمية التى أنشأها بونابرت « لا يحصل لهم تغيير قط لا فى العدد ولا فى الوظيفة ولا فى محلات اجتماعهم » (المادة السادسة ) .

(١) ذكره الجبرتي فى حوادث يوم ١١ رجب ١٢١٣ : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٢) راجع شكل ٢٠ .

٤ - ان « وجاقات الانكشارية » ، أى الفرق العسكرية التركية ، تبقى كما هى حسب تكوينها القديم . وحيثما اقتضت الضرورة فان حكام الولايات من القواد الفرنسيين يعملون على أن يكون نصف عدد كل « وجاق » من الحيلة الذين يعرفون البلاد وطرقها جيدا ، لى ينفعوهم ويكونوا دلا ( أدلاء ) لعاكرهم فى وقت الاحتياج ، ( المادة السابعة ) .

وواضح ان هذا المنشور وثيقة تاريخية بالغة الأهمية ، تجلو بما تتضمنه من حقائق صفحة من صفحات حكم الحملة الفرنسية لمصر بوجه عام ، وعهد كليبر ثانى قواد هذه الحملة ، بوجه خاص . ومن المنشورات الاعلامية ذات الأهمية التاريخية كذلك المنشور الذى أذاع اتفاقية العريش ، التى عقدت بين الفرنسيين والعثمانيين لجلاء القوات الفرنسية عن مصر ( شكل ٧٠ ) ( ١ ) .

لقد نقل الجبرتى عن هذا المنشور الترجمة العربية للاتفاقية ( ٢ ) . وفضلا على ضعف هذه الترجمة وما بها من أخطاء ، فان الجبرتى - كعادته - لم يكن دقيقا فى نقل بعض عباراتها . هذا الى أن تحويل مخطوط الجبرتى بعد وفاته الى كتاب مطبوع قد عرض الأصل لأخطاء أخرى . ومن هنا أهمية المنشور المطبوع ، الذى جمع بين النص الفرنسى الحرفى للاتفاقية وترجمته العربية .

وأهم ما تضمنته مواد هذه الاتفاقية انها قضت بجلاء القوات الفرنسية عن مصر بكامل أسلحتها وأمتعتها ، وبأن تقلع هذه القوات من الاسكندرية

(١) وقعت الاتفاقية ، بعد مفاوضات طويلة بين الجانبين اشترك الانجليز فى بعض مراحلها ، فى ٢٤ يناير ١٨٠٠ ، وصدق عليها كليبر فى ٢٨ يناير . وليس بالمنشور مايدل على تاريخ طبعه ، وان ذيل بتاريخ توقيع مندوبى الجانبين وتاريخ تصديق كليبر . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية الفرنسية بباريس .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ - ٧ . وقد قدم لها بعبارة تدل على اوتياحه البالغ لعقد الاتفاق : «... وجنح كل من الفريقين الى ذلك (الصلح) لما فيه من كف الحرب وحقق الدماء وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطا رسمت وطبعت فى طومار كبير وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا وأرسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبه بصورة الحال الى دوجا قائمقام فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك ولا ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط ومربوه وطبعوا منه نسخا كثيرة فرقوا منها على الاعيان وألصقوا منها بالاسواق والشوارع... » . هذا ولم يذكر الجبرتى تاريخا محددا لتلاوة ملخص الاتفاقية على أعضاء الديوان أو لتاريخ صدور المنشور ، وانما أشار الى ذلك بشكل عام فى حوادث شهر شعبان ١٢١٤ (٢٩ ديسمبر ١٧٩٩ - ٢٧ يناير ١٨٠٠) .

ورشيد على السفن الفرنسية والسفن التي تقلعها الحكومة العثمانية ،  
على أن يتم الجلاء في مدى ثلاثة أشهر . وتنظم مواد الاتفاقية بعد ذلك  
تفصيلات هذا الجلاء ومواقيته .

ويقول مؤرخنا الرافعى عن هذه الاتفاقية (١) انها « أول وثيقة  
من الوثائق الدولية الحديثة اعترفت فيها الدولة المحتلة مصر في أواخر  
القرن الثامن عشر بفشل احتلالها وتعهدت بجلائها عن البلاد ، فهي بهذا  
الاعتبار خطوة في سبيل تكوين مصر المستقلة » . ثم يقول : « فمعاهدة  
العريش هي الوثيقة الرسمية التي تعهدت فيها فرنسا بالجلاء عن مصر ،  
فهي إذن وثيقة من أهم الوثائق الرسمية في تاريخ مصر الحديث » .

وهناك منشور اعلامى آخر يتضمن بدوره وثيقة تاريخية لها أهميتها  
الخاصة في التعرف على بعض الملامح التي تتصل بحالة الحملة الفرنسية  
ومركزها المالى في عهد كليبر . انه المنشور الذى صدر فى ثمانى  
صفحات ، بعنوان فرنسى يعلو عنوانه العربى ويزيد عليه تفصيلا ،  
ونصه : « الترجمة العربية لأمر القائد العام الصادر فى ٨ فلوريل سنة  
٨ ، بشأن الغاء الادارة العامة للشئون المالية بمصر » ( شكل ٧٧ ) ( ٢ ) .  
اما الأمر الفرنسى نفسه فقد صدر فى منشور مستقل ( شكل  
٧٨ ) ( ٣ ) .

والأمر الذى أذاعه هذا المنشور يتألف من ائتين وعشرين مادة  
يزودنا مضمونها بكثير من المعلومات التاريخية القيمة . وأهم ما تضمنته  
هذه المواد ، الى جانب ما أشار اليه العنوان :

١ - الغاء وظيفة « مدير الحدود » ، أى مدير الشئون المالية ،  
ونقل اختصاصاتها الى « الخزانة العام » أى مدير الخزنة . وبذلك  
أصبح « استهوه » ( استيف ) شاغل هذه الوظيفة مسئولا عن إيرادات  
الحكومة كلها ( ٤ ) . وعليه أن « يضبط ويكشف حسابات المدخول

(١) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ١٣٩ - ٤٠ .

(٢) يوافق تاريخه ٢٨ ابريل ١٨٠٠ . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية

بباريس .

(٣) من محفوظات دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) كان بوسيلج « مدير الحدود » قد غادر مصر مع زوجة عائده الى فرنسا فى ١٤  
مارس احتجاجا على عقد معاهدة العريش ، مع أنه كان أحد المندوبين اللذين وقعاها  
عن الجانب الفرنسى . وقد عين كليبر بدله جلوتيه ( Gloutier ) ، الذى مات  
فى ثورة القاهرة الثانية ، فألقى كليبر ذلك المنصب .

(الدخل) من اللم (الجباية) العمومى . . » . فضلا عما يتنير اليه ذلك من تغيير جذرى فى الوظائف المالية الرئيسية ، فان تاريخ المنشور يحدد الوقت الذى تم فيه هذا التغيير . وبذلك يتبين ان الرافعى مثلا كان غير دقيق عند ما ذكر عن استيفائه كان « مدير خزانة الحملة أولا ثم مدير الشئون المالية فى أواخر عهد الحملة الفرنسية » .

٢ - توحيد مختلف ضرائب الأرض الزراعية ، اعتبارا من عام ١٢١٤ هـ ، فى ضريبة واحدة « باسم اللم العمومى » (١) . وقيمة هذه الضريبة ليست ثابتة ، فكل عام « على موجب ما ينظر صارى عسكر العام زيادة النيل وعلوه وكثر الزرع يبين ويقدر قدر اللم العمومى المطلوب » .

٣ - إلغاء نظام الالتزام بالنسبة للأرض الزراعية . فعلى حد تعبير أمر القائد العام « لم بقى يمكن أبدا أن تستأجر البلاد » . وأصبح المباشرون الأقباط « هم متوكلين خصوصى بقبض اللم العمومى وحكام الأقاليم بأمر من صارى عسكر يعطوا لهم عسكر والقوة لأجل القبض . . » ، وذلك فى مقابل « عمولة ثمانية بالمائة وهذه العمولة خلاف اللم العمومى والقبطة يقبضوها لأنفسهم من الأقاليم . . » . وهذا فى الواقع إجراء خطير حاول كليبر بمقتضاه أن يعطل - بالنسبة للأراضى الزراعية - نظاما راسخا ارتبط بالحياة الاقتصادية والاجتماعية لمصر من الفتح العثمانى ، وان لم يقدر لمحاولته أن يدوم أثرها .

وتنظم مواد الأمر - عدا ذلك - طريقة جباية الضريبة ومواعيدها وضبط حساباتها .

وإذا أخذنا فى الاعتبار الظروف الدقيقة التى تعرض لها مركز الحملة الفرنسية فى مصر وقت صدور هذا المنشور من ناحية ، ولاحظنا تضمن المنشور من ناحية أخرى لتفصيلات لم تتناولها مراجع الحملة المعروفة ، أدركنا أهميته والقيمة التاريخية لما لمضمونه من دلالات .

ففى ذلك الوقت كان كليبر قد نقض اتفاقية العريش بعد أن لمس سوء نية الانجليز تجاه الحملة واتجاههم الى الإيقاع بالقوات الفرنسية عند جلالتها . ونشبت معركة عين شمس بين الفرنسيين والعثمانيين

---

(١) كانت الاراضى الزراعية منذ بداية العصر العثمانى مثقلة بانواع الضرائب والالتاوت ، وأهمها : ضريبة الخراج او الميرى وهى المحصنة للسلطان ، والغنائم ( الفايط ) وهو ما كان يستولى عليه الملتزمون بعد وفاة الميرى ، والكنسوفية وهى المخصصة للكاشف أى حاكم الاقليم .

الذين كانوا قد بدءوا زحفهم تنفيذاً للاتفاقية . ولم تلبث القاهرة أن نارت ثورتها الثانية ، وكانت نورة عارمة شاركتها فيها بعض الأقاليم وبخاصة في الوجه البحري . واضطر كليبر في أثناء هذه الثورة إلى عقد اتفاقه مع مراد بك الذي نرك له بمقتضاه حكم الصعيد الأعلى ، كما سبق أن ذكرنا (١) .

ولما كانت موارد الحملة المالية قد تأثرت إلى حد كبير نتيجة لتتابع هذه الأحداث ولأسباب أخرى (٢) ، فقد قرر كليبر - كما نفهم من الأمر الذي أذاعه هذا المنشور - أن يضبط ضرائب الأرض الزراعية وينظم جبايتها . وضماناً للحصول على حصيلة هذه الضرائب كاملة ألغى وساطة الملتزمين فوفر بذلك دخلهم منها ، وكلف بجمعها « المباشرين القبطة » . على أن يتقاضوا في مقابل هذا العمل عمولة معينة « يقبضوها لأنفسهم من الأقاليم » .

وكانت الإدارة المالية في عهد كليبر قد اتخذت قبل الغائها من المنشورات أداة اعلامية ، تعلن بها القرارات الخاصة بتأجير مختلف مصادر الإيراد الضريبي - غير الأرض الزراعية - للملتزمين (٣) . وتابع بوسيلج في ذلك أسلوباً غير مألوف . فقد أصدر عدداً من المنشورات بالعربية والفرنسية تتضمن شروط صك الالتزام الثابتة ، وتكرمت بالمنشور فراغات قليلة تملأ بخط اليد لاضافة البيانات الخاصة باسم الملتزم ودائره التزامه وتاريخ الصك وما إلى ذلك . أى أن هذه المنشورات كانت أشبه بما نعرفه من العقود المطبوعة (الجاهزة) ، غير أنها كانت

(١) انظر ص ٧٠ . وقد نشبت معركة عين شمس (على مشارف القاهرة) في ٢٠ مارس ١٨٠٠ ، وبدأت ثورة القاهرة في اليوم نفسه واستمرت شهراً كاملاً . ووقع اتفاق الصلح بين كليبر ومراد في ٥ أبريل . وكان صدور هذا الأمر الذي تضمنه المنشور - كما رأينا - يوم ٢٨ أبريل .

(٢) كانت الحملة على عهد بونابرت قد استنفدت معظم موارد البلاد المالية ، هذا فضلاً عن أن الحصار البحري الذي فرضته السفن الانجليزية على شواطئ مصر قد عطل مواصلاتها الخارجية واصاب تجارتها بالكساد . ويضاف إلى ذلك ضعف فيضان النيل في صيف ١٧٩٩ ، وما أدت إليه هذه الحالة من بوار كثير من الأراضي الزراعية وعجز ملاحيتها عن دفع ضرائبها ( انظر : الرافعي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١٩ - ١٢٥ ) .

(٣) يقول الجبرني في هذا المعنى عند سرده للاحداث في أوائل عهد منو « حرروا دفاتر العشور واحصوا جميع الاشياء الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها اقلاماً يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر » ( عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٣٦ ) .

تذاع على الناس كسائر المنشورات لشهر مضمونها . ونستدل على ذلك من أسلوب صياغتها وطريقة عرضها ، ومن وجود عدة نسخ من بعضها في الملفات الخاصة بالحملة في محفوظات وزارة الحربية الفرنسية، وفي المكتبة القومية بباريس .

منال ذلك المنشور الخاص بتأجير « قلم سوق الرز وقبانة القطن  
روكالة الباشه برشيد» لمدة سنة (شكل ٧٩) (١) .

ومن استعراض هذه المنشورات يتضح ان نظام الالتزام امتد الى مختلف القطاعات والمجالات التي تمثل مصادر ايراد ضريبي للحكومة كالأسواق بما تحويه من أعمال البيع والشراء ، بل ووسائطها مثل القبانة والكيالة والنقل ، والمجازر والمعاصر والمطاحن ، ووحدات الانتاج الحرفي كالحدادة والتجارة . ونعرف من هذه المنشورات كذلك ان الالتزامات كانت تمنح لأفراد من مختلف الطوائف ، فكان منهم المصري والسوري والتركي ، بل وبعض الأوروبيين المستوطنين .

ويحتمل ان تكون مثل هذه المنشورات قد سبقت بمنشورات أخرى، لم يحفظها التاريخ أو لم يصل اليها الباحثون بعد ، تعلن عن مزايدات توزيع مناطق الالتزام . فمن الرسائل الاعلامية التي خصصت بعض المنشورات لاذاعتها أيام كليبر الاعلانات العامة . ومثال ذلك اعلان أو سبيه (Avis) صدر بالعربية والفرنسية ، خاص ببيع البضائع والفلال الموجودة في مخازن الاسكندرية بالمراد العلني (شكل ٨٠) (٢) . وقد تضمن هذا الاعلان بياناً مفصلاً بالبضائع والمنتجات التي سيجرى عليها المزايدة ، وكانت أكثر من خمسين سلعة متنوعة تعطي صورة واضحة عما كانت تتعامل فيه الأسواق المصرية وقتذاك . فقد شمل ما عرض للبيع المواد التموينية المحلية كالسمن والجبن والمجلوبة كالجوز واللوز ، ومواد الصناعة كالأصباغ والراتنجات والأقمشة ، والسلع المستوردة كأدوات المائدة وغيرها .

(١) تاريخه ٢٥ فركثور سنة ٧ ( ١١ سبتمبر ١٧٩٩ ) . وهذه النسخة من نسـم  
المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) يحدد هذا الاعلان غير المؤرخ ، الذي صدر بالعربية والفرنسية ، تاريخ المزايدة  
بيوم ٢٠ بريريال سنة ٨ ( ٩ يونيو ١٨٠٠ ) . ولا بد بالطبع ان يكون قد صدر راذيع  
قبل ذلك بوقت كاف . وهذه النسخة من المنشور من محفوظات المكتبة القومية  
بباريس .



ومن ناحية أخرى فإن مثل هذا الاعلان يشير الى بعض مظاهر الضائقة المالية التي كانت تعانيها حكومة الحملة فى أواخر عهد كليبر . فأغلب الظن أن هذه «البضائع والإغلال الموجودة فى مخازن اسكندرية» كانت فى الأصل مملوكة لغير الفرنسيين ، وإن هؤلاء استولوا عليها وأعلنوا عن بيعها بالمزاد ابتغاء الحصول على دخل جديد يسدّدون به بعض مطالبهم .

وواصلت حكومة كليبر خطة سلفه فى استخدام المنشورات لإذاعة ما يتصل بالاجراءات الصحية . وقد أشار الجبرتي الى أحد هذه المنشورات بإيجاز فقال انه « نودى بنشر الحوائج وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بالأسواق وشدّدوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ومع كل منهم عسكوى من طرف الفرنساوية » (١) .



تميز عهد قيادة منو بكثرة ما صدر فيه من منشورات ، سواء ما كان منها دعائيا خالصا أو اعلاميا خالصا ، أو ما جمع بين الدعاية والاعلام . وكان للجانب الاعلامي بالذات نصيب وافر من مادتها . ومن حسن الحظ انه أمكن العثور ضمن وثائق الحملة الفرنسية بباريس على عدد كبير من هذه المنشورات التي لم تشر الى معظمها المراجع التاريخية من قبل . كما ان معاصري الحملة من المؤرخين سجلوا لنا بدورهم بعض هذه المنشورات .

وقد بدأ منو عهد قيادته ببعض المنشورات الاعلامية ذات الأهمية التاريخية الخاصة ، وهى تلك التي أذاعت على المصريين حادث مصرع الجنرال كليبر وما ترتب عليه من تحقيقات ومحاكمة .

صحيح ان المنشورات التي تتصل بهذا الحادث كانت - بطريق غير مباشر - صورة لسياسة الترغيب والترهيب التي واصل منو السير عليها ، وهو ماسبق أن تعرضنا له من قبل ، ولكن لاشك أن هذه المنشورات المطولة كانت بما تضمنته من مادة اخبارية عملا اعلاميا فريدا . وبالرغم من طول هذه المنشورات واحتشادها بالتفصيلات ، فقد رأى الجبرتي ، نظرا لقيمتها الاعلامية والتاريخية ، أهمية نشرها كاملة .

لقد روى مؤرخنا فى ايجاز واقعة مصرع كليبر، وما أعقبها من رد فعل

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٨٠ من حوادث ١٦ ربيع الثانى ١٢١٤ ( ١٧ سبتمبر

بين المواطنين ، واجراءات اتخذها الفرنسيون حتى صدر الحكم في القضية (١) . ثم قال ان الفرنسيين « ألفوا في شأن ذلك أوراكا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث الفرنسية والتركية والعربية وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها . . ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة (المحاكمة) ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام . . »

وأخذ الجبرتي بعد هذه المقدمة في اثبات نصوص تلك المنشورات واحدا واحدا (٢) . وقد بدأها بالمنشور الذي تضمن « شرح الاطلاع على جسم ساري عسكر العمام كليبر » و « شرح جروحات الستوين بروتاين ( أى المواطن بروتان : Protain ) الذي انغدر هو أيضا في جنب ساري عسكر العام . . » وهو تقرير طبي تميز بالدقة والموضوعية ، وقد وقعه الطبيب الذي ندب للفحص وهو كازابيانكا (Casabianca) الجراح الأول بجيش الحملة ، ووقعه معه « الدفتردار سارتلون » ، مدير مهمات الجيش الذي عهد اليه في هذه القضية بمهمة « المبلغ » أى المدعى العام .

وأعقب ذلك على التوالى نصوص المنشورات التى تضمنت هذه الوثائق :

١ - محضر « أول فحص » أى أول تحقيق مع سليمان الحلبي قاتل ساري عسكر . وفيه نفى المتهم في بادئ الأمر أية صلة له بالحادث رغم محاصرته بالأسئلة ومواجهته بالأدلة . ولذلك « أمر ساري عسكر انهم يضربونه حكم عوائد البلاد » ، فما لبث أن « طلب العفو ووعد انه يقر بالصحيح وصار يحكى من أول جديد » . وهكذا اعترف سليمان بعد ضربه !

٢ - محضر « فحص الثلاثة مشايخ » (٣) وهم شركاء القتال : عبد الله الغزى ومحمد الغزى وأحمد الوالى .

- قرار تأليف « ديوان قضاة » ( أى هيئة محكمة ) ، « لأجل أن يشرعوا على الذين غدروا ساري عسكر العام . . » من تسعة أعضاء برئاسة الجنرال رينييه (Reynier) .

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١١٦ - ١٧ .

(٢) طبعت سلطات الحملة مادة هذه المنشورات مرة أخرى باللغات الثلاث في كتيب واحد سبق أن أشرا اليه (انظر ص ٤٤) .

(٣) كان رابع هؤلاء الشركاء هارب ، وهو عبد القادر الغزى ، وقد حوكم غيابيا .

٣ - القرارات التنظيمية التي اتخذتها هيئة المحكمة ونشمل اختيار كاتم السر وتفويض الرئيس والمدعى العام سلطة « التفتيش والحبس » لكل من يشكون في أمر اشتراكه في الحادث ، « وهذا لكي يظهروا رفقاء القاتل » .

٤ - أقوال الشهود ، وهم المهندس بروتان الذي جرح في الحادث ، والجنديان اللذان قبضا على القاتل ، وياور كليبر الذي شاهد القاتل قبل الحادث وهو يتتبع القائد العام فنهره وأبعده .

٥ - محضر التحقيق الثاني مع سليمان الحلبي . وفيه أضاف كثيرا من التفصيلات الى اعترافه في التحقيق الأول ، وذكر تحريض بعض العثمانيين له على قتل « ساري عسكر » ، وقصة حضوره الى مصر حتى وقوع الحادث .

٦ - محضر مواجهة المتهمين بعضهم ببعض واعترافاتهم خلالها . وقد أقر فيها شركاء سليمان بأنهم كانوا يعلمون بعزمه على ارتكاب الحادث ولم يبلغوا عنه .

٧ - محضر التحقيق مع متهم آخر هو « مصطفى أفندي البروصلي » ، وهو شيخ كبير كان يعلم القاتل الكتابة . وقد تبين من هذا المحضر ، الذي تمت فيه مواجهة بين المتهم والفاعل الأصلي ، انه لم يكن يعلم شيئا من التدبير للجريمة قبل وقوعها .

٨ - مرافعة المدعى العام « سارتلون » الذي اسنعرض فيها أمجاد القائد القتييل، وأنصار الى الحادث مؤكدا فظاعته، ثم هاجم العثمانيين الذين حرضوا القاتل . وبعد ذلك طالب سارتلون بالحكم بالاعدام على سليمان وشركائه الأزهرين الأربعة ، وبتبرئة معلمه مصطفى أفندي . ولكنه طلب أن تقترن عقوبة القاتل بالعذيب على أساس أن « عظمة الائم تستدعي أن يصير عذابه مهيب » . ومن هنا اقترح أن يعاقب سليمان الحلبي « بتحريق يده اليمنى » وبخوزقته « حتى يموت فوق خازوقه » .

٩ - وصف الجلسة الأخيرة وما دار فيها من حوار بين هيئة المحكمة والمتهمين ، وتلخيص لموقف كل منهم على حدة ، ثم منطوق الحكم (١) .

ولما كانت المادة الخامسة من أمر منو الصادر بتأليف المحكمة تنص على

---

(١) سبق أن اشرنا الى هذا المنشور عند الحديث عن سياسة الترغيب والترهيب ( انظر ص ١٧٠ - ٧٢ ) .

أن القضاة «يتفقوا على العذاب اللايق الى موت القاتل ورفقائه» ، فعد استند القضاة الى هذه المادة ليتفقوا على « أن يعذبوا المذنبين بعذاب من العذابات المعتادة بالبلد لأعظم المذنبين ويكون لايق للذنب الذى صدر ٠٠ » . وعلى ذلك حكموا - كما نعلم - بأن « سليمان الحلبي تحرق يده اليمنى وبعده يتخوزق ويبقى على الحازوق لحين تاكل رمتة الطيور » . أما سائر المتهمين المذنبين فحكم عليهم بأن «تقطع روسهم وتوضع على نابيت وجسمهم يحرق بالنار . ويكون ذلك قدام سليمان الحلبي قبل أن يجرى فيه شئ» .

وهكذا فنحن امام تقرير ضخيم يصور ماجريات ذلك الحدث الذى كان من أبرز الأحداث الداخلية فى تاريخ الحملة الفرنسية بمصر . ولاشك أن تسجيل كل وثائق الحدث وطبعها على هذه الصورة فى منشورات بلغة الشعب ولغة الحاكمين ولغة أصحاب السيادة الاسمية على البلاد الذين اعتبر القاتل من عملائهم ، ثم جمعها بعد ذلك فى كتيب واحد ، لهو عمل اعلامى بارع .

وتمثل معاهدة الجلاء عن مصر ، التى وقعها الجنرال بليار نائب القائد العام فى القاهرة ، آخر الوثائق المهمة التى أذاعتها منشورات الحملة (١) . وكانت الأحوال قد تأزمت الى حد كبير بعد أن واصل الجيش العثماني تقدمه من الشرق وأصبح على مشارف القاهرة ، وبعد أن واصل الجيش الانجليزى كذلك زحفه من رشيد تاركا منو محاصرا مع قواته فى الاسكندرية وأصبح يطل على القاهرة من الغرب (٢) .

وزاد من نحرر موقف الفرنسيين انتشار الطاعون وفتكه بعدد كبير من الأهالى والجنود وبخاصة فى القاهرة والصعيد ، ثم وفاة مراد بك حليفهم الأكبر بينما كان فى طريقه مع قواته لمساعدة بليار . فاجتمع مجلس حربى بالقاهرة ، وقرر عدم انتظار تعليمات منو ومفاوضة العثمانيين والانجليز فوراً للتسليم على أساس الجلاء الكامل عن مصر . وهكذا وقعت

(١) وقعت هذه المعاهدة يوم ٨ مسيدور سنة ١٢٧٠ (٢٧ يونيو ١٨٠١) .

(٢) كانت القوات العثمانية بقيادة الصدر الاعظم يوسف ضييا قد تقدمت من العريش حتى بلبس ، فرأى بليار أن يهاجمها هناك ولكنه هزم عند درة الزواهل التى تقع بين بلبس والخانكة (١٦ مايو ١٨٠١) ، نارتد بجيشه سريعا الى القاهرة . وفى انوقت نفسه كان الانجليز بقيادة الجنرال هتشنسون (Hutchinson) ، تدمهم قوات عثمانية ، قد هزموا الفرنسيين على مداخل الاسكندرية وفى رشيد ، ثم احتلوا الرحمانية ، وقطعوا بذلك الاتصال بين جناحى الجيش العرسى فى القاهرة والاسكندرية (٩ مايو ١٨٠١) .

الاتفاقية التي لم تختلف موادها كثيرا عن مواد اتفاقية العريش التي وقعت في عهد كليبر من قبل تم نقضت « (١) .

نجد رأى بليار أن يذيع على « جميع أهالي محروسة مصر » من كل الطوائف ما يهمهم من مواد هذه الاتفاقية . فأصدر منشورا بالعربية والفرنسية يتضمن نص المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة وحدهما ( شكل ٨١ ) ( ٢ ) .

وقدم بليار لنص مادتي الاتفاقية في المنشور بعبارة قال فيها ان ارادة الله تعالى قضت « بالصلح ما بين عساكر الفرنسية وعساكر الانجليز وعساكر العثمانية .. » . ثم استدرك يطمئن الأهالي الى أن هذا الصلح لا يعنى المساس بأشخاصهم أو عقائدهم أو أملاكهم . وأكد لهم ان «روس عساكر الثلاثة جيوش قد أشرطوا بهذا» .

وخلصا المادتين اللتين اهتم بليار بإذاعتها على الناس ان لكل فرد الحرية المطلقة في أن يسافر مع الفرنسيين ، دون أن يصيب أسرته أو ما يملكه أى أذى ، وان من عمل مع الفرنسيين في أثناء الاحتلال لا ينبغي أن يخشى شيئا على نفسه أو ماله ، على أن يحترم قوانين البلاد .

وختم بليار منشوره بعبارة وجهها الى « أهالي مصر وأقاليمها جميع الملل » ، قال فيها ان الفرنسيين لم يكفوا حتى اللحظة الأخيرة عن العمل على راحة الأهالي وأمنهم ، وعلى ذلك « فيلزم أنتم أيضا أن تسلكوا في الطريق المستقيمة وتفتكروا ان الله تعالى جل جلاله هو الذى يفعل كل شئ .. » .

وقد نقل الجبرتي نص هذا المنشور . تم ذكر في حوادث اليوم التالى ان الديوان دعى الى الاجتماع حيث تلا عليه الوكيل الفرنسى باقى

---

(١) لم يعلم منو بتوقيع نائبه بليار لهذه الاعايف الا متأخرا . وقد نار عندما اطلع على شروطها . وحمل على بليار حملة شعواء ، ثم بعث الى بونايرت تقريرا يلقي فيه تبعة تسليم القاهرة على نائبه . ولكنه لم يلبث أن وقع هو نفسه بعد نحو شهرين (٣١ أغسطس) مع العثمانيين والانجليز اتفاقية للجلاء عن الاسكندرية بشروط اسوا من شروط اتفاقية بليار !

(٢) المنشور مؤرخ يوم ١٨ صفر ١٢١٦ (٣ يونيو ١٨٠١) وقد طبع بمطبعة الحماة الرسمية بالقلة ، وكانت نقلت اليها في اواخر مارس ١٨٠١ ، بعد تخرج مركز الحملة في مصر نتيجة لهزيمة قوات منو أمام الانجليز والعمانيين في موقعة كانوب (بالاسكندرية) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

شروط الاتفاقية ، ولكنه لم يشر الى طبع هذه الشروط كاملة في منشور آخر (١) . والأرجح أن يكون مثل هذا المنشور قد صدر فعلا ، اذ انسا قد عثرنا على منشور فرنسي يتضمن النص الكامل للاتفاقية وأسماء من وفعوها وتاريخ التوقيع وما الى ذلك ( شكل ٨٢ ) (٢) . ومن المعقول أن تكون طبعة عربية مماثلة من المنشور قد صدرت ، وإن كنا لم نعر عليها . وفي عهد منو حرر عدد كبير من المنشورات الاعلامية التي أذاعت من الفرارات ما يتصل بالتنظيم الداخلى للبلاد ، ويتضمن من الحقائق ما يلقي الضوء على كثير من جوانب الحياة المصرية فى ذلك العهد .

وقد تنوعت موضوعات هذه المنشورات وتعددت أغراضها . ومنها المنشور الذى يتضمن أمرا الى مشايخ الحارات والمسئولين عن أحياء القاهرة ، بالابلاغ عن أسماء الغرباء الذين يفدون الى المدينة والجهات التى أتوا منها ( شكل ٨٣ ) (٣) . فعلى كل « صاحب بيت أو جامع أو وكالة » أن يبلغ شيخ الحارة فى خلال أربع وعشرين ساعة « أسما الصناعيين وخلافه من الغربا الذى (كذا) يحضروا . . واسم البلد الذى حضر منها ذلك الشخص الغريب » .

ويلزم هذا الأمر من ناحية أخرى بالابلاغ عن سفر « أهل البلد والغربا الذين توجهوا من مصر وبولاق والجيزة ومصر القديمة » . وفى مقابل ما يفرضه من عقوبة السجن والغرامة لمخالفيه ، فإنه يحرم دفع أية رشوة « الى مشايخ حارات أو متساخ خطوط أو حكام أو تراجمين . . أو غيرهم اسلام أو فرنساوية حين يحضروا يطلبوا حاجتهم » .

وهذا المنشور - الذى يذكرنا بمنشور مشابه صدر فى عهد بوناپرت وسبق أن أشرنا اليه (٤) - يدل على مدى اهتمام حكومة منو

- (١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٢ - ٣ من حوادث يوم ٢١ صفر ١٢١٦  
(٢) ٢١ يوليو ١٨٠١ . وقد أخطأ الجبرتي فى عدد شروط الاتفاقية ، فذكر أنها ثلاثة عشر . والواقع أنها واحد وعشرون شرطا .  
(٣) طبع بمطبعة الحملة الرسمية بالقلعة . وقد صدر بتاريخ ١١ مسيدور مه ٩ (٢٠ يونيو ١٨٠١) أى بعد توقيع الاتفاقية بثلاثة أيام . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية ببائيس ، ونوجد نسخة أخرى مماثلة بدار الوثائق القومية بالقلعة .  
(٤) أصدره الجبرال بليار قائد منطقة القاهرة ، وصدق عليه منو فى ٢٥ فركتيدور سنة ٨ (١٢ سبتمبر ١٨٠٠) ، ولم يذكره الجبرتي . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية ببائيس .  
(٥) أنظر ص ٢١٠ .

بانخاذا إجراءات أمن معينة في العاصمة ، خشية تكرار ما عانى منه الفرنسيون قبل من ثورات واضطرابات .

وفي منتصف عهده أصدر منو منشورا يتضمن أمرا يتعلق بتنظيم تموين جيش الحملة من مختلف الأقاليم المصرية ( شكل ٨٤ ) ( ١ ) . وقد قدم لهذا الأمر في المنشور بقوله : « اننا نؤينا على استحضر الزاد والزواد الى الجيوش الذين يمشون ويسرون حينما هم في وسط الولايات بحيث أن لا يقع الى أهالي الولايات شيا من الضرورات . ( أى الأضرار ) ٠٠٠ » .

ويضع الأمر عدة قواعد ثابتة لهذه العملية تستهدف القضاء على أى انحراف أو سوء قصد في تنفيذها ، وتزيل أسباب الشكوى منها :

– فهو يحتم أولا أن على « كل جماعة أو فرقة ٠٠٠ من عسكر جيوش الفرنسية رهي سايرة بوسط الولايات ٠٠٠ » أن تحمل معها المؤن ما يكفيها أربعة أيام .

– ثم يلزم هذه الفرق بأن تتزود في أثناء مسيرها بما يلزمها من « مخازن الفرنسية » التي قد توجد في طريقها .

– أما في حالة عدم وجود مثل هذه المخازن ، فيمكن التزود من الأهالي ، في مقابل « رجعات » ، أى ايصالات ، يوقع عليها قائد الفرقة وتوضح بها كل التفصيلات . ويكون ذلك عن طريق « الوفيسيال » ، أى الضابط ، المعين لهذا الغرض .

– وقيمة المؤن التي تؤخذ بهذه الطريقة تخصم من الضرائب المستحقة على من قدموها . وتضمن هذه المؤن يكون بالاتفاق والتراضى مع أصحابها .

ويبدو ان منو كان يحاول بمثل هذا الاجراء ، قبل أن تحدث الأخطار بمصير الحملة ، أن يؤمن خوف المصريين ويقضى على توجسهم ونفورهم من بعض التصرفات التعسفية التي اعتادت السلطات الفرنسية معاملتهم بها ، حتى عند تنفيذ ما رسمته من اصلاحات . فبعد هذا المنشور بنحو شهر ، أصدر منشورا آخر ، يتضمن أمرا مهد له بقوله انه أراد به أن

---

(١) بتاريخ ٢٨ نيفوز سنة ٩ (١٨ يناير ١٨٠١) . وقد طبع هذا المنشور كما يرى في طبعين ، احدهما مربية خالصة ، والثانية مربية فرنسية . وهاتان النسختان من محفوظات المكتبة القومية ببباريس .

يقدم للمصريين دليلا جديدا على « كرم وحلاوة الحكومة الفرنسية »  
( شكل ٨٥ ) ( ١ ) .

ويؤكد هذا الأمر في مواده التسع : ( ٢ )

١ - إغلاق القائمة التي تضم أسماء المصريين الذين غادروا البلاد ، ومنع مصادرة الأموال والعقارات بسبب ذلك .

٢ - تأكيد حرمة البيوت ، فلا تقتحم ولا تفتش الا لضرورات الأمن أو للبحث عن أسلحة أو بسبب تفشي الأوبئة . ويكون ذلك بمقتضى تصريحات رسمية من كبار المسئولين المختصين ، أو بأمر من المحكمة .

٣ - حظر مصادرة الاموال المنقولة وغير المنقولة الا بمقتضى حكم من المحكمة المختصة ، أو بناء على طلب رئيس الادارة القضائية ، أو مدير النشئون المالية أو رؤساء الادارات . ويكون ذلك في حالات الاعتقال أو بسبب حوادث السرقة أو الامتناع عن سداد الضرائب المستحقة . وفي كل هذه الأحوال يتولى مهمة التنفيذ القواد العسكريون للمناطق .

٤ - حق التمتع بالمسكن الخاص ، فلا يجوز ارغام فرد من أية ملة أو طائفة على التخلي عن منزلة أو جزء منه لغيره ، الا اذا كان ذلك للضرورة القصوى ، وللمصلحة العامة وحدها . وفي هذه الحالة يقرر لصاحب المكان مقدما التعويض المناسب .

٥ - منع هدم البيوت من أجل انشاء تحصينات أو شق طرق أو قنوات، الا بأمر من القائد العام نفسه يقوم على تنفيذه رؤساء الأشغال العسكرية والمدنية ، ومع تقرير التعويض المناسب عينا أو نقدا .

ان هذين الأمرين اللذين لم يشر اليهما ، على أهميتهما الواضحة ، مؤرخ من قبل ، ليلقيان ضوءا جديدا على بعض محاولات منو في تلك الفترة القصيرة للعمل على استقرار الأحوال في مصر ، على أساس شعور

(١) بتاريخ ٣ فتوز سنة ٩ ( ٢٢ فبراير ١٨٠١ ) . وقد صدر هذا المشور - بالعربية والفرنسية ، وهو من محفوظات المكتبة القومية ببباريس .

(٢) آثرنا ها أن نلخص مضمون المشور عن نصه الفرنسي ، لما اتسم به النص العربى من ركاسة شديدة .



الاهالى بالأمن والاطمئنان الى الحكم الفرنسى ، بعد ماعانوه من قبل من عسف وجور .

وهذا الاتجاه الجديد فى سياسة حكومة الحملة ، بعد أن ذاق المصريون الأمرين من جور الفرنسيين وعسفهم فى فرض المغارم ومصادرة الأموال والأقوات والاعتداء على الحريات والحرمات ، انما يرتبط بسياسة منو الاستعمارية . فقد كان هذا القائد يؤمن تماما بفكرة استعمار مصر ، وكان يتخذ من الاجراءات ويضع من الخطط ما يتمشى وهذه الفكرة ، ويحقق للحكم الفرنسى فى هذه البلاد الاستقرار والاستمرار .

فأصدر الجنرال بليار - نائب منو - منشورا الى اهالى القاهرة ( شكل ٨٦ ، ٨٦ أ ) (١) ، يتضمن أمرين يتصلان بالنظام العام والشئون الصحية فى العاصمة . ويقضى أولهما باغلاق المقاصف (٢) العامة الا ماكان منها تابعا للجيش ، على أن يحصل من يديرونها على تصريحات بذلك من نائب القائد العام . ويبيح الأمر لهذه المحلات بيع الأطعمة والقهوة ، « ولعب الكنك » ( أى البلياردو ) حتى الساعة العاشرة مساء . ولكنه يحرم تحريما قاطعا بيع الخمر فى أى منها .

أما الأمر الثانى فهو يكرر تعليمات سبق اصدارها أيام بونابرت ، اذ انه ينص على أن « كل من يموت من الآن فصاعدا من أفراد الرعية لا يباح دفنه من ذى قبل الاطلاع والكشف عليه ولا يدفن فى محل من المحلات التى داخل البلد » . ثم يحدد بعد ذلك - كالمعتاد - عقوبة مخالفته بالغرامة والحبس بالقلعة « مدة شهر زمان » .

وتمثل المنشورات التى تضمنت مواد اعلامية تتصل بسياسة منو المالية نسبة كبيرة مما صدر فى عهده من منشورات . لقد كانت حالة مصر المالية عندما تولى منو قيادة الحملة قد انحدرت الى مستوى بالغ السوء . ولم تكن الموارد التقليدية للحكومة ، بالاضافة الى الغرامة الضخمة التى فرضها كليبر على القاهرة بسبب الثورة ، والتى واصل منو تحصيلها ، فضلا عما صودر من بضائع فى ميناء الاسكندرية ، تكفى لسد نفقات جيش الحملة . وبخاصة أن تجارة مصر الخارجية كانت قد تأثرت الى حد بعيد ، بسبب الحصار البحرى الذى فرضه الانجليز على شواطئ

(١) صدر - كما نرى - فى طبعين ، عربية وفرنسية ، فى ٢٩ بلوفيز سنة ١٨٠١.

(١٨ فبراير ١٨٠١) . وهاتان النسختان من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) فى النص العربى « الخمامر » ، بينما هى فى النص الفرنسى « cantines »

مصر الشمالية من ناحية ، والحصار البرى الذى فرضته القوات العثمانية فى سوريا من ناحية أخرى .

ووصف الجبرتى ما عاناه سكان القاهرة وقتئذ من العسف وترادف المظالم والفظائع فى تحصيل الغرامات والاتاوات فى أوائل عهد منو وصفا موجعا ، فقال (١) ان الفرنسيين « أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة فى يوم واحد وختموا على جميعها تم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خانا بعد خان فاذا فتحوا حاصلا من الخواصل قوموا ما فيه بما أحبوا بأبخس الأثمان وحسبوا غرامته فان بقى لهم شيء أخذوه من حاصل جاره وان زاد له شيء أحالوه على جاره الآخر كذلك وهكذا ونقلوا البضائع على الجمال والحميز والبغال وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم واذا فتحوا مخزنا دخله أمناؤهم ووكلاؤهم فيأخذون ما يجدونه من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لا يقدر على التكلم بل ربما هرب أو كان غائبا » . ثم قال ان الشهر التالى (٢) استهل « والأمور من أنواع ذلك تتضاعف والظلمات تتكاثر » .

ومن هنا لجأ منو الى البحث عن موارد جديدة مع اعادة تنظيم الموارد القديمة فى الوقت نفسه . وقد ساعد منو فى وضع المشروعات الخاصة بذلك استيف ، الذى أصبح منذ عهد كليبر - كما رأينا - مسئولا عن الادارة المالية والحزانه العامة معا . وفى أمر من منو اليه لاعداد بعض تلك المشروعات ، أصدره فى أوائل عهده ، أوضح له ان الغرض من هذه المشروعات هو ضمان الحصول على ما يلزم للانفاق على جيش من ٢٥ ألف جندي ، دون مضايقة الأهالى أو تعطيل تجارتهم (٣) . وسوف نستعرض فيما يلى بعض نماذج المنشورات التى تبرز معالم سياسة منو المالية وما استلزمته من اجراءات :

✽ لقد مهد منو لهذه المنشورات بمنشور يؤكد به أسعار تحويل العملات المختلفة المتداولة فى مصر ( تعريفه النقود ) ، التى سبق أن

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٣٦ ، من حوادث شهر ربيع الثانى ١٢١٥ ، دون تحديد اليم ( توافق بداية هذا الشهر يوم ٢٢ أغسطس ١٨٠٠ ) .

(٢) جمادى الاولى ١٢١٥ .

(٣) فى ٢٦ ترميدور سنة ٨ ( ١٤ أغسطس ١٨٠٠ ) انظر :

Rigault, op. cit., pp. 129-30.

أصدر بها بونابرت منشورا فى أول عهده ( شكل ٨٧ ) ( ١ ) .

وحذر منو فى مقدمة هذا المنشور بان كل تعامل بأسعار تزيد على  
أسعار هذه التعريف «سيكون مقاصص بدفع خمسة بكل مائة على قدر  
المبلغ الذى يكون دفعه أو استلمه » .

وقد أصدرت البيان النقلى الجديد - كسابقه - لجنة مصرية فرنسية  
مشتركة تتكون من بعض كبار تجار الاسكندرية وبعض المسؤولين  
الفرنسيين .

ولا شك ان هذا المنشور ، بما يقدمه من معلومات رقمية ، وثيقة  
تاريخية قيمة لمن شاء أن يدرس الاقتصاد المصرى فى ذلك العهد الحافل .

✽ وكان أولاً لسلسلة بعد ذلك منشورا يتضمن أمر منو بتحصيل  
رسم سنوى محدد من مشايخ البلاد ( العمد ) نظير اقرار تعيينهم فى  
مناصبهم (شكل ٨٨) (٢) . وبرر «سرى العسكر العام» فى مقدمة هذا  
الأمر إصداره بأنه « جرت ٠٠٠ العادة من قديم الزمان » بأن يدفع المشايخ  
الى الحكام هدايا « باسم تقادم فى كل سنة » ، وأن « مشايخ البلاد من حين  
دخول الجمهور الفرنساوى بمصر ما دفعوا ما كان متوجبه عليهم أن  
يدفعوه » . وعلى ذلك فإن « خزنة الجمهور ٠٠٠ قد خسرت هذه المداخل  
التي كانت تورد اليها وتحق لها شرعا ودينا ٠٠٠ » ثم انه «من اللازم  
والضرورى ٠٠٠ الاهتمام بنجاح الفلاح بوجه العموم وان تبطل ٠٠٠  
وتنتزع تلك المظالم التي قد جرت بها العادة وأغلب المشايخ المذكورين  
يبيحون لأنفسهم افتعالها ضد الفلاحين » .

وقسم الأمر قرى مصر الواقعة تحت الحكم الفرنسى مباشرة الى ثلاث  
فئات (٣) ، حدد كل منها رسما سنويا ثابتا على القرية الواحدة ، حل  
محل ما كان يدفع قبلا من « عوايد وتقادم وغير ذلك مما شابهه »

---

(١) انظر ص ٦٤ ، ٢٠٧ . وقد صدر هذا المنشور كذلك بالعربية والفرنسية ،  
وطبع فى ١٠ فروكتيدور سنة ٨ ( ٢٨ أغسطس ١٨٠٠ ) وكان البيان النقلى الذى تضمنه  
قد حرر يوم ٦ يوليو واعتمد رسميا يوم ١٠ أغسطس . وهاتان النسختان من قسم  
المحفوظات بوزاره الحربيه الفرنسيه بباريس .

(٢) صدر بالعربية والفرنسية فى ٥ فروكتيدور سنة ٨ ( ٢٣ أغسطس ١٨٠٠ ) .  
وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخيه بوزارة الحربيه الفرنسيه بباريس .  
(٣) بلغ عدد هذه القرى حسب ما جاء فى « الشرط الرابع » من هذا الامر ٢٢٥٣  
قرية .

وبلاحظ ارتفاع هذه الرسوم ، فقد تراوحت بين ٢٥ و ٢٥٠ ريالاً على القرية ، يدفعها شيخها أو مشايخها مجتمعين ، اذا كان للقرية أكثر من شيخ ، كما حدث أحيانا .

ويقول الجبرتي في هذا الصدد (١) انه لما شاع هذا الأمر « ضجت مشايخ البلاد، لأن منهم من لا يملك عشاءه فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأتليان وزادت في الحراج » . غير أن الجبرتي أخطأ في ذكر قيمة الرسوم - وتابعه في ذلك الرافعي (٢) - إذ ضاعف أرقامها . ويرجع ذلك إلى أن المنشور ألزم مشايخ البلاد ، في مادته السابقة ، بأن يدفعوا عن العام الأول ضعف الرسم السنوي المقرر ، لأنهم «ما دفعوا شيئا بمدة سنتين . أعنى منذ حين أخذ الفرنسيون هذه البلاد من العوايد الواجبة عليهم» .

ويستوقف النظر في هذا الأمر انه في سبيل ضبط العمل بالنظام . الجديد لمشايخ البلاد ينشئ جهازا للتفتيش عليهم ومراقبتهم ، يتألف من عدد من النظار ( المفتشين ) يختارهم الخزانة العام من أهالي البلاد ، ويصدق على تعيينهم القائد العام . ومهمة هؤلاء المفتشين « أن يوجهوا لكل شيخ بلد فرمانه ويستلموا قدر المعلوم الذي على كل واحد منهم أن يدفعه » . وعليهم كذلك في أثناء مرورهم بالقرى أن يتحروا عن سلوك المشايخ مع الفلاحين ، وعن عوايدهم وأخلاقهم وعن فضلهم وعن ميلهم لجهة الفرنسيين ، وأن يتحروا كذلك « عن سلوك الفلاحين » أنفسهم . وعلى رأس هذا الجهاز التفتيشي يعين «سرى العسكر العام» مديرين عامين أحدهما فرنسي « والآخر من أهل البلد المتقدمين » .

وقد صدر مع هذا المنشور ملحق يتضمن صورة من فرمان الذي سوف يتسلمه كل من المشايخ الجدد ، بتوليته لمدة عام واحد على حصة معينة ( شكل ٨٩ ) ( ٣ ) . ويقرر فرمان بالعربية والفرنسية أن للشيخ « ما جرت به العادة وطاعة فلاحين الناحية له والامتثال لأمره » ، وأن عليه « الامتثال والطاعة لأمر النظار المدبرين وهما السيتوين بريزون »

(١) لم يذكر الجبرتي نص المنشور ، وإنما أشار إلى مضمونه إشارة موجزة في حوادث شهر جمادى الثانية ١٢١٥ ، بدأها بقوله « فيه قرروا على مشايخ البلدان مقررات يقومون بدفعها في كل سنة أعلى وأوسط وأدنى » ( عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٢٧ ) .

(٢) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ٢٢٧ - ٨ .

(٣) هذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس . وتوجد نسخة أخرى من المنشور في مكتبة المتحف البريطاني بلندن .

(Brizon) والعمدة الفاضل سليمان الفيومي ( عضو ديوان القاهرة ) ٠٠٠ « (١) »

وكشف منو في هذا فرمان - مرة أخرى - عن وجهه الاستعماري البغيض . فقد وجه الخطاب في صدره الى « كامل مشايخ بلاد الأقاليم المصرية التي ملكها الله تعالى دائما للدولة الفرنسية » . رجاء في الفقرة الثالثة كذلك : « فلأزم على شيخ البلد الذي يتقرر أن ينادى في بلده بهذا فرمان لأجل أن يسمع أهل بلده ويعلموا انه صار شيخا عليهم مقررًا من حضرة صاري عسكر وكيل أعظم وأفخر وأكبر الدول وهو الجمهور الفرنسي مالك البلاد » . وهكذا كانت سياسة منو - كما قال ريجو - أن يعامل مصر ، لا باعتبارها بلدا محتلا فقط ، وانما باعتبارها قطرا ضم بالفعل الى فرنسا (٢) .

غير ان ريجو ، من ناحية أخرى ، يبالغ في الحكم على القانون (الامر) الذي تضمنه هذا المنشور . فهو يناقشه على أساس ان منو قصد من ورائه أن يكون قانونا ماليا وقانونا للحكم المحلي في الوقت نفسه . ثم يعتبر انه في مجموعه « محاولة مخلصه لاقامة لون من الحكم المحلي الذاتي للمصريين ، في ظل نظام للحماية المباشرة على رأسه قواد جيش الشرق واداريوه » (٣) .

فالواقع ان استعراض الظروف والملابسات التي صدر فيها هذا القانون ، فضلا عن استقراء مواده ، يؤكد ان الهدف الأساسي من اصداره لم يكن يختلف عن الهدف من اصدار سائر القوانين والتنظيمات المالية في ذلك الوقت ، وهو الحصول على أكبر قدر من الأموال لحزاة الحملة الخاوية ، سواء بالبحث عن موارد جديدة أو بضبط الموارد القديمة واعادة ترتيبها .

---

(١) بريزون والفيومي هما المديران العامان للذان تضمن أمر منو تعيينهما على رأس الجهاز التعيشي . وقد أشار الجبري الى ذلك في حديثه الموجز عن هذا المنشور الذي أسلفنا ذكره : « وجعلوا الشيخ سليمان الفيومي وكيلا في ذلك فيكون عبارة من شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنسي الذي يقال له بريزون » . وكرر الجبري اشارته عند ترجمته للشيخ الفيومي ، في حديثه عن وفيات عام ٢٢٤ هـ ( المرجع نفسه ج. ٢٤ ، ص ١٠٦ ) وأكد ريجو ( مرجع سبق ذكره ص ١٤٩ ) رواية الجبري بأن الفيومي كان يعمل بالفعل تحت اشراف بريزون (surveillé par Brizon)

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٨ - ٠٩ .

اما ما تنائر فى ثنايا هذا القانون ، والفرمان الملحق به ، من عبارات ، تشير الى حقوق المشايخ قبل الفلاحين ، أو الى صلاحيات جهاز التفيتش المزمع انشاؤه ، فليس الا من قبيل الضمانات التى تساعد على تحقيق الهدف الأصيل من المشروع .

واذا كان الباحث الحديث يرى فى قانون مشايخ البلاد كما أذاعه ذلك المنشور أساسا يمكن أن يقوم عليه نظام للادارة المحلية فى الأقاليم المصرية ، فان ذلك اذا ساعدت ظروف الحملة على حدوثه ، لم يكن ليحقق الا غاية ثانوية لا أساسية للمشروع .

✳ وهناك منشور طويل من ست عشرة صفحة يتضمن أمرا باعادة تنظيم « دواوين الجمرك » وبوضع أسس جديدة لما يجبى من ضرائب جمركية على كل من البضائع الداخلة الى البلاد والبضائع الخارجة منها ، وكذلك على المناجر المتبادلة مع اقليم الصعيد الأعلى الذى كان تحت حكم مراد بك ( شكل ٩٠ ) ( ١ ) .

ويستعمل هذا الأمر ( أو القانون ) ، الذى وقعه مع منو الخزندار العام استتهوه ( استيف ) ، على تسع وعشرين مادة ، تقدم لنا فى مجموعها وثيقة تاريخية لها ثقلها فى دراسة بعض جوانب ذلك العهد الحافل . وتتناول هذه المواد كل تفاصيل التنظيم الجديد ، فهى :

— تقرر أماكن ودواوين الجمرك فى باب النصر ( ٢ ) والاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس وأسيوط ( ٣ ) . وكذلك لا تغفل احتمال انه قد يلزم فى المستقبل « ترتيب ديوان للصالحية الى البضائع الواردة من بر الشام » .

— وتحدد نسب الضرائب الجمركية على كل نوع من السلع الواردة الى مصر أو المصدرة منها ، بكل تفصيل . ولقد كانت أهم منافذ مصر على البحر المتوسط والبلاد السورية — كما أوضحنا — محاصرة . ولم يكن لديها منفذ للتجارة الخارجية يعتمد به سوى ثغورها القليلة على خليج السويس والبحر الأحمر . ولكن منو قصد — كما يبدو — أن يكون تنظيمه شاملا يصلح للتطبيق فى كل الظروف .

---

(١) صدر بالعربية والفرنسية فى ١٦ فركتيدور سنة ٨ ( ٣ سبتمبر ١٨٠٠ ) وهذه النسخة من محفوظات الكتبة القومية بباريس .  
(٢) المدخل الشمالى للقاهرة .  
(٣) شمالى الاقليم الذى كان يحكمه مراد بك .

- وتضع قواعد ادارية لضبط العمل الجمركى ، ولإجراءات التخليص والشحن ، بل وإجراءات التفتيش الصحى كذلك .
- وتقر الامتيازات والتسهيلات التى سبق منحها لشريف مكة أيام بونابرت ، بشأن ما يورده الى مصر من البن .
- وتمنع ازدواج الضريبة ، كما تخفف الضرائب عن بعض الواردات ذات الاهمية الخاصة مثل العطارة ( مواد طبية ) وخامات الصناعة ومواد البناء والآلات الانتاجية وغيرها ، فضلا عن اعفاء القمح المستورد من افليم الصعيد الأعلى ( الذى يحكمه مراد بك ) من الرسوم .
- وتنص على عقوبات المخالفين ، مع تحديد حالات المخالفة تفصيلا .
- وينوه ريجو بهذا الأمر قائلا (١) انه خفف بعض أعباء التجار المصريين والفرنسيين ويسر التجارة مع الجزيرة العربية ، وخفض نسب بعض الضرائب عما كانت عليه فى عهد كليبر .
- ويلفت النظر فى الأمر الذى أذاعه هذا المنشور انه يتضمن عدة اشارات واضحة الدلالة تؤكد سياسة منو الاستعمارية ، وما تستند اليه أو ينبثق عنها من أفكار . فمقدمة الأمر أو « ديباجته » تقول ان « أهل أقطار مصر الذين صاروا فرنساوية لازم ان كامل متاجرهم تكون بالاكرام والمساعدة كمثل فرنساوية ذاتهم ٠٠٠ » . أى ان منو بهذه العبارة العابرة يضع مبدأ استعماريا لعلاقة فرنسا بمصر فى غاية الخطورة . وهو مبدأ يمثل محورا أساسيا من محاور السياسة الاستعمارية التقليدية لفرنسا .
- ويؤكد منو هذا المبدأ فى « الشرط الخامس » من الأمر نفسه . فهو ينص على أن « الجمارك يكونوا فقط بالنصف للبضائع والأصناف تعلق التجار فرنساوية والمصرية الواردة والخارجة خاصتهم ٠٠ » .
- ويلاحظ فى هذا المنشور كذلك الحرص على تحقيق أكبر قدر من الذبوع لما يتضمنه من رسالة اعلامية . فأخر عبارة منه تنص على أن « هذا الأمر يترجم وينطبع بالعربى ومدبر حدود العام ( يقصد مدير الشؤون المالية والخزانة ) ملزوم بالمنادية به وبوصفه بالفرنساوى والعربى فى جميع البنادر بالأقطار المصرية ويعرفوا به جميع التجار فرنساوية والمصرية والغربا » .

(١) المرجع السابق ، ص ١٢١ .

✳ بعد بضعة أيام أصدر منو واستيف منشورا آخر (شكل ٩١) (١) يتضمن أمرا بتنظيم الضرائب الداخلية المفروضة على تجارة المون الاستهلاكية وعلى السلع المصنوعة واستثمار موارد الرزق الطبيعية وغيرها ، لتلافى ما كان يشوبها من عيوب ومظالم ، أو على حد تعبير مقدمة المنشور «الأجل دوا في الظلم الذى صاير في قبض العوايد على الماونة ( أى المون ) فى قلب الديار المصرية » .

ولا يتضح من استقراء مواد هذا الأمر انه أبطل ضريبة أو ألغى رسما . وانما نلاحظ ، على العكس ، انه طبق مبدأ المساواة فى المغارم . فقد كان الهدف الأساسى من الاجراءات المالية الجديدة - كما ذكرنا - هو العمل على زيادة موارد حكومة الحملة لسد احتياجاتها الكثيرة . وهكذا وسع هذا الأمر نطاق الرسوم التى كانت تجبى من قبل ، كما أضاف رسوما جديدة .

فقد كانت الرسوم المقررة على انتاج الأقمشة وملح النوشادر وعلى ذبح المواشى فى المجازر مثلا تجبى فى مناطق دون أخرى ، فأصبحت « تنقبض فى جميع الديار المصرية » . وأشار الأمر أيضا الى فرض رسوم جديدة على المراكب والملاحات وسبك الذهب والفضة وعلى صيد السمك والطيور واستخراج ملح النطرون وتقطير المشروبات الروحية وغيرها ، مقررا انه سوف يصدر بكل منها أمر مستقل .

غير ان هذا الأمر مع ذلك يؤكد مبدأ مهما ، هو منح الازدواج الضريبى . فالسلع المخصصة للتصدير أو الواردة من الخارج لا يدفع عليها أية رسوم ، اكتفاء بالرسوم الجمركية .

ويلفت النظر فى الأمر ، الى جانب هذا ، نقطتان :

١ - فهو يثبت قاعدة تأجير مصادر الإيراد (أى الأقالم) للمتزمين يتكفلون بجباية الضرائب المقررة عليها تحت الرقابة الحكومية ، وقد رأينا سبق تطبيق هذه القاعدة قبل منو . وتوزع حصص الالتزام ( الأقالم ) بواسطة مزادات يعلن عنها . ويكون التوزيع اما على أساس مكائى ، أو على أساس تحديد العين التى تحصل عنها

---

(١) فى ٢٤ فروكتيدور سنة ٨ ( ١١ سبتمبر ١٨٠٠ ) ، وقد صدر فى طبعة واحدة بالعربية والفرنسية من سبع صفحات . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .



الضريبة • ولابد من اعتماد صكوك هذا الالتزام من المسئول الأول  
عن ادارة الشؤون المالية ( مدير حدود العام ) •

٢ - ثم انه - لأول مرة - يشرك العنصر المصرى فى تحمل مسئولية  
الاشراف على العمل الضريبى • فينص « الشرط السابع » من الامر  
على انه « يترتب أربعة نظار على العوايد وهم من أهل البلد ووظيفتهم  
يكونوا يناظروا ( أى يشرفون على ) فعل مستأجرين العوايد فى  
جميع الديار المصرية ويمنعوهم عن قبض الزيادة عن المرتب بهذا  
الأمر ولأجل دفع بالحقيقة المطلوب ( أى دفع المطلوب بالضبط ) الى  
مستأجرين الأقالام ٠٠٠ وينتقوا المذكورين ما بين أحسن الناس  
المفهومين بالديار المصرية ٠٠٠ » • ونظرا لأهمية هذه الوظيفة  
الجديدة ، فان «مدير حدود العام» نفسه يقدم المرشحين لها « الى  
حضرة صارى عسكر الكبير الذى يثبتهم فى منصبهم » •

ويرى ريجو ان هذا الأمر أدى الى ارتفاع أسعار المواد الضرورية  
والى كساد فى التجارة الداخلية • ويستدل على ذلك بأراء بعض معاصرى  
الحملة ، مثل رينييه (Reynier) والكابتن تيرمان (Thurman) (١) •

وفى الوقت نفسه أصدر منو عدة أوامر ( قوانين ) مالية أخرى •  
خاصة بوضع أسس جديدة لرسوم الانتاج فى مجال بعض الصناعات  
التقليدية • وأهم هذه القوانين التى أذيعت - كالمعتاد - فى منشورات  
مطبوعة اثنان :

١ - قانون ينظم صناعة المصوغات الذهبية والفضية ( شكل ٩٢ ) (١) •  
وهو يقضى بتقسيم هذه المصوغات الى عدة درجات حسب نسبة خام  
المعدن الثمين فيها ، وبأن تميز « مشغولات » كل درجة ببصمها  
بعلامة ( دمة ) خاصة • والى جانب القرارات والاجراءات التنظيمية  
التي يشتمل عليها هذا القانون ، فانه يحرم تحريما قاطعا سبك  
العملات الذهبية أو الفضية لتحويلها الى مصوغات ، ويفرض عقوبة  
السجن عشر سنوات على من يفعل ذلك •

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ - ٣ •

(٢) صدر - كسائر المنشورات الماثلة - بالعربية والفرنسية ، بتاريخ ١٤  
فروكتيدور سنة ٨ ( ١ سبتمبر ١٨٠٠ ) ، وهو فى سبع صفحات • وهذه النسخة  
من محفوظات المكتبة القومية بباريس • وللنشور طعة أخرى ، فرنسية خالصة ،  
محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة •

ان هذا القانون صدر فى الاصل التماسا لمورد مالى جديد للخزانة العامة . فهو يفرض رسم دمة مقداره خمسة فى المائة من قيمة المصوغات ، ذهبية كانت أم فضية . ومع ذلك فلا شك ان ماتضمنته مواده من قواعد وما وضعته من حدود ، يؤدى الى القضاء على ما نفشى من غش المصوغات ، « الذى هو عيب فى حق الحاكم الذى يسكت عنه وهو ظلم الى الرايا الذين ينجسوا » ، كما جاء فى الديباجة .

ويلاحظ كذلك ان هذا القانون ، وهو الأول من نوعه فى مصر ، لا يكاد يختلف فى تفصيلاته عن قانون دمع المصوغات المطبق بها فى الوقت الحاضر .

٢ - أمر بتعديل القرار الذى سبق أن أصدره استيف نفسه فى أواخر عهد بونابرت بشأن رسوم انتاج المشروبات الروحية (شكل ٩٣) (١) . ويقضى الأمر الجديد بالقضاء احتكار انتاج الخمر، الذى كان نتيجة لقصر هذا العمل على من قيدوا فى السجل الخاص بذلك فى تاريخ معين ، مما أصاب كثيرا من الناس فى أرزاقهم . ولهذا فهو يبيح انتاج الخمر بمقتضى ترخيص يمنح بدون مقابل لمن يطلبه ٢ .

ويلتفت الأمر أيضا الى الناحية الصحية من الموضوع ، فيحتم نقاء المشروبات المنتجة من الشوائب أو « الغلت » . فقد اعتاد بعض المنتجين « أن يدخلوا فيه (العرقى) شئ يأسى الانسان والعافية (أى مواد تضر بالصحة) » .

· ويفرض الأمر رسوم الانتاج على المشروبات ويحدد نسبها حسب الكميات المنتجة ، وليس حسب كميات المواد التى تقطر منها المشروبات كما كان يقضى القرار السابق .

ويقر هذا الأمر كذلك مبدأ « تأجير الأقلام » ، أى توزيع معامل انتاج الخمر بالايجار على متعهدين يلتزمون بتحصيل الرسوم المقررة عليها . ثم يبيح الأمر بيع الخمر بالتجزئة ، ففى « البلاد الكبار شكل

(١) فى ٢٠ فركيدور سنة ٨ ( ٧ سبتمبر ١٨٠٠ ) . وهو مطبوع - كالمعاد - بالعربية والفرنسية ، ويقع فى ست صفحات . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية ببواريس . انظر كذلك ص ٢١١ .

مصر (أى مثل القاهرة) المتسببين الصغار لهم إجازة انهم يبيعوا العرقى  
والخمر بالتقطيع فى السكك ٠٠٠ » .

والطريف ان المشرع استغل هذا الأمر لايجاد عمل لجرى الحرب من  
جنود الحملة . فينص «الشرط التاسع» منه على أن «مدبر حدود العام  
يولى ناظرين ( مفتشين ) للخمر ويأخذهم ما بين العسكر الذين  
معورين ٠٠٠ » . ويتضح من تفصيل مهمة هؤلاء ( الناظرين ) انهم سوف  
يعينون « مفتشى انتاج » يفحصون الترخيصات ويراقبون تنفيذ  
المواصفات ، ويتأكدون من نقاء المشروبات ، وما الى ذلك .

وواضح ان هذا التنظيم الجديد بما يحققه من توسيع نطاق انتاج  
الخمور وتسويقها ، يؤدى الى تحقيق الهدف الأساسى من قوانين منو  
المالية ، وهو زيادة موارد حكومة الحملة .

والتفت منو الى ثلاث مهن تقليدية ، يمارس أصحابها أعمال الوساطة  
الضرورية فى معاملات الجمهور نظير جعل معين ، وهم الصيارف والكيلون  
والقباينة ، وأصدر بشأنهم قانونا ( أمرا ) ماليا جديدا . وقد أذيع هذا  
القانون ، كسائر حلقات تلك السلسلة ، فى منشور بالعربية والفرنسية  
يحمل توقيع كل من منو واستيف ( شكل ٩٧ ) ( ١ ) .

ولا يكاد هذا القانون يختلف فى صورته العامة عن قانون مشايخ  
البلاد ، اذ انه :

١ - يدعى فى ديباجته ان المشرع وضع فى اعتباره « ان الظلم الذى  
يصير من المذكورين يبطل » ، وانه نتيجة لعدم تحديد نسب العمولة  
على عملياتهم فان « المذكورين يقدروا أن يغالطوا ويظلموا المساكين  
الذين يحضرون تحت يدهم » ؛

٢ - ويحثهم حصولهم على فرناحات خاصة ، ألحقت صورها بالمنشور  
( شكل ٩٥ ) ( ٢ ) ، تعطيم الحق فى مزاوله عملهم لمدة عام واحد ،  
بعد دفع رسم سنوى معين ؛

---

(١) فى ١٦ فندمير سنة ٩ ( ٨ أكتوبر ١٨٠٠ ) . وهذه السخة من محفوظات المكتبة  
القومية بباريس .

(٢) يمثل هذا الشكل صورة الفرمان الحامى بالكيلالى . وهو من محفوظات  
المكتبة القومية بباريس .

٣ - ويحدد نسب ما يحصل هؤلاء من رسوم على ما يتعاملون فيه من أموال أو بضائع بما يتراوح بين واحد واثنين في المائة ؛

٤ - ويضع للإشراف على عملهم نظاما رقابيا قوامه هيئة من «الناظرين» أى المفتشين، على رأسهم «مدبر عوايد انحراف» أى مدير الضرائب المهنية .

وحرصا من منو على تحقيق أكبر قدر من الذبوع والانتشار لهذا الامر ، فقد نص فى آخر مواده على انه « يكون مترجم بالعربى وينطبع ويتنادى به وينشر باللغتين فى جميع الديار المصرية . . . » .

\* ومن المنسورات المتأخرة فى هذه المجموعة منشور ينفرد بمضمونه الذى يستوقف انتباه الباحث ، ودلالته التى تثير الاهتمام . وهو الذى اذاع امر «صارى عسكر» بفرض نوع من الجزية على غير المسلمين من أهل مصر وسكانها (شكل ٩٦) (١) . وقد قدم له بقوله انه «على موجب العدل الذى هو أساس الحكم الطيب يطلب ان العوايد والأموال يكونوا على جميع الجنوس القاطنين بالديار المصرية لان كلهم لهم حق فى الحكم (يقصد - كما فى النص الفرنسى - ان لهم الحق فى حماية القانون) . . . » .

ويشمل هذا الأمر الأقباط والسوريين واليونانيين واليهود « وجميع الأنفار الذين من بعض جنوس افرنج مفهومين فى الديار المصرية بطائفة الافرنج » . وهو يلزمهم بدفع هذه الجزية سنويا حسب قائمة حددت على كل طائفة مبلغا معينا ، وبلغ مجموع المبالغ التى تحصل بمقتضاها مليوناً ومائتين وسبعين ألف فرنك .

ويحدد الأمر كذلك طريقة توزيع أنصبة الأفراد من هذه الجزية بأشراف عدد من كبار كل طائفة ، وكذلك مواعيد دفع أقساطها . ثم يعد صارى عسكر بأنه لن يفرض أية ضرائب أخرى على هذه الطوائف ، ويطلب الى أبنائها أن يكونوا «بغاية الاطمينان والأمان من قبل متجرهم وأملأهم» . ويعلن بعد هذا انهم يستطيعون أن يشتروا « بيوت وأطيان بالديار المصرية بدفع العوايد المرتبة » ، وانهم سوف يكونون « دائما . . تحت العدل » .

ويخص منو بالذكر فى « الشرط السادس » من هذا الأمر أبنساء

(١) صدر فى ٢٠ فندمير سنة ٩ ( ١٣ أكتوبر ١٨٠٠ ) وطبع بالعربية والفرنسية . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

جنسه من الفرنسيين ، فيقول ان «مدبر حدود العام» سوف يحرر له بياناً بما يمارسه هؤلاء الفرنسيون من تجارات ، وما أقاموه من منشآت . ويطلب اليهم أن يطمئنوا الى ما يوفره لهم من حماية خاصة ، ثم يستدرك قائلاً : « لكن لازم انهم يساعدوه في المصروف العمومي اللازم للجيش لان مكاسبهم من الجيوش المذكورة » .

وأكد « الشرط السابع » والأخير من المنشور مسئولية حكام الأقاليم في تنفيذ هذا الأمر ، ومسئولية « مدبر حدود العام » . بترجمته بالعربي والمناداة به ولزقه على الحيطان باللغتين وانه يرسل صور بكثرة الى الأقاليم » .

ويعلق ريجو على هذه الضريبة الجديدة بقوله (١) انها تقاثل ما كان يدفعه غير المسلمين في كل أرجاء الامبراطورية العثمانية . ويذكر هذا المؤرخ في موضع آخر كذلك ان من سبق أن اضطر الى أن يفرض على سكان القاهرة من هذه الطوائف أن يسهموا من جانبهم بدفع مبلغ اضافى مقداره نصف مليون فرنك ، زيادة على القرامة التي فرضت على سائر سكان القاهرة بعد ثورتها النائية . والسبب في ذلك ان الضرائب التي فرضها في أول العهد بتلك التنظيمات المالية الجديدة لم تكن من النوع الذى يغل عائداً سريعاً (٢) ، وكان هو فى حاجة ملحة الى أموال يملأ بها الخزانة الخاوية ، ويدفع منها مستحقات جنود الحملة حتى نهاية العام الثامن الجمهورى . ووصف ريجو هذا الاجراء بانه كان « خطوة تسفوية تذكر بالاجراءات المماثلة التي كان يتخذها المماليك » (٣) . وقال ان منو برر ذلك بحاجة الخزانة العامة لهذا المبلغ ، وبضرورة منع أية تفرقة بين سكان القاهرة » .

✽ وختم منو هذه السلسلة من المنشورات التي أذاع بها قوانينه

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٢) كانت منشورات القوانين الضريبية السابق ذكرها ، اما ان تعطى مهلة لا تقل عن شهرين لسداد الرسوم المستحقة مقدماً ، كما فى حالة مشايخ البلاد ، واما لا يظهر لها أثر محسوس فى دخل الحكومة الا بعد مرور عدة اشهر من السنة النافذة ( بدأت فى ٢٣ سبتمبر ١٨٠٠ ) التي حددتها المنشورات بدابة للاخذ بالتنظيمات المالية الجديدة .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٠ . وقال ريجو ان هذا الامر تصممه منشور صدر فى ٧ فركتيدور سنة ٧ ( فى ٢٥ أغسطس ١٨٠٠ ) . ونم نعث على نسخة من هذا المنشور ، وكذلك لم يرد له ذكر فى الجبرتى أو غيره .

( أوامره ) المالية الجديدة بمنشور طويل تضمن أمرا بفرض ضريبة سنوية على التجار والحرفيين والصناع بالمدن الكبرى والبنادر (شكل ٩٧) (١) .  
لان « العوايد والأموال لازم أن يكونوا مفرودين على جميع أهل الديار المصرية وذلك بموجب مقدرتهم » ، وأبناء هذه الطوائف « لم دخلوا بفدر مقدرتهم فى دفع الأموال المطلوبة والمرتبة تحت المصاريف العمومية » .  
هذا مع انهم يتمتعون بحماية الفنانون ويمارسون أعمالهم « بكل راحة وأمان واطمينان » . ومن الضروري أن يتحملوا مع «الفلاحين وأهالى البلاد والأرياف » نصيبا فى الالتزامات المالية قبل الدولة .

وتضمن القانون أسماء ما يقرب من ٤٠ مدينة وبلدة ، وحدد المعدل الاجمالى للأموال التى تجبى من كل منها على حدة . وقد بلغ المجموع الكلى للمبالغ المطلوبة نحو مليون وثلاثمائة ألف فرنك ، تدفع سنويا على ثلاثة أقساط . وألزم القانون « مشايخ الحرف » بجمع هذه الأموال من أبناء حرفهم ، كل على حسب مقدرته ، مع اعداد قوائم مفصلة بذلك يقدمونها الى « مدير عوايد الحرف » .

وكما حدث فى حالة مشايخ البلاد ، والصيارفة والقباينة والكيالين ، فقد عين هذا القانون كذلك هيئة للمراقبة والنفثيش على انتظام جمع الأموال والتأكد من سلامته . وتتكون هذه الهيئة من « أربعة ناظرين مصرية والمذكورين تحت طاعة مدير الحرف ... » .

وقد نوه ريجى (٢) بما قرره منو فى مقدمة هذا المنشور من ضرورة المساواة بين سكان المدن وأبناء القرى فى الالتزامات الضريبية . وقال ان سكان المدن الذين أفلتوا بوجه عام من سلطة ملاك الأراضى الزراعية كانوا ، بفضل النظام شبه الاقطاعى للأرض فى مصر ، معفين تقريبا من أى التزام ضريبى .

أما الجبرتي فيقدم لنا صورة قائمة لرد الفعل الذى أحدثته اذاعة الأمر بفرض هذه الضريبة على سكان القاهرة قائلا (٣) : « وبرزوا أوامر أيضا بتقرير مليون ( فرنك ) على ( أصحاب ) الصنائع والحرف يقومون

(١) بتاريخ ٢٠ فندمير سنة ٩ ( ١٢ أكتوبر ١٨٠٠ ) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٣٩ ، من حوادث أول شهر رجب ١٢١٥ ( ١٨ ) نوفمبر ١٨٠٠ .

بدفعه في كل سنة ٠٠٠ ويكون الدفع على ثلاث مرات ٠٠ فدهى الناس.  
وتغيرت أفكارهم واختلطت أذهانهم وزادت وساوسهم » .

ويقول أحد قواد الحملة ، وهو الجنرال رينييه ، في هذا الصدد (١)  
ان التجارة التي أرهقتها الضرائب والاتاوات المتعددة قد ازداد كسادها  
بعد الأمر الذي أصدره منو بفرض ضريبة جديدة على طوائف الحرف  
والتجار . ويضيف ان كثيرا من تجار القاهرة هجروا مهنتهم وأغلقوا  
محلاتهم ، وكذلك فعل معظم تجار دمياط والمحلة الكبرى وطنطا وغيرها .

ومهما يكن من أمر فان هذا المنشور يمكن أن يحتل مكانا في سجل  
الوثائق المفيدة التي تتصل بتاريخ مصر في عهد الحملة الفرنسية . وتنبع  
أهمية المنشور من أمرين : أولهما ما تقدمه قائمة المدن التي وزعت عليها  
الضريبة من معلومات للباحث التاريخي والجغرافي . فقد تغيرت صورة  
بعض ما تضمنه هذه القائمة من مدن أو « بنادر » ، وأصبحت مجرد قرى ،  
صغيرة . هذا الى ان أرقام المبالغ المتفاوتة التي قررت على هذه المدن تساعد  
على دراسة مقارنة لمستوياتها الاقتصادية في ذلك الوقت .

والأمر الثاني ان المادة السابعة من القانون الذي تضمنه هذا  
المنشور أجملت كل الضرائب والرسوم والمكوس المقررة « على جميع أهل  
المدينة وأهل البنادر والبلاد والكفور وجميع أهل الديار المصرية » ،  
وعدها ثمانية عشر نوعا . وبعد اثبات هذه الأنواع أكدت المادة المذكورة  
لسكان مصر انه « على موجب ذلك لم عليهم شئ ولم ينطلب منهم خلاف  
ذلك لا عوايد ولا فردة ولا شئ لا على حاجة ولا على الإنسان ولم يصير  
ظلم وكل من كان يتصرف في ملكه كما يشا ويتسبب ويتاجر ريبيع  
وبشترى كما يشا .. » .

ولم يفت ريجو ان يعلق على هذه المادة ، مشيدا بمنو (٢) ، فقال ان  
بعض الضرائب التي أجملتها يبدو شديد الوطأة ، ولكنها مع ذلك تمتاز  
عن الضرائب القديمة التي حلت محلها بانها محددة ثابتة (déterminés)  
وليست كيدية أو انتقامية (vexatoires)

✽ وفي أثناء اصدار هذه السلسلة الطويلة من منشورات القوانين  
المالية ، وبعد ذلك ، كان منو يجد من الضروري بين حين وآخر أن يصدر

(١) Reynier, De l'Egypte, après la Bataille d'Héliopolis, Paris, 1802, pp. 128-9.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

منشورا ينبه فيه مثلا الى شيء يتعلق بتلك القوانين أو يؤكد معنى تضمنته .  
ومن ذلك المنشور الذي أصدره بعد ان كان قد أصدر عدة قوانين مالية ،  
كالقانون الخاص برسوم تعيين مشايخ البلاد ، ومنشورات وقوانين  
الضرائب الجمركية والتجارة الداخلية ودمغ المصوغات وغيرها .  
( شكل ٩٨ ) ( ١ ) .

وقد بدأ منو هذا المنشور الموجز الذي وجهه الى « جميع أهالي مصر  
ودوايرها » عبارات معسولة قال فيها « نعلمكم انه دايماً ونحن مشتغلين  
بمنفعنكم واصطناع المعروف معكم لحتى الذي كان يوخد منكم من العوايد  
قديماً خففناه عنكم والآن أبطلنا العوايد القديمة وجددنا عوايد هي التي  
( كذا ) عليكم . . . » .

ثم ينبه الأهالي الى ألا يدفعوا شيئاً يزيد على الضرائب المقررة  
قانوناً . ويضيف : « ونعلمكم أيضاً ان كان سمعتم من أحداً ( كذا ) يقول  
ما زلتم تدفعوا عوايد أكثر من ذلك فلا تصدقوهم لان من الحسد والقهر  
يقولوا أكثر من ذلك » .

ومن ذلك أيضاً المنشور الذي أصدره « سر عسكر العام » ( شكل  
٩٩ ) ( ٢ ) ، بعد أن بلغه « ان بعض من المحصلين للتكاليف المأمورة قانوناً  
بأرض مصر يطلبوا من مستدفعيها أكثر مما أمر بها الشرع والقانون وان  
هولاي ( هؤلاء ) الأشره أيضاً يظلموا أهالي البلدان » .

وفي هذا المنشور يحذر أولئك المحصلين من أن يأخذوا أكثر  
مما يستحق لهم قانوناً ، وينذره بأن من يفعل ذلك منهم « ففي الحال هو  
مأخوذ وممسوك ومستقدم قدام المحاكمة لاجراً الحكم عليه كما يجري  
على الأشرار » .

ويبدو أن بعض مشايخ البلاد لم يستطيعوا الوفاء بكامل ما فرض  
عليهم من اتاوة مقابل اقرا تعيينهم في مناصبهم . ولذا أصدر منو منشوراً

---

(١) صدر بالعربية والفرنسية في ٦ فندمير سنة ٩ ( ٢٨ سبتمبر ١٨٠٠ ) .  
وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية ببائيس .

(٢) صدر في طبعين ، كل منهما بالعربية والفرنسية ، في ١٦ برومير سنة ٩  
( ٧ نوفمبر ١٨٠٠ ) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة العربية  
الفرنسية ببائيس .



( شكل ١٠٠ ) ( ١ ) بدأه بإعلان رضائه عن المشايخ « الذين استعجلوا بدفع الرسم السنوى المرسوم عليهم » . تم أعلن أنه يمنح المتأخرين فى الدفع مهلة شهر اضافى «لتكميل اداء وتسليم دراهم الرسم المذكور» .

لقد كان القانون الذى صدر من قبل بشأن مشايخ البلاد يلزمهم بدفع الرسم المقرر « فى ابتداء السنة الجديدة بمدة الشهرين الأولين » ، ولما كان هذا المنشور الأخير قد صدر فى التسهر الرابع من السنة ( نيفوز ) ، ومد المهلة الممنوحة « للذين هم متأخرين للأداء » الى أول الشهر الخامس ( بلوفيز ) ، فمعنى ذلك ان كثيرا من المشايخ قد عجزوا عن الدخ حتى بعد المهلة التى حددها الامر ، بأكبر من شهر . وليس ذلك بمستغرب ازاء سوء الحالة الاقتصادية للبلاد ، وبخاصة ان القانون المذكور قد طبق بأثر رجعى ، أى انه ألزم المشايخ - كما رأينا - بأن يدفعوا عن ذلك العام ضعف الرسم السنوى المقرر ، لانهم « ما دفعوا شيئا بمدة سنتين أعنى منذ حين أخذ الفرنساوية هذه البلاد » .

وبالإضافة الى ما تقدم ذكره من النماذج ، فلا شك ان بعض المنشورات التى استهدفت فى الأصل غايات دعائية كان لها جانبها الاعلامى كذلك ، مثل المنشور الذى تضمن ترتيب النظام القضائى للبلاد وإعادة تكوين ديوان القاهرة فى الوقت نفسه ( ٢ ) .

ولم يخل عهد منو كذلك من منشورات أصدرها كبار المسئولين ، تعلن للناس بعض الإجراءات « الروتينية » أو تذيع عليهم أخبارا عادية، وان كانت أقل مما لمسناه فى عهد بوناپرت أو كليبر . ومن ذلك المنشورات التى تعلن عن بيع الحكومة لبعض ما تملكه بالمزاد ، مثل المنشور الذى أعلن عن مزاد بيع بعض المحصولات الموجودة « فى حواصل المشيخة الفرنسية » وذلك « بالمفرق أو بالتمام » ( راجع شكل ٢٤ ) .

---

(١) صدر بتاريخ ٨ نيفوز سنة ٩ ( ٢٩ ديسمبر ١٨٠٠ ) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية ببائيس .  
 (٢) سبق ان فصلنا القول فى مضمون هذا المنشور عند الحديث عن سياسة حنو الوطنية . انظر ص ١٥١ - ٥٢ .



## الباب السادس

---

### الخصائص الفنية للمنشورات العربية



## الفصل الأول

### التحرير

السمة الرئيسة في تحرير المنشورات العربية التي أصدرتها سلطات الحملة الفرنسية في مصر ، ان مادتها كانت تكتب أولا بالفرنسية ، ثم تترجم الى العربية . أى ان الرسائل الاعلامية التي تضمنتها هذه المنشورات كانت تعد أولا بلسان الحاكمين ، ثم تداع بلسان أبناء الشعب ، أو باللسانين معا .

وكان ذلك أمرا طبيعيا . فللغزاة الحاكمين لغتهم ، وللشعب المحكوم لغته . ولم يكن بين قواد الحملة أو كبار المسئولين في حكومتها ، الذين صدرت عنهم المنشورات ، من يستطيع توجيه ماتضمنته من رسائل الى الشعب باللغة العربية . بل ان المنشورات التي صدرت على لسان القيادات الوطنية ، ووقعها الزعماء المصريون باسمائهم ، كانت - كما رأينا - بتوجيه ملزم من السلطات الفرنسية . ثم ان عددا كبيرا من الرسائل التي تضمنتها هذه المنشورات كان يراد اطلاقها - كما نعلم - الى المصريين وغيرهم من « رعايا » حكومة الحملة ، وبخاصة جنود جيش الشرق .

ولقد عرف تاريخ مصر قبل الحملة الفرنسية وبعدها ظاهرة ازدواج لغة التدوين ، بسبب اختلاف لغة الحاكم عن لغة أبناء البلاد . فمنذ فتح الاسكندر لمصر حتى الفتح العربى كانت اللغة اليونانية تستخدم الى جانب اللغة المصرية القديمة ، التي تطورت الى القبطية . وظلت اليونانية

والقبطية تستخدمان في تدوين المحررات الرسمية ، حتى تم « تعريب » الدواوين المصرية في العهد الأموي (١) . وقد بقيت اللغة اليونانية أو القبطية تستخدم الى جانب العربية ، حتى سادت العربية ولم يعد يستخدم غيرها .

تم عرفت مصر اللغة التركية عندما خضعت للحكم العثماني . ومع ان استخدام هذه اللغة قد بطل أو كاد في عهد الحملة الفرنسية ، فقد استؤنف بعدها في المحررات الرسمية ، عندما أخذ محمد علي يؤسس دولته الحديثة . وظل الأمر كذلك حتى عهد اسماعيل ، الذي انقشع فيه ظل هذه اللغة عن البلاد ، وعادت للعربية مكانتها وسيادتها .

وكان طبيعيا ان تمتد ظاهرة الازدواج اللغوي بعد الحملة الفرنسية الى حقل الاعلام المطبوع بالذات ، فيتكرر نمط منشورات الحملة في صورة جديدة . لقد أصدر محمد علي صحيفة « الوقائع المصرية » بالتركية ( لغة الجهاز الحاكم ) والعربية ( لغة أبناء الشعب ) . وظلت التركية تشارك العربية صفحات صحيفة الدولة الرسمية ، حتى بدأت تنحسر عنها في أواخر عهد اسماعيل ، كما انحسرت عن سائر محررات الدولة الأخرى .

وعلى أية حال ، فقد كانت الترجمة الى العربية خطوة أساسية في عملية نقل الرسائل الإعلامية التي تضمنتها منشورات الحملة الى المصريين . ومن هنا تجهزت الحملة بعدد من الرجال الذين يعرفون العربية ، لكي يقوموا أساسا بهذه المهمة الوسيطة .

وتمثل ترجمة مادة المنشورات الى العربية جزءا من حركة ترجمة كبيرة ، حرصت قيادة الحملة على ان تعد لها عندئذها ، قبل ان يتأهب جيش الشرق للأبحار الى مصر ، ثم رعت نشاطها الذي لم يفتر طيلة العهد القصير الذي قدر للحملة أن تبقاه في هذه البلاد .

(١) بدأت حركة تعريب الدواوين في أقطار الدولة الإسلامية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ( ٦٨٥ - ٧٠٥ م ) ، ولم تعريب الدواوين المصرية في عهد أبيه الوليد ( ٧٠٥ - ٧١٥ م ) .

(١) كانت موضوعات الوقائع في عهد محمد علي تحرر أولا بالتركية ثم تترجم الى العربية . وعندما تولى تحريرها الشيخ رفاعة الطهطاوي استطاع بشخصيته الفذة أن يفرض مبدأ تحرير الموضوعات بالعربية أولا ، ثم ترجمتها بعد ذلك الى التركية ( هذا وإن ظلت « الوقائع » تحت إشراف « ناظر » تركي ) ، ثم عاد الأمر بعد ربيعة كما كان قبله . وفي عهد اسماعيل صدرت « الوقائع » في طبعتين مستقلتين ، أحدهما بالعربية والثانية بالتركية . وما لبثت الصحيفة أن خلصت للغة العربية وحدها ، عندما تولى تحريرها - عقب خلع اسماعيل وتولية ابنه توفيق - الشيخ محمد عبده .

فقد جهز بونايرت حملته ، مع ماجهزه بها من جيش وعلماء ومطبعة ، بفريق ممن لهم الملم باللغة العربية بالذات ، ليكونوا اداة لاغنى عنها لتيسير مهمة سلطات الحكم ، ولتحقيق خطة الحملة الاعلامية وانجازاتها العلمية . وجمع القائد الشاب أعضاء هذا الفريق من مصدرين رئيسيين :

١ - مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس . وقد انضم منها الى ذلك الفريق عدد من الدارسين والأساتذة الذين اكتسب بعضهم خبرة طويلة ، لاقامتهم وعملهم فى مختلف أجزاء العالم العربى .

٢ - ايطاليا ، التى تزود منها بونايرت بعدد من الشرقيين وبخاصة السوريين ، الذين كانوا يدرسون فى بعض معاهدها (١) .

وفى اثناء رحلة الحملة الى مصر ضمت الى فريق المترجمين كذلك عددا من المغاربة المسلمين الذين حررتهم من أسر فرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطة . وبعد ان استقرت الحملة بمصر انضم الى جماعة المترجمين أيضا بعض من كانوا يعيشون فيها أو فى الشرق العربى من الفرنسيين والشرقيين (٢) ، ويعرفون العربية والفرنسية معا .

وقد كان لهذا الفريق بعناصره المختلفة جهود ترجمية متعددة الجوانب ، تنوعت حسب تفاوت قدرات أفرادها واستعداداتهم . فمنهم من اقتصر عمله على مرافقة القوات الفرنسية الزاحفة فى مصر والشام ، أو مصاحبة كبار موظفى الحملة فى القاهرة والاقاليم للترجمة عنهم ولهم . ومنهم من أختص بترجمة مادة المنشورات . ومنهم من عهد اليه بالترجمة بين المصريين والفرنسيين فى جلسات الدواوين بالقاهرة والاقاليم وتسجيل محاضرها ، وترجمة عرائض المصريين ورسائلهم الى المسئولين . ومنهم من

(١) تخلف عن الحروب الصليبية والامارات اللاتينية فى البلاد السورية طائفة من المسيحيين الكاثوليك تدين بالولاء للبابا فى روما . ومن هنا ظلت رحلة رجال الدين من هذه البلاد دائمة الى ايطاليا لزيارة مقر البابوية وتلقى العلم الدينى . وكثر العارفون بالاطالية والفرنسية من مسيحيى سوريا الكاثوليك . وقد انضم بعض هؤلاء للحملة الفرنسية ، للعمل فى الترجمة والطباعة العربية .

(٢) نزح الى مصر كثير من السوريين المسيحيين من اوائل القرن الثامن عشر ، بعد اضطهاد الحكام العثمانيين لهم ، وصار لهؤلاء المهاجرين نشاط اقتصادى ومالى كبير . وكان طبيعيا ان تستعين الحملة الفرنسية بعدد منهم ، وبخاصة من يعرفون الفرنسية . وبالفعل عين اثنان منهم - كما رأينا - بالديوان العمومى للقاهرة ، وانتخبا - ممثلين للجالية السورية المستوطنة - بالديوان الخصوصى . وكذلك اختير بعضهم للعمل فى الترجمة .

أهتم بالتراث الأدبي ، ليأخذ عنه ما يعينه على ما ينشر من بحوث في « لاديكاد » ، أو بالدراسات اللغوية والعلمية التي كانت أساس ما نشرته مطابع الحملة من كتب وكتيبات . ومن هؤلاء كذلك من اتسع نشاطه ليشمل أكثر من مجال .

وتحفل مراجع المعاصرين للحملة ، وبخاصة تاريخ الجبرتي ( عجائب الآثار ) ، بالإشارات إلى هؤلاء المترجمين ، والمهام التي كانوا يقومون بها في مختلف المناسبات ، ومن هذه الاشارات نتبين مدى الأهمية الكبرى للترجمة و « الترجمان » في كل صغيرة وكبيرة من أعمال الحملة الفرنسية ونشاطها . ولم يغفل الجبرتي في هذا الصدد الإشارة إلى « تعريب » المنشورات التي اذيعت على المصريين . وكذلك تضم وثائق الحملة المحفوظة بوزارة الحربية الفرنسية عددا كبيرا من مراسلات المصريين وبيانات المسئولين الفرنسيين في القاهرة والأقاليم ، وكثير منها موقع عليه بأسماء من ترجموه من العربية إلى الفرنسية أو بالعكس (١) .

ويمكن القول بعد هذا أن حركة الترجمة التي سحبت عهد الحملة الفرنسية بمصر كانت معلما بارزا من معالم التقاء الشرق العربي بما اتصل به من حضارات أخرى على امتداد تاريخه الطويل .

ولقد احييت هذه الحركة سابقة معروفة تركت آثارا واضحة في حياة الأمة العربية ، وإن اتخذت في هذه المرة صورة جديدة متميزة . ففي العصر العباسي الأول ظهرت حركة ترجمة نشيطة إلى اللغة العربية . وازدهرت هذه الحركة وبلغت أوجها في عهد الخليفة المأمون ، حيث نقل المترجمون عن الفارسية واليونانية والسريانية عددا كبيرا من الكتب في مختلف فروع المعرفة .

(١) يتضح من تلك الوثائق المعاصرة ان الترجمة كانت من المهمات الأساسية التي أصبح الجهاز الإداري الفرنسي لا يستطيع العمل بدونها ، وهذا امر طبيعي حتمه اختلاف اللغة بين الحاكم والمحكوم . ويبدو - بهذه المناسبة - ان بعض سفراء المترجمين ( أو التراجمة ) الذين اقتصر عملهم على مصاحبة موظفي الحملة الفرنسية للترجمة بينهم وبين المصريين في مجال تحصيل الالتزامات المالية ، استغلوا هذا الدور الوسيط لصالحهم ، ففرضوا على المواطنين الذين يتصلون بهم بحكم عملهم اتاوات أو رشا ، ففي المنشور الذي أصدره منو إلى « جملة أهالي بر مصر » بعد انشاء ديوان القاهرة الجديد ( في ٢٨ أكتوبر ١٨٠٠ ) ، محاولا استمالتهم إلى الحكم الفرنسي ، وردت هذه الفقرة : « إلى هذا الآن انتراجمين كانوا يطلبوا مستاء البليص ( الرشا ) وكانوا يدعوكم حماية معلمهم ( رؤسائهم ) لكن كانوا يلدركم فاما بعد اليوم وان كان واحدا منهم طلب منكم دراهما أو هدايا فاخبروني أو أخشروا السرى عسكرك به ففي الوقت أعدت هولاء الاشرار باهول الشكل .. » .



غير انه كان لكل من الحركتين خصائصها وظروفها ونتائجها .  
 وحركة الترجمة الأولى تركزت على الكتب من تراث الفرس واليونان  
 الأقدمين ، وشجعها حكام الدولة الاسلامية الفتية الغنية وكبار رجالاتها ،  
 وحمل عبثها عدد من مثقفي هذه الدولة الذين كانوا يعرفون ما نقلوا عنه  
 من لغات . وكان لثمار هذه الحركة آثارها البعيدة في الحقل الثقافي  
 العربي .

اما الحركة الثانية فقد كان هدفها الأساسي تيسير عملية «الاتصال»  
 بين سلطات احتلال اجنبي وشعب لا يتكلم لغة محتليه . ومن هنا تركز  
 معظم نشاط هذه الحركة . في مظهره التدويني ، على المحررات ذات  
 الصبغة الرسمية لتلك السلطات ، من منشورات وأوامر ووثائق .

ان الحياة الثقافية العربية وفتتد لم تكن في تفنح مثلها أيام  
 العباسيين ، أو في تطلعها الى النمو والتقدم ، بحيث يمكن أن تنسأ فيها  
 حركة تلقائية للنقل عن الثقافات الأخرى . ولم تكن أنظمة الحكم من  
 القوة والاستقرار ، أو في حالة من المنعة والانتصار ، بحيث يمكن أن  
 تتطلع الى تطعيم الثقافة المحلية بشيء من الثقافات الأخرى ، أو على الأقل  
 الى تشجيع هذا الاتجاه .

ولقد شاءت الظروف أن تقوم هذه الحركة على يد حاكم اجنبي ،  
 استهدف منها أن تساعده على تحقيق سياسة استعمارية معينة . ولم  
 تتناول هذه الحركة كسابقتها العلوم أو المعارف العقلية ، وانما انصت  
 في الغالب على الآراء والأفكار التي ضمنها هذا الحاكم رسائله الى أبناء  
 الشعب ، وعلى نصوص الأوامر والقرارات والانباء التي أراد اذاعتها  
 عليهم .

لذلك كله لم يكن لهذه الحركة كسابقتها آثار مباشرة في التراث  
 الثقافي العربي . ولكن يمكن القول ان آثارها غير المباشرة لا تقل أهمية  
 أو عمقا ، وهي الآثار التي يمكن اجمال أهمها في النقاط التالية :

١ - لقد فتحت هذه الحركة الطريق للاتصال بين الثقافتين العربية  
 والفرنسية ، وما لبثت كل منهما ان أخذت تؤثر في الأخرى . فلم يكتف  
 مترجمو الحملة بترجمة المنشورات الى العربية ، أو محاضر جلسات  
 الدواوين وعرائض الالهالي الى الفرنسية ، وما الى ذلك من الأعمال  
 الرسمية ، وانما شارك عدد منهم كذلك في الترجمة العلمية التي اشتغل

بها المستشرقون من اعضاء المجمع العلمى . (١) ولقد ظهرت آثار هذه الترجمة فى بعض البحوث التى نشرت بصحيفة « لاديكا » ، كما كان من نمارها عدد من مطبوعات الحملة ، سبقت الاشارة اليها . ويقول بعض المؤرخين (٢) انه لو قدر للحملة أن تطول مدتها « لكان من المحتم أن يعمل كل فريق على نقل ثقافة الفريق الآخر الى لغته . وخاصة ان علماء الحملة كان من بينهم عدد من المستشرقين ، وكانت مكتبتهم تضم كتباً عربية وفرنسية كثيرة احضروها معهم . وكانت مكتبات المساجد والخاصة فى مصر تضم بين جدرانها آلاف الكتب المخطوطة التى كانت تنتظر فى صبر نافذ من يفتحها ليقراها ويعدها للنشر أو الترجمة . . » .

وعلى أية حال فقد بدأت بفرنسا بعد الحملة حركة نشطة لدراسة التراث العربى والترجمة منه الى الفرنسية ، قادها المستشرقون والمترجمون الذين عادوا مع جيش الشرق عند جلالة عن مصر .

٢ - تأثر مثقفو مصر فى ذلك العصر بما حدث من اتصال واحتكاك بين العربية والفرنسية من خلال المنشورات وغيرها ، وامتد هذا التأثير الى ما بعد عهدهم . ونستطيع أن نلمس ذلك مثلاً فى كتابات عبد الرحمن الجبرتى لتاريخه ، فقد كانت بعد الحملة « أدق وأكثر نقداً لسير الحوادث ورجالها مما كانت عليه قبل الحملة » (١) ، كما استخدم فيها كثيراً من الألفاظ العربية والمبسطة . وكذلك نلاحظ أن شعر اسماعيل الخشاب أصبح « أرق حاشية وأسلس أسلوباً . أما الشيخ حسن العطار (٤)

(١) كان من لجان المجمع لجنة خاصة بالترجمة لتكون من ثمانية اعضاء هم : فانتور (Venture) ومجالون (Magallon) ولوماكا (L'Homaca) وجوير (Jaubert) ودلابورت (De Laporte) وريج (Reige) وبراسفيش (Bracevich) وبلنيت (Belletête ou Bellereste) الرافى ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ،

، نقلاً عن ريبو :

Reybaud Lois et autres, *Histoire Scientifique et Militaire de l'Expédition Française en Egypte* (10 vols), Paris, 1830-36.

(٢) جمال الدين الشيبلى ، تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣٢ - ٣ .

(٣) أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، ص ٢٤ .

(٤) كانت للشيخ العطار عدة صداقات مع الفرنسيين ، وبخاصة المستشرقين منهم . وقد أصبح نسخاً للآزهر أيام محمد على . وهو الذى رشح رفاعة الطهطاوى ليكون اماماً للبعثة المصرية فى باريس عام ١٨٢٦ ، حيث تحول هناك الى أبرز دارسها . وكانت هذه نقطة تحول حاسمة فى حياة هذا الرائد العظيم الذى ترك أثراً عميقاً فى الحياة الثقافية لمصر الحديثة .

فقد تجاوز الدراسات الدينية الى الدراسات الادبية ، وكان له في هذا الميدان مدرسة جديدة كان من تلاميذها ابراهيم الدسوقي ومحمد عباد الطنطاوى ومحمد عمر التونسي ورفاعة الطهطاوى . وسيكون لهذه النخبة الطبية جهود محدودة في حياة الترجمة الحافلة في عصر محمد على (١) . ونحس هذا الاثر أيضا فيما كتبه عبد الله الشراقوى ، شيخ الازهر ورئيس ديوان القاهرة وقتئذ . فهو « يكتب لأول مرة ويقرأ المصريون لأول مرة أيضا كلمات الطبيعة والاباحية والكثلكة » ، ويتحدث عن « انكار » البعث والدار الآخرة ونبوة الأنبياء ، وعن تحكيم العقل والشرائع والاحكام الوضعية . وذلك فيما كتب عن « حقيقة حال الفرنساوية » في كتابه « تحفة الناظرين » (٢) .

هؤلاء هم قمة مثقفى ذلك العصر . ولا شك أنه لولا ظروف مصر أيام الحملة وثورات المصريين المتلاحقة ضد الحكم الفرنسى ، ولولا الاختلاف الدينى وقصر عهد الحملة بمصر ، لكان لذلك الاتصال بين اللغتين والثقافتين آثار أبعد مدى .

٣ - كانت الترجمة من التركية وعن الفرنسية عملا أساسيا من أعمال التحرير فى صحيفة « الوقائع المصرية » التى انشأها محمد على ، كما كانت الترجمة بوجه عام عماد النهضة الثقافية التى أرسى دعائمها هذا الحاكم . وقد آتت حركة الترجمة فى عهد محمد على ثمارها الطيبة بعد ان تهيأ لها المناخ المناسب والتربة الصالحة . فقد كان من أقوى دعائم الدولة الحديثة التى بناها محمد على نظام تعليمى عصرى متكامل ، كما ساعد استقرار حكمه وطول مدته على تحقيق ما لم تسمح ظروف الحملة به فى هذا المجال . ومن المعروف ان محمد على - الذى تولى الحكم بعد جلاء الفرنسيين بأقل من أربعة أعوام - كان شديد الإعجاب بفرنسا والفرنسيين بوجه عام ، وبشخصية بوناپرت بوجه خاص . ومن المعروف كذلك انه استعان فى بناء دولة مصر الحديثة بعدد من الخبراء والمتخصصين الفرنسيين فى مختلف المجالات ، ومن هؤلاء بعض علماء الحملة ذاتها . وهناك عدة شواهد تاريخية على أن هذا الحاكم الفذ كان شديد الاهتمام بمعرفة انجازات الحملة الفرنسية خلال عهدها القصير بمصر . ولا مراء فى انه قد عرف الكثير عن نشاط الحملة الاعلامى والثقافى .

(١) الشال ، المرجع السابق .

(٢) الشراقوى ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١٩١ .

ومهما يكن من أمر ، فقد غدت الترجمة عن اللغات الأوربية بعد ذلك عاملا أساسيا له خطره من عوامل النهضة الثقافية في مصر وبعض أجزاء العالم العربي الأخرى طوال القرن التاسع عشر . واستمرت هذه الترجمة حتى الآن تؤدي دورا بارزا في حياتنا الثقافية بوجه عام ، والإعلامية بوجه خاص .



استترك في ترجمة المنشورات الى العربية عدد من المترجمين الفرنسيين والشرقيين (١) . ومن أبرز الفرنسيين الذين قاموا بهذا العمل (٢) :

١ - المستشرق فانتور (Jean Michel Venture de Paradis) أكبر أعضاء المجمع العلمي سنا . وكان يجيد العربية والتركية ، وعاش سنوات طويلة بالمغرب العربي والأستانة ، حيث عمل بالترجمة . ورحل كذلك الى القاهرة قبل الحملة بثمانية أعوام ، حيث وثق علاقته ببعض المشايخ وكبار الأقباط وعدد من المالك . عمل بالتدريس في مدرسة اللغات الشرقية ببازيس ، ووصل قبل الثورة الفرنسية الى منصب « سكرتير الملك ومترجمه للغات الشرقية » . عينه بوناپرت كبيرا لمترجمي الحملة ومستشارا له في الشئون الشرقية ، وكان شديد الإعجاب به . وقد اجمعت عدة مراجع على انه هو الذي ترجم المنشور الأول لهذا القائد الى المصريين . اصطحبه بوناپرت في حملته على سوريا . وهناك مرض بالدوسنتاريا ومات في أثناء حصار عكا . وقد حزن عليه القائد الفرنسي كثيرا ونعاه الى ديوان القاهرة ، وأشار الجبرتي الى ذلك منوها بإجادة فانتور لعدة لغات فقال (٣) : « . . وفنتوره هذا ترجمان ساري عسكري وكان ليبيبا متبحرا ويعرف باللغات التركية والعربية والرومية (اليونانية)

(١) اعتمدنا في جمع المعلومات الخاصة بهؤلاء المترجمين على عدة مصادر ، أهمها المنشورات التي كانت تذيل بأسماء من قاموا بترجمتها عن أصولها الفرنسية ، والإشارات المتناثرة في تاريخ الجبرتي ، وبعض المراجع الفرنسية التي تستمد مادتها من وثائق الحملة ، مثل الكتاب الضخم « التاريخ العلمي والحربي للحملة الفرنسية في مصر » لريو وآخرين ، الذي سبقت الإشارة اليه ، وكذلك بعض المراجع الحديثة مثل كتاب جاك ناجز « حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ » ، وكتاب الدكتور جمال الدين الشيال السابق ذكره .

(٢) لم تذكر ضمن هؤلاء المستشرق مارسيل ، بالرغم من أن بعض مراجع الحملة أشارت الى اشتراكه في ترجمة المنشورات . وذلك لان جهده الأكبر كان منصرا الى العمل بالمجمع العلمي والطبعة العربية .

(٣) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٦٨ .

والطلياني والفرنساوى « • والى جانب ترجمة المنشورات ، فقد خلف فانتور بعض الأعمال المترجمة عن مخطوطات عربية قديمة ، وأهمها « نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من السلاطين » للشيوخ مرعى ابن يوسف الحنبلى •

٢ - جوبير (Louis-Amédée Jaubert) • وقد ضمه بوناپرت الى فريق المترجمين بتوصية من فانتور ، بعد أن اعتذر المستشرق لانجليس من عدم مصاحبة الحملة • درس العربية على يد المستشرق سيلفستر دى ساسى (Silvestre de Sacy) ، ثم أنقنها بالمران والاحتكاك بأعضاء الديوان وعلماء الأزهر وغيرهم • ولما توفى فانتور حل محله كبير المترجمى الحملة • وكان لجوبير جهود ترجمة أخرى الى جانب المنشورات ، وأهمها ترجمة كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للجغرافى العربى أبى عبد الله الادريسي •

٣ - براسفيش (Damien Bracevich) كان يشغل قبل الحملة وظيفة المترجم الأول للقنصلية الفرنسية بطرابلس الشام • وعند مجئ الفرنسيين الى مصر كان يعمل سكرتيراً لقنصليتهم بالاسكندرية ، فالحق بالعمل مترجماً مع الجنرال بوسيلج مدير الشؤون المالية ، ثم عين كبيراً لمترجمى الجنرال كليبر • وقد اشترك فى ترجمة الوثائق والمنشورات الخاصة بقضية مصرع هذا القائد • وكان يطلق عليه فى النصوص العربية « براشويش » •

٤ - لوماكا (Jean-Baptiste Santi l'Homaca) • كان يعمل بالترجمة العربية قبل الحملة فى بعض مناطق حوض البحر المتوسط ، كما عمل سكرتيراً ببعض القنصليات الفرنسية فى الشرق العربى • انضم الى الحملة فى مصر وألحق بقيادة الجنرال كليبر • وقد اشترك مع براسفيش فى ترجمة نصوص محاكمة سليمان الحلبي وزملائه ، كما ترجم رسائل منو الى أعضاء ديوان القاهرة •

والى جانب هذا الصف الأول من المترجمين الفرنسيين عمل فى ترجمة المنشورات عدد آخر أقل جهداً وذكرًا ، ممن صحبوا الحملة أو انضموا اليها فى مصر • وقد اشارت اليهم كذلك مراجع الحملة ووثائقها •

أما المترجمون الشرقيون ، أو السوريون ، فكان فى مقدمتهم :

١ - الأب روفائيل ، واسمه الاصلى انطون زخورة راهبة (١) . ولد في مصر من أسرة سورية مهاجرة ، وفيها تعلم ثم اكمل تعليمه الدينى في روما ، وأجاد العربية والايطالية والفرنسية . تنقل بين مصر وايطاليا ولبنان وترجم كثيرا من الكتب والوثائق الدينية ، ثم استقر في مصر حتى وصلت الحملة فانضم اليها ، وكان ابنه مترجمها ذكرا ، كما كان الشرقى الوحيد الذى عينه الفرنسيون عضوا بالمجمع العلمى بالقاهرة ( فى لجنة الفنون والآداب ) . وقد ترجم كثيرا من المراسيم ونصوص المنشورات ، وتولى مهمة الترجمة الفورية فى عديد من جلسات ديوان القاهرة ، كما أصبح كبير مترجمى هذا الديوان ( ترجمان كبير ) فى عهد منو . وإلى جانب نشاطه فى أعمال المجمع ، مساهما فى اعداد البحوث وترجمة الوثائق التى كان يجهزها علماء الحملة ليصنعوا منها كتاب « وصف مصر » وليضعوا على ضوئها مقترحاتهم فيما يتعلق بالنظم الجديدة لادارة البلاد ، فقد ترجم بعض مطبوعات الحملة العربية ، مثل كتيب ديجنت عن مرض الجدرى « وحولية السنة الثامنة الجمهورية » التى اشترك فى كتابتها مادتها كذلك (٢) . ارتحل روفائيل بعد الحملة الى فرنسا ، حيث عمل بالتدريس فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس . ثم عاد الى مصر بعد سقوط نابليون ، وامضى بقية حياته يعمل بالترجمة فى خدمة حكومة محمد على ، فكان ابرز حلقات الوصل فى هذا المجال بين عهد الحملة الفرنسية وعهد مؤسس دولة مصر الحديثة . ومما يستحق الالتفات فى هذا الصدد كذلك انه كان ممن اشرفوا على انشاء مطبعة بولاق . وكانت لروفائيل عدة انجازات ترجمية فى هذه المرحلة ، فى مقدمتها كتاب « الأمير » لمكيافيللى ، الذى كان أول ماأخرجته مطبعة بولاق من كتب (٣) ، وقاموس ايطالى عربى .

٢ - الياس فخر . وهو من أسرة سورية أستوطنت مدينة دمياط ، وتولى كثير من أفرادها مناصب الترجمة والقنصلية للدول الأوروبية فى

(١) كان اسمه الاوربى « Don Raphael de Monachis » . ويقول من ارخواه ان لقبه العربى « الراهبة » هو اسم أسرة قديمة مشهورة بأفراد كثيرين دوى وجهة وفصل نبعوا منها فى حلب وبيروت ودمشق والقاهرة والاسكندرية ، انظر الشيال ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٩ - ٧٠ ، نقلا عن بعض المراجع العربية والفرنسية .

(٢) كانت هذه الحولية ثلاثية ، شتمل على التاريخ الفرنسى ( الجمهورى ) والفلسفى والمهجري . . وقد اشترك مع روفائيل فى وضعها مونج (Monge) رئيس المجمع . والعالمان يوشان (Bauchamps) وبويه (Nouet) ، انظر ص ٦٢ و « شكل ٢٠ » .

(٣) محمد فؤاد شكرى ، بناء دوفة ، ص ١٠٩ .

مصر خلال القرن التاسع عشر . قام بترجمة كثير من منشورات الحملة .  
وعندما أعاد منو انشاء ديوان القاهرة عين الياس مترجما به مع الأب  
روفائيل \*

٣ - القس جبرائيل الطويل : وهو من أعضاء فريق الترجمة  
السوريين الذين انضموا الى الحملة في مصر . اشترك في ترجمة القوانين  
والمنشورات ، كما عمل بالترجمة الفورية في جلسات ديوان القاهرة . وقد  
غادر مصر مع الحملة الى فرنسا ، وهناك عمل مع الأب روفائيل في تدريس  
اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية ببافيس \*

وهناك أسماء أخرى لمترجمين سوريين أقل شأنا ، انضموا الى الحملة  
في إيطاليا أو مصر . وقد عملوا في ترجمة أوامر حكام الاقاليم ومراسلات  
الأهالي الى المسئولين ، كما ترجموا بعض المنشورات ، واشتركوا في  
الترجمة الفورية بين الفرنسيين والمصريين . واقتصر جهد بعضهم على  
العمل بالمطبعة العربية . ومن هؤلاء : جبران سكروج ، وعبود وميخائيل  
الصباغ ، والياس ( ايليا ) فتح الله \*

اما المصريون فلم تكن حالتهم التعليمية في ذلك الوقت تؤهل  
واحدا منهم للقيام بالترجمة . وكذلك باعد الاختلاف في العقيدة بين  
الفرنسيين ومسلمي المصريين ، فلم يحاول احد من هؤلاء أن يتصل بالفظة  
اتصال تلمذة ليتعلم لغتهم . ومن ناحية أخرى لم يكن مثقفو المسلمين  
الذين اتصلوا بالفرنسيين واعجبوا بتقدمهم في السن التي تسمح لهم  
ببدء تعلم لغة جديدة \*

غير أن الاقباط بوجه عام ، اتصلوا بالفرنسيين انصلا وثيقا (٢) ،  
وغادر مصر منهم عدد كبير مع الحملة الى فرنسا . ومن هؤلاء مواطن واحد  
كانت له بعض الجهود الترجمة ، وهو « اليوس بقطر » الذي ولد في  
اسيوط وكان عند مجيء الحملة في الخامسة عشرة من عمره . وقد كان  
من شباب الاقباط الذين أصطنعهم الفرنسيون ليتعلموا الفرنسية ، ويعملوا  
في جهاز الحكم الجديد . ويبدو انه كان الوحيد الذي نبغ منهم . اذ لم

(٢) كان على رأس هؤلاء «الجنرال يعقوب» قائد فرقة الاقباط التي كوّنها  
الفرنسيون وكان قوامها نحو ألفي جندي . وقد غادر يعقوب مصر مع الحملة ومات  
وهو في الطريق الى فرنسا . ولعلاقاته بالحملة الفرنسية ورجالها قصة طويلة .  
انظر :

محمد شفيق غربال ، الجنرال يعقوب واللاس لامكاريس ومشروع استقلال مصر  
سنة ١٨٠١ ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

تشر المراجع المعاصرة للحملة الا الى اسمه ، فذكرت انه اشتغل بالترجمة لبعض رجال جيش الشرق .

وفي فرنسا اتقن اليوس الفرنسية ، وعين مترجما بوزارة الحربية، حيث عهد اليه بترجمة بعض الودائق العربية للحملة الى الفرنسية . وكذلك شارك العلماء الذين صنفوا كتاب « وصف مصر » في تحقيق الاسماء العربية بخراطة . وعمل اليوس في آخر حياته مدرسا للعربية العامة بمدرسة اللغات الشرقية بباريس . وكان قد ألف قاموسا عربيا فرنسيا ، عني بنشره بعد وفاته المستشرق دى برسفال (De Perceval) بعد ان راجعه و اضاف اليه ، كما طبع هذا القاموس بعد ذلك عدة مرات بعضها في مصر بتحقيق عدد من خريجي مدرسة اللسان في عهد اسماعيل . وهكذا كان هذا المصري - بقاموسه - حلقة أخرى من حلقات الوصل في حقل الترجمة بين عهد الحملة الفرنسية وعهد النهضة المصرية الحديثة .

\*\*\*

كيف كانت لغة المنشورات العربية التي اصدرتها الحملة ؟ وإلى أى مدى نجح أولئك المترجمون فى تقديم مادة عربية مقروءة على صفحات تلك المنشورات ؟ .

ان النشر العربى فى ذلك الوقت لم يكن يعرف فن مخاطبة الجماهير . فلم تكن فنونه تتعدى فى المجال « العلمى » كتابة الشروح والحواشى على متون كتب اللغة والدين ، أو التاريخ بطريقة السرد التسجيلى للأحداث وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمنى . اما فى المجال « الأدبى » فلم تخرج ضروبه عن دائرة المقامات والرسائل الاخوانية والاوراد والتسابيح الصوفية وما إليها . واتبست أساليب النشر على العموم بالركاكة والضعف والاغراق فى التلاعب بالألفاظ .

ومن هنا فان فن مخاطبة الجماهير لم يكن له مكان بين فنون النشر العربى . المعروفة حينئذ من ناحية ، ولم تكن أساليب هذا النشر تصلح لاستخدامها فى هذا الفن عند نشأته على يد الفرنسيين من ناحية أخرى .

ولا يمكن اعتبار الخطب المنبرية وقتئذ ، أو ترديدات « المنادى » فى الطرقات لما يلحن من اوامر السلطات وبياناتها ، داخلة فى دائرة فن مخاطبة الجماهير الذى نقصده . فقد كانت خطب المساجد محصورة فى نطاق دينى شديد الضيق . وكانت اذاعات المنادى توجز مضمون التنبيهات التركية الأصل ، مستخدمة لغة الحديث الدارجة ، ولم تكن هذه ولا تلك مما بدون ليقراه الناس .



وعلى ذلك فإن الرسائل الاعلامية التي حملتها المنشورات تمثل نمطا غير مألوف من النشر العربي ، سواء بما تضمنته أو بطريقة التعبير عنه . وكانت مواد هذه المنشورات تكتب بلغة اتسعت لما لم تتسع له اللغة العربية وقتئذ من فنون واساليب ، ثم تعرب لكى تطبع ويقراها الناس .

كانت الموضوعات التي تناولتها المنشورات - كما رأينا - جديدة على لغة الكتابة العربية . لقد قرأ الناس فيها - واسمع من لم يكن يقرأ ، بيانات من الحاكم وبيانات من ممثلى الشعب . وكانت هذه وتلك تحفل بمضمونات دعائية جديدة على العيون والآذان . وأحاط الأهل من خلالها علما بالقوانين والمراسيم الجديدة ، وبأوامر الحكام وتنبيهاتهم . وتلقت الجماهير منها أنباء الدولة وأنشطتها العسكرية والمدنية . وقد صيغ كل ذلك بلغة لم يكن من اليسير تطويعها له . ولم تكن خصائصها وقتئذ لتسمح بأحتوائه .

ومعنى هذا ان محررى المنشورات كانوا يقومون بعملية تنشيط للغة العربية ، يحاولون فيه ان ينطقوها بذلك الجديد غير المألوف ، وان يدفعوها الى اقتحام مجال حديث تضيف به الى فنونها فنا لم تعرفه من قبل .

فاذا لاحظنا انه الى جانب هبوط مستوى هذه اللغة وضعف امكاناتها فى ذلك الوقت ، فان المحررين أنفسهم - بحكم بيئاتهم وما أتيح لهم تعلمه - لم يكونوا على علم وافر بالعربية أو على ادراك عميق لخواصها ودقائقها ، كان من المنطقى ان ينتج عن ذلك حركة يعوقها تعثر وأداء يشوبه قصور .

لقد نددت بعض المراجع بركاكة أسلوب المنشورات العربية وضعف لغتها وكثرة أخطائها . فالجبرتنى ، الذى يمثل النخبة المثقفة فى ذلك العصر ، قال مثلا عند عرضه لمضمون المنشور الخاص بأشياء « محكمة القضايا » (١) : « .. وشرطوا فى ضمنه شروطا وفى ضمن تلك الشروط شروطا أخرى بتعبيرات سخيصة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير لعدم معرفتهم بقوانين التراكييب العربية .. » وقال فى تقديمه لنصوص المنشورات الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبي (٢) : « .. وطبعوا منها نسخا كثيرة .. وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

لقصودهم في اللغة ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها . . . » .

واشار احمد حافظ عوض اكثر من مرة (١) الى تكرار اللحن والخطا في هذه المنشورات . وكذلك ابرز الرافي في عدة مواضع (٢) ما في المنشورات من « اغلاط وعبارات ركيكة غير مفهومة » .

والحق ان مقارنة نصوص ما بين ايدينا من منشورات بأصولها الفرنسية لتثبت عدم توفيق المترجمين أحيانا في اختيار الكلمة أو العبارة العربية التي تؤدي المعنى المقصود من اصلها في دقة ووضوح . وقد اضطررنا عند مناقشة مضمون بعض المنشورات ، فيما سبق من فصول هذا البحث ، الى الاعتماد على الأصل الفرنسي دون النص العربي ، لغموض عبارات هذا النص وركاكتها ، وكذلك كان لابد أحيانا من شرح المعنى المقصود بين قوسين . وينبغي أن نشير في هذا الصدد الى ان هناك مواضع كان تحريف المعنى فيها عند الترجمة مقصودا لذاته ، تحقيقا لغرض دعائية معينة ، كما لاحظنا في بعض عبارات أول منشور اصدره بونايرت مثلا (٣) . وهناك مواضع أخرى تصرف فيها المترجمون بشكل مقبول في الأصل الفرنسي ، سواء بالحذف أو الاضافة أو التغيير ، محاولين بذلك - فيما يبدو - « تعريب » مادة المنشورات وتقديمها في صورة تلائم ذوق قارئها .

وفيما يلي نماذج قليلة من الخطأ الواضح أو عدم التوفيق في اختيار المقابل الصحيح لبعض الألفاظ والعبارات ، أو استخدام لفظ عامي دارج بدلا من العربي الفصيح . وهذا مع غض النظر عما قد يوجد بهذه النماذج كذلك من اخطاء النحو والهجاء ، التي سنخصص لها حديثا مستقلا فيما بعد :

\* « ٠٠ القرى الواقعة في دايرة قريبة بثلاثة ساعات عن المواضع التي يمر بها الجيش الفرنسي » . بدلا من « ثلاثة فراسخ » ، ترجمة للأصل الفرنسي « trois lieues » : منشور بونايرت الأول .

\* « ٠٠ الأمراض المفسودة التي تعدى » بدلا من « الأمراض المعدية » ،

(١) مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠٤ ، ٣٢٩ - ٣٢ .

(٢) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١٠٦ - ٧ ، ج ٢ ، ص ٩٣٠ .

(٣) انظر ص ٩٣ - ٤ .

ترجمة للأصل « maladies contagieuses » : منشور الجنرال مارمون قائد منطقة الاسكندرية في ٥ ديسمبر ١٧٩٨ .

\* « منزل الأمر » بدلا من « القيادة العامة » ، ترجمة للأصل « quartier général » : كثير من منشورات عهد بوناپرت .

\* « شركة الاخوية » أو « شركة منجر الاخوية » ، بدلا من « شركة تجارية » ، ترجمة لعبارة « compagnie de commerce » : منشور انشاء الشركة المساهمة لتجارة الجملة بالاسكندرية ، ٧ مارس ١٧٩٩ .

\* « جنرال متفرقة » ، بدلا من « قائد فرقة » أو « قائد لواء » ، ترجمة للقب العسكري « Général de Division » : عدد كبير من منشورات الحملة .

\* « مملكة موسكو » ، بدلا من « روسيا » أو « روسيا » ، ترجمة لكلمة « La Russie » .

\* « عسكر الاسلام » ، بدلا من « القوات التركية » ، أو « القوات العثمانية » ، ترجمة لعبارة « les troupes turques » : منشور انشاء العريش في عهد كليبر ، ٢٨ يناير ١٨٠٠ .

\* « ولاية تيبايس وقني » ، بدلا من « ولاية طيبة أوقنا » ، ترجمة للأصل الفرنسي Thèbes ou Kenneh : منشور كليبر بالتقسيم الإداري لمصر في ١٤ سبتمبر ١٧٩٩ .

\* بوسيلج . . مدير الحدود العام بمصر » بدلا من « مدير الشئون المالية » ، ترجمة لعبارة « Administrateur Général des Finances de l'Egypte ... » في كل المنشورات التي ورد فيها اسم بوسيلج ( وكان اسمه يكتب « بوسيلخ » أو « بوسيهلخ » أو « بوسيلك » ) .

\* « وغير مطارج » ، بدلا من « وأماكن أخرى » ترجمة لعبارة « et autres lieux » . « الشطارة » ، بدلا من « الصناعة » ، ترجمة لكلمة « industrie » . « المتسبين » ، بدلا من « التجار » ، ترجمة لكلمة « marchands » . « العصور » ، بدلا من « القرون » ، ترجمة لكلمة « les siècles » : عدة منشورات من عهد بوناپرت ومنو .

\* « أهالي ووجلي الذين خرجوا واخذوا ورقة أجازة لاجل يلموا

دراهمهم من بلادهم لم هم من هذه الوصايا . وكان يمكن ان تصاغ هذه العبارة على الوجه الآتى مثلا : « لا ينطبق هذا الأمر على الأهالى ورجال الأوجاقات الذين اعطوا تصريحات بالذهاب الى قراهم لتحصيل الاموال المستحقة عليها » ، وذلك ترجمة للأصل الفرنسى :

« Les habitants ou odjaqlys qui ont reçu des autorisations pour aller chercher les impositions de leurs villages, ne sont pas compris dans le présent ordre »

: منشور بليار ( قائمقام منو ) بانذار من يغادر القاهرة بدون اذن .  
٧ أغسطس ١٨٠٠ .

✽ بعد النص على تجريم من يحول النقود الذهبية والفضية الى سبائك فى قانون دمج المصوغات الذى اصدره منو فى ١ سبتمبر ١٨٠٠ ، وردت العبارة التالية التى عجز كاتبها عن ان ينقل بها الى ذهن قارئها المعنى الواضح الذى قصده أصلها الفرنسى : « والذين فقط مفكرين فى أنفسهم يكسروا المعاملة ذهب أو فضة لاجل يعملوه سبائك ايش ذنبهم لأن بعض اوقات يكون هذا من غير وجوه الحلال » . لقد كان الاصول ان يقال مثلا : « فاية جريمة ضد المجتمع يرتكبها بعض أولئك الذين لا يفكرون الا فى أنفسهم ، عندما يحولون الى سبائك نقودا ذهبية وفضية حصلوا عليها غالبا بطريق غير مشروع » ، فالأصل الفرنسى يقول :

« Quel crime contre la société ne commette donc pas quelques égoïstes qui changent en lingots les monnaies d'or et argent que souvent ils ont acquises injustement ».

✽ « اختيار » بمعنى « عجز » أو « شيخ » . وهذا لفظ عامى يسود استخدامه فى سوريا وبعض البلاد العربية الأخرى ، وقد ورد هو وكثير من أمثاله كلفظ « بده » بدلا من « يريد » فى عدد من منشورات الحملة التى حررها المترجمون السوريون ، مثل منشورات قضية مصرع كليبر .

✽ « ولاجل دفع بالحقيقة المطلوب الى مستأجرين الاقلام » ، بدلا من « ولاجل أن يدفعوا المطلوب منهم بالضبط الى مستأجرى الحصص الزراعية » ، ترجمة للعبارة الفرنسية .

« à faire payer exactement aux fermiers ce qui peut leur être dû »

: منشور منو بتنظيم الضرائب ، ١١ سبتمبر ١٨٠٠ .

✽ « والقدر والكبر بتاع البنادر يبين كام صراف يعتاز فيه » . هذه

العبارة العامة الركيكة كانت ترجمة للأصل الفرنسي البسيط الواضح :

« La grandeur et l'importance des villas détermineront la quantité des sarraf qu'on y placera »

: منشور منو بتنظيم مهن الصرافة والكيالة والقبانة ، ٨ أكتوبر ١٨٠٠ .

✳ « فما دام انتم مؤدبين الرسم الموضوع فانونا من الشريعة بعينه فانتم مأذونين بمحاطظة مع صفاء خاطرکم كلما لکم مقتنى بلا إن أى من يصير يقتدر يمنعکم من هذه المحاطظة أو يطلب منکم محاسبة مالکم » . هذه العبارة المعقدة التركيب التى تضم ألفاظا غريبة النحت كانت ترجمة للعبارة الفرنسية :

« en payant exactement l'impôt fixé par la loi, vous serez libre de jouir de tout ce qui vous appartient, sans que personne puisse vous en empêcher, ou vous demander compte de vos richesses ».

✳ « ان سر عسكر العام مسترضيا بزيادة عن تمهيشات كافة منساينخ البلاد من كل جوانب بر مصر الذين استعجلوا بدفع الرسم السنوى المرسوم عليهم ٠٠ » هذا الاستهلال الركيك لمنشور منو ، الصادر فى ٢٩ ديسمبر ١٨٠٠ ، الذى يعطى مهلة شهر لمساينخ البلاد المتأخرين فى سداد الرسوم المقررة عليهم ، يمكن تصحيحه - مع المحافظة على أسلوب المنسور ولغة العصر - الى : « ان سر عسكر العام الذى سره كثيرا سلوك منساينخ البلاد من كل أنحاء بر مصر الذين يتعجلون دفع الرسم السنوى المقرر عليهم ٠٠ » فالأصل الفرنسي يقول :

« Le Général en chef, très satisfait de la conduite des cheykh el-beled de toutes les parties de l'Egypte, qui s'empresent de payer le droit annuel qui leur a été imposé... ».

✳ « فتحت ذلك السبب المذكور ( أى مغادرة البلاد ) لابقى يجوز ولا زيارات مستغشة فى البيوت بل لما هى مأذونة تحت سبب التدبير البلاد وتفتيش الأسلحة والأمراض ذى السراير » . هذه العبارة الملتوية التركيب الغامضة المدلول كان المقصود بها ما معناه « لم يعد يجوز تحت هذه الحجة نفسها دخول (أحد من رجال الحكومة) بيوت الناس ، غير انه سوف يسمح بذلك بسبب اجراءات الشرطة أو للبحث عن أسلحة أو بسبب حالات الامراض المعدية » ، لان الأصل الفرنسي يقول :

« Aucunes visites domiciliaires ne pourront être faites sous le même prétexte, mais elles seront permises pour cause de police, de recherche d'armes et de maladies contagieuses »

: من منشور منو بتخفيف الاجراءات التى فرضت على من غادروا البلاد ،  
فى ٢٢ فبراير ١٨٠١ .

✳ ومن امثلة التعبيرات العامية التى تكثر - دون مبرر - فى لغة المنشورات ، وقد لاحظنا طرفا منها فى بعض النماذج السابقة : « دفعتم الطاق طاقين » ، « يخلوا فى بالهم » البضايح .. يدخلوهم أو يخرجوهم من ورا الجمرک « البيوت والاملاك بتوع الممالك » ، « المصاروة » .

✳ استخدم محررو المنشورات ما كان مألوفاً فى ذلك العصر من المصطلحات الديوانية التى تتصل بالامور المالية والضريبية، على ركاكتها، مثل : غلاق ، العلوم ، حصص ، نمسكات ، رجعات ، ميرى ، كشوفية . وذلك حتى يكون ما يذاع على الناس فى هذا الصدد واضحا مفهوما . ولكنهم الى جانب ذلك استخدموا عدة ألفاظ تركية وفرنسية ، كما هى أو مع بعض التحوير ، دون أن يحاولوا ترجمتها أو تعريب صيغتها ، مثل «سارى عسكر» أو «سارى عسكر» (١) جامكيه (مرتب - ماهية ، وجمعها جوامك) ، جبخانة (ذخيرة) ، وجاق ، مصرلى ، عثمانلى ، وجاقل . ومثل : وفسيال (من officier) ، كومسارى (من commissaire) ، نمره (من numéro) .

أما أخطاء النحو فكثيرة ، وأبرز أنواعها :

✳ نصب المرفوع والمجرور ، متصل : «ان الفرنسيةاوية هم أيضا مسلمين مخلصين» ، «يكون فى كل ولاية .. رزنمجي فرنساوى أو وكيلا له» ، «فان حرك احدا منكم الفتنة» ، «وهم سببا لقتل ثمانية آلاف» ، «وردنا خبرا صحيحا» ، «سمعت من احدا يقول» .

(١) مصطلح تاريخى يتكون من كلمتين : احدهما فارسية الاصل انتقلت الى التركية، والثانية عربية ، ومعناه «رئيس الجند» أو «القائد العام» . وقد استخدمت هذه اللفظة المركبة فى كل منشورات الحملة انمرية التى ورد بها اسم أى من قواد الحملة الثلاثة . وكانت تكتب أحيانا بصيغتين أخريين ، هما «سر عسكر» ، «سرى العسكر» . ويلاحظ كذلك انها كانت اما ان تجرد من أداة التعريف ، أو تلحق بها هذه الاداء باحدى صورتين «السارى عسكر» ، «سارى العسكر» : وقد نعت الجبرتي من اللفظة اسما عاما هو «السرى عسكرية» ، بمعنى القيادة العامة للحملة . وتطور استخدام هذا المصطلح ، فأصبح فى منشورات منو يقوم مقام الرتبة العسكرية «جنرال» ، وتلحق به عبارة تحدد مدلوله : «من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهورية الفرنسية بالشرق ..» . انظر : الشناوى : مرجع سبق ذكره ، ص ١٤ - ١٥ .

✳ رفع المنصوب (أو تسكينه) ، منسل : «وجدوا ٠٠ مقدار كبير وأخذوا ذخاير كثيرة وأموال» ، «وجدوا أكثر من ثمانين مدفع» ، «كتبنا عرضحال» . ومثل هذا رفع المجزور ، مثل «بثلاثون يوما» .

✳ عدم أعمال الناصب أو الجازم مع الفعل المضارع ، مثل : «صاحب محل العرقى الذى لم يكون قيد اسمه ٠٠» ، «فعلى حكام الولايات أن يفحصون ٠٠»

✳ حذف النون من صيغ الافعال الخمسة ، دون ما ناصب أو جازم ، مثل : «السناجق الذين يتسلطوا فى البلاد المصرية» ، «سيدبروا الامور» ، «ستلاقوا فى كل وقت» ، «كما ترووه فى الشرط الثانى» ، «إذا كان الفريقان لا يريدان أن ٠٠٠ ولا يتفقا» .

✳ استعمال حرف الجزم «لم» مع غير الفعل المضارع ، أو بدلا من حروف نفي أخرى ، مثل : «لم بقى مدبر الحدود كمثل الاول» ، «لم لهم شىء» ، «لم عليه الا عوايد واحدة» ، «لم عندهم طمع» ، «لم بلغ على ذلك» ، «لم مرادنا نحكم فيكم بطريق التخويف» .

✳ استخدام أداة التعريف مع المضاف ، مثل : «وتميل عقولكم لتصديق الكلام اتباع الظلمة السابقين» ، «والاملاك والاموال كل الهارين من مصر قبل ذلك التاريخ» ، «الامبراطور النمسا» ، «٠٠٠ تسلكوا فى الطريق الخائفين الله» .

✳ عدم حذف النون من جمع المذكر السالم عند الاضافة ، مثل : «نعلمكم أن بعض الناس ضالين العقول ٠٠» ، «ألى ملتزمين البلاد ٠٠» ، «مع محصلين التكاليف» ، «كونوا مستريحين الببال ومترفهين الحال ٠٠٠» .

✳ استخدام فاعلين ظاهرين للفعل الواحد ، أو كما يقول النحاة استخلام لغة «أكلونى البراغيث» (١) ، مثل : «٠٠٠ ويكونوا الحكام مسئولين» ، «مثلما فعلوا أهل مصر ٠٠» ، «بعد أن يتكاملوا الجميع فى البر ٠٠» ، «بعض مراكب اعدوهم عسكر الجزائر» ، «فهبجوا عليهم الفرنسيين» .

✳ تأنيث ما يجب تذكيره ، وتذكير ما يجب تأنيثه عند تمييز العدد

---

(١) يعتبر بعض النحاة أن هذا ليس خطأ بقدر ما هو استعمال ضعيف . وهم يستدلون على ذلك بمثل من لغة الحديث النبوى : «يتماقون فيكم بالليل والهـار ملائكة ٠٠» . ولكن هذه قضية تحتمل كثيرا من الجدل ، وليس هنا موضعه .

مثل «أربع مشايخ» ، «ثلاثة مرآت» ، «سبع شروط» ، «عشرة سنوات» ،  
«ابن أربعة وعشرين سنة» ، «خمسة عشر فضة» ، «على اثني عشر دفعة» ،  
«ثمانية ولايات» .

✳ الخطأ في استخدام الاسم الموصول، مثل: «كل النقاير (السفن)  
والقوارب الذي» ، «الشروط الذي انتخبناها» ، «القرى الذين عادوا  
الجمهورية الفرنسية» ، «الأصناف الذين يخرج منهم العرقى» .

✳ الخلط بين التذكير والتأنيث ، وبين الأفراد والتثنية والجمع ، في  
الاسماء والضمائر وصيغ الافعال ، مثل: «بعض العوايد الموجودين بالديار  
المصرية» ، «كل الأموال والاملاك المأخوذون الى هذا اليوم» ، «في مراقبهم  
الخاص بهم» ، «كل صاحب معمل يدفع .. المال الذي عليهم» ، «كل قوائم  
أسماء البلاد .. يلزم طبيعهم» ، «وكننا عملنا التعريفه وطبعناه» ، «كثرة  
التكاليف كان يخطف منكم ..» ، «فان دماء آبائكم .. وأولادكم قد  
جري ..» ، «المرائب المذكورة وصلوا ..» ، «كل المحاكم .. يقضون  
بالعدل» .

وتحتوى لغة المنشورات العربية كذلك على أخطاء صرفية كثيرة ، في  
اشتقاق المصادر والصفات وصيغ الجمع وغيرها ، مثل اشهار (شهر) ،  
أنشر - أنشار (نشر) ، أفراز (فرز) ، مداعة (ادعاء) ، ترسيم (رسم) ،  
اصراف (صرف) ، تلاف (تلف) ، يرفع دعوته (دعواه) ، فتوة (فتوى) ،  
أهل الشرع الاسلام (المسلمون) ، المتشرعون (المشرعون) ، أغلال (غلال -  
غلات) ، أبغال (بغال) ، أعيال (عيال) ، طروف (أطراف) ، امرار  
(مرات) ، أشره (أشرار) ، متهوم (متهم) ، ملزوم (ملزم) ، مستفشه  
(متفشية) - عصاوة (عصيان) ، عذاب عقيب - أعقب العذاب (اشتقاق  
خاطئ من عاقب) .

ولا تقل أغلاط الهجاء شيوعا عن أخطاء النحو والصرف ، ومنها :

✳ استخدام التاء المفتوحة بدل المربوطة ، أو العكس ، مثل :  
«عليه أفضل الصلوات والسلام» ، «كل من هاة عنده ..» ، «حيات الدنيا» ،  
«انخمة الشرور» ، «ستت دواوين» .

✳ وصل كلمتين معا ، مثل : كلمن (كل من) ، كلما (كل ما) ،  
أيمن (أى من) ، انكان (أن كان) .

✳ إضافة ألف بعد الواو في الفعل المضارع المعتل بالواو ، مثل :  
نرجوا ، يدعوا .



✳ استعمال الالف المنطوقة بدل الياء المرسومة في بعض الكلمات المقصورة ، مثل : النصارا (النصارى) • الكبرا (الكبرى) ، أدنا (أدنى) ، يتعاطا (يتعاطى) ، يتبقا (يتبقى) ، يرا (يرى) ، انطوا (انطوى) ، أنا (أتى) •

✳ استعمال الياء بدل الالف في الافعال المقصورة ، مثل : عفى (عفا) ، دعى (دعا) •

✳ كتابة السين بدلا من الناء والزاي بدلا من الذال ، مثل : سغر (نغر) ، سلاسة (ثلاثة) ، موزى (مؤذ) ، زخاير (ذخائن) ، مازون (مأذون) ، مزكور (مذكور) •

✳ زيادة ألف على هجاء الكلمة ، مثل : فاليتوجه (فليتوجه) ، خاروف (خروف) ، ذالك (ذلك) ، المرجوا (المرجو) •

✳ أخطاء أخرى متنوعة ، مثل : الماأونة – الماأونة (المؤنة – المؤنة) ، اطمئنان (اطمئنان) هولاي (هؤلاء) ، قيرات – قراريت (قيراط – قيراط) ، ابتدى (ابتداء) ، المومى اليه (الموماً اليه) ، اوله (أولى) •

ولكننا ، بعد كل ما عرضنا من أنواع الأخطاء ونماذجها ، ينبغي لكى ننصف محررى المنشورات العربية ، أو بالاحرى مترجميها عن أصولها الفرنسية ، أن ندخل فى حسابنا الاعتبارات التالية :

**أولا :** ضرورة النظر الى تلك الأخطاء فى ضوء ما اسلفنا ذكره من عوامل وملابسات تتصل بحالة اللغة العربية وطبيعة الحياة الثقافية للبلاد فى ذلك العصر ، فضلا عن مستوى التحصيل اللغوى للمترجمين أنفسهم •

**ثانيا :** ان الأخطاء بأنواعها لم تكن ، رغم شيوعها ، مطردة فى كل المنشورات أو فى سوادها • فقد تفاوتت هذه الأخطاء كما وكيفا ، واختلف نصيب المنشورات منها باختلاف المترجمين من ناحية ، وباختلاف الغرض الذى صدر من أجله المنشور من ناحية أخرى • وهناك منشورات جيدة التحرير واضحة التعبير ، لا نكاد نلمح عبر سطورها الاهنات قليلة ، مثل المنشورات التى تتضمن نصوص اتفاقيات لالجلاء عن مصر فى عهدى كليبر ومنو ، ومثل منشور انشاء ديوان القاهرة فى صورته الجديدة أيام منو (١) •

---

(١) أنظر الاشكال ٧٦ ، ٨١ ، ٤٩ •

ثالثا : ان الترجمة من الفرنسية الى العربية فى ذلك الوقت كانت تجربة غير مسبوقة ، ومن ثم فهى مهمة ثقيلة تؤود من قد يتصدى لها من المتمكنين من لغة الضاد ، وتكاد بالتالى تعجز من لم يتمكن من هذه اللغة . هذا الى ان ترجمة المنشورات ، من حيث هى وسيلة اعلام ، تختلف عن ترجمة النصوص العلمية أو الأدبية فى انها عمل يتطلب عادة انجازا سريعا ، ولا يترك مجالا كافيا - وبخاصة لغير المتمرسين به - للاجادة والتائق .

رابعا : ان المادة المحررة كانت وافدا جديدا على فنون الكتابة العربية فى ذلك الوقت ، سواء من حيث نوعيتها أو قوالبها . فقد تضمنت موضوعاتها - كما رأينا - الرسائل الدعائية ، وبيانات ممثلى الشعب ، والبلاغات الحربية ، ونصوص القوانين والتنظيمات ، والماجريات القضائية ، والاتفاقيات الدولية ، والموضوعات الاخبارية ، وغيرها مما لم يكن للعربية عهد به من قبل . واقتضى عرض هذه الموضوعات استخدام أساليب جديدة فى التعبير عرفت بها اللغة الفرنسية ، وبخاصة فى مجال الاعلام . ولكن لم تكن أقلام كتاب العربية قد جرت بمثلها بعد . ويضاعف ذلك ولا شك من صعوبة المهمة .

خامسا : ان كتابات مثقفى المصريين فى ذلك العصر لم تكن تخلو من كثير مما أخذناه على منشورات الحملة من ركافة وأخطاء ، بالرغم من ضيق دائرتها وقلة ما طرقت من موضوعات . فكتابات الجبرتي مثلا ، وهى انموذج فذ للغة العصر ، وصاحبها - ولا شك - فى طليعة مثقفيه ، تشيع فيها كمنشورات الحملة أخطاء النحو واللغة ، فضلا عن ضعف أسلوبها واقتربها من لغة العامة فى كثير من الأحيان . هذا بالرغم من ان الجبرتي كان يتخلى فى بعض المواقف عن أسلوب السرد التقريرى الذى ألف أتباعه فى كتاباته التاريخية ، ليترسل متأنقا فى وصف أو مدح أو رثاء ، مستخدما - على سنة عصره - مختلف المحسنات اللفظية . ويتضح ذلك بوجه خاص فى كتابات الجبرتي المخطوطة . أما تاريخه المطبوع «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» ، وكذلك كتابه «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين» ، فقد تلاقى من قاموا بإعدادهما ونشرهما ( بعد وفاة صاحبهما ) معظم تلك الأخطاء . وهذا مثال من أحد الأصول الخطية لما كتب الجبرتي :

« ٠٠ ومن الحوادث ان فى يوم الاحد عشر المحرم ( عام ١٢١٣ ) وردت مكاتبات ٠٠ ان فى يوم الخميس ثامنه حضر الى ثغر سكوندرية عشر

مراكب من مراكب الفرنج ووقفوا على البعد بحيث يرونهم أهل النهر وبعد قليل حضر أيضا خمسة عشر مركبا ٠٠ فانظروا أهل النهر قاصدهم وإذا بقيت ( أى مركب ) وأصل منه ( ؟ ) عندهم به عشرة أنفار فوصلوا إلى البر فكلهمهم أهل البلد واستخبروهم عن أنفسهم فأخبروا أنهم انكيز حضروا للسؤال عن الفرنسيين فقالوا لهم لم يكن عندنا إلا المستوطنين بالثغر ٠٠ ثم فى ثالث يوم حضرت أيضا مكاتبات بأن المراكب غابوا عن أعينهم فاطمأنت الناس وبطلت القالة ٠٠ فلما كان يوم الاربعاء عشرين المحرم وردت الاخبار والمكاتبات من نهر الاسكندرية ورشيد ودمهور بأن فى يوم الاثنين ثامن عشره لم يشعروا أهل النهر إلا والفرنج ومراكبهم عند العجمي وواحين على البلد ٠٠ ، ( شكل ١٠١ ) ( ١ ) .

وتضم وثائق الحملة ومحفولاتها كذلك كثيرا من رسائل المصريين ، وبخاصة كبارهم ، إلى الحكام . وهى تقدم لنا صورة دقيقة لمستوى الكتابة العربية فى ذلك الوقت ، وما كانت تتسم به من هبوط وتخلف .

وهذا مثال من تلك المراسلات ، وهو كتاب مرسل من « الديوان الخصوصى » إلى الجنرال دوجا نائب القائد العام ( كليبر ) بالقاهرة . وقد وقع عليه الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدي والسيد خليل البكرى . ونص هذا الكتاب ، بأخطائه التى لا تخفى ، فضلا عن أسلوبه الركيك الفج ، هو :

« من محفل الديوان الخصوصى بمصر خطابا إلى حضرة صارى عسكر دجا قايمقام مصر حالا ، أجرى الله على يديه الخير آمين . أما بعد الدعا لكم بخير إن المرحوم مصطفى أغات الشراكسة ابن المرحوم مصطفى أغات الشراكسة مات قبل دخول الجمهور بمدة وعليه ديون كثيرة ومخلفاته شىي يسير لم يكفى فى الديون وله من جملة مخلفاته بيت بحارة عابدين مراد الورثة يبيعوا البيت المذكور لأجل يحطوا حقه فى الديون والآن سكنوا فى البيت جماعة من عسكركم فلما سكنوا فيه لم بقى أحدا يتجسر على شراية البيت القصدمن حضرتم سكنت العسكر فى بيت آخر لأجل بيع

( ١ ) من مخطوطة بعنوان « تاريخ مدة الفرنسيين بمصر من سنة ١٢١٣ إلى سنة ١٢١٦ » محفوظة بمكتبة ليند هولندا ، وهى بخط الجبرتي نفسه . ويتضح من فحص مضمونها أنها استخدمت فى أعداد مادة كل من كتابى الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، و « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين » . وهذه الصورة مهداة من الزميل الدكتور مارسدن جونز استاذ الدراسات العربية بالجامعة الامريكية بالقاهرة ، الذى يقطع بأن تلك المخطوطة أقدم مخطوطات تاريخ الجبرتي على الاطلاق .

البيت وخلص ديون الميت وأنتم تحبوا السعى في الخير ودمتم بخير  
(شكل ١٠٢) (١) .

وهذا مثال آخر يضم مقتطفات من كتاب أرسله مراد بك حاكم  
الصعيد الأعلى الى منو عقب مصرع سلفه كليبر . وقد حرره له بالطبع  
بعض مستشاريه ممن كانوا يجيدون مثل هذا العمل . لأن مراد بك ،  
مثل سائر المماليك ، لم يكن يحسن العربية .

« ان سألتم عننا فأننا طيبين بخير ولم نسأل الا عنكم . . وعرفتونا  
بما حصل الى حضرة محبنا العزيز صاري عسكر كليبر وهذا أمر الله  
تعالى لم أحدا بيده حيلة . . والذي سلط على قتل مثل واحد كبير زى  
ده . . يبقا خاين وقليل المروه . . وكل أحدا جزائه على الله تعالى وذكر توا  
لنا فى جوابكم ان الجمهور سلموا لكم كامل الأمر والحكم وحصل لنا  
غايث الفرح والسرور لأن سابق تلقينا منكم الأخبار الطيبة . . الناس  
جميعا يمدحوكم بكل خير واحنا الآخرين حصل لنا فرح بذلك وزاد حبنا  
لطرفكم . . واننا على المحبة والشروط على ما هو عليه حكم الاول وانشاء  
الله تعالى تزيد المحبة والتوفيق . . وحضرتكم تتحملونا وتقبلوا عذرنا فى  
سنة تاريخه لأن حاصل لنا تعب من قبل المعاش والامر الى الله تعالى والى  
حضرتكم السعيدة » (٢) .

**سادسا :** ان بعض ما عرضنا له من أخطاء فى المنشورات ما زال -  
ويا للأسف ! - ملحوظا اليوم فى وسائل الاعلام العربية عندنا ، بعد أكثر  
من مائة وسبعين عاما تفصل بيننا وبين عهد الحملة الفرنسية ، وبعد  
الشوط الطويل الذى قطعناه فى تطورنا الثقافى والقوى .

**سابعا :** ان مترجمى المنشورات وفقوا الى استخدام عدة مصطلحات  
ومسميات عربية ، اشتقوا بعضها من أصول قديمة ليختص بمعان  
مستحدثة ، ونحتوا بعضها الآخر ، أو أنشأوه انشاء . وبعض هذه  
المسميات انحدر إلينا منهم فاستخدمناه كما هو أو طورناه ، وبعضها

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ، وهو  
بتاريخ ١٣ رجب ١٢١٤ (يوافق ١٧ ديسمبر ١٧٩٩) . وقد وقع مع الزعماء المصريين على  
هذا الكتاب - تضامنا وتأيدا - الأعضاء الاجانب الثلاثة ، مع أنهم بالطبع لم يشتركوا  
فى صياغته . وتضح من صورة الكتاب أنه ترجم الى الفرنسية لعرضه على الجنرال  
دوجا .

(٢) راجع ص ٧٠ وشكل ٢٧ .

الآخر وصلنا اليه باجتهادنا بعد ان كانوا سبقونا اليه . وفي الحالتين فان لمحررى المنشورات فضل بدء الخطوات الاولى لاثراء اللغة العربية بتلك الألفاظ والعبارات . ولا شك ان جهود الراحل العظيم رفاعة الطهطاوى ومدرسته فى الترجمة ، وجهود من ساروا بعدهم على هذا الدرب على امتداد اكثر من قرن ، بل جهود المحدثين من حملة لواء الترجمة فى وسائل الاعلام المعاصرة بالذات ، وما أثمرته كل تلك الجهود من نتائج أضافت الى العربية الكثير ، لم تكن سوى استمرار لتلك البداية الخافتة لمحررى منشورات الحملة . ومن أمثلة ما حققه أولئك المترجمون فى هذا الصدد :

— جمهور (ترجمة لكلمة (république) ، وقد أضيفت اليها ياء النسب وأنتت فيما بعد) — حرية ، تسوية ( شعارا الثورة الفرنسية. وقد طور ثاى اللفظين فيما بعد الى «مساواة») — كاتم السر (ترجمة لكلمة (secrétaire) — أمين الصندوق (ترجمة لكلمة (caissier) — قائمة ( بمعنى ورقة تقييد بها الأسماء والأشياء فى صف قائم ) — محكمة — محاكمة — مبادئ ( بمعنى القواعد الأساسية ) — الدعاوى المدنية — مداولة — وكيل الجمهور ( التى طورت فيما بعد الى « ممثل الادعاء » ) — اقتراح — انتخاب ( فى مجال الممارسة الديموقراطية ) — النشر (بمعنى الطبع أو الاستنساخ، والاذاعة بين الناس، ترجمة للمصدر (publier «) — مادة (article) — شركة (compagnie) بالجملة والتقطيع ( هذا المصطلح التجارى أقرب الى الصواب بصيغته هذه من الصيغة التى طور اليها والتى تستخدم الآن « بالجملة والقطاعي » — مزاد — مليون ( ألف ألف ) — صلب ( بمعنى الفولاذ ) — قزدير ( عدلت فيما بعد الى « قصدير » ) — فلين — أم ( ترجمة لكلمة matrice بمعنى القالب الذى يسبك عليه حرف طباعة أو خاتم دمغة المصوغات مثلا ) .

ومحصلة هذا كله ان محررى المنشورات العربية ، بالرغم مما وقعوا فيه من أخطاء ، قد قاموا بانجاز كبير وضعوا به فى أرض اللغة العربية حجر الأساس لمجال جديد متعدد الجوانب فى التعبير ، وفتحو به طاقة أضاعت لهذه اللغة معالم طريق طويل انتهجته بعد ذلك وتطورت فيه عبر عدة مراحل ، حتى غدت تناظر غيرها من اللغات الحية .

ولم تقتصر عملية تحرير المنشورات العربية على مجرد ترجمة أصولها الفرنسية بألفاظها ومعانيها وعباراتها وقولها كما هى الى

العربية • وإنما كانت هذه المنشورات تمر أحيانا بمرحلة أخرى ، يعهد فيها الى بعض المتكئين من اللغة العربية بصياغة عباراتها من جديد ، لتكون أقرب الى الاسلوب الأدبى المتأنق الذى يرضى أذواق قراء ذلك العهد •

وعملية اعادة الصياغة (re-writing) من العمليات التحريرية الأساسية فى الحقل الاعلامى الحديث • وهى تمتد الى كثير من مواد الصحف بالذات ، مع تفاوت فى مدى التدخل الصياغى ، تطبيقا لقواعد معينة تختلف باختلاف المادة المحررة (١) •

غير انه يلاحظ انه لم يخضع لهذه العملية الا بعض منشورات الحملة وبخاصة فى عهد بونايرت • ومعظمها من المنشورات التى صدرت على لسان زعماء الشعب ، أو كانت تذيب رسائل من قادة الحملة اليهم •

وتدل بعض المراجع على ان بونايرت نفسه هو الذى كان يشير باعادة صياغة تلك المنشورات • ولعله كان يعتقد ان ذلك أنسب لطبيعة مضموناتها « الساخنة » من ناحية ، ولصدورها على لسان ممثل الشعب أو توجيهها اليهم من ناحية أخرى • فقد جاء فى رسالة منه الى الجنرال بوسيلج مدير الشؤون المالية لحكومة الحملة ، بعث بها اليه من يافا فى أثناء حصاره لها (٢) : « عليكم أن تأمروا بطبع كل المنشورات التى يبعث بها فانور ( المستشرق المترجم المصاحب لحملة سوريا ) الى الديوان ، وأن تضيفوا اليها المحسنات والتنميقات التى يرى الشيخ المهدي ادخالها عليها ، وأن تنشروها فى أنحاء البلاد » (٣) • والواقع أن القائد الشاب كان شديد الإعجاب بالشيخ المهدي ، وقد امتدحه كثيرا فقال عنه فى

---

(١) اعادة الصياغة من أهم أعمال قسم المراجعة أو « المطبخ الصحفى » كما يطلق عليه أحيانا ، وهو من أبرز أقسام الصحيفة • وقد اتسع مفهومه فلم يعد اختصاصه مقصورا على الجانب اللغوى وحده ، وإنما أصبح يتعدى ذلك الى طريقة بناء الموضوع واختيار عنوانه والتحقق من صحة ما يتضمنه من معلومات • وتغير صورة هذا القسم من صحيفة لآخرى ، حسب نظام توزيع العمل التحريرى بها ، غير أنه يضم عادة فى الصحف المتقدمة نخبة من كبار المحررين ذوى الخبرة والثقافة •

(٢) بتاريخ ٢٠ فتوز سنة ٧ ( ١٠ مارس ١٧٩٩ ) • انظر : **مواصلات نابليون** ، ج ٥ وثيقة ٤٠٢٨ •

(٣) كان المنشور الذى أذيع على لسان العلماء بنبا الاستيلاء على يافا أحد هذه المنشورات التى تناولتها عملية اعادة الصياغة ، كما سنرى •

مذكراته (١) « انه اذكى علماء الأزهر وأفصحهم لسانا وأكثرهم علما وأصغرهم سنا » .

وقد أشار الجبرني في أكثر من موضع الى أن بعض المنشورات كانت تعاد صياغتها دون أن يحدد من قاموا بهذا العمل . فقال في تقديمه لنص المنشور الذي صدر على لسان الديوان ليذيع نبأ استيلاء الفرنسيين على يافا (٢) : « حضر عدة من الفرنسيين . . وأخبروا أن الفرنسيين ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من ساري عسكرهم بالأخبار عما وقع فلما كان يوم الخميس واجتمع أرباب الديوان فقرأ عليهم المراسلة بعد تعريبها وتوصيفها على هذه الكيفية وهي على لسان رؤساء الديوان الى الكافة . . » .

وقال الجبرني كذلك عن المنشور الذي أصدره « محفل الديوان الخصوصي » ، بعد عودة بونابرت على رأس حملته السورية الى مصر : « كتبوا أوراقا وطبعوها وألصقوها بالأسواق وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا وهي من ترصيف وتتميق بعض الفصحاء وصورتها . . » .

وهذه نماذج من تلك المنشورات « المنمقة » ، ويلاحظ فيها استخدام السجع وغيره من المحسنات اللفظية ، والاسراف في ذلك أحيانا الى حد التضحية بقواعد النحو (٣) : من منشور علماء الأزهر ، الذي أذيع عقب ثورة القاهرة الأولى على أقاليم مصر كافة : « . . وقد قبل ( بونابرت ) شفاعتنا لأنه رجل كامل العقل عنده شفقة ورحمة للمسلمين ، وحب للفقراء والمساكين ، ولولاه لهلك أهل مصر أجمعين ، فأنتم لا تحرثوا الفتن لتكونوا في أوطانكم مطمئنين ، ولا تطيعوا أمر المفسدين ، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تكونوا مع الخاسرين . . » .

✽ من منشور علماء الأزهر أيضا ، الذي أصدر بعد ذلك بأيام لتحذير المصريين من الاستماع الى دعاية الممالك : « . . فننصحكم أيها الأقاليم المصرية ، انكم لا تحرثوا الفتن ولا الشُرور بين البرية ،

(١) الرافعي ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٣٢١ - ٣ ، نقلا عن مذكرات نابليون التي أملاها على الجنرال برتران (Bertrand) في منفاه الأخير بجزيرة سانت هيلانة .

(٢) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٩ ، وقد سبق الحديث عن هذا المنشور ، انظر صفحة ١٣١ .

(٣) استخدمنا في عبارات هذه النماذج بعض علامات الترفيم ، دون أن تكون موجودة في الاصل ، وذلك لكي يكون السجع وغيره فيها أكثر وضوحا .

ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية ، بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية . ولا تسمعوا كلام المفسدين ، ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . لأن حضرة صارى عسكر الكبير اتفق معنا على انه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المفارم . ولا تعلقوا آمالكم بإبراهيم ومراد ، وارجعوا الى مولاكم مالك الملك وخالق العباد . »

✽ من منشور الديوان الخصوصى الى الشعب بمناسبة إعادة الديوان فى صورته الجديدة أيام بونابرت : « حضرة صارى عسكر . . أمير الجيوش الفرنساوية ، وفقه الله لكل خير فى البكرة والعشية ، صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية ، بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية ، من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ، . . وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قايد أغا بالأزبكية . ورتبه من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخابهم بموجب فرمان ، وذلك لأجل حصول الراحة لأهل مصر . . وتنظيمها على أكمل نظام واتقان . . » ويختم المنشور بهذه العبارات : « رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم ، ومن كان له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم . الا من كان له دعوة ( دعوى ) شرعية ، فليتوجه الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية ، بخط السكرية ، والسلام على أفضل رسل الدوام . »

✽ من منشور العلماء الذى يتضمن بلاغ الاستيلاء على يافا : « . . وصلت مقدمات الفرنساوية ، الى بندر يافا من الأراضى الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية . وأرسلوا الى حاكمها وكيل الجزائر ، أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل بهم وبعسكرهم الدمار . فمن خشانة رأيه وسوء تدبيره ، سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب . . وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة للمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزائر فى وبال وتنكيس . وفى وقت الظهر من هذا اليوم ، انخرق صور ( سور ) يافا وارتج له القوم ، ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع ، من شدة النار ولا راد لقضاء الله ولا مدافع . . »

✽ من منشور العلماء الذى صوروا به موقف القوات الفرنسية



المحاصرة لعكا : « ٠٠ الجبل عندنا كثيرة ، والذخائر والمأكّل والمشارب والخيرات غزيرة ٠٠ عند وصول كتابنا ، وقبل اتمام قراءته عليكم ، نكون ظافرين ، بملك قلعة عكا أجمعين ٠٠ فانهم لنا طائعون ، وبالاغتناء ومزيد المحبة راغبون ، يأتوننا بكل خير عظيم ، ويحضرون لنا أفواجا أفواجا بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم ، من القلب السليم ٠٠ » .

✽ من المنشور الذى يتضمن رسالة بونابرت الى أعضاء الديوان من معسكر الرحمانية : « ٠٠ ان الله الواحد ، هو الرحمن الرحيم المساعده المعين المقوى للعادلين الموحدين ، المبدد المالحق رؤى الفاسدين المشركين . وقد سبق فى علمه القديم ، وقضائه (قضائه) العظيم ، وتقديره المستقيم ، انه أعطانى هذا الاقليم العظيم ٠٠ ونحن المعتقدون وحدانية الله ونعرف انه العزيز القادر ، القوى القاهر ، المدبر الكائنات ، والمحيط علمه بالأرضين والسموات ، وإل قائم بأمر المخلوقات . هذا ما فى الآيات ، وفى الكتب المنزلات ٠٠ » .

✽ من منشور كليبر الى ممثلى الشعب من أعضاء ديوان القاهرة ودواوين الأقاليم : « ٠٠ فى مدتنا لم تعرفوا لنا مظلمة قهرية ، فأنتم الذين توكلتم بالخصوص فى أمور الرعية ، القاطنين بالديار المصرية ، توسطتم بين الفرنساوية والرعية ، لأجل تمشية القوانين القديمة المصرية ، فى ساير بلادكم ، من غير تغيير عوايدكم ونظامكم ٠٠ » .

✽ من منشور الجنرال بليار نائب منو الى أهالى القاهرة فى أواخر أيام الحملة : « ٠٠ لم ينقص عليكم شئ من مؤنثكم ، ولم أتأخر عن معونتكم ، فى تحصيل ما تحتاجون اليه من أصناف الأقوات ، واللوازم والمهمات ، على قدر جهدى فى هذه الأوقات ٠٠ » .

غير اننا نلاحظ ان منشورات قليلة من عهد منو بالذات كانت محكمة البناء جيدة الصياغة ، قليلة الأخطاء الى حد كبير ، بعيدة عن ذلك البهرج اللفظى ، وان كانت لا تخلو أحيانا من سجع مقبول . ومعنى هذا ان تلك المنشورات قد خضعت لعملية « تحرير » متأنية لتعديل أسلوب التعبير عن مضمونها ، حتى لا يكون مجرد ترجمة لفظية فجأة ، وحتى يغدو أيسر فهما واستيعابا . وربما كان ذلك قد حدث فى أثناء عملية الترجمة ذاتها ، بمعنى ان مترجم تلك المنشورات حرص عند نقله لنصوصها الى العربية على أن يوجه عنايته فى الوقت نفسه الى « القالب » الذى يصوغ فيه المضمون . وهذه الصورة المثلى للترجمة كما نعرفها

في صحافتنا المعاصرة • غير ان الأرجح أن تكون عملية « التحرير » هذه قد تمت على أيدي بعض مثقفي المصريين ، ممن استعان بهم الجهاز الفرنسي الحاكم ، اذ أن مترجمي الحملة - كما نعلم - لم يكونوا على قدر كبير من التمكن من اللغة العربية •

ومن المحتمل كثيرا أن يكون من قام بهذا العمل هو الشيخ اسماعيل الخشاب ، الذي نعرف عنه اجادته لصناعة الانشاء ، ونعرف أيضا انه تولى بديوان القاهرة في عهد منو بعض الأعمال التحريرية • وكان هو الذي رشحه هذا القائد لرياسة تحرير صحيفة « التنبيه » العربية التي لم يقدر لها الظهور (١) •

وهذه بعض نماذج من تلك المنشورات :

✽ من المنشور الذي أذاع المرسوم الخاص بتكوين ديوان القاهرة ، وتفصيلات النظام القضائي الجديد للبلاد • ويلاحظ ان الخشاب كان أحد « المصادقين » على هذا المرسوم ، باعتباره « كاتب الخزانة السرية » ، مع كل من فورييه وكيل الديوان والقس رافايل (روفائيل) « باش ترجمان الديوان » :

« الشرط الرابع عشر : وكل واحد من أهالي مصر اذا شاع عنه الخبر انه ارتكب اثم القتل أو ضر أحدًا أو سرق شيئًا من السكان فيقبض حالا عليه من الحاكم المتصرف بالأحكام العمومية والحكم عليه يبرز (يصدر) على موجب نص الأحكام الشرعية في مثل هذه الذنوب وذلك بشرع البلد ... » •

الشرط الثامن عشر : فاذا حدث ان أحد الفريقين المتخاصمين يريد أن يستغيث (يستأنف) ضد حكم برز (صدر) من أحد القضاة أن كان ذلك فيما يلاحظ المدنى أم ما يلاحظ الجرائم ، فالمستغيث وقتئذ يقدم عرض حاله للديوان ، والمذكور له في ذلك فسحة ستة أيام ... » •

✽ من المنشور الذي صدر في عهد منو ، متضمنًا صورة الفرمان الخاص بتولية مشايخ البلاد الجدد لمدة عام : « ... وله ( لشيخ البلد ) ما جرت به العادة وطاعة فلاحين الناحية له والامثال لأمره وعليه الامثال والطاعة لأمر النظار المدبرين ... فانهما يأمران بأمرنا على يد الوكيل المقيد بالأقاليم • ومن خالف أمرهما وتديرهما وخرج عن طاعتها فلا يرى منا

(١) راجع ص ٨١ - ٨٢ •

الا ما يليق به من شديد العقاب • فلأزم على شيخ البلد الذى يتقرر ان ينادى فى بلده بهذا فرمان لأجل أن يسمع أهل بلده ويعلموا أنه صار شيخا عليهم مقررًا من حضرة صارى عسكر ، وانه لا شيخ عليهم الا الذى بيده هذا فرمان » •

✽ ومن هذا القبيل ، وبأسلوب نفسه تقريبًا ، كانت عبارات المنشورات الممانلة التى تتضمن صور فرمانات الخاصة بتعيين الصياف والكيلين والقبانية ، التى سبقت الإشارة إليها •

✽ من منشور الجنرال بليار الى أهالى العاصمة فى أواخر أيام الحملة :  
« ..... وأنتم تجهلون الحروب والى الآن ما رأيتم شيئًا من خرابها • فأوصيكم كما يوصى الأب أولاده المحبوبين عنده الا تخرجوا عن طريق الاستقامة وكونوا حافظين لأولادكم وحريمكم ..... بملازمة الطاعة والمحبة واعزموا عزمًا ثابتًا على خلوص النية وطاعة حكامكم لأن فى ذلك حفظ أرواحكم وأموالكم وأعراضكم • ولا تهلكوا أنفسكم بالمخالفة ونحن نحقق لكم اننا نكون دائمًا منتبهين لكم وأننا نعمل غاية جهدنا فى راحتكم وسروركم مادمتم منقادين الى جمهور الفرنساوية ..... » • فاسلكوا طريق العقلاء وتدبروا عواقب الأمور لتعيشوا تحت حماية الجمهور فى ظل الأمان وراحة السر • ويكون ذلك نتيجة سكوتكم وثمرة امتثالكم • وقد بذلت لكم النصيحة والله تعالى يرشدكم بما فيه صلاح أحوالكم فكونوا صابرين لحكمه منتظرين أمره معتمدين عليه جلال جلالة .. »

ويلاحظ من ناحية أخرى ان استخدام التعبيرات والألفاظ العامية كان أمرًا مألوفًا فى المنشورات التى تتناول شئون الحياة العادية • فهذه المنشورات كانت تخاطب المواطن المصرى العادى فيما يتصل بقوت يومه ، أو بما تفرضه عليه السلطات من تكاليف أو تلزمه به من اجراءات ، أو تنبيه الى عدم الوقوع فيه من محظورات ، أو ما الى ذلك • ولذا كان من المناسب ، بالنظر الى ظروف تلك الأيام ، أن يلجأ محررو هذا النوع من المنشورات الى عرض مادتها بأسلوب يسهل على سواد الشعب استيعابه •

وفى هذا مجال للمقارنة بين منشورات الحملة وصحيفة « الوقائع المصرية » • فبالرغم مما عرضنا له من أخطاء المنشورات ، فقد كانت من حيث أسلوب الخطاب ، فضلا عن طريقة عرضها وتوزيعها ، أقرب الى ما ينبغى لوسيلة أعلام عامة • انها ، بتنوع هذا الأسلوب تبعًا لتنوع

الموضوع ، وبتفاوته بين الخطابي المنمق والتقريرى الجامد والبسيط  
الدارج ، استطاعت أن تنقل مضمونها الى مختلف طوائف الشعب من  
قادة وعامة ، من متعلمين وأمينين ، من قارئين ومستمعين .

هذا بينما كانت « الوقائع » فى سنواتها الاولى ، من حيث لغتها  
« الرسمية » وأسلوب تحريرها « الديوانى » ، فضلا عن ضيق دائرة  
توزيعها ، لا تخاطب الا القلة الممتازة من القارئ المتعلمين .

أى ان المنشورات ، مع ما تمثله من مرحلة صحفية بدائية ، حققت  
لرسالتها الاعلامية من الشيوخ والشمول ما لم تحققه « الوقائع » ، أولى  
الصحف المصرية الكاملة المقومات ، بعد أكثر من ربع قرن من الزمان .

## الفصل الثاني

### التبوغرافيا والإخراج

استخدمت الحملة الفرنسية في طبع ما أصدرته للمصريين من منشورات عربية ، وما أصدرته للفرنسيين وغيرهم من منشورات فرنسية ، بل وما طبعته من كتب وتقارير سبقت الإشارة إليها ورقا خشنا غليظا ، ولكنه في الحقيقة لا يكاد يختلف عن ورق الصحف الأوروبية التي كانت تصدر في ذلك الوقت ، والتي مازالت مجموعات محفوظة بالمكتبات العامة . ويلاحظ من ناحية أخرى أن الورق الذي استخدمته المطابع الرسمية للحملة هو نفسه الذي كانت تستخدمه مطبعة مارك أوريل الخاصة .

(١) اختار الكاتب - منذ سنوات - هذا التعريف لمصطلح « Typography » في الانجليزية ، وما يقابله من صيغ مماثلة في اللغات الأوروبية الأخرى . وهو يعنى فن الهيئات المطبوعة ، أى كل ما يتصل بالحروف والخطوط والصور وما إليها ، مما تبصمه المطبعة على صفحات الورق . والاصل مشتق من كلمة « Type » التى تطلق على حرف الطباعة ، من حيث هو جسم معدنى أو خشبى ، يعلوه شكل حرف أو أكثر أو جزء من حرف أو علامة ترقيم أو ما إلى ذلك ، كما تطلق الكلمة نفسها على مجوع هذه الحروف والأشكال . ويمكن الاشتقاق من المصطلح العربى - تماما كمثيله الانجليزى أو الفرنسى - ليقال «التبوغرافيون» و «العناصر التبوغرافية» ، وهكذا ، ومن الواضح أن صيغة التعريب هنا مألوقة فى العربية ، التى تضم مصطلحات مماثلة «مشابهة» مثل : الجغرافيا ، والتبوغرافيا ، والأوقيانوغرافيا ، وغيرهما .

ويقول بعض الباحثين ، دون أن يؤيد قوله بدليل واضح (١) ، ان بعض العلماء الفرنسيين الذين كانوا يصاحبون الحملة ، استطاعوا ان يصنعوا الورق في مصر بكميات كبيرة ، مستعينين بالقطن ولب بعض الاشجار . وقد يكون ذلك صحيحا ، غير انه من العسير ان يلاحظ الباحث أية فروق بين الورق الذي بدأت مطابع الحملة تستخدمه في اول عهدها ، وبين الورق الذي استخدم في طبع ما صدر من منشورات وغيرها بعد استقرار الحملة او في اواخر أيامها . فاذا كان علماء الحملة قد نجحوا حقا في صنع الورق بمصر ، وهو ما لم يتأيد بدليل او شاهد قوي ، فمن المحتمل ان الورق الناتج عن هذه التجارب قد استخدم في افراض اخرى غير الطباعة .

اما الحبر فالأرجح ان يكون الفرنسيون قد صنعوه بالفعل في مصر ، كما يقول « تايغير » الذي ارخ للمارسيل مستشرق الحملة وطابعها المعروف (٢) . فقد أكد هذا الباحث أن مارسيل استطاع أن يستعيز عن المواد التي كانت تستخدم حينذاك في صناعة الحبر بمواد محلية عولجت بمهارة .

وواضح ان الحبر ايسر صنعا من الورق ، فضلا عن ان انتاجه في مصر قديم قدم الكتابة نفسها . ولا شك ان تطوير صناعة حبر الكتابة في مصر ، الذي يعتمد انتاجه اساسا على مادة السناج ، بحيث يصلح لتحقيق افراض الطباعة المسطحة البسيطة وقتئذ ، لم يكن بالأمر العسير على رجل له مثل خبرة مارسيل ومن كانوا يعاونونه في العمل بمطابع الحملة .

وكان الورق الذي استخدمته مطابع الحملة افرخا تبلغ مساحتها ٣٠ × ٤٢ سنتيمترا تقريبا (١) . ويفحص ما عثر عليه من مختلف مطبوعات الحملة يتبين ان هذه الأفرخ استخدمت بعدة أشكال أنتجت عدة أحجام من المطبوعات :

(١) Wassef, op. cit., p. 87.

(٢) Taillefer, op. cit., pp. 6-7.

انظر كذلك : صابات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٧ .

(٣) هذا المقاس قريب جدا من مقاس «ربع الجايز» المعروف حاليا بمطابعنا ، والذي يبلغ بالضبط ٢٩٠ × ٤١ سنتيمترا . وهو قريب كذلك من مقاس «ربع الاورنيك» الذي تستخدمه المطابع الاميرية بالذات ، والذي يبلغ ٣١٠ × ٤٣ سنتيمترا .

١ - فالفرخ الكامل كان يستخدم فى طبع معظم منشورات الحملة .

٢ - ومضاعفات هذا الفرخ ، التى كان يحصل عليها بلصق اطراف الأفرخ بعضها الى بعض ، كانت تستخدم كذلك فى طبع بعض المنشورات الى تطلبت مادها الطويلة ذلك (١) .

٣ - ونصف الفرخ ( ٢١ × ٣٠ سم ) أو ربعة ( ١٥ × ٢١ سم ) كانا يستخدمان أيضا فى طبع بعض المنشورات ، كما استخدم ثانى هذين الحجمين بالذات فى طبع الكتب والكتيبات ونصوص التقارير التى كانت تصدرها مطابع الحملة من وقت لآخر ، مثل كتيب ديجنت عن مرض الجدري ، والكتاب الذى يضم المستندات الخاصة بقضية مصرع كليبر ، وتقرير كليبر المطول الى حكومة الادارة .

ومن الظواهر التى يلحظها فاحص هذه المنشورات تكرار وجود طبعتين من منشور واحد أحدهما بالحجم الكامل أو مضاعفاته والثانية بحجم أصغر . وهذا يؤيد ما ذكره بعض مؤرخى الحملة ، من أن المنشورات كانت تصدر عادة فى طبعتين ، أحدهما للصق على الجدران فى أركان الطرقات وعلى أبواب المساجد وغيرها ، والثانية للتوزيع على الصفوة القارئة من مشايخ الأزهر ومن اليهم . وهكذا تقوم هذه الظاهرة دليلا تيبوغرافيا ماديا على سياسة معينة انتهجتها سلطات الحملة لكى يصل مضمون اعلامها الى أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب .

وكانت حروف المتن التى استخدمتها مطابع الحملة فى جمع مادة المنشورات العربية ، وهى التى حصل عليها بونابرت من المطبعة القومية بباريس ومطبعة جمعية نشر الدعوة الدينية ( البروباجندا ) بالقائكان، مضممة على قاعدة لا بأس بها من خط النسخ .

ولم يزد ما استطاعت الحملة أن تحصل عليه من مجموعات هذه الحروف على حجم واحد ، هو « بنط ١٦ » (٢) . وقد استخدم

(١) طبعت «نسخ الحائط» من المنشور الذى أصدره منو متضمنا مرسومه الخاص بترتيب النظام القضائى للبلاد مثلا (شكل ٤٨) على أربعة أفرخ لصقت اطراف بعضها الى بعض . فكانت مساحته ١١٦×٤٢ سنتيمترا .

(٢) البنط (Point) هو وحدة قياس حجم الحرف الطبائى ، ويعادل  $\frac{1}{72}$

من البوصة . ويقدر الحجم على أساس طول السطح الذى يتركز عليه وجه الحرف ، وتتراوح أحجام حروف الطباعة عادة بين ٥ ابناط و ١٤٤ بنطا . وقد بدأ تقنين مقياس =

هذا الحجم فى طبع مادة المنشورات وغيرها من مطبوعات الحملة على السواء . ولجأ مخرج المنشورات ، لتعويض نقص أحجام الحروف ، الى استخدام « الكشايد » (١) لاطالة بعض الحروف ، والجداول والفواصل لابرار بعض الكلمات أو العبارات .

أما حروف العناوين ، وقد صممت على قاعدة غير جميلة من خط «الإجازة» الذى يجمع بين النسخ والثلث (٢) ، قلم تكن بدورها تضم سوى حجم واحد ، هو « بنط ٤٨ » . ولذا استعان المخرج بالخط اليدوى (الثلث) فى كتابة العناوين أحيانا لتحقيق ما يريد من إبراز وتنوع .

ويقابل هذا النقص الكبير فى الحروف العربية تعدد وتنوع واضعان فى الحروف الفرنسية التى استخدمت فى طبع المنشورات والأوامر اليومية وصحيفتى « لوكورييه » و « لاديكاد » وتقارير قواد الحملة . فقد تراوحت أحجام هذه الحروف بين « بنط ١٢ » و « بنط ٧٢ » . وكذلك ضمت أطقما من الحروف الرومانية (Roman) والحروف المائلة (Italic) على السواء .

والجدير بالذكر ان اطقم الحروف العربية التى جمعت بها مواد المنشورات وغيرها تضمنت حرفين تغفل أمرهما بعض المطابع العربية فى الوقت الحاضر ، وبخاصة فى مصر ، وهما :

١ - الباء الأخيرة - المتصلة أو المفردة - ذات النقطتين « ي » التى تستخدم متحركة أو فى الكلمات المنقوصة مثل « يمشي » متميزة عن الباء غير المنقوطة «ى» التى تستخدم فى الكلمات المقصورة مثل « عيسى » .

٢ - الباء ذات النقط الثلاث « پ » التى تقابل حرف «p» فى الأبجديات الأوروبية ، لاستخدامها فى جمع كلمات مثل « بوناپرتة » ، و « البابا » .

وكذلك تضمنت الأطقم العربية عددا من الحروف المركبة ، مثل

= الحروف الطباعية فى فرنسا عام ١٧٣٧ بعد أن أدى اختلاف المسابك فى مقاييس الحروف التى تصنعها الى صعوبات طباعية كثيرة . انظر للمؤلف : طباعة الصحف واخراجها ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩ - ٢١ .

(١) جمع « كشيد » وهى كلمة فارسية دخيلة تطلق على الزائدة التى تلحق بنهاية الحرف لاطالته . وأصلها اسم مفعول من الفعل «كشيدن» بمعنى «يسحب» أو «يجر» .  
(٢) هو من أنواع الخط العربى التى ظهرت فى العهد العثماني . ويكاد لا يستخدم الآن .



« لا » ، « فى » « لى » ، « لله » ، « على » ، وعددا آخر من علامات الشكل التى كانت تستخدم أحيانا فى بعض الكلمات ، وبخاصة علامة التضعيف ( الشدة ) وفتحى التنوين . هذا عدا ما أضيف الى الحروف العربية فى صناديق (١) الجمع التركى والفارسى من حروف وعلامات خاصة بهاتين اللغتين مثل « ك » ، « ز »

غير انه يلاحظ من ناحية أخرى ان مجموعات هذه الحروف كانت تفتقر بشكل واضح الى الهمزات ، وبخاصة المفردة منها . ومن هنا فكثيرا ما ظهرت فى المنشورات كلمات مثل « العلماء » ، « الدعاء » ، « الشيء » بدون همزات على الاطلاق . وكذلك جمعت كلمات مثل « دائما » ، « الأئمة » هكذا : « دائما » ، « الأئمة » .

ويلاحظ أيضا ان هذه المجموعات خلت من علامة المد ( ~ ) ، وان حرف القاف الأخير ، المتصل أو المفرد ، فى هذه المجموعات كان مسطحا كحرف الفاء ، فلم تكن له تلك «الكاسة» العميقة المعروفة ، أى «ق» بدلا من « ق » .

وكانت الأرقام العربية من حروف الطباعة التى استخدمت فى كل منشورات الحملة وفى غيرها من المطبوعات كذلك . ولكن هذه الأرقام كانت بدائية التصميم غير جذابة الشكل . وهى اقرب الى الأرقام التى شاع استخدامها فى المخطوطات العربية القديمة ، وكذلك فى الكتب العربية التى نشرها مستشرقو أوروبا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وتختلف هذه الأرقام اختلافا واضحا - كما يرى فى النماذج المصورة من المنشورات - عن الأرقام التى نألفها اليوم فى مطبوعاتنا ، والتى يعود الفضل فى تطويرها الى مطبعة بولاق فى عهد محمد على .

هذا وتحفل المنشورات العربية للحملة ، الى جانب الأخطاء الطباعية العادية ، بأخطاء أخرى يمكن ارجاعها الى سبب واحد ، هو عدم تمكن عمال الجمع العربى من مهمتهم ، وقلة دربتهم على استخدام ما يضمه صندوق الجمع من مختلف أشكال الحروف . وأبرز هذه الأخطاء « الفنية » :

١ - استعمال حرف طباعى يضم لامين بدلا من لام واحدة ، كما فى كلمة « اللحية » ، أو بدلا من أداة التعريف « ال » ، كما فى كلمة « للجيش » .

(١) انظر تعريف مصطلح « الصندوق » ، ص ٢٦ ، هامش ٣ .

٢ - استعمال الباء الوسطى « ب » بدلا من الباء الاستهلاكية « ب » ،  
وميلها التاء والتاء والياء والحاء والخاء ، كما يحدث فى جمع كلمات مثل  
« صريح » ، « تأخذ » ، « طريبي » .

« لا » المتصلة ، و « لا » المنفصلة ، كل منهما مكان الآخر كما فى كلمتى  
« لا » ، « العقلا » .

٣ - الاضطراب فى استخدام حرف « اللام ألف » بشكليه المختلفين  
٤ - تقسيم الكلمة الواحدة بين نهاية سطر وبداية السطر التالى  
له ، كما فى كلمة « الما / ليك » . ولا شك أن هذا يرجع الى التأثر  
بما هو متبع فى جمع الكلمات الفرنسية وغيرها من اللغات الأوروبية .  
وقد شاعت مثل هذه الأخطاء فى المنشورات الأولى للحملة ، ولكن كثيرا  
منها اختفى بعد عهد بونابرت .

واستخدم فى اعداد صفحات المنشورات عدد من الجداول ( ١ )  
المتعددة الأشكال ، فمنها المفرد والمزدوج والمزخرف ، وذلك للفصل بين  
رأس الصفحة وجسمها ، وبين الأنهر ( الأعمدة ) بعضها وبعض ، وفى  
قاع الصفحة ، وأحيانا لاحاطة مادة الصفحة كلها باطار كامل أو مفتوح  
من أحد جوانبه ( راجع مثلا الأشكال ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ،  
٤٥ ، ٩٥ ) . وكذلك استخدم عدد من الفواصل المستقيمة والزخرفية  
فى رهوس المنشورات وبين فقراتها . واستخدمت فواصل النجوم  
الصغيرة أحيانا حول العناوين الفرعية ، وفى بدايات الفقرات أو نهايتها ،  
لابرازها ( راجع الأشكال ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٣ ، ٥٦ ) .



وكان اخراج المنشورات بسيطا يناسب خصائصها الى حد بعيد .  
فلم تكن هذه المنشورات تتضمن عادة أكثر من موضوع واحد ، وكذلك  
لم يتجاوز صفحة واحدة . ومن ناحية أخرى فان الطبعة الرئيسية من  
هذه المنشورات كانت - بطريقة عرضها - تمثل نوعا من صحف الحائط  
التي تتطلب أكبر قدر من الوضوح والبساطة .

اعتمد هذا الاخراج أساسا على تحقيق أبسط صور التوازن  
الشيكلى الذى تنقسم فيه الصفحة الى قسمين متماثلين . فقد قسمت

(١) هى الخطوط التى تفصل بين مواد الصفحة فصلا كاملا ، وقد تكون طولية  
أو عرضية .

الصفحة في معظم المنشورات الى نهرين يفصل بينهما جدول فد يكون  
حطا مفردا أو مزدوجا أو مكونا من وحداب زخرفية كالنجوم . وإذا  
كانت مادة المنشور عربية خالصة تنابعت سطورها من بداية النهر الأيمن  
الى نهايه . ثم من بداية النهر الثاني الى قاع الصفحة ( راجع السكتين  
٣٣ ، ٣٧ ) .

أما اذا كان المنشور مزدوج اللغة ، أى بالعربية والفرنسية . فإن  
النص العربى كان يحتل عادة النهر الأيمن ، فى حين كان النص الفرنسى  
يطبع فى النهر الأيسر ( راجع الاشكال ٢٤ ، ٤٨ ، ٥٢ ) . غير أن هذا  
الاجراء الذى يتفق وطبيعة كل من اللتين لم يكن مطردا . فأحيانا كان  
يعكس وضع النصين على الصفحة ( راجع الاشكال ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ) .

وقسمت صفحات بعض المنشورات الى ثلاثة أنهر . تنابعت فيها  
المادة من بداية النهر الأيمن الى نهاية النهر الأيسر ( راجع الأشكال ٢٦ ،  
٣٤ ، ٣٦ ، ٤٩ ) . وحققت هذه الصفحات أيضا فكرة التوازن الشكلى . إذ  
انها كانت تنقسم الى نصفين متماثلين ، يفصل بينهما خط وهمى يمر  
بمنتصف النهر الأوسط .

وهناك منشورات أخرى قليلة ، مزدوجة اللغة . فسمت صفحاتها  
الى أربعة أنهر رتبت حسب طبيعة اللغة الفرنسية ، فخصص النهران  
الأول والثالث من اليسار للنص الفرنسى . فى حين ظهرت ترجمته  
العربية متناوبة - من اليسار الى اليمين كذلك - نى العمودين الثانى  
والرابع ( راجع السكتين ٧٦ ، ٨٠ ) . ولم يكن انساع كل من النهرين  
الفرنسيين فى هذه الحالة مساويا لنظيره العربى ، غير أن الصفحة مع  
ذلك احتفظت بتوازنها . إذ أن كل نهرين متجاورين احتلا نصف الصفحة  
تماما .

ويلاحظ أن أكثر المنشورات الخطية التى أصدرها منو ، وهو بعد  
حاكم لاقليم رشيد ، كان ينقسم الى نهرين تفصل بينهما مسافة بيضاء .  
وكان الحبر الأحمر يستخدم بدلا من الأسود فى كتابة بعض الكلمات  
لابرازها أو للفت النظر الى موضعها ، كما فى بداية الفقرات ( راجع  
السكتين ٥٠ ، ٥١ ) .

واهتم المخرج اهتماما واضحا برأس صفحة المنشور ، أو الصفحة  
الأولى منه اذا تعددت صفحاته . وكان العنصر الأساسى فى بناء الرأس

هو العنوان ، أو شعارا يجمع بين الرسم والكتابة ، أو هما معا . وفى حالة بناء الرأس من العنوان وحده اتخذ ذلك صوراً مختلفة :

١ - عنوان عربى فقط ، يتكون من كلمات جمعت حروفها ، أو كتبت بخط اليد ، أو يضم النوعين معا ( راجع الأشكال ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٨ ) .  
ويلاحظ فى هذا الصدد ان المنشورات العربية للحملة سبقت الصحف المصرية باستخدام الخط اليدوى فى العناوين بأكثر من مائة وثلاثين عاما (١) .

٢ - عنوان مزدوج ، عربى وفرنسى ( راجع الأشكال ٥٣ ، ٦٢ ، ٧٧ ) .

٣ - عنوان فرنسى فقط ، قد تظهر ترجمته العربية فى بداية المتن العربى ( راجع الشكلين ٣٥ ، ٨٠ ) . وقد لا تكون له ترجمة ، مثل عبارة « الجمهورية الفرنسية » .  
(REPUBLIQUE FRANÇAISE) التى كونت رأس أحد المنشورات (راجع شكل ٥٥) .

وتكرر استخدام عدد من الشعارات المرسومة ، التى تمثل الجمهورية الفرنسية ، فى رأس كثير من المنشورات العربية . وكان أحد هذه الشعارات يرمز لفرنسا بفتاة تمسك بأحدى يديها صولجانا ، وبالأخرى حزمة من العصى ومعا « بلطة » ( راجع شكل ٣١ ) .

وتغيرت صورة الفتاة - رمز فرنسا - فى شعارات مماثلة ، فظهرت فى أحدها محاطة بأطار من نبات القار ، وفى يديها الصولجان وحزمة العصى والبلطة ، وعلى جانبها عبارة « الجمهورية الفرنسية » . وكان هذا أكثر الشعارات شيوعا ( راجع الأشكال ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٣ ) .

وفى شعار رابع ظهرت الفتاة بالصولجان ومعهما لوحة عليها شعار الثورة الفرنسية (٢) (راجع الشكلين ٥٦ ، ٨٧) .

(١) كانت مجلة «آخر ساعة» وجريدة «المصرى» ، فى الثلاثينيات ، هما أول الصحف المصرية التى استخدمت الخط اليدوى فى كتابة العناوين . هذا وقد استخدمت مطابع الحملة الخط اليدوى ، فى غير المنشورات ، لكتابة بعض عناوين مطبوعاتها الأخرى ، مثل الكتاب الذى تضمن مجموعة المستندات الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبي وشركائه .

(٢) كلمتا : الحرية ، المساواة .

وقد ظهر هذا الشعار بصورة مختلفة كذلك على الصفحات الأولى من مطبوعات الحملة الأخرى مثل الدورية العلمية « لاديكاد اجبسيين » والحوليات والكتيبات . (راجع الأشغال ١٤ ، ١٧ ، ٢٠) .

وهناك شعار آخر لم يظهر في رأس المنشورات ، الا قليلا جدا . وهو لا يحتوى على أكثر من حزمة العصي محاطة بغصنين من الغار ، وفوقها قبة الفتاة رمز فرنسا ( راجع شكل ٨٦ ) .

وجدير بالملاحظة ان المنشورات التي طبعت بمطبعة مارك أوريل ، كان يعلوها عادة شعار ثابت يتكون من القلنسوة الفرنسية التقليدية يحيط بها اكليل من الغار وريشتان (راجع شكل ٢٥) .

على أن أكثر تلك الشعارات المرسومة لفتا للنظر ، هو الشعار الذى ظهر على رأس ملحق لأحد منشورات منو ، تضمن صورة «الفرمان» الذى يعين بمقتضاه كل من مشايخ البلاد الجدد لمدة عام واحد على حصة معينة (راجع شكل ٨٩) . وأهم ما يميز به هذا الشعار الفريد هو بروز الشخصية المصرية فيه لأول مرة بشكل قوى . وهو يتكون من لوحة عليها عبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ، يحيط بها الهرم الأكبر ونخلة وبعض ما يمثل الآثار المصرية القديمة .

غير ان مصمم هذا الشعار لم ينس من ناحية أخرى أن يشير الى السيادة الفرنسية برمز حزمة العصي والبلطة الذى ظهر جزؤه العلوى من خلف اللوحة التى تحمل عبارة التوحيد ( شكل ١٠٣ ) . وجدير بالذكر ان الهرم والنخلة كانا العنصرين الرئيسيين اللذين كونا شعار صحيفة «الوقائع المصرية» بعد ذلك بنحو ثلاثين عاما . وهو الشعار الذى استمرت الصحيفة تستخدمه لعدة سنوات .

واتخذ استخدام الشعار المرسوم - بدوره - أكثر من صورة . فقد استخدم مع العنوان العربى المفرد ( راجع الأشكال ٣٦ ، ٥٤ ، ٥٦ ) أو الفرنسى المفرد ( راجع شكل ٧٣ ) ، أو العنوان المزدوج ( راجع شكل ٣١ ) ، وكان لذلك أيضا عدة « تنويعات » . وأحيانا كان يحيط بالشعار المرسوم عبارة (REPUBLIQUE FRANÇAISE) أو ترجمتها «المشيخة الفرنسية» - الجمهور الفرنسي - ، وأحيانا أخرى كلمتا « Liberté, Egalité » أو ترجمتهما العربية « الحرية ، التسوية » وأحيانا ثالثة عبارة الجمهورية وشعار الثورة الفرنسية معا .

وأيا ما كان شكل الرأس ، وأيا ما كانت العناصر التيبوغرافية التى

استخدمت في بنائه ، فقد حرص المخرج على أن يوفر لهذا الجزء البارز من الصفحة أكبر ندر من الوضوح وجذب الانتباه ، وذلك باستخدام حروف العنوان الكبيرة وإحاطة الشعار والعنوان بمساحات بيضاء كافية ، حتى أن بعض سطور العنوان كانت لا تزيد على كلمة واحدة أو كلمتين .

ومن ناحية أخرى فقد روعي في ترتيب عناصر الرأس أن يحقق مع سائر جسم الصفحة - ذات النصفين المتماثلين - توازنا شكليا متكاملا .  
كان الشعار يتوسط الرأس تماما . وكانت سطور العنوان ، مهما تعددت أو اختلفت أطوالها ، تتوسط عرض الصفحة تماما .

ويفهم مما أشارت إليه فلة من المؤرخين أن المنشورات العربية وغيرها من مطبوعات الحملة الفرنسية كانت تتضمن أحيانا بعض الصور والرسوم . فقد ذكر الجبرتي عند تقديمه لنص منشور يعلن عن بيع خيل مملوكة للحكومة (١) : « ٠٠٠ » وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بالأسواق والأزقة وهي مطبوعة وعليها الصورة ونصها . . » وقال الدكتور إبراهيم عبده كذلك (٢) : « ٠٠ » أن من الأمور الواضحة أن هناك ضمنا بينا في طبع الصور والرسوم التي أخرجتها المطبعات المصرية (٣) ٠٠٠ »

إننا لم نعثر على منشور واحد يتضمن ، مع النص المكتوب ، رسما أو صورة ، وكذلك خلت مجموعتنا «لوكورييه» و «لاديكاد» من أي موضوع تصحبه رسوم . ومع هذا فلا يستبعد أن تكون بعض المنشورات النادرة قد تضمنت بالفعل ذلك العنصر ، كالمنشور الذي أشار إليه الجبرتي ، إذ أن مطابع الحملة كانت مجهزة بما يسمح بمثل هذا الإجراء . لقد رأينا كيف تضمن الرأس في معظم المنشورات رسما مرسوما ، ورأينا كذلك استخدام العناوين الخطية في المنشورات وغيرها . ومن الواضح أن هذه وتلك كانت تطبع من قوالب خشبية محفورة ، وهي الطريقة التي كانت معروفة في مطابع ذلك الوقت لطبع الرسوم وما إليها ، أي قبل اختراع طريقة إعداد اللوحات المعدنية التي تحفر بالحمض ( الزنكوغراف ) ، والتي مازلنا نستخدمها إلى اليوم .

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٣٦ . وقد سبقت الإشارة إلى هذا المنشور ( ص ٢٢ ) .

(٢) تاريخ الطباعة والصحافة ٠٠٠ ، ص ٤٧ .

(٣) يشير إلى مطبعة الحملة الرسمية ومطبعة مارك أوريل .

وهناك احتمال آخر لا ينبغي إغفاله في هذا الصدد ، وهو أن يكون المؤرخان المذكوران قد فُصدا بإشارتيهما رسوم الشعاعات في رهوس المنشورات ، لا غيرها من الرسوم التي يمكن أن نذكر صاحبها للمادة التحريرية . وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نوافق على ملاحظة الدكتور إبراهيم عبده بشأن « الضعف البين » في طبع تلك الرسوم ، إذ يتضح من نماذج المنشورات التي عرضنا لها في هذا البحث أن رسوم الشعاعات كانت متقنة الطبع بارزة المعالم دقيقة التفصيلات إلى حد بعيد .





الأشكال



ALEXANDRIE, DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE

Pour copie conforme.

Le Commandant ordonnateur en chef, signé, SUCY.

Pour copie conforme.

L'Adjudant général GRAZIAN.

الادارة العامة للإمداد والتموين  
في الإسكندرية

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE D'ALEXANDRIE

مكرر رقم (١)

**Coverage da Janela**

— *Elaboración de la matriz de clasificación* (ver 3.3.3.2).  
— *Algoritmo de clasificación* (ver 3.3.3.3).  
— *Algoritmo de clasificación* (ver 3.3.3.4).

Les deux dernières malheurs qui ont assailli  
celle-ci, le divorce, et l'absence d'un mari, de  
l'empêcher de l'accomplir, comme on l'a vu  
dans son histoire, son père, celui de l'au-  
tre, son frère et son fils.

[illegible]

For the purpose of finding  $(\gamma, \epsilon)$ , we can use any method to estimate the parameters of the model. In this paper, we use the maximum likelihood method to estimate the parameters of the model. The maximum likelihood method is a statistical method for estimating the parameters of a statistical model. It is based on the principle of maximum likelihood, which states that the most likely parameter values are those that maximize the likelihood function. The likelihood function is a function of the parameters of the model, and it represents the probability of observing the data given the parameters. The maximum likelihood method involves finding the parameter values that maximize the likelihood function. This can be done using various optimization techniques, such as the Newton-Raphson method or the expectation-maximization algorithm. In this paper, we use the Newton-Raphson method to find the maximum likelihood estimates of the parameters of the model.

(continued) *Journal of Management Education* 35(1) 10-20

[illegible]

Die beiden ersten Gleichungen stellen die Bilanzierung der Pflicht zu weiterer Ausbildung dar, die sowohl die *Leistungsbereitschaft* als auch die *Leistungsfähigkeit* der Arbeitsnehmerinvolviert. Die dritte Gleichung stellt die Bilanzierung der *Leistungsbereitschaft* dar, die die *Leistungsfähigkeit* der Arbeitsnehmerinvolviert. Die vierte Gleichung stellt die Bilanzierung der *Leistungsfähigkeit* dar, die die *Leistungsbereitschaft* der Arbeitsnehmerinvolviert.

Les différents avantages économiques offerts dans ces quatre différents secteurs de la géographie ont permis de voir la mise en place d'activités de valeur ajoutée.

1. The first part of the paper is devoted to a review of the literature on the effects of the 1973 oil price shock on the U.S. economy. The second part of the paper discusses the effects of the 1973 oil price shock on the U.S. economy. The third part of the paper discusses the effects of the 1973 oil price shock on the U.S. economy. The fourth part of the paper discusses the effects of the 1973 oil price shock on the U.S. economy. The fifth part of the paper discusses the effects of the 1973 oil price shock on the U.S. economy. The sixth part of the paper discusses the effects of the 1973 oil price shock on the U.S. economy. The seventh part of the paper discusses the effects of the 1973 oil price shock on the U.S. economy. The eighth part of the paper discusses the effects of the 1973 oil price shock on the U.S. economy. The ninth part of the paper discusses the effects of the 1973 oil price shock on the U.S. economy. The tenth part of the paper discusses the effects of the 1973 oil price shock on the U.S. economy.

1883

[illegible]

...the ... of ...

L A F R A N C E  
 VOUEZ-VOUS A LA FRANCE  
 LE MEILLEUR DE VOUS-MEME  
 LE MEILLEUR DE VOTRE DOMINATION  
 LE MEILLEUR DE VOTRE  
 L'ESTIMATION FRANCAISE DE L'ETAT

2012

Dr. W. Prädator.

NOTES.

NOV 1968 10 AM '68

Recd. Fine letter to G. C., 10 September 1897. V. 5.

Tout siver déjà le réveil de nos derniers événements, le vent cap. Par vous en donner un léger décal. Vous vous souvenez de l'impression que l'on avait faite il y a quelques jours, d'Onore, d'Albino de de nos autres habitants de Portoria ( l'un des autres de la ville de Buenos Aires ); des gens qui ont fait une grande impression qui doit durer le 14 du mois de 2 d'Onore en même temps que dans les vallées de la

X s X

# REPUBBLICA FRANCESE

ARMATA D'ITALIA

LIBERTA'

EGUALGIANZA

B O N A P A R T E

Generale in Capo dell' Armata Francese.

M A N I F E S T O .

**N**EL mentre che l' Armata Francese tro-  
vasi fra le gole della Stiria, ed ha lasciato lungi  
dietro di se l'Italia, e i principali stabilimenti  
dell' Armata, dove non resta che un picciol nu-  
mero di battaglioni, ecco la condotta che tiene  
il Governo di Vene ia.

1. Esso s'appropria della Settimana Santa per  
ammare quaranta mila pasanti, e aggruppa tutti  
Reggimenti di Schiavoni, gli organizza in diffe-  
renti corpi d' Armata, e li fa passare in diffe-  
renti punti, affine d' intercettare ogni sorta  
di comunicazione fra l' armata, e i varii corpi  
che si lasciò addietro.

2. Commissarij, e fucili, munizioni d' o-  
gni specie, una grande quantità di canno-  
ni escono in oltre da Venezia, onde com-  
piere

X 4 X

# REPUBLIQUE FRANÇAISE

ARMÉE D'ITALIE

LIBERTÉ

ÉGALITÉ.

B O N A P A R T E

Général en Chef de l'Armée d'Italie.

M A N I F E S T E.

**P**ENDANT que l'Armée Française est engagée dans les gorges de la Styrie, & a laissé loin derrière elle l'Italie & les principaux établissemens de l'Armée, où il ne reste qu'un petit nombre de bataillons, voici la conduite que tient le Gouvernement de Venise.

1. Il profite de la Semaine Sainte pour armer quarante mille paysans; y joint dix Régimens d'Esclavons, les organise en différens corps d'armée, & les porte aux différens points pour intercepter toute espece de communication entre l'armée & ses derrieres.

2. Des Commissaires extraordinaires, des fusils, des munitions de toute espece, une grande quantité de canons sortent de Venise même  
pour

# هذا تنبيه

فيما يخص دا الجندري المتسلط الان  
وذلك بشرح موجبه

## الي ارباب الديوان

بمصر القاهرة

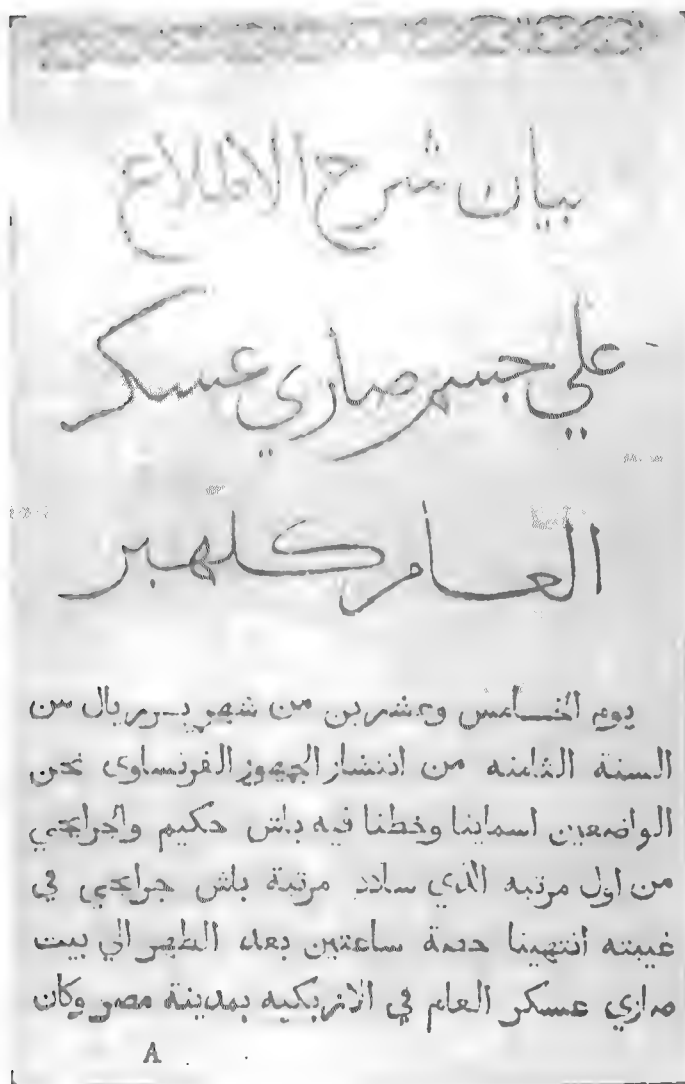
من قبل السيئتين دجنط رئيس الاطباء في  
الجيش الفرنسي بحمة الشرق في  
من شهر شعبان سنة ١٢١٤ هجرية

بمصر القاهرة

طبع ثانياً بدار مطبعة الجمهور والنفرانسوي

في ١٠ من شهر شعبان سنة ١٢١٥ هجرية





مجمع الثغرات المتعلقة  
إلى ماجري باعلام  
ومحاكمته سليمان الحلبي  
قاتل صاري عسكر  
العامر كلهم

بمصر القاهرة  
بمطبعة الجمهور السعدي  
في سنة ٨ من اقامة الجمهور





# BONAPARTE, GENERAL EN CHEF A L'ARMÉE.

LES nouvelles d'Europe m'ont décidé à partir pour France. Je laisse le commandement de l'armée au général *Kleber*. L'armée aura bientôt de mes nouvelles; je ne puis en dire davantage. Il me coûte de quitter les soldats auxquels je suis le plus attaché; mais ce ne sera que momentanément, et le Général que je leur laisse a la confiance du Gouvernement et la mienne.

*Signé* BONAPARTE.

Par ordre du Général en Chef.

*Le Général de Division, Chef de l'Etat-majour  
général, signé Alex. BERTHIER.*

*Quant à l'armée d'Allemagne  
le S. Franchi-Dorville*

Pour copie conforme :

*L'Adjudant général,*

Imprimé par la typographie de la République Française, 10, rue de la Harpe, Paris.

Du Quartier-Général du Kaire, le 14 Brumaire an 8.

# LE GÉNÉRAL EN CHEF

# KLEBER

## A LA 2.<sup>ME</sup> D'INFANTERIE LÉGÈRE.

### SOLDATS:

- Vous avez à pleurer un Chef qui sut mériter en même temps et votre amour et votre estime ; je viens confondre mes regrets aux vôtres : il vous est connu combien il m'était cher.

Mais, lorsqu'un héros tombe, que reste-t-il à faire à ceux qui demeurent encore?..... à le venger.

SOLDATS, que l'image de ce jeune guerrier soit sans cesse devant vos yeux, que le souvenir de sa brillante valeur ne cesse d'enflammer votre courage, et la victoire, le croyant encore à votre tête, continuera à vous préparer des succès, des triomphes.

SOLDATS, avec la couronne que je pose sur la tombe du brave DÉNOYER, recevez les témoignages de ma satisfaction, de la manière distinguée dont vous vous êtes conduits à la journée du 10 de ce mois.

LIBERTÉ.



ÉGALITÉ.

REPUBLIQUE

FRANÇAISE.

*Au quartier-général du Kaire, le 3 vendémiaire an 9 de  
la République Française, une et indivisible.*

Ordre du jour du 5.<sup>me</sup> jour complémentaire an 8. Rien de nouveau.

Ordre du jour du 1.<sup>er</sup> vendémiaire an 9. Rien de nouveau.

Ordre du jour du 2 vendémiaire an 9. Rien de nouveau.

Ordre du jour, du 3 vendémiaire an 9.

**M E N O U,**

GÉNÉRAL EN CHEF,

**A L'ARMÉE D'ORIENT.**

**G**ÉNÉRAUX, officiers, sous-officiers, soldats, et vous tous Français, qui êtes ici rassemblés, c'est aujourd'hui que commence la neuvième année à dater de l'époque mémorable où la France, indignée du joug sous lequel elle gémissait depuis tant de siècles, brisa ses fers, détruisit la royauté, et fonda la République.

C'est aussi à dater de la même époque, que se forma cette orgueilleuse coalition qui voulut tout à la fois, et détruire la France, et étouffer la liberté dans son berceau. Etouffer la liberté ! non, la liberté, semblable à ces torrents qui se précipitent du haut des montagnes renversent tout ce qui s'oppose à leur cours ; la liberté a pénétré par-tout ; sa voix a retenti dans tout l'univers : j'en atteste un million de Français qui ont combattu pour elle ; j'en atteste les braves soldats qui m'entourent. Vous tous qui avez rempli l'Europe entière de votre nom et de votre gloire, ne faites-vous pas flotter dans l'Orient l'étendard de la liberté ? Ces peuples sacrés que je vois au milieu de vos bataillons, ne vont-elles pas le signal de la civilisation pour une partie du monde, jadis si ténébreux, depuis anéantie et consumée par le despotisme, mais que vous allez faire renaitre de ses cendres ?

*Sauvage*

*du Comte de Saint, le 6 Mars, en l'an 10.*

**BONAPARTE**, membre de l'Institut  
national, Général en Chef;

Au Directoire Exécutif.

**L**E 13 dernier, l'Armée partie d'Alexandrie s'est  
arrêtée à Damiette, le 20, souffrant beaucoup à travers  
ce désert de l'excessive chaleur et du manque d'eau.

#### *Bataille de Bahariya.*

Le 13 nous rencontrâmes le Nil à Bahariya et nous  
nous rejoignîmes avec la division du Général Dugès, qui  
était venue par Bahariya en faisant plusieurs marches forcées.

La division du Général Dugès, fut attaquée par  
un corps de 7 à 800 Mamelouks, qui après une  
combattue sans vain et la perte de quelques hommes se  
retirèrent.

#### *Bataille de Chebreïssa.*

Cependant j'apprenais que Mourad Bey, à la tête de son  
Armée, composée d'une grande quantité de cavalerie,  
ayant 8 ou 10 grosses batteries canonniers et plusieurs  
batteries sur le Nil, nous attendait au village de Chebreïssa.  
Le 24 ou 25 nous nous nous mis en marche pour nous en  
approcher. Le 25 à la pointe du jour nous nous  
trouvâmes en présence.

Nous n'avions que deux cents hommes de cavalerie d'élan-  
cis et l'absence de la traversée, les Mamelouks



RECUEIL DES PIÈCES

RELATIVES

A LA PROCÉDURE ET AU JUGEMENT

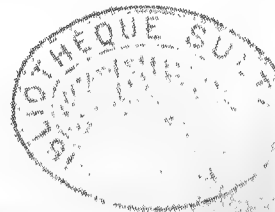
DE

SOLEYMAN EL-HHALEBY,

ASSASSIN

DU GÉNÉRAL EN CHEF

KLEBER.

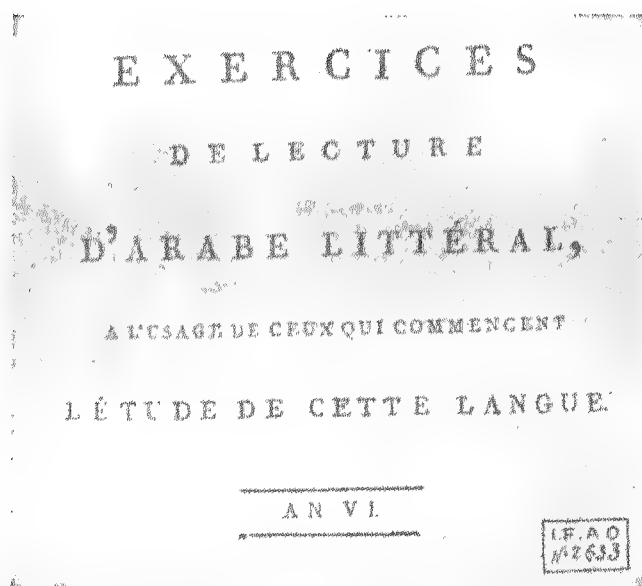


AU CAIRE,

DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VIII DE LA REPUBLIQUE FRANÇAISE.





شكل رقم (١٣)

LA DÉCADE  
ÉGYPTIENNE,  
JOURNAL LITTÉRAIRE  
ET  
D'ÉCONOMIE POLITIQUE  

---

PREMIER VOLUME.

---



AU KAIRE,  
DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VII DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

بمسيرة النجوم

[illegible]

La version grecque, se trouvant au Vatican de Joseph la même signification que les attributions dans les versions latines, l'ont conduit d'une manière au grec *ἐκκλησία* (*ekklesia*). Pour donner à ce mot le sens de *assemblée*, il a écrit quelques mots grecs, mais il n'a pas pu le faire. Il a écrit *ἐκκλησία* au lieu de *ἐκκλησία*.

1. *Le premier* (1) est une *généralisation* de *Wolff* et *Frank*  
 2. *Le second* (2) est une *généralisation* de *Wolff* et *Frank*  
 3. *Le troisième* (3) est une *généralisation* de *Wolff* et *Frank*  
 4. *Le quatrième* (4) est une *généralisation* de *Wolff* et *Frank*  
 5. *Le cinquième* (5) est une *généralisation* de *Wolff* et *Frank*  
 6. *Le sixième* (6) est une *généralisation* de *Wolff* et *Frank*  
 7. *Le septième* (7) est une *généralisation* de *Wolff* et *Frank*  
 8. *Le huitième* (8) est une *généralisation* de *Wolff* et *Frank*  
 9. *Le neuvième* (9) est une *généralisation* de *Wolff* et *Frank*  
 10. *Le dixième* (10) est une *généralisation* de *Wolff* et *Frank*

1. *Ug. TAVIANIXE*  
 2. *Ug. TAVIANIXE*  
 3. *Ug. TAVIANIXE*  
 4. *Ug. TAVIANIXE*  
 5. *Ug. TAVIANIXE*  
 6. *Ug. TAVIANIXE*  
 7. *Ug. TAVIANIXE*  
 8. *Ug. TAVIANIXE*  
 9. *Ug. TAVIANIXE*  
 10. *Ug. TAVIANIXE*  
 11. *Ug. TAVIANIXE*  
 12. *Ug. TAVIANIXE*  
 13. *Ug. TAVIANIXE*  
 14. *Ug. TAVIANIXE*  
 15. *Ug. TAVIANIXE*  
 16. *Ug. TAVIANIXE*  
 17. *Ug. TAVIANIXE*  
 18. *Ug. TAVIANIXE*  
 19. *Ug. TAVIANIXE*  
 20. *Ug. TAVIANIXE*  
 21. *Ug. TAVIANIXE*  
 22. *Ug. TAVIANIXE*  
 23. *Ug. TAVIANIXE*  
 24. *Ug. TAVIANIXE*  
 25. *Ug. TAVIANIXE*  
 26. *Ug. TAVIANIXE*  
 27. *Ug. TAVIANIXE*  
 28. *Ug. TAVIANIXE*  
 29. *Ug. TAVIANIXE*  
 30. *Ug. TAVIANIXE*  
 31. *Ug. TAVIANIXE*  
 32. *Ug. TAVIANIXE*  
 33. *Ug. TAVIANIXE*  
 34. *Ug. TAVIANIXE*  
 35. *Ug. TAVIANIXE*  
 36. *Ug. TAVIANIXE*  
 37. *Ug. TAVIANIXE*  
 38. *Ug. TAVIANIXE*  
 39. *Ug. TAVIANIXE*  
 40. *Ug. TAVIANIXE*  
 41. *Ug. TAVIANIXE*  
 42. *Ug. TAVIANIXE*  
 43. *Ug. TAVIANIXE*  
 44. *Ug. TAVIANIXE*  
 45. *Ug. TAVIANIXE*  
 46. *Ug. TAVIANIXE*  
 47. *Ug. TAVIANIXE*  
 48. *Ug. TAVIANIXE*  
 49. *Ug. TAVIANIXE*  
 50. *Ug. TAVIANIXE*  
 51. *Ug. TAVIANIXE*  
 52. *Ug. TAVIANIXE*  
 53. *Ug. TAVIANIXE*  
 54. *Ug. TAVIANIXE*  
 55. *Ug. TAVIANIXE*  
 56. *Ug. TAVIANIXE*  
 57. *Ug. TAVIANIXE*  
 58. *Ug. TAVIANIXE*  
 59. *Ug. TAVIANIXE*  
 60. *Ug. TAVIANIXE*  
 61. *Ug. TAVIANIXE*  
 62. *Ug. TAVIANIXE*  
 63. *Ug. TAVIANIXE*  
 64. *Ug. TAVIANIXE*  
 65. *Ug. TAVIANIXE*  
 66. *Ug. TAVIANIXE*  
 67. *Ug. TAVIANIXE*  
 68. *Ug. TAVIANIXE*  
 69. *Ug. TAVIANIXE*  
 70. *Ug. TAVIANIXE*  
 71. *Ug. TAVIANIXE*  
 72. *Ug. TAVIANIXE*  
 73. *Ug. TAVIANIXE*  
 74. *Ug. TAVIANIXE*  
 75. *Ug. TAVIANIXE*  
 76. *Ug. TAVIANIXE*  
 77. *Ug. TAVIANIXE*  
 78. *Ug. TAVIANIXE*  
 79. *Ug. TAVIANIXE*  
 80. *Ug. TAVIANIXE*  
 81. *Ug. TAVIANIXE*  
 82. *Ug. TAVIANIXE*  
 83. *Ug. TAVIANIXE*  
 84. *Ug. TAVIANIXE*  
 85. *Ug. TAVIANIXE*  
 86. *Ug. TAVIANIXE*  
 87. *Ug. TAVIANIXE*  
 88. *Ug. TAVIANIXE*  
 89. *Ug. TAVIANIXE*  
 90. *Ug. TAVIANIXE*  
 91. *Ug. TAVIANIXE*  
 92. *Ug. TAVIANIXE*  
 93. *Ug. TAVIANIXE*  
 94. *Ug. TAVIANIXE*  
 95. *Ug. TAVIANIXE*  
 96. *Ug. TAVIANIXE*  
 97. *Ug. TAVIANIXE*  
 98. *Ug. TAVIANIXE*  
 99. *Ug. TAVIANIXE*  
 100. *Ug. TAVIANIXE*

(1) А.И. Билибин. Изобретение. Соч. С. 1, 2.

creuser, et qui construisit en même temps les levées hautes et épaisses que l'on voit aussi dans cette contrée, ainsi que

dont il est parlé dans le Qoran, et qui sont devenus pour les poètes de l'Orient une espèce de lieu commun, dont le récit fait le sujet d'un grand nombre de poèmes chez les Arabes, les Persans et les Turks. Le plus célèbre de tous est celui qui a été composé par *Abd er-rahhman*,

*Abu Ahmed* **عبد الرحمن ابن أحمد**, surnommé *Giamy*

**جای**, l'un des plus illustres poètes de la Perse; ce poème pour

lequel les Orientaux ont la plus grande estime, est intitulé *Yousouf*

ou *Zouleykhâ* **يوسف وزليخا** [Joseph et Zouleykhâ].

Suivant *Abou-l-Farag*, « Joseph fut vendu à l'âge de dix-sept ans; il resta dix ans dans la servitude, et trois ans dans les fers; il

» fut trente ans intendant [ *Amyn a'tu dir* **امين على دار** ] de la

» maison de *Pharaon*, et quatre-vingt-ans grand Visir du royaume; de

» sorte que sa vie entière a été de cent quarante ans ».

On lit dans la Genèse (\*) que Joseph, après avoir expliqué les songes de *Pharaon* fut surnommé par ce prince *Tsafnat-fanehh* ou *Tsafnat-*

*pandéh* **צפנת פנח**, et les deux mots qui composent ce sur-

nom sont reconnus pour égyptiens par tous les anciens interprètes.

*Philon* les a traduits par ceux de *Kpōwλōv eūpētēs*, ή *O'νειροπίτης*

[ celui qui connaît les secrets, ou qui explique les songes ]. Les anciennes

versions orientales, telles que la samaritaine, la syriaque et l'arabe,

ainsi que les paraphrases chaldaïques d'*Onkelos* et de *Jonathan*, s'ac-

cordent toutes à lui donner le même sens.

D'après la signification bien fixée de ce surnom, son étymologie se

(\*) **וַיִּקְרָא מֶלֶךְ מִצְרָיִם שֵׁם יוֹסֵף צִפְנַת פָּנֵחַ** : *Et vocavit Pharaon nomen Yosef Tsafnat-fanehh*. GEN. CAP. XLII. v. 45.





p pour l'empire, à quelque danger qu'elle puisse l'exposer,  
 p pour les inévitables les premières que la dureté fait  
 p et ce ne sera jamais de ce qui ne se regarde point  
 L'histoire des Turcs : *تاریخ سلطنت عثمانیه* (l'histoire  
 de l'empire) le sultan de Loqmân se voyait encore à *Ramlâ*  
*راملة*, petite ville de Syrie peu distante de Jérusalem.

*Abd-Elah* donna à Loqmân le surnom d'*Abu-Andam*  
*أبو اندام*, c'est-à-dire père d'*Andam*; cependant quelques écri-  
 vains préfèrent l'appeler *Andam* commune, que son fils portoit  
 le nom de *Mouham* *محمود*.

Mais le surnom sous lequel Loqmân est le plus connu par-  
 mi les Orientaux, et par lequel on le désigne le plus généra-  
 lement, n'est celui de *El-Hakim* *الحكيم* (le Sage) :  
 et sans recourir ces mêmes noms les deux qualifications de  
*sage* et de *savant*, et le proverbe vouloir enseigner quel-  
 que chose à Loqmân est employé ordinairement dans l'Orient,  
 pour exprimer une chose absolument impossible.

Au surplus, la sagesse de Loqmân est regardée par les  
 musulmans comme un point de croyance d'autant plus in-  
 contestable qu'il est fondé sur le témoignage du livre sacré  
 de leur religion. Le chapitre XXXI du Koran est intitulé  
*Surat Loqmân* *سورة لقمان* (chapitre de Loqmân),  
 et dans le sixième verset de ce chapitre, Mahomet y fait  
 parler Dieu en ces termes :

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ

Dieu donna à Loqmân la sagesse.

Et c'est ainsi qu'on a donné la sagesse à Loqmân.

( ١٩٧ )

من مستشفى الديوان العالي  
بمصر المحروسية

خطاباً إلى حضرة السيتوين الخواجه دجنط

رئيس الأطباء الفرنسيين

جعل الله الخير على يديه

أما بعد الدعا لكم بخير فانه سابقاً وصدا من  
بينتكم وهي الرسالة التي عمّ نفعها بين الخاص  
والعام من اهالي مصر من جهة الرسالة والكتاب  
الذي الفتوه في علاج الجدري واسبابه واصلاح  
غدايه وتدبير ادويته وقطع ضرره

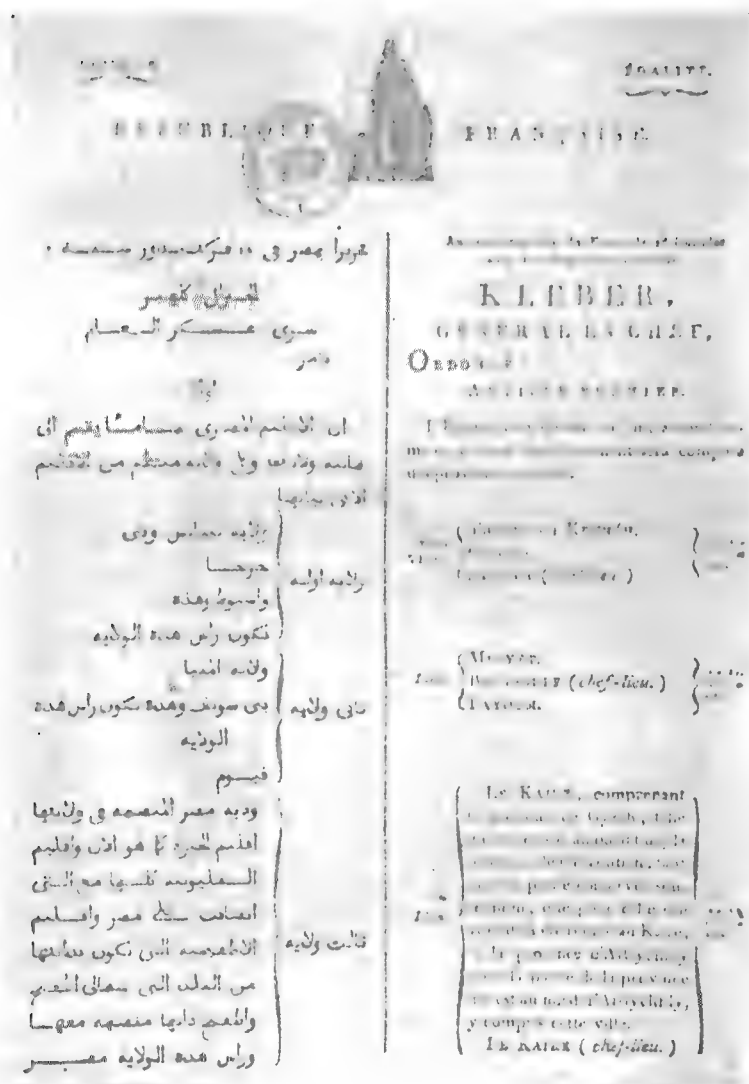
وقد شكر الناس جميعاً كمال عقلكم وحسن  
صنيعكم وعلموا مزيد اتقانكم في علم الحكمة والطب  
وفرح الناس جميعاً بهذا الكتاب واذخروه عندهم

C c









Sur les successions mobilières et immobilières ;

Sur les marchandises allant à l'étranger, ou venant de l'étranger en Egypte (ce droit connu sous le nom de douane) ;

Sur les corporations de marchands, artisans et ouvriers ;

Sur les nations copse, syrienne et chassine, grecque et juive ;

Il ne sera plus perçu aucune imposition, aucune contribution directe ou indirecte, sur les choses ou sur les personnes ; Il ne sera faite aucune taxe : chacun pourra jouir en paix de ses propriétés, faire son commerce, vaquer à ses affaires, acheter ou ven-

عوائد على الميراث و على بيت المال

عوائد على المصانع المروجة لمن غريمه

والمروجة منها الى الديار المروجة وذلك

الموازين

عوائد على حرف المصنعين والصناعيه

عوائد على القبط واهل دسر الشام وعلى

الارام واليزيد والافرنج

وعلى موجب ذلك لم عليهم شي ولم ينطلي

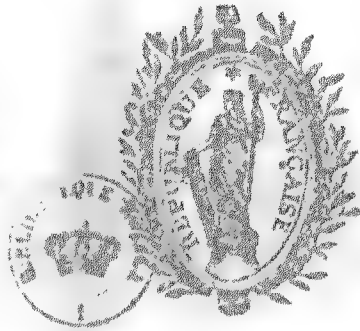
مهم خلاف ذلك لا عوائد ولا فريده ولا هي

لا على الحاجة ولا على الانسان ولم يصير لهم

كل من كان يتصرف في ملكه كما يشاء

ويحسب ويتاجر ويبيع ويشترى كما يشاء

LIBERTÉ



ÉGALITÉ

# VENTE.

# بيان المبيع

IL sera vendu, à la chaleur des enchères, par lots ou en totalité, les articles suivans, provenans des magasins de la République.

## SAVOIR:

1242 Ardebs de ris.

221 Ardebs de graine de fénu-grec.

63 Ardebs, graine de lupin.

La vente aura lieu dans les bureaux du directeur des revenus en nature, et du mobilier national, le 25 de vendémiaire, à dix heures et demie du matin.

*Le Directeur des Revenus en nature, et du Mobilier national;*

Signé REYNIER.

سيكون مباع بالزاد كامل ما سيلكو  
أثناء ان كان بالفرق او بالتعلم وذلك  
موجود في حواصل الشبنة الفرنسية

يعني

أردب أرز أبيض 1242

أردب حلبة 221

أردب تمر 63

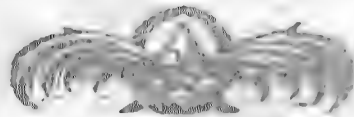
وذلك المبيع سيكون في بيت  
الدخزين في ٢٨ يوم خلص من شهر  
جادي اول نهار الجمعة قبل الظهر  
بساعتين يعني للبيع

مضى المدير مرفيه

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

# RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

LIBERTÉ



ÉGALITÉ

*Le Quartier-général du CAIRE, le 8 Brumaire,  
an 7 de la République française.*

ORDRE DU JOUR, du 7 Brumaire, an 7.

BONAPARTE, Général en chef, ordonne :

1. Le 1<sup>er</sup> Bataillon de chasseurs à cheval, dont les officiers, sous-officiers, et soldats ont été nommés, ont été nommés.
2. Les sous-officiers seront exclusivement choisis des rangs des vétérans.
3. Les généraux commandants au CAIRE, à Rosette et à Damour, de la formation de ces compagnies, de nommeront pour les commander, des officiers choisis par leur attachement pour les Français.

*Signé, BONAPARTE.*

*Signé, Alexandre BERTHIER, Général de Division,  
Chef de l'État-major-général.*

*Pour copie conforme au registre d'ordres, l'Adjudant-  
Général, sous-chef de l'État-major.*

AU CAIRE, de l'imprimerie de Marc AUREL, Imprimeur de l'Armée.

۲۹  
فرانچیز سرکرده لندون  
قلعه پیر

سمیلر مشهور سرکرده ناک

قاتلی اولان سلیمان نام حلبی حقیقه  
وقوع بولان قصص و تفیش و حکم شری  
حاوی اوراقک جمعیدر

۱۳۰۲  
۱۳۰۳

مصر قاهره

فرانچیز جمهورنک باسمه سنه ۱۳۰۲

فرانچیز جمهورنک سکر سنه ۱۳۰۲











عزوة رجبيا من ملأ الاسلام بحسنه

[illegible][illegible][illegible]

—

الاسم: كثر احمد، عبد الله، محمد...

العام، لكه القمر، عصف  
أهدى الصمالي،

العلمي كثر القدير  
سوي البيروني  
التشيلقي

الدكتور أحمد الفتيان السيد  
مصطفى السجور  
مفتي مصر

٩. نامی کلمہ الحضر  
مسجد مد النور  
۱۰۰۰  
ص ۵۵

الدائم لعمارة القصر  
أحمد العربي  
مطفي حلة

السلامة: كثر الغمر في الله  
مصدق الدواحي  
للسنة

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً  
والعلماء أئمةً مهتدين

الداء، كنه الحنفه  
مصطفى الطوبى  
طبي حنفه

المستفي كذا النشر  
المستفي كذا النشر  
المستفي كذا النشر  
المستفي كذا النشر

السلامة: كثر الغمر في الله  
مصدق الدواحي  
للسنة

مطعم بحري للبحر ومطعم

TABLE 1. *Mean (SD) values of the variables measured in the 1000 subjects*

[illegible]

The first of these is the *Journal of the American Medical Association*, which is published weekly, except on Sundays and public holidays. It is the largest and most influential of the medical journals in the United States, and is read by a large number of physicians. The second is the *Medical Record*, which is published weekly, except on Sundays and public holidays. It is the second largest and most influential of the medical journals in the United States, and is read by a large number of physicians. The third is the *Medical News*, which is published weekly, except on Sundays and public holidays. It is the third largest and most influential of the medical journals in the United States, and is read by a large number of physicians. The fourth is the *Medical Record and Review*, which is published weekly, except on Sundays and public holidays. It is the fourth largest and most influential of the medical journals in the United States, and is read by a large number of physicians. The fifth is the *Medical Record and Review*, which is published weekly, except on Sundays and public holidays. It is the fifth largest and most influential of the medical journals in the United States, and is read by a large number of physicians.

[illegible]



شكل رقم (٣٣)



Imprimé par l'Imprimerie Nationale à Paris  
Le 15 Mars 1875  
N° 10000

# PROCLAMATION

## D U

# DIVAN PARTICULIER

## DU K A I R E.



الحمد لله وحده

خطاب  
من ديوان محسني الى جميع أهلها

ورويح الغيش بالقلعة على رجلا نصراني مكاش لانه بلغه  
انه راد المظالم في السمك بمصر الفقيه على سائر الناس  
فكل ذلك بحسن تدبيره ليجتمع غيره من الظالم وضار  
روح الظلم عن كامل الخلق وسائر الانام ويضيق للشيخ  
الموصل ليرى القليل الى غير الخسوس الاعظم ليعتف اجرة  
العمل من مصر الى قطر العجاز الاقيم ويحفظ الضحايا عن  
الفسوس وقطاع الطرق ويكثر عليكم اسباب الجارة من  
الهند والهنس وكل فيج عبق فانتعلوا باسم دينكم واسباب  
ديننا احكم وادركوا الفتنة والهرور ولا تطيعوا شيطانكم  
وموا حكم بعلمكم بالرعي بقضا الله وحسن الاستعانة  
لاجل خلاصكم من اسباب العطب والوقوع في السدانة  
رزقنا الله واياكم بالعزيق والتسليم ومن كان له حاجة  
فليأتها الى الديوان بقول سليم الامن كان له دعوة شريفة  
فاليخروج الى قاضي العسكر لشعوب الجهمر النبوة بخط  
السكرية والسلام على افضل رسل الدوام  
في شهر شعبان سنة 1294

المفتي محمد آله الخسراوي  
رئيس الديوان الخسوسوي

المفتي محمد المهدي كاتم السر وراعي  
كاظم الديوان الخسوسوي

هذا خطاب ياتي جميع أهل مصر من خاص وعام  
بفضل الديوان الخسوسوي من عهدة الانام صلوا الاسلام  
والوفاة والعباد الخسوسوي بملككم معكم أهل مصر  
حضرة صاري عسكر الخسوسوي بوناباركة امير الدوش  
للخسوسوي وفقه الله ليعمل خيرة في السكرة والعصبة مدح  
الصكوك الخسوسوي عن كامل الناس والرعي بسبب مايجعل  
من ازال أهل البلد والعبادة من الفتنة والفسر مع  
العصاة الخسوسوي وعفي عن اسباب واعمال الديوان  
الخسوسوي في بيت قايده اغناه بالاركية وبنه من ارضه  
عشر عسما اصحاب معرفة واقفان خرجوا بالفرقة من  
سفن رجلا كان انجسهم م ووجب فرسان وذلك  
لاجل حصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام وتنظيمها  
على احسن نظام واقفان واحكام كل ذلك من كمال عهده  
ومعهم العزم ومزينة لهم ونفقتة على مايجعلها من  
مغير العزم قبل كميرة ركبهم بالمثل المذكور كل يوم لاجل  
تصاير الحاج الرعايا وغسلت المظالم من طام الخسوسوي  
افمن من عسكرة الذين اساو وظلوا بخل الاسعاد الخسوسوي  
الصبوري جميع الاسنام وقتل منهم اثنين بمرا صديان  
ونزل طابعتهم من مقامهم العالي الذي مقسم لان  
الجانة ليست من عادة الخسوسوي خصوصا مع الخسوسوي  
الواصل فان ذلك تنبع عنهم لايعمله الاكل الخسوسوي

AL CAIRE. DE L'IMPRIMERIE NATIONALE





شكل رقم (٣٦)

# بسم الله الرحمن الرحيم

## من امر صاري العسكر الكبير كلهم

### امير الجيوش الفرنساوي

وعلمنا ان غاية مرادكم ونهاية راحتكم اقامة  
دينكم دهر الاسلام الدين القويم والنافع  
على احكام الشريعة الحميدة واكرام  
المسئلة الاسلاميه فاعلموا ان الدين  
الحميدى هو الدين المسكوك المعتمد  
الاكرام المعظم عندها باحسن الاكرام  
والعظيم واعلموا اننا غيب تعظيم دينكم  
ونريد اكرامه اكرامها كان في رضى المالك  
واعلموا ان ايام حكمنا كسر الناس  
الظالمين وعيهم بغايه الطيبه والاكرام ويحصل  
لهم منا الخير والمعروف وان الناس المفسدين  
يحصل لهم الدمار والادب الشديد وهذا ما  
في نفوسنا من تعظيم دينكم واحترام  
ملئكم التي امرت بكل خير ونهى عن  
كل شر والسلام ختام

الامضاء كلهم

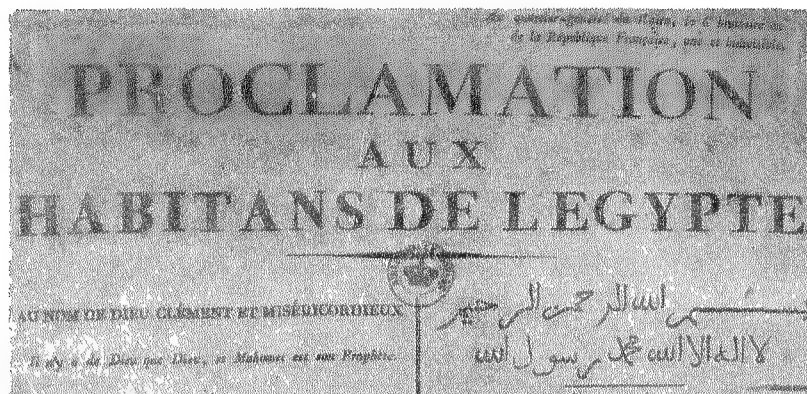
انقروا في ١٠ شهر فركتيدور سنة ٧٠ من اقامة  
الممهور الفرساوي المرفق الى ربيع  
الاخير سنة ١١٧٠

دام بقاء حسب اهل الله الحمديه  
خطابا الى جميع المسلمين في مصر وجهاتها  
اعلموا يا اهل الاسلام وبالرباب الايمان  
المقربين في مصر ان لم يحصل منا خطاب  
لكم الا في هذا الوقت وفي هذا الوقت  
متمركم انما ما كنا نعرفكم سابقا  
والان عرفنا حالكم لاننا وقت  
ما سرنا ودنا في بلدكم الكبير عرفنا انكم  
مرتاضين وما يدين لكم والنظام والراحة  
النامة ورايتكم امنين ومسؤولين وحميين  
الممهور الفرساوي وراضين بحكمكم كما ظهر لنا  
ذلك من وجوهكم وعلمنا ان ذلك يسهل  
العدل والتدبير الواقعي من سلفنا همكم  
حضره صاري العسكر بونا بارت في ايام حكمه  
وبسبب ذلك لم يجد وعزة وحضنت الراحة  
النامة الرجعية في مصر فاعلموا يا اهل الاسلام  
وارباب الايمان ان الفرساوي لم يحصل لهم  
الفرح النام والسروو الكامل الا وقت ما تكونوا  
مسؤولين وتعلمون في كامل احوالكم

طبع مطبعة الفرساويه العربية مصر العروسه

١١٧٠  
١١٧٠  
١١٧٠





شكل رقم (٣٩)



شكل رقم (٤٠)

هذه فريضة على علماء الاسلام بحملها الى  
 مؤتمريه فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت  
 تعرف اهل القبر سيد تانا الله حصل بعينه فاسته وحمل بمدينه مصر  
 زلفه الجيده وسر الرزق في كواثر ما بين الرعايا والعرايس فاسته  
 في اهل جله من الملوك والخصه من النبوت واكن حطبة الطاهر الحفنيه وسكنت  
 اخذته سرعه واتخذته اسد ولبثنا ما كنا عند صاكي عسكر امير بوز  
 بونا يارته وقد قبل شفا عتسا ومنع من كره فحق البلد وقصبة لانه رجل  
 من قومه بل عنده شفقة ورحمة للمسلمين وجب للفقراء والساكنين وكره  
 لم تكن اهل مصر جميعه فانهم لم يحركوا الفتن لم يكونوا في اوطانهم مضطربين  
 ولا تطعموا اهل الهندية ولا شمسهم لانه شفا عتسا ولا يكونوا في اوطانهم مضطربين  
 سفهاء العقول الذين لا يقران في اوطانهم فان الله يوتي مكره في اوطانهم  
 وحكم ما يريد والذين هم فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت  
 في اوطانهم فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت فاعلمت









شكل رقم (١١)

[illegible]

طبع في مطبع الخديويّة العربيّة بمصر المطبوعه

نوبية



نوبية

# الجمهورية الفرنسية

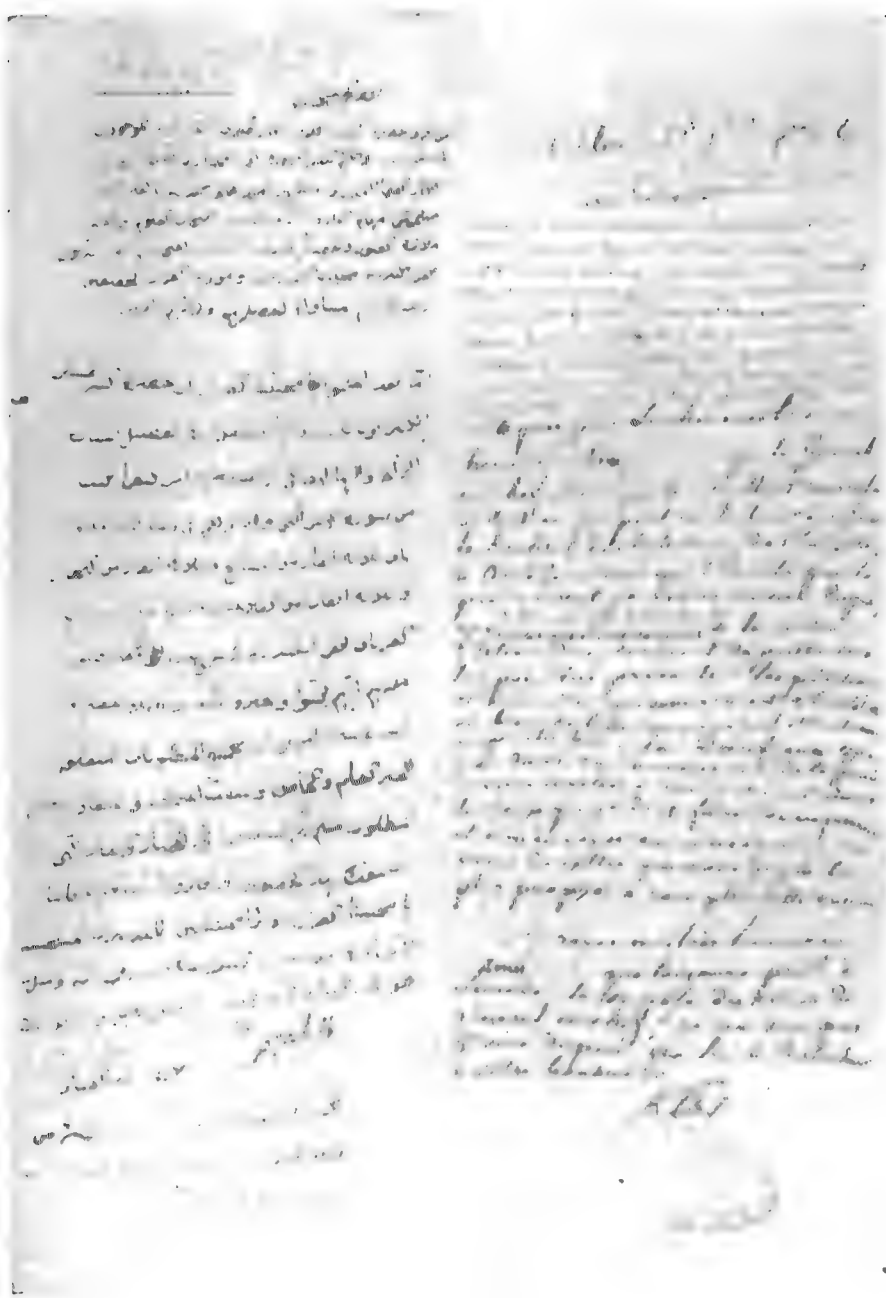
بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله  
لا ولد له ولا شريك في ملكه

حصل الطالب ان تفتح البصاح وتفتح  
الصلاة حصر الشريعة وتفتح التفسيرات  
ولا يفتوا من شيء والسلام  
ينسكروا من يوم الجمعة ١١ شهر محرم  
١٣١٣ سنة

الحاج مصطفى	مؤذن ابو علي	الفقير
المولانا	الحاج احمد	قائم
عبد الوهاب	احمد	مصطفى
العوض	تركي	السعران
كاتب	ابراهيم	
الفتاوى	البرجي	
محمد المصري		

السلطان من حكمة حكاه الله سبحانه وتعالى  
انهم ينادوا على جميع اهل التيم ياتهم يعلقوا  
على حبل اربعة دسيرة تدل على حبل  
خمس دكة خمس فدية على حبل  
وكالس قنديل وعلى حبل الحونا وحبل  
قهوة قنديل وانهم يرسوا اليهم حفرة  
الجلنا وحبل ايلنه قبل القرب بساعة  
اشي مؤيدول من القنديل يوروا مع جللته  
لاجل اسان خضعت الفسلس وعلم حصول  
ضروالي احمد وحصل منه ضرر  
الى عبده لا يلزم الانسة وتكون جميع  
الفسلس من الفسلس والفسلس  
ومستند من الفسلس والفسلس  
الادلة من الفسلس والفسلس

في نسخة من مطبعة الشرق والفرنسية



شکل رقم (۴۷)

Au Quartier général de Scutchedyeh, le 12 d'ivouss en 8 de la République Française

**K L E B E R,**  
GÉNÉRAL EN CHEF,

Au Divan du Kaire et à ceux des différentes Provinces de l'Egypte.

تمرسوا من معسكر الصالحية في 12 شهر بلويون سنة 1285  
الفرنساوية الموافق لخمس رمضان سنة 1285 هجرية

من حضرة صاري العسكر  
السلام  
كلير

خطابا الى جميع ارباب الدينون بمصر المحمدية والى كافة دوليين المصرية ليعلمهم الله

Vous connaissez depuis long-temps l'intention constante où est la Nation Française de conserver ses anciennes relations avec l'empire Ottoman. Mon illustre prédécesseur le Général BONAPARTE, vous l'a plusieurs fois déclaré, depuis que les circonstances de la guerre vous ont conduits dans ce pays. Il ne négligea rien pour écarter les préventions que l'on avait inspirées à la France, et qui l'entraînaient dans une alliance dangereuse, contraire à ses intérêts et aux nôtres. Les explications qu'il envoya à la cour de Constantinople ne purent établir cette union si désirable; et le marche du grand Vaisseau dans l'Egypte fut offert

نعم فكم انكم تتفقدون قديما ان طابفة الفرنسيه على الدوليم بينها وبين دولة العثماني الامان والعطاء والاطمان العامه ولم يزل في قلوبنا ان اذا الحال يستمر على الدوليم وان سلطنا السابق علينا امين الجيوش صاري العسكر العام بونا بارت الحليل الاتخذ بعد وقوع الحرب المستندة لوجهة محولنا بمصر صر فكم المذكور مرارا عديدة بان العبه بيننا وبين دوله العثماني لم كما يجب انقطاعها وقد بذل جهده في دفع الروسا العمد التي انحلوا على الباب الاهلي بمرتين الامتداد الذي لم يكن به خير لهم ولا خير لنا وان المراسلات التي ارسلها لخرسنة اسلامبول





[illegible]



هويه تشاويه

جمهورية الفونسارية

رب عكره نورم ولاه من نورم  
البحيره وولايه سانسار الي كامل  
اهل البلاد والعرب من ولايه سيد  
يا اهل الولايه من اهل الفنى  
والدنيه يخدموكم فمن تصديق  
ولا مهم الكذب بتضو الفونسارويه  
واما امرار بيك وارايم بيك وارايم  
لهم قس هم الاله لا كرم وهرسيا  
لقتل ما فيه الان نفس في الفونسارويه  
الذي صدقون اذ تجلي صاري  
سنة الكبري بون ارته الذي هو داغا  
سبب الناس الطيبين كان مقصوده  
عديم موت من تشا من اهل المدينه  
وتسبب من منهم في اهل نجل معروف  
وهل بسنة تمان في الفونسارويه الطابق نفسه  
من تشا في الفونسارويه في الفونسارويه  
في الفونسارويه اهل الفونسارويه  
سليم في الفونسارويه الفونسارويه  
صاري عكره الكبري في الفونسارويه  
ول نصيحه لا رد في الفونسارويه  
الي بسنة في الفونسارويه  
له ضدوا فعل سكر في الفونسارويه  
في الفونسارويه لا في الفونسارويه  
الفونسارويه في الفونسارويه  
خلال في الفونسارويه  
هلا كرم وقد سبب في الفونسارويه





قوة الخارجة من رتبته في القضاء والشمسية  
 امره صريح في العلم من غير الجور والرياسة في مصر  
 في كل شيء من غير رتبته في العلم من غير الجور والرياسة في مصر

[illegible]

مع اصطلاح التوحيد، المولى هو العلي في ١٣٠ غير صوابي - اصطلاح الخليلي =



الحرية



# من طرف الجمهور الفرنسي

محررا في كل ما يمس عسكرا عاما وحررا في كل ما يمس  
وتنصهر منه من اذاعة لفرنسا

## صدر هذا الامر اليوم من حضرة صاحب العمام

### اميل جيوشال الفرنسي في مصر

المادة الثانية

كل الاموال والاملاك التي تملكها في هذا اليوم يردوا  
ويرجعوا الى اعدائهم الذين يذهبوا في احوال المطورة  
في المادة الاولى بشرط ان يكتبوا بواب الفدية التي عليهم  
المادة الرابعة

وهذا الانعام الذي كرمناهم به هو ان كل اهل مصر  
الموجودين في الاحوال المكونين اعلاه

واباحتم ان يمارى تحت ايتكم في هذا الامر ما على الاعلى  
الذين هربوا من مصر في وقت الفدية الاحوال الفرنسية الى  
مصر والاملاك والاموال كل الازمان من مصر ميل ذاك  
العارج ينفوا لادن مكنسهم على ميرة جمهور الفرنسية  
المادة ثلثه

والسوارى العمامك والادة ولاية مصر بغير العمام  
لنزيه العامة فعلهم وعلى تدبيرهم احرا وانشار هذا الامر  
الذي تصور ترجمته بالمرج وتشرح وتشرح بالاسانين  
في كل اقليم وسواحل مصر

عيسى

عيسى الله عيسى الله عيسى

الامارات عسكرا عاما مايك الى عمرة العفو والكرم  
لعضى الى كل الولاية والكام المكونى من الفصل الاول  
من الجمهور الفرنسي

وسلكك على القمص ترجأ على جهالة اكلر اهل  
مصر من عادتنا وشربنا ومن التمسك الذي يهلك الى  
كل فعالة توليت الفرنسية امر على كل ما ياتي بيانه  
المادة الاولى

جملة الاشخاص المصرية الذين خرجوا من مصر خوفا  
من اسلحتنا وهربوا لعدم اعطاء الفدية المأمورية بفتحها  
في تلك المدينة فلابد هم مازنين بالرجوع الى بيوتهم  
نصبتهم يكونوا امنين ومطمئنين تحت حاية المديون  
والكام دبابر روساء عسكرا الفرنسية باملاكهم وارزاقهم  
راعاهم واموالهم وارزاقهم في امان الله وامان للجمهور  
لفرنساوية

المادة الثانية

هذا القلم الذي كرمناهم به مايسبب الا الى اليوم  
اذول من شهر برمهز الاتى فهذه المدة لا تغير وبعد مرور  
هذه المدة كل من اهل مصر ما يرجع الى موضعه فيكون  
ماله وارزاقه كلها مبرأ الى جمهور الفرنسية

طبع بمطبعة السيسى الفرنسية بمصر السيسى



شكل رقم (١٥٧)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.



*du gouvernement de la République, le 6 brumaire an 9  
de la République Française, une et indivisible.*

PROCLAMATION  
AUX  
HABITANS DE L'EGYPTE.

AU NOM DU PEUPLE ET DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

*Il y a de la République Française, une et indivisible.*

M E N U ,

GÉNÉRAL EN CHEF DE L'ARMÉE FRANÇAISE,  
AUX HABITANS DE L'EGYPTE.

**H**ABITANS de l'Egypte, écoutez ce que j'ai à vous dire au nom de la République Française.

Vous étiez malheureux, l'armée Française est venue en Egypte pour vous porter le bonheur.

Vous gémissiez sous le joug des tyrans de toute espèce; je suis chargé par la République et par son peuple de vous en délivrer.

Une multitude d'impôts et de taxes, tout le fruit de vos travaux, j'en ai détruit la plus grande partie.







الجمهورية الفرنسية  
**M E N O U,**  
**GÉNÉRAL EN CHEF,**  
**AUX HABITANS DU KAIRE ET DE TOUTE L'EGYPTE.**

من محمد الله جياك مسيسو من عسكري

*Au Quartier-général du Kaïre, le 15 février  
an 9 de la République Française.*

AU NOM DE DIEU CLEMENT ET MISERICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son  
Prophète.

Habitans du Kaire et de toute l'Egypte, je  
vous ai déjà dit plusieurs fois que je ne punis-  
sais que les méchans et les hommes qui ne  
craignaient pas Dieu et son prophète; je vous ai  
dit que je punissais de mort les assassins et les  
voleurs, parce que je voulais qu'en Egypte  
chacun put vaquer à ses affaires et à son com-  
merce, sans craindre d'être volé ou assassiné.

Je vous le répète encore, la République  
Française et le premier consul, le célèbre  
guerrier BONAPARTE, m'ont ordonné de  
vous gouverner avec douceur, justice et hu-  
manité. Ayez donc confiance en mes paroles  
et en mes promesses. Que ceux qui se con-  
duisent avec un cœur droit et vertueux, vivent  
dans la paix et la tranquillité; que les mé-  
chans, les voleurs et les perturbateurs du re-  
pos public tremblent et je les vois, je suis  
sûr pas, je connais leur démarche.

Habitans du Kaire et de toute l'Egypte,  
je vous invite à cultiver vos terres et vos jar-  
dins. Je vois journellement des terrains incultes  
et abandonnés. Rebâtissez vos murs, raccom-  
modez vos citernes et les machines qui portent  
de l'eau dans vos propriétés. Fertilisez tous les  
champs de l'Egypte; n'ayez aucune crainte;  
par-tout vous trouverez sûreté et protection:  
je le jure, au nom du Dieu vivant, et de  
Mahomet son prophète.

Tous les généraux et commandans mili-  
taires, ainsi que le directeur général et comp-  
table, et le chef de l'administration de la jus-  
tice, feront distribuer cette proclamation dans  
toutes les villes et villages de l'Egypte. Elle  
sera imprimée à deux colonnes en français  
et en arabe.

Signé M E N O U.

بسم الله جياك مسيسو من عسكري في ١٥ شهر رجب سنة ١٢١٥

في اسم الله العظيم الرحيم الرحيم  
لا اله الا الله محمد رسول الله

يا ايها الناس من القاهرة ومن مصر فليدعكم من ربات مدينتي  
ايها الناس اني اذكركم اني اذكركم اني اذكركم اني اذكركم اني اذكركم  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله

فاني اذكركم اني اذكركم اني اذكركم اني اذكركم اني اذكركم  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله

يا ايها الناس من مصر والقاهرة اني اذكركم اني اذكركم اني اذكركم  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله

ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله  
ان الله لا اله الا الله محمد رسول الله

من محمد الله جياك مسيسو



شکل رقم (۶۱)

# M E N O U,

GÉNÉRAL EN CHEF,

Aux Cheykhis du village el-Qaouet el-Qouldumy, Province  
d'Aufyèhily, ABOUKET et BARAKET.



من عبد الله جاك منو سر عسكر  
امير عام جيهوش دولة جمهور الفريسيلاوية بالشرية  
ومظالم حكومتها بامر مصر  
الى المشايخ ابوكت وبركت مشايخ بلاد قوة القدامي  
بولايتا طنججة

اما الزجال للكرمين والرجودين ليد لهم دايما اجرة اعمال جيسراهم

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

LES hommes généreux et bienfaisans reçoivent toujours la récompense de leurs bonnes actions. J'ai appris que vous aviez sauvé trois Français qui avaient fait naufrage près du village où vous habitez; que vous leur aviez donné des vêtements, ainsi que tout ce qui était nécessaire pour leur subsistance. J'ai également appris que vous aviez empêché qu'ils ne tombassent entre les mains de quarante brigands qui voulaient les enlever; que même vous et les habitants de votre village aviez pris les armes pour les défendre, et qu'ensuite vous les aviez conduits à Béné-Souef. Le Gouvernement français est toujours empressé de témoigner sa reconnaissance à ceux qui se conduisent bien. J'envoie à chacun de vous une pelisse, comme gage de mon amitié; et je remets à vous et à votre village le quart des impositions que vous auriez dû payer pour l'année courante. Que Dieu et son Prophète vous donnent de longs jours, et vous fassent jouir de tout le bonheur que vous méritez.

Au Kaire, le 13 nivôse an 9 de la République Française.

Signé MENOU.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

ورد لنا خبراً معلوماً بانكم ضلعيماً ثلاثة فرنساوية السلي  
تكررت مرهمهم قريماً لخدمتكم وكذلك اعطيتهم لهم كسوا  
وكذا لزم لجمعهم ومرفقنا ايضاً من غير ذلك انكم منعنا ان  
لا يقبوا المنكويين تحت ايدي اوفى امرار وفزار الذين كانوا  
طالبين باخذهم وايضا وافاك تلميحكم منكم لعمليته  
الفرنساوية المنكويين من هؤلاء الامرار وان بعد ذلك اوردتهم  
الى دى سويك اسماو مالاً اما حكومتهم دولة جمهور الفريسيلاوية  
انها قد جعلت لعمليته مساعدتها الى كامل من يودى بالاستقامة  
تدعيمها قريماً على ذلك ارسلى الى كل منكم فسرور لاصالح  
صديقكم ايضاً وانتم صديقكم على بلدكم ربح الرقيم السلي  
عليكم ايضاً ايضاً تاروه فساله تعالى فريته رسول الله  
يحيى لكم ايضاً طولاً وانتم لكم الخير بالذي لستم عليها فيه  
والسلام

في ١٠ محرم سنة ١٢١٠ الموافق في ١١ شباط سنة ١٨٢٠

مستلم المسود

عبد الله جاك منو



شكل رقم (٦٣)



من مساوي عسكر الجنرال بيليار قائم مقام مصر حالا  
وحاكم العرش وعسكره القصيرة  
مطابعا الى شاذلي اهل مصر المحروسة

[illegible][illegible]

LIBERTÉ.

[ 10 ]

ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

*Au quartier-général du Kaïsc, le 5 Frhelidor an 6.*

BONAPARTE, GÉNÉRAL EN CHEF,

A AHMED, PACHA, GOUVERNEUR DE SEID.

En venant en Egypte faire la guerre aux bays, j'ai fait une chose juste et conforme à tes intérêts, puis qu'ils étaient tes ennemis. Je ne suis point venu faire la guerre aux Musulmans : tu dois savoir que mon premier soin, en entrant à Malte, a été de mettre en liberté deux mille Turks qui depuis plusieurs années gémissaient dans l'esclavage ; en arrivant en Egypte, j'ai rassuré le peuple, protégé les muphtis, les imans, et les mosquées. Les pèlerins de la Mekke n'ont jamais été accueillis avec plus de soin et d'amitié que je ne l'ai fait, et la fête du prophète vient d'être célébrée avec plus de splendeur que jamais.

Je t'envoie cette lettre par un officier qui te fera connaître de vive voix mon intention de vivre en bonne intelligence avec toi, en nous rendant récipro-



LIBERTÉ.

[ 19 ]

ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

*Au quartier-général de Jaffa, le 19 ventôse an 7.*

BONAPARTE, GÉNÉRAL EN CHEF,

*Aux Cheikhs, U'lemas et Commandans de  
Jérusalem.*

Dieu est clément et miséricordieux.

JE vous fais connaître par la présente, que j'ai  
chassé les Mamloucks et les troupes de Djezzar  
pacha, des provinces de Gaza, Ramléh et Jaffa;  
que mon intention n'est pas de faire la guerre au  
peuple; que je suis ami du Musulman; que les habi-  
tans de Jérusalem peuvent choisir la paix ou la guerre:  
s'ils choisissent la première, qu'ils envoient au camp  
de Jaffa des députés pour promettre de ne jamais  
rien faire contre moi; s'ils étaient assez insensés pour  
préférer la guerre, je la leur porterai moi-même.  
Ils doivent savoir que je suis terrible comme le feu.

# PROCLAMA DEL GENERAL BONAPARTE AGLI ABITANTI DEL GRAN CAIRO



Li 21. Gennaro 1799.

Tradotto dalla Lingua Araba da un Moscovita.

*Quest' Empio Proclama serve , per far vedere maggiormente  
ai Popoli dell' Italia , fin dove arrivi l' enorme inganno ,  
e l' infame impostura della diabolica Nazione Francese ;  
e serve ancora , per vieppil aumentare la serie delle im-  
posture , e dell' empie scelleraggini di questo Generale .*



IN ROMA ; Per il Casaletti

---

*Con Licenza de' Superiori .*

Si vende nella Libreria , che si contiene  
nella Strada de' Sedari .

## REPUBLIQUE FRANCAISE

© 1999 Blackwell Science Ltd  
Journal of Internal Medicine 245: 391–397

S. A. HAYES, L. A. GATLIN, D. J. HAYES, JR.

Act 100010

La détermination du pourcentage et des  
de déviance aux points de vue le fil  
de la liste précédente, nous dit que  
les points ont été validés, à moins que  
les points.

## 11

[illegible]

## 111

Le développement de l'enseignement  
technique, en outre, du type desquelles  
on a pu juger de deux à cinq ans.

من قراء الأعراس في دهليشور في الهند سنة ١٢٠٠ هـ

١٠٦. حضرة صابري، مكيو الكبير  
الشمس الاول

ان مسأله الجمهور ملزمين انهم يسلموا  
فراواتهم لافلاي منحه الالتزام والاملاك بعد  
الملك عن مقلدهم ومنحه لهم لاسطابهم

## الشرط الثاني

واسمها الالتزام يستعملوا التي تسمى  
الشيء. ومن العلوم الذي يطلق عليهم اقل  
ان يكون الثلث والذي يدعى الفلقاين يكسب  
في تلك يدعوا انفسه بعد مضي خمسة  
متر يوم والنصف الثاني بعد خمسة عشر  
يوم للغير يكون جميع الماء للسفاح شهر  
ثلاثة يوم والتسعة يومه اجمعت يد  
الاشجار والاشجار يطالبونهم

### النسبة المئوية

وتلك النصوص يحيطها البرق المتلويح  
وراء الأضراس والنصوص ينتهم لاجلها

القسمة

القسمة



# الشخصية الفرنسية

تعتبر من قبل الدولة الفرنسية كـ...  
بـ...  
بـ...

## الشرط الخامس

ان كل من البلاد المستعمرة التي لا تنطبق عليها  
من المستعمرات في شهر سبتمبر وتنتقل  
منها الى دول الجمهورية كـ... البلاد

## الشرط السادس

ان كل المستعمرات التي لا يكونوا دفعوا المال في  
سبتمبر في ليعارهم ويثبت لهم قيسوا مال  
البلاد التي تستعمرها سيحسبوا قسمة كل ثلثتهم  
التي ان يكونوا دفعوا كامل عليهم

## الشرط السابع

ان قسمة الجمهورية يملكون في اول يوم من تمديد التي  
وكلهم القوم بالولايات تابعة باسم المستعمرات  
الذين تقاموا على موجب الشرط الخامس  
المسروح اعلاه

## الشرط الثامن

ان هذا الامر يطبق في الطبيعة الفرنسية  
بالغة الفرنسية والعربية والوزير مدير الصدور  
مستعمر بتنفيذ هذا الامر

مقرره بـ...  
وهذا تسلمه مقاطعة التي الاسر السبتمبر  
من سري العسكر العلم  
بـ... العام بـ...

## الشرط الاول

ان مستعمرات البلاد بالولايات الفرنسية تنقسموا  
مال الاجل من ابتدا يوم تاريخه الى شهر  
سبتمبر

## الشرط الثاني

ان كل المستعمرات التي لا يكونوا دفعوا في  
ثلاثين شهر جريمال الثاني الثلثين من مال  
اجارهم فيدفعون زيادة خمسة في المائة من مال  
المتبقي عليهم

## الشرط الثالث

ان الذين لا يكونوا دفعوا كامل ما عليهم  
من مال الاجار في شهر سبتمبر يدفعون  
زيادة عن مال اجارهم عشرة في المائة من المبلغ  
المتبقي عليهم في هذا البلاد واذا كانت هذا البلاد  
اعني في شهر سبتمبر فيضاف عليهم زيادة  
على المبلغ المتأخر عليهم واحد في المائة كل يوم  
يتأخروا فيه عن الدفع

## الشرط الرابع

ان الوزير مدير الصدور يبتدي من اول يوم من  
الشهر الذي يرد علمه على كل ما يتبقي من المال  
على كل مستعمرات من لزيادته التي تقام بها نظير  
تأخره في غلق المال حكم ما طرح في الشروط السابقة

طبع بـ...





4-10 第 5 章



## RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

PLACE  
D'ALEXANDRIE.

1. The first step is to identify the problem or question that needs to be answered. This involves understanding the context and the specific requirements of the task.

[illegible]

- **Factorial and 2x2 factorial ANOVAs** (11 slides)
- **2x2 factorial**

© 2000 Blackwell Science Ltd  
Journal of Internal Medicine 247: 391–397

[illegible]

1. The first step is to identify the problem or question that needs to be answered. This involves understanding the context and the specific requirements of the task.

<sup>4</sup> See, e.g., *United States v. Gurnea*, 199 F.3d 1005, 1010 (9th Cir. 2000).

Figure 1 shows the  $\log_{10}(\text{fold change})$  in the levels of putrescine and the  $\log_{10}(\text{fold change})$  in the levels of the  $\alpha$ -amino acid,  $\alpha$ -alanine.

and the maximum component size is bounded by  $\log n$  and  $\log m$  respectively.

© 1999 Blackwell Science Ltd

2007-2008

*[Signature]*

تحت إشراف وإشراف في مدينة الجزائر، خاتم التكتل، ١٩٧١  
التصميم المعماري، وكبار، يظهر على التمام، ١٩٧١  
في الجزائر، ١٩٧١

وكانت هذه الوثيقة المصنوعة في صنع المصنعين لهم تتفق  
على جميع النواحي وتتمتع بالعلماء أو بالعلماء  
الذين يتبعونها وأنهم في جميع النواحي.

من أجل هذا، فإننا نرى أن هذه الفكرة هي التي يجب أن تكون الأساس في كل عمل من أعمالنا، وأننا نرى أن هذه الفكرة هي التي يجب أن تكون الأساس في كل عمل من أعمالنا.

ان من قبلنا لهذه من المتأخرين والذين هم في الآفاق والمجاهد الى من جاء بعدهم وروى احمد بن حنبل انه روى عن ابي هريرة ان  
الانسفة لشركاء في دعة من بني سفيان لاجل انهم كانوا في الكوفة  
حينئذ من طريق واحد وكنت على ذلك حينئذ انظر اليه  
فقد نزلت من الاضراس

(ص ١٠)

لنصف من الصغار والعاشق من كل اللذان يصور من  
عسل الأمانه وحسن من يلمعوا وقد جردت من غلظ  
الزلا لاجل الكبر والى من عطف لنا الضمير  
وأنت حرم من وال غرائب ما يثقل علينا من أجور  
نهر من من وال غرائب ومن ذلك الغرائب نفسها من  
شعر

حرف في التهجئة فها هي مصر من شجر فرعون من عند صنع من  
الملك العظيم الفرساوي، وفيه في الناس بغيره، حجر جندك  
فقال: سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال من أحب الله وأهله  
أحبته الله وأهل بيته

DEPARTMENT OF ORIENTAL ET FRANÇAISE D'ALPHONSE DE

## REPUBLIQUE FRANCAISE

*[Faint, illegible text from bleed-through]*

[illegible]

THE UNIVERSITY OF CHICAGO LIBRARY







# TRADUCTION

## A R A B E

DE L'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF,  
du 8 floréal an 8, relatif à la  
suppression de l'Administration  
générale des Finances de l'Égypte.

أمر من حضرة جنابك عسكري العالم تأييد  
أمير الجيوش الفرنسوية

الشرط الأول

لم يبق مدير الخزنة كمثل الأول ولا تاليم المصرية

الشرط الثاني

الشرط الثالث للعلم به سنة ١٨٠٠ استعده متعلقه

LIBERTÉ



ÉGALITÉ

REPUBLIQUE

FRANÇAISE.

*Au Quartier général au Kaire, le 8 Floréal an 8  
de la République Française, une et indivisible.*

Ordre du jour, du 1<sup>er</sup> Floréal an 8. Rien de nouveau.  
Ordre du jour, du 2<sup>nd</sup> Floréal an 8. Rien de nouveau.  
Ordre du jour, du 3<sup>rd</sup> Floréal an 8. Rien de nouveau.  
Ordre du jour, du 4<sup>th</sup> Floréal an 8. Rien de nouveau.  
Ordre du jour, du 5<sup>th</sup> Floréal an 8. Rien de nouveau.  
Ordre du jour, du 6<sup>th</sup> Floréal an 8. Rien de nouveau.  
Ordre du jour, du 7<sup>th</sup> Floréal an 8. Rien de nouveau.

**Ordre du jour, du 8<sup>th</sup> Floréal an 8.**

**KLEBER, GÉNÉRAL EN CHEF, ORDONNE :**

ART. I<sup>er</sup>. Il n'y aura plus d'administration des finances en Egypte.

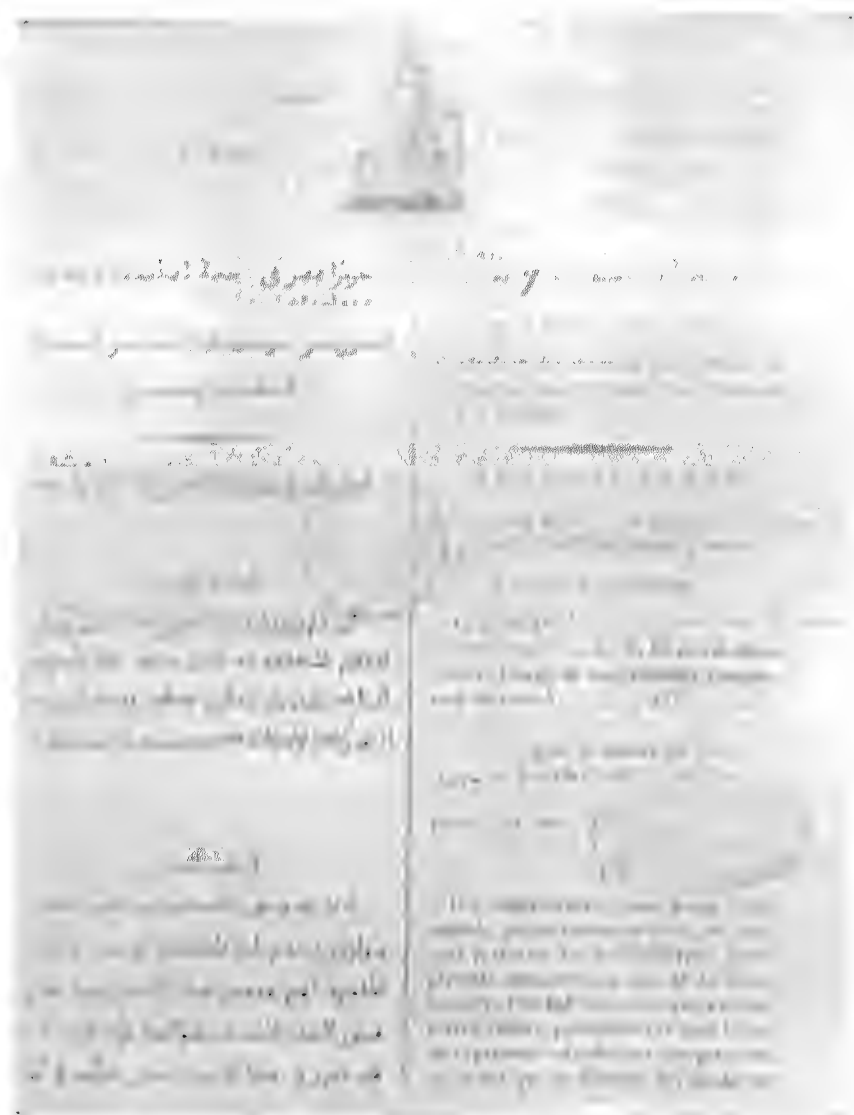
II. Le payeur général (le citoyen Fournier) dirigera spécialement la régie de la direction des revenus publics. Il réglera et contrôlera les comptes des recettes de la contribution générale dont il sera parlé à l'art. IV ci-après, et de celles des douanes, du muez, des propriétés, du droit de capitation, des contributions nationales, de la mouture du Kaire, et des différents droits connus sous le nom d'attributions.

III. Les agents comptables sont supprimés. Le payeur général pourra néanmoins les employer, soit comme payeurs, soit comme dépositaires, selon qu'il le jugera convenable. Ils lui rendront tous, dans la plus courte délai possible, le compte général et détaillé de leurs opérations, depuis leur entrée en fonctions.

IV. Les contributions en argent, quelconques en argent, tels que le muez, le fous, les barages, le tabac, le timbre, les droits de provinces de l'Egypte non concédées, ne seront plus connus, à partir de l'an 1214 de l'hégire, que sous le nom unique de contributions générales en argent.

V. Le citoyen EN CHEF d'administration, chaque année, en raison de la somme du Nd. de son fondation, et du produit des terres, la somme à laquelle la contribution générale en argent devra être portée.

VI. Immédiatement après la fixation de la contribution générale en argent, l'intendant général compte présentera à l'approbation du Général en Chef, la liste des provinces, afin qu'il soit possible de répartir le produit de la contribution générale en argent, et de la répartition de chacune d'elles et des différents droits qu'elles payent antérieurement.



شکل رقم (۷۹)



# LE GÉNÉRAL DE DIVISION BELLIAUD,

Commandant le Vaire et les Troupes de l'Arrondissement,  
des Habitants du Vaïre, de toutes les Religions.

من جهة الامم القدان بليارد لعمام منسوخة من قبله  
بمطابق في صحت الامم القدان منسوخة

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي جعل في دينه  
منها ما يرضى عنكم  
والمسلمون في دينهم  
والله اعلم بالصواب

الحمد لله الذي جعل في دينه  
منها ما يرضى عنكم  
والمسلمون في دينهم  
والله اعلم بالصواب

الحمد لله الذي جعل في دينه  
منها ما يرضى عنكم  
والمسلمون في دينهم  
والله اعلم بالصواب

الحمد لله الذي جعل في دينه  
منها ما يرضى عنكم  
والمسلمون في دينهم  
والله اعلم بالصواب

من في صحت الامم القدان

من

الحمد لله الذي جعل في دينه

Il a voulu de Dieu, vous donner le  
pauvre, de ne pas laisser les autres  
l'indigence, l'indigence, et ainsi par ce  
corps, les pauvres, les indigents, et  
les propriétés de l'arrondissement  
de vous donner en premier l'arrondissement  
indigence, comme vous pouvez le voir par les  
autres articles du Vaïre de vous donner les  
autres.

A R T. X I I.

« Tout habitant de l'Egypte, de quelque  
religion qu'il soit, qui voudra suivre l'arron-  
dement, sera libre de le faire, sans qu'il  
soit obligé de rendre son indigence, et de  
son indigence »

A R T. X I I I.

« Aucun habitant de l'Egypte, de quelque  
religion qu'il soit, ne pourra être indigence  
ni dans le Vaïre, ni dans les autres, par  
les autres qu'il aura avec les Fran-  
çais pendant leur occupation de l'Egypte,  
pourvu qu'ils se confondent avec les  
autres »

Habitants du Vaïre et de l'Egypte, de toutes  
les religions, vous voyez que jusqu'à ce jour  
aucun des Français n'a eu le droit de  
vous rendre et à vous rendre, et maintenant  
digne de tout ce que vous avez fait pour  
vous, et ne vous rendant pas de la même  
manière, nous voyons que Dieu est présent,  
que c'est lui qui dirige toutes choses.

Le Général de Division,

Signé BELLIAUD.

LES CHATELAIN DU VAÏRE, DE L'IMPRIMERIE ROYALE

# CONVENTION

POUR

## L'ÉVACUATION DE L'ÉGYPTE

PAR LE CORPS DE TROUPES

DE L'ARMÉE FRANÇAISE ET AUXILIAIRES



AUX ORDRES

DU GÉNÉRAL DE DIVISION BELLIARD,

*Conclue entre les Citoyens DONZELOT, Général de Brigade;  
MORAND, Général de Brigade; TARRERRE, Chef de  
Brigade, de la part du Général de Division BELLIARD;*

*Et Monsieur le Général de Brigade HORA, de la part de  
son Excellence le Général en Chef de l'armée anglaise;  
OSMAN Bey, de la part de son Altesse le suprême Visir;  
et ISAAG Bey, de la part de son Altesse le Capitain Pacha.*

LES commissaires ci-dessus nommés s'étant réunis dans un lieu de conférence entre les deux armées, après l'échange de leurs pouvoirs respectifs, sont convenus des articles suivants :

ART. I. Les corps de l'armée française de terre et de mer, les troupes auxiliaires, aux ordres du général de division Belliard, évacueront la ville du Kaire, la citadelle, les forts, Boulak et Gyzeh, et toute la partie de l'Égypte qu'ils occupent dans ce moment.

II. Les corps de l'armée française et les troupes auxiliaires se retireront par terre à Rosette, en suivant la rive gauche du Nil, avec armes, bagages, artillerie de campagne, caissons et munitions, pour y être embarqués et de là être transportés dans les ports français de la méditerranée, avec leurs armes, artillerie, caissons, munitions, bagages, effets, aux fins des puissances alliées. L'embarquement des corps de troupes françaises et auxiliaires devra se faire aussitôt qu'il sera possible de l'effectuer, mais au plus tard dans cinquante jours, à dater de la ratification de la présente Convention. Il est d'ailleurs convenu que le dit corps seront transportés dans lesdits ports du continent français par la voie la plus prompte et la plus directe.



# DELLIARD,

## GENERAL DE DIVISION,

### COMMANDANT LA PLAGE DU KABIL.

# INSTRUCTION

## DES COURSEURS DE SECOURS

Approuvé par le Ministre de la Guerre le 10 Mars 1890.

Article 1. — Les courseurs de secours sont des hommes choisis parmi les soldats de la troupe, et qui sont affectés à la garde des postes de secours.

Article 2. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 3. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 4. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 5. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 6. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 7. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 8. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 9. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 10. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 11. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 12. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 13. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 14. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 15. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 16. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

Article 17. — Les courseurs de secours sont affectés à la garde des postes de secours, et sont chargés de porter les secours aux blessés.

سکن رقم (۸۵)





— — — — —

ملك ورقة ترتيب الاوامر اليومية

للإعطاء الحصة المخصصة

مهر و مهر الحامیه فی ۱۰ شهر المهر ۱۳۵۵

[illegible]

مجلس الوزراء  
البريد والرسائل

١٠

[illegible]

طابع بطلان القرض العربي - مصر العربية ٥

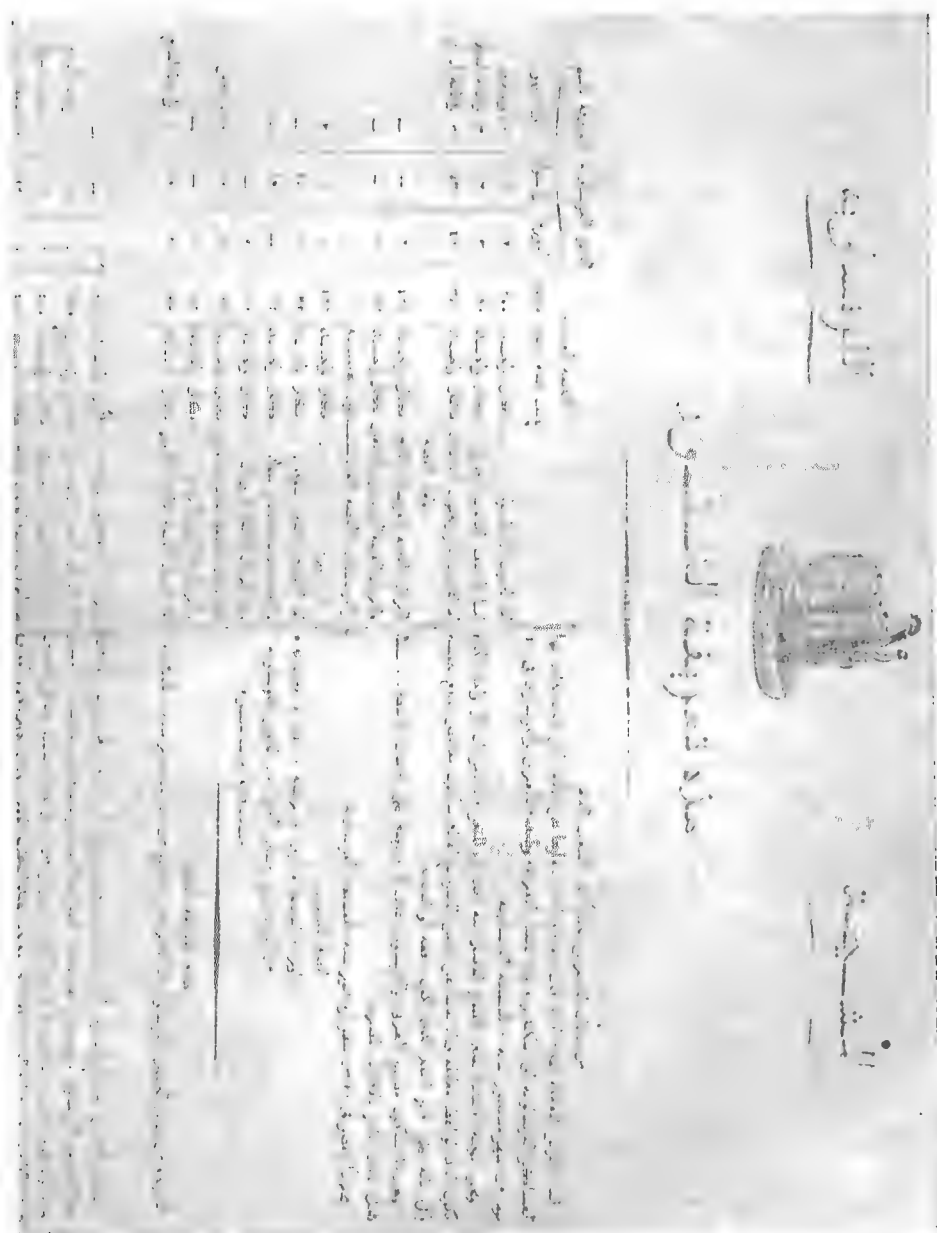


PLATE 4. *Agave americana* L. (Palm). 1. Inflorescence. 2. Flower. 3. Fruit. 4. Seed.

REPUBLIQUE

FRANÇAISE



# COPIE DE L'ORDRE

DU GÉNÉRAL EN CHEF

CRÉÉE DANS L'ORDRE DU JOUR DU 10 SEPTEMBRE 1870  
ET DU 10 OCTOBRE 1870.

Le GÉNÉRAL EN CHEF, après avoir  
évalué les forces militaires de la République  
française, les forces des Français en Europe  
et les forces militaires de la République  
française, a décidé de créer un ordre du jour  
pour récompenser les Français qui ont  
eu une part importante dans la défense  
de la République française.

Les Français qui ont eu une part importante  
dans la défense de la République française  
ont le droit de se faire inscrire sur la liste  
des Français qui ont eu une part importante  
dans la défense de la République française.

○ بسم الله الرحمن الرحيم ○

إنه من واجبنا أن نعترف بالجميل من بعد  
أن نحارب من أجلنا وأجل العالم والمسلمين  
مضاج الأتراك من أجلنا من أجلنا من أجلنا  
الفرنسيين من أجلنا من أجلنا من أجلنا  
عليهم من أجلنا من أجلنا من أجلنا  
منهم على ما يريد من العادة من قبلنا  
ولمعرفة أن من قبلنا من قبلنا من قبلنا  
لأننا ولأننا من قبلنا من قبلنا من قبلنا  
من قبلنا من قبلنا من قبلنا من قبلنا

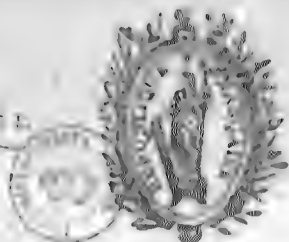
والمسلمين من قبلنا من قبلنا من قبلنا  
لأننا من قبلنا من قبلنا من قبلنا من قبلنا  
من قبلنا من قبلنا من قبلنا من قبلنا  
من قبلنا من قبلنا من قبلنا من قبلنا  
من قبلنا من قبلنا من قبلنا من قبلنا







شكل رقم (٨٩)



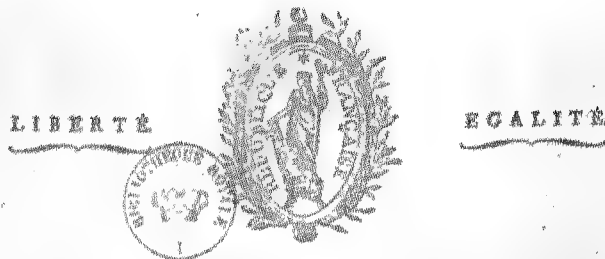
و امر لفرس و اوس كه خبر را در شهر درواستى بگويد. فرس بگويد:

[illegible]

أما ما رواه عن المتقدمين من الأهل فقولهم  
المحصر ولاهل الأهل وإلا فاحمل في القوم  
من جميع القوم و

واعتادوا أن يهملوا طعام مصر القدامى  
مصرى ويطعموه لئلا ينسى من قبل من  
مصر ويطعموه ويطعموه كمثل الفرنسيين  
لأنهم يأمروا أن هو مشهور أنطاع

A



COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre  
du jour du 24 fructidor an 8.

\* أمر من حضرة صاري عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنسية المقيم في \* شهر فرسورد \*  
سنة \* من الهجرة الفرنسية \*

Le Général en Chef, voulant remédier aux abus qui se commettent dans le recouvrement de plusieurs droits sur les consommations intérieures de l'Égypte ;

Considérant qu'il ne peut être trop pris de mesures, soit pour réprimer tout ce qui, sans bénéfice pour la République, accable le peuple, soit pour imprimer une marche régulière à l'administration des revenus publics en Égypte, ordonne ce qui suit :

ART. 1<sup>er</sup>. Une partie des droits existant en Égypte sur la consommation ou l'industrie, et perçus jusqu'à aujourd'hui, sera abolie à dater du 1<sup>er</sup> vendémiaire an 9.

La forme de perception des *khamlek*, ou droits sur les marchés des villes ou

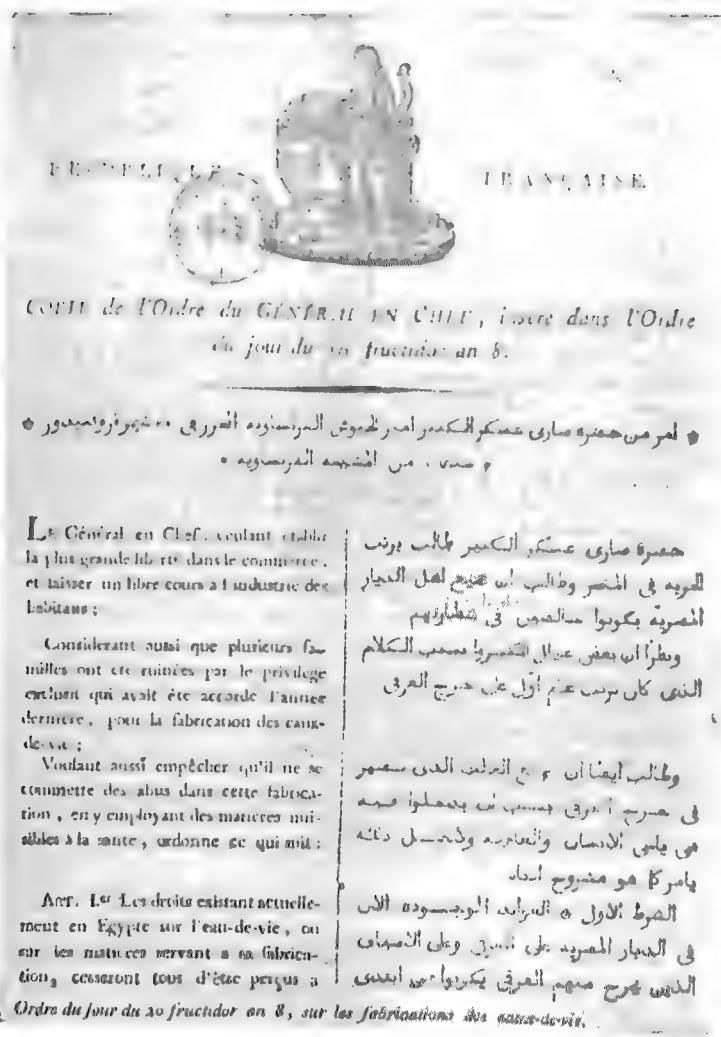
حضرة صاري عسكر الكبير لأجل دوا في  
الظلم الذي سائر في قبض العسوايد على  
المالوتة في قلب الديار المصرية  
ونظرا أن من اللوازم قوى التدبير لأجل  
منع جميع الذي من غير نفع إلى الجمهور  
ويقتل على الرعايا ولأجل ترتيب مساوي في  
مقبول الأموال في الديار المصرية بأمر كما هو  
أدناه

المسقط الأول \* بعض من العوايد  
الموجودة في الديار المصرية على المالوتة ومن  
المطارد المقبوضين على حد تاريخه من أبعدي  
أول شهر ونعمه سنة \* يكونوا بطالين  
وقبض المال في الأرباب والمناذر يتفقوا  
من أبعدي التاريخ المذكور

Ordre du jour du 24 fructidor, sur l'Ordre.



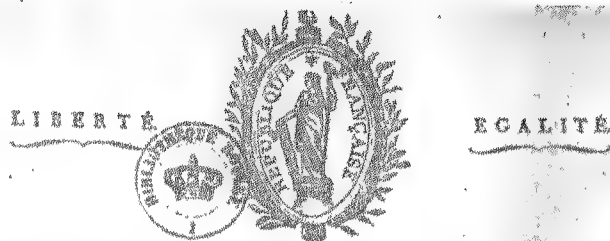
شکل رقم (۹۲)



شكل رقم (٩٣)







COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre  
du jour du 20 vendémiaire an 9.

« أمر من حضرة باري عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنسية المرسى في ٢٠ شهر رندميه  
سنة ٩ من المئتين الفرنسية »

**MENOU**, général en chef, vou-  
lant, d'après les principes de justice  
distributive, qui doivent faire la base  
de tout bon gouvernement, que l'un-  
position soit supportée en partie, par  
toutes les nations qui établies en  
Egypte ont droit à la protection des  
lois, ordonne ce qui suit :

ART. 1.<sup>er</sup> Les nations copte, syrienne  
et chanaquise, grecque, juive, et tous  
les individus qui, quoique de diffé-  
rentes nations européennes, forment  
en Egypte un corps connu sous le  
nom de *francs*, seront annuellement  
soumis, à dater du 1.<sup>er</sup> vendémiaire  
an 9, à une imposition personnelle,  
dans la proportion suivante : SAVOIR :

La nation copte, comprenant tous

Orde du jour sur les Impositions des nations Copte, etc.

حضرة مستنصر باري عسكر كبير الجيوش  
على موجب العدل الذي هو اساس للكم  
الطيب يطلب ان العوايد والاموال يكونوا  
على جميع القنوس القاطنين بالديار المصرية  
لان كلهم لهم حق في الكم ونسب ذلك  
يامر كما هو مشروع ادناه  
الشرط الاول : طائفة الاقباط واهل دس  
الهام والشوام والاروام واليهود وجميع الانصار  
الذين من بعض جنوس افرج مفهومين في  
الديار المصرية بطائفة الافرج يكونوا سدوي  
مليزومين من ابتدا اول شهر رندميه سنة ٩  
يدفع اموال مضمومة وذلك بقدر المائتين  
ادناه  
طائفة الاقباط ومن داخل هذه الطائفة



LIBERTÉ



ÉGALITÉ

COPIE DU POUVOIR DU GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre  
du jour du 20 vendémiaire an 9.

32. 10. 1800

أمر من حضرة ساري معسكر الكبير أمير المشاة الفرنسيين في مصر  
سيد : من المشايخ الفرنسيين

Monsieur, GÉNÉRAL EN CHEF,  
considérant que l'oppression des Français, et  
tant que possible, réparée entre tous les  
habitants de l'Égypte, conformément à  
leurs besoins;

Que lorsqu'il préconise les actions,  
intervenir et surveiller des principales  
villes de l'Égypte, ainsi que les autres  
contributions, selon leurs moyens, et par  
suite des dispositions établies pour  
répondre aux dépenses publiques, que  
cependant les habitants, français et  
arabes, sont tenus de payer la portion  
de leur dette, qui les concerne, et  
de leur donner satisfaction et paiement,  
avec toute célérité et liberté;

Considérant qu'il est urgent de ne  
pas négliger les publications et les

ordres de l'administration, et de la maintenir

مصره من ساري معسكر الكبير  
طرقاً إلى الموانئ والأموال لأهم أن يكونوا  
مفروطين على جميع أهل التجار المصرية وذلك  
موجب مقصودهم

ونظراً أيضاً إلى وقت تاريخ الصياغة  
والمصالح من المبادئ التمار والبنادر بالتجار  
المصرية لم دخلوا بغير مقصودهم في دفع  
الأموال المطلوبة والمزايا تحت المصاريف  
المصرية ومواد الصياغة والمصالح تحت  
مقصدكم وإلى وقت تاريخ دخلوا بغيرهم  
ومعهم ومصرهم كل واحد وأمان وأمان  
ومسراً أيضاً أن من الأمور اللازمة أن  
الفرنسيين وأهل البلاد والأوراق يكونوا





١٢٥٥  
Au Kaire, le 16 Bismat le ١٩

# M E N O U, G E N E R A L E N C H E F.

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد صلى الله

عليه وسلم

سر عسكر عالم امير القيس تولى الجمهور القبطية بصر مصر بالشعر

Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩

Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩

Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩  
Le 16 Bismat le ١٩

Le 16 Bismat le ١٩

Le 16 Bismat le ١٩

Le 16 Bismat le ١٩

Le 16 Bismat le ١٩

ادام عسكر العلم بلغة خمران من من  
المعلمين للعلماء القبطية فلو ان ارض مصر  
بطلوا من مستخدمين انهم ما لم يروا  
الشعر والتأويل وان هؤلاء الشجرة اوصاف  
طالوا اهل الملوك

ملوك انهم حكام ارض مصر  
طالع من علم محمد الشعر والملك  
هم محمد تولى وجه الملك  
كل من من العلمين مصري في القى ما  
مكتب انهم من مصر بصر انهم من  
المعلمين من فلو ان في القى هو ما هو  
وهو من مستخدمين فلو ان المستخدمين  
للعلم عليه كما يرى على التواريخ

وسر عسكره وبالمعلمين للعلم والامرا  
والعلماء وعلمان من مصر والملك من  
العلم المستخدمين عوايد القبطية اوم بالمعلم  
رأى من من فلو انهم هذا الامر التولى  
طالعوا والملك من مستخدمين

امام سر عسكر العلم  
عبد الله حاكم مستخدم  
صورة من مصر حاكم  
تتواجد في العلم من مصر  
عبد الله حاكم مستخدم









شكل رقم (١٠٣)





## أهم مصادر البحث



## ● أولا : مراجع أصيلة من عهد الحملة الفرنسية

- (١) المنشورات العربية والفرنسية ومزدوجة اللغة ، المطبوعة ، التي أصدرتها سلطات الحملة للمصريين وغيرهم .
  - (٢) المنشورات العربية الخطية الى أصدرتها سلطات الحملة للمصريين .
  - (٣) الأصول الخطية لعدد كبير من المنشورات العربية والفرنسية .
  - (٤) القرارات والأوامر اليومية المطبوعة التي أصدرتها سلطات الحملة بالفرنسية لجنودها .
  - (٥) التقارير والتقاويم السنوية التي أخرجتها مطابع الحملة بالفرنسية والعربية .
  - (٦) الكتب والكتيبات التي أخرجتها مطابع الحملة بالعربية والتركية والفرنسية والإيطالية .
  - (٧) مكاتبات ورسائل مختلفة موجهة من المصريين الى سلطات الحملة .
- وهذه المراجع التي كانت المادة الأساسية للبحث، والتي ألحق عسدد كبير من من صورها بالكتاب ، محفوظة بالجهات الآتية :
- ١ - دار الكتب المصرية - القاهرة
  - ٢ - دار الوثائق القومية - القاهرة
  - ٣ - دار الوثائق القومية - باريس
  - ٤ - قسم الوثائق التاريخية بإدارة المحفوظات التابعة لوزارة الحربية الفرنسية - باريس
  - ٥ - متحف الجيش - باريس
  - ٦ - المكتبة القومية - باريس
  - ٧ - مكتبة المتحف البريطاني - لندن

## ● ثانيا : المراجع العربية

### ١ - كتب عربية ومعربة

- ابراهيم عبده ( الدكتور ) : تاريخ الطباعة والصحافة في مصر ، خلال الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- \_\_\_\_\_ تاريخ الوقائع المصرية ( ١٨٢٨ - ١٨٤٢ ) ، القاهرة ، ١٩٤٦ .
- \_\_\_\_\_ تطور الصحافة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ .

- أحمد حافظ عوض : فتح مصر الحديث أونابليون بوناپرت في مصر ، القاهرة ، ١٩٢٥ .
- أحمد حسين الصاوي ( الدكتور ) : طباعة الصحف واخراجها ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- أحمد عزت عبد الكريم ( الدكتور ) : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
- أحمد مختار عمر ( الدكتور ) : تاريخ اللغة العربية في مصر ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- اميل بوفان : تاريخ الصحافة ، ترجمة محمد اسماعيل محمد ، سلسلة « الألف كتاب » رقم ١١٨ ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- جاك تاجر : حركة الترجمة بمصر ، خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .
- جمال الدين الشيال ( الدكتور ) : تاريخ الترجمة في مصر ، في عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة وتسليق الدكتور شوى ضيف ، الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- حسن ابراهيم ( الدكتور ) : تاريخ الاسلام السياسي ، والدبني والثقافي والاجتماعي ، الجزء الثاني : العصر العباسي الاول ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- حسين مؤنس ( الدكتور ) : الشرق الاسلامي في العصر الحديث ، القاهرة ، ١٩٢٨ .
- خليل شيبوب : عبد الرحمن الجبرتي ، سلسلة « اقرا » رقم ٧٠ ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- خليل صابات ( الدكتور ) : تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ .
- مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين ، جزآن ، بتحقيق : أحمد زكي عطية - مبدل المنعم عامر - محمد فهمي عبداللطيف - حنفى عامر ، القاهرة ، ١٩٦١ .
- عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية ، وتطور نظام الحكم في مصر ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٢٩ - الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- عبد الحليم محمد الشناوي ( الدكتور ) : دور الأزهر في الحفاظ على الطابع العربي لمصر ، أبان الحكم العثماني ، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (١٩٦١) ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- صود من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر ، في أواخر القرن الثامن عشر ، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، القاهرة ، ١٩٧١ .

— عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية ، سلسلة « اعلام العرب » رقم ٦٧ .  
القاهرة ، ١٩٦٧ .

— فيليب دى طرازى ( الفيكونت ) : تاريخ الصحافة العربية ، ٤ أجزاء ، طبعة مصورة ، بغداد ، ١٩٧١ ( صدر الجزء الاول والثانى عام ١٩١٣ ، والثالث عام ١٩١٤ ، والرابع ١٩٣٣ ) .

— لويس عوض ( الدكتور ) : تاريخ الفكر المصرى الحديث ، جزءان ، سلسلة « كتاب الهلال » ، المعدادان ٢١٥ ، ٢١٧ ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

— محمد شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ، ومشروع استقلال مصر ١٨٠١ ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

— محمد فؤاد شكرى ( الدكتور ) : الحملة الفرنسية وظهور محمد على .  
القاهرة ، بدون تاريخ .

— بناء دولة مصر محمد على ( بالاشتراك مع : عبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل ) ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

— عبد الله جالك منو ، وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

— محمود الشرقاوى : مصر فى القرن الثامن عشر : الجزء الاول ، عبد الرحمن الجبرتى - الحياة الفكرية والاجتماعية ، الجزء الثانى ايام المالك - الازهر والعلماء الجزء الثالث ، شعب مصر وكفاحه - صفحات من سيرة محمد على ، القاهرة ، ١٩٥٧ .  
— نقولا الترك : ذكر تملك جمهور فرنساوبة الافطار المصرية والبلاد السامية ( نشره وترجمه الى الفرنسية اينيه ديجرانج ) ، باريس ، ١٨٣٩ .

— مذكرات نقولا الترك ( نشره وترجمه الى الفرنسية جاستون فييت ) ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

— هيرولد ، ج . كريستوفر : بوناپرت فى مصر ، ترجمه عن الانجليزية فؤاد اندراوس ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

## ٢ - مخطوطات

— اسماعيل الخشاب : تاريخ حوادث وقعت فى مصر منذ سنة ١١٢٠ (هـ) الى دخول الفرنسيين ، المكتبة التيمورية ، دار انتب المصرية .

— محمد بن يوسف جوربجى جمليان هاتم : منشورات قائد الفرنسيين فى مصر أثناء الحملة الفرنسية ، دار الكتب المصرية .

## ٣ - مقالات

توفيق اسكاروس : « تاريخ الطباعة فى وادى النيل » ، مجلة الهلال ، السنة الثانية والعشرون ، نوفمبر وديسمبر ١٩١٣ ومارس ١٩١٤ .

مسلططين البانسا ، الخورى : «ترجمة الاب روفائيل زخوره» ، المجلة البطريكية  
السان السابعة والثامنة ، ١٩٣٢ .

## ٤ - دوريات

الوقائع المصرية ، من عام ١٨٢٨ الى عام ١٨٤٢ .

## ● ثالثا : المراجع غير العربية

### ١ - كتب

- Bainville, M. Jacques : **Bonaparte en Egypte**, Paris, 1936.
- ———, **L'Expédition Française en Egypte** (Précis de l'Histoire d'Egypte, t. III), Le Caire, 1933.
- Bertrand (Général) : **Campagne d'Egypte et de Syrie (1798-99)**. Mémoires pour servir à l'Histoire de Napoléon dictés par lui-même à Sainte-Hélène, Paris, 1847.
- Bourrienne, L.A., Fauvelet de : **Mémoires sur Napoléon (1795-1814)**, t. II, Paris, 1828-30.
- Charles-Roux, François : **Bonaparte Gouverneur d'Egypte**, Paris, 1936.
- ———, **Les Origines de l'Expédition d'Egypte**, Paris, 1910.
- Chauvin, Victor : **La Légende Egyptienne de Bonaparte**, Mons, 1902.
- Cherfils, Christian : **Bonaparte et l'Islam**, d'après les Documents Français et Arabes, Paris, 1914.
- Desgenettes, R. : **Histoire Médicale de l'Armée d'Orient**, Paris, 1902.
- ———, **Souvenir d'un Médecin de l'Expédition d'Egypte**, Paris, 1893.
- Elgood, P.G. (Lt. Colonel) : **Bonaparte's Adventure in Egypt**, London, 1936.
- Estève, le Comte : **Mémoires sur les Finances de l'Egypte...** (Dans : Description de l'Egypte, t. XII, pp. 4-248).
- Fleury, Le Comte : **Bonaparte en Egypte**, Souvenirs du Capitaine Thurman, publiés avec préface et appendices par le Comte Fleury, Paris, 1902.
- Galland, Antoine : **Tableau de l'Egypte pendant le séjour de l'Armée Française**, Paris, 1804.
- Guemard, G. : **Les Orientalistes de l'Armée d'Orient**, Paris, 1928.
- Herold, J. Christopher : **Bonaparte in Egypt**, New York, 1963.
- Homsy, Gaston : **Un Egyptien Colonel dans les Armées de Napoléon I**, Le Caire, 1929.
- ———, **Le Général Jacob et l'Expédition de Bonaparte en Egypte**, Marseille, 1921.

- Ivray, Jehan d' (Mme Fahmy Bey) : *Bonaparte et l'Egypte*, Paris, 1914.
- Lacroix, Désiré : *Bonaparte en Egypte*, Paris, 1899.
- La Jonquière, C. De : *L'Expédition d'Egypte (1798-1801)*, Paris, 1899-1907.
- Las Cases, Emmanuel (Comte de) : *Mémorial de Sainte-Hélène*, Paris, 1961.
- Ledré, Charles : *Histoire de la Presse*, Paris, 1958.
- Martin, P. : *Histoire de l'Expédition Française en Egypte*, Paris, 1815.
- Munier, J. : *La Presse en Egypte (1799-1900)*, Le Caire, 1930.
- Périer, A. : *Napoléon Journaliste*, Paris, 1918.
- Reynier, J. : *De l'Egypte après la Bataille d'Héliopolis*, Paris, 1802.
- Rigault, Georges : *Le Général Abdallah Menou et la Dernière Phase de l'Expédition d'Egypte (1799-1801)*, Paris, 1911.
- Rousscau, M.F. : *Kléber et Menou en Egypte depuis le Départ de Bonaparte*, Paris, 1900.
- Reybaud, L. et autres (Rédacteurs) : *L'Histoire Scientifique et Militaire de l'Expédition Française en Egypte* (10 volumes), Paris, 1830-36.
- Reynier, G. : *Mémoires du Comte Reynier, Campagne d'Egypte*, 11e partie, Paris, 1827.
- Sibert, Peterson and Schramm : *Four Theories of the Press*, Urbana, Illinois, 1963.
- Spillmann, Général Georges : *Napoléon et l'Islam*, Paris, 1969.
- Turc Nicolas : *Chronique d'Egypte (1798-1804)*, édité et traduit par Gaston Wiet, Le Caire, 1950.
- Turk Nakoula el- : *Histoire de l'Expédition des Français en Egypte*, publié et traduit par Aimé Desgranges, Paris, 1839.
- Weill, Georges : *Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique*, Paris, 1934.
- Wiet, Gaston : *Deux Mémoires Inédits sur l'Expédition d'Egypte* (Journal de Grandjean et Journal du Lieutenant Laval), préface et annotés par G. Wiet, Le Caire, 1941.

## ٢ - بحوث ومقالات

- Bachaty, Charles : « Un Manuscrit autographe de Don Raphael », *Bull. de l'Institut Egyptien*, t. XIII, 1931.
- ———, « Un Membre Oriental du Premier Institut d'Egypte. Don Raphael », *Bull. de l'Institut d'Egypte*, t. XVII, 1934-35.
- Belin, M. : « Notice Nécrologique et Littéraire sur M.J.J. Marcel », *Journal Asiatique*, 5e série, t. III, 1854.
- Bonola, F. : « Una Visita a Mohamed Ali nel 1822. La Stamperia et il Prima Giornale », *La Revue Internationale d'Egypte*, t. II, 1905.

- Canivet, R.G. : « L'Expédition d'Egypte. La Commission des Sciences et des Arts », *La Revue Internationale d'Egypte*, t. III, No. 1, 1906.  
 ———, « L'Expédition d'Egypte », *La Bibliothèque de l'Expédition, La Revue Internationale d'Egypte*, t. IV, No. 4 et 5, 1906.  
 ———, « L'Imprimerie de l'Expédition Française », *Bull. de l'Institut Egyptien*, série 5, t. III, 1909.
- Geisse, Albert : « Histoire de l'Imprimerie en Egypte », *Bull. de l'Institut Egyptien*, 5ème série, t. I, 1907.
- Sayed, Afaf Loutfi El- (Dr.) : « The Role of the 'Ulama' in Egypt during the Early 19th Century », *Political and Social Change in Modern Egypt. Historical Studies from the Ottoman Conquest to the U.A.R.*, edited by Holt, London, 1968.
- Taillefer, A. : « Notice Historique et Bibliographique sur M.J.J. Marcel », *Revue de l'Orient, de l'Algérie et des Colonies*, t. XVI, 1854.

### ٣ - وثائق منشورة

- Napoléon Bonaparte : *Allocutions et Proclamations Militaires*, par Georges Barral, Paris, 1895.  
 ———, *Correspondance de Napoléon Ier*, publiée par ordre de l'Empereur Napoléon III (t. 3, 4, 5), Paris, 1858-1870.  
 ———, *Correspondance inédite Officielle et Confidentielle de Napoléon Bonaparte* (t. II) Paris, 1819.  
 ———, *Proclamations, Ordres du Jour et Bulletins de la Grande Armée*, Paris, 1964.
- Rousseau, François (publ.) : *Kléber et Menou en Egypte depuis le Départ de Bonaparte*. Documents publiés pour la Société d'Histoire Contemporaine, Paris, 1900.

### ٤ - بحوث غير منشورة

- Wassef, Amin : *L'Information et la Presse Officielle en Egypte jusqu'à la fin de l'Occupation Française*. Thèse pour le Doctorat d'Université présentée à la Faculté des Lettres de Paris, 1952.

### ٥ - دوريات

- *Le Courrier de l'Armée d'Italie*, 1797.
- *Le Courrier de l'Egypte*, 1798-1801.
- *La Décade Egyptienne*, 1798-1801.



## فهرس الأعلام

(١)

- آنان : ٧٨  
 إبراهيم ( باشا - الوالى ) : ٣٨  
 إبراهيم ( بك - أمير المماليك ) :  
 ١٢٠ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ -  
 ١٥٧ - ١٩٥ - ١٩٦  
 إبراهيم أدهم بجمقشى زاده ( ملا  
 زاده ) : ١٣٧  
 إبراهيم البرجى ( الشيخ ) : ١٤٤  
 إبراهيم الدسوقى ( الشيخ ) : ٢٦١  
 إبراهيم جر العايط : ١١٧  
 إبراهيم عبده ( الدكتور ) : ٢٥ -  
 ٧٥ - ٨٠ - ٢٩٦ - ٢٩٧  
 إبراهيم المويلحى : ٣٨  
 ابنود ( قرية ) : ١٩٤  
 ابو الريش : ٢٠٨  
 أبو شادى : ٢١٨  
 أبو عبد الله الادريسي : ٢٦٣  
 أبو الفتوح رضوان ( الدكتور ) :  
 ٧٨  
 أبو قير : ٥٢ - ٩٦ - ١٠٧ -  
 ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٦٥ -  
 ٢٠٦  
 أبو مناع ( قرية ) : ١٦٤  
 أبو هيف : ٢١٨  
 أنفاسيوس دباس ( البطريك ) :  
 ٤٣  
 أحمد الجزار ( باشا ) : ١٢٨ -  
 ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٥ - ١٨٨ -  
 ١٨٩ - ١٩١ - ١٩٦ - ٢٧٣  
 أحمد حافظ عوض : ٨ - ١١٧ -  
 ٢٦٨  
 أحمد خورشيد ( باشا - الوالى ) :  
 ٤١  
 أحمد العريشى ( الشيخ ) : ١٢٢ -  
 ١٣٨ - ١٣٩  
 أحمد محرم : ١١٧  
 أحمد المحروقى : ١١٧ - ١٣٦ -  
 ١٩٧  
 أحمد الوالى : ٢٢٨  
 الآستانه : ٤٣ - ١٩٣ - ٢٦٢  
 استيف ( استهوه ) : ١٥٥ - ٢٠٨ -  
 ٢١١ - ٢٢٣ - ٢٤٠ - ٢٤٢ -  
 ٢٤٤ - ٢٤٥  
 الاسكندرية : ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ -  
 ٢٥ - ٤٦ - ٦٤ - ٩٣ - ١٠٧ -  
 ١١٩ - ١٤٠ - ١٤٤ - ١٤٥ -  
 ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ -  
 ١٦٠ - ١٦٩ - ١٩٢ - ١٩٥ -  
 ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١٣ - ٢١٤ -  
 ٢١٥ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢٢٢ -  
 ٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٣١ - ٢٣٥ -  
 ٢٣٧ - ٢٤٠ - ٢٦٣  
 اسماعيل ( باشا ، الخديوى ) : ٣٨  
 ٤٦ - ٢٥٦ - ٢٦٦  
 اسماعيل الخشاب : ٧٧ - ٧٨ -  
 ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ١٥٣ - ٢٦٠ -  
 ٢٨٤  
 اسماعيل الزرقانى ( الشيخ ) :  
 ١٨٤ - ١٥٥

امبابة : ١١٢	اسيوط : ٢٤٠
أمين واصف ( الدكتور ) : ٨	أطفيحية : ١٨١
انطون زخورة راهبة (أنظر : رفايل)	البا : ٣١
أوريان ( لوريان ، بارجة قيادة	الياس ( ايليا ) فتح الله : ٢١ -
الحملة ) : ٢٢ - ٦٩	٢٦٥
ايطاليا : ٢٥٧ - ٢٦٤	الياس فخر : ٢٦٤
ايليثيا : ٥٨	اليوس بقطر : ٢٦٥ - ٢٦٦

## ( ب )

٢١٠ - ٢٠٨ - ٢٠٦ - ١٦٥ -	باريس : ١٠ - ١٩ - ٢٢ - ٤٣ -
٢٦٩ - ٢٦٣ - ٢٢٣ - ٢١٩ -	٨٣ - ٢٦٢ - ٢٥٦ - ٢٢٦ -
بولاق : ١٧٨	٢٨٩ - ٢٦٤
بونابرت ( بونابرت ، نابليون ) :	براسفيش ( براشويش ) : ٢٦٠ -
٨ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ -	٢٦٣
٢١ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ -	برتران ( الجنرال ) : ٢٨١
٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٥ -	برتوليه : ٢٠٨
٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٨ -	برتييه ( الجنرال ) : ٢٣ - ٤١ -
٤٩ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٨ -	١٢٩
٥٩ - ٦٠ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٦ -	بروتان ( بروتان ) : ٢٢٨ - ٢٢٩
٧٧ - ٨١ - ٨٤ - ٨٩ - ٩١ -	بريزون : ٣٢٨ - ٢٣٩
٩٢ - ٩٣ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ -	بريفيه : ٢٦ - ٢٩
٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ -	بشير الشهابي : ٢٩١
١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٦ - ١٠٧ -	بكر ( باشا ، الوالي ) : ١٢٠ -
١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ -	١٩٦ - ٢١٩
١١٨ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٢٤ -	بليس : ٢٣٠
١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ -	بلتيت : ٢٦٠
١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٣ - ١٣٤ -	بلصفورة ( قرية ) : ٧٠
١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ -	بليار ( الجنرال ) : ٤١ - ٦٨ -
١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ -	١٠٧ - ١٠٨ - ١٥٩ - ١٦٠ -
١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٥٥ -	١٧٥ - ١٨٥ - ٢٣٠ - ٢٣١ -
١٥٧ - ١٥٩ - ١٦١ - ١٦٢ -	٢٣٢ - ٢٣٥ - ٢٧٠ - ٢٨٣ -
١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ -	٢٨٥
١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٨ -	بنى سويف : ١٨١
١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩١ -	بودو ( بودوت ، الجنرال ) : ٢٠٥
١٩٢ - ١٩٧ - ٢٠٢ - ٢٠٣ -	بودوف : ١١٤ - ١١٧
٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٩ - ٢١٢ -	يورين ( الجنرال ) : ٢٦ - ١٠١ -
٢١٩ - ٢٢١ - ٢٢٥ - ٢٣١ -	بوسيلج ( الجنرال ) : ١٠٠ - ١٢٧

٢٣٥ - ٢٣٧ - ٢٤١ - ٢٤٤ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٩ - ٢٨٠ -  
٢٥١ - ٢٥٧ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٨١ - ٢٨٩ - ٢٩٢

### ( ث )

تاليان : ٥٦ - ٥٧ - ٦١  
تاليران : ١٧  
تبو صاحب ( ابن حيدر ) : ١٨٨  
التنبيه ( صحيفة ) : ٧٨ - ٨٠ -  
٢٨٤ - ٨٦ - ٨٤  
توفيق ( الخديوى ) : ٢٥٦  
تيرمان ( الكابتن ) : ٢٤٣

### ( ج )

جبرائيل الطويل ( القس ) : ٢٦٥  
جبران سكروج : ٢٦٥  
الجبرتى : ( أنظر : عبد الرحمن  
الجبرتى )  
جرانميزون ( برسفال : ٤٨  
جرجا : ٧٠  
جرجى زيدان : ٧٨  
جرنال الخديوى : ٧  
جلوتيه : ١١٤ - ٢٢٣  
جمال الدين الأفغانى : ٣٨  
جمال الدين الشيال ( الدكتور ) :  
٢٦٢  
الجمالية ( قرية ) : ١٦٤  
جميعى : ٢١٨  
جوير ( المترجم ) : ٢٦٣  
جوير ( المندوب البحرى ) : ١٠٢  
لوجورنال دى ديبا : ٣١  
جوستيس ( فرقاطة ) : ٢٢  
جوليان ( الجنرال ) : ٢٩ - ١٥٦  
جومار : ٤٠  
جونز ( الدكتور مارسدن ) : ٩٢ -  
٢٧٧  
جيرار : ١٦٠  
جيس ( ألبير ) : ٦٧ - ٧٤ - ٧٨ -  
٨٣

### ( ح )

الحجاز : ٢٠٢  
حسن أغا محرم : ١٢٦  
حسن العطار ( الشيخ ) : ٢٦٠  
حلب : ٤٣  
الحوادث اليومية ( صحيفة ) : ٧٧ -  
٧٨  
حيفا : ١٩٢  
الحانكة : ٢٣٠  
خان يونس : ٢٠٤  
خسرو ( باشا ، الوالى ) : ٤١  
خليل البكرى ( السيد ) : ٤٢ -  
٩٥ - ١١٦ - ١٢٢ - ١٣٠ -  
١٣١

( ٥٥ )

ديار بكر : ٢١	دارفور : ٩٢
دي برسفال : ٢٦٦	داماس ( الجنرال ) : ٥٣
ديجنت : ٢٦ - ٢٨ - ٤٣ - ٤٨ -	دلاپورت : ٢٢ - ٢٦٠
٥٦ - ٥٨ - ٨٠ - ٨٥ - ٢٦٤ -	دمنهو : ١٥٧ - ١٦٥ - ١٨٠
٢٨٩	دميساط : ٦٦ - ١٨٩ - ٢٤٠ -
دير قزحيا : ٤٢	٢٦٤ - ٢٤٩
دي ساسي ( سلفستر ) : ٢١ - ٢٦٣	دوجا ( الجنرال ) : ١٢٩ - ١٣٠ -
دي شوازيل ( دوق ) : ١٧	١٣٣ - ١٣٨ - ١٤٢ - ١٤٣ -
لاديكاد اجبسين : ٧ - ١٠ - ١١ -	٢١٠ - ٢١٥ - ٢٢٢ - ٢٧٧
٢٥ - ٥٥ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ -	دوستان ( الجنرال ) : ٢١٠
٦١ - ٦٢ - ٨٢ - ٨٣ - ٢٥٨ -	ديبوي ( الجنرال ) : ١١٢
٢٦٠ - ٢٩٠ - ٢٩٥ - ٢٩٦ -	

( ٥٦ )

ذو الفقار كتحدا : ١١٤

( ٥٧ )

الرملة ( بلدة ) : ١٩٠ - ١٩١	الرافعي : ( انظر : عبد الرحمن
روما : ٩٤ - ١٩٧ - ٢٥٧ - ٢٦٤	الرافعي )
رومية : ( انظر : روما )	الرحمانية : ٩٦ - ١٤١ - ١٦٥ -
ريبو : ٢٦٠ - ٢٦٢	٢٨٣ - ٢٣٠
ريج : ٢٦٠	رنييد : ٤٦ - ٦٦ - ١٠٤ - ١١٩ -
ريجا ( كاميللو ) : ٢٢	١٢١ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٨ -
ريجو ( جورج ) : ٨٣ - ٢٣٩ - ٢٤١ -	١٦٠ - ١٩٥ - ١٩٦ - ٢٢٦ -
٢٤٣ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ -	٢٣٠ - ٢٤٠
رينو ( جوفاني ) : ٢٢	رفاعة الطهطاوي : ٣٨ - ٢٥٦ - ٢٦٠ -
رينيه ( الجنرال ) : ٦٥ - ٢٢٨ -	٢٦١ - ٢٧٩
٢٤٣ - ٢٤٩	رفايل ( رافايل : روفائيل ، الألب ) :
	١٥٥ - ٢٦٤ - ٢٨٤

(ج)

زبيدة ( زوجة منو ) : ١٠٤  
الزرقا ( قرية ) : ١٦٤  
الزوامل ( قرية ) : ٢٣٠  
زينوفون : ١٩

(س)

سارتلون ( الجنرال ) : ١٥١ - ٢٢٨ - ٢٣٩  
٢٢٩  
سافاريزي ( انطونيو ) : ٦١  
سانت هيلانة : ١٠٢  
سرسنا ( قرية ) : ١٦٤  
سعيد ( باشا ، الوالى ) : ٤٦  
سليمان الحلبي : ٤٤ - ٥٤ - ٦٦ -  
٦٧ - ٨٣ - ١٧٢ - ١٧٤ -  
٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٦٣ -  
٢٦٧ - ٢٩٤  
سليمان الفيومي ( الشيخ ) : ١١٦ -  
١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤  
سوسي : ٢٠٨  
سوهاج : ٧٠  
السويس : ٢٠٢ - ٢٠٦ - ٢٤٠  
سيدنى سميث ( السير ) : ٣١ -  
١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤

(ش)

شاتوبريان : ٣١  
شارل رو : ٤٢ - ٧٤ - ٧٨  
الشعراء ( قرية ) : ١٦٤

(ص)

الصالحية : ١٤٩  
صفد : ١٩١  
صيدا : ١٢٨ - ١٨٨

(ط)

طابور ( جبل ) : ١٩٢  
طرابلس ( الشام ) : ٢٦٣  
طرابلس ( الغرب ) : ٩٢  
الطرائة ( جبل ) : ٢٠٦  
طنطا : ٢٤٩  
طيبة : ٢٦٩

## (ع)

- عباس ( ابن الشيخ ظاهر العمر ) : عبد الله الشرقاوى ( الشيخ ) : ٩٥ -  
١٩١  
عبد الرحمن الجبرنى : ٨ - ٢١ - ٢٤ -  
٣٦ - ٤١ - ٤٣ - ٦٧ - ٧٣ -  
٧٤ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٣ - ١٠١ -  
١٠٢ - ١١٣ - ١١٥ - ١١٦ -  
١١٧ - ١٢١ - ١٢٢ -  
١٢٣ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ -  
١٣١ - ١٣٤ - ١٣٦ - ١٤٣ -  
١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٠ - ١٥١ -  
١٥٤ - ١٥٩ - ١٦١ - ١٧٢ -  
١٧٣ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٨٢ -  
١٨٤ - ١٨٩ - ١٨٩ - ١٩٦ -  
١٩٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ -  
٢١١ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٢ -  
٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣١ -  
٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٨ -  
٢٥٨ - ٢٦٠ - ٢٦٢ - ٢٦٧ -  
٢٧٢ - ٢٧٦ - ٢٨١ - ٢٩٦ -  
عبد الرحمن الراعى : ٨ - ٧٥ -  
٧٨ - ١١٥ - ١١٧ - ١١٨ -  
١٢٢ - ١٢٣ - ١٤٦ - ١٧٢ -  
١٨٤ - ١٨٥ - ٢٢٠ - ٢٢٣ -  
٢٢٤ - ٢٣٨ - ٢٦٨ -  
عبد العزيز الشناوى ( الدكتور ) :  
٧٥ - ١٢٢ - ١٢٣ -  
عبد الله ابو السعود : ٣٨ -  
٢٢٥ - ٢٤٨ - عين شمس :  
١٦٨ - عمر مكرم ( السيد ) :  
٥٠ - عمرو بن العاص :  
٢٢٥ - علقام ( قرية ) : ١٦٤ -  
على بهجت ( بك ) : ١٠٤ -  
على كتنخدا باش اختيار مستحفظان :  
١٣٦ -  
عمر بن الخطاب : ٥٠ -  
عمر مكرم ( السيد ) : ١٦٨ -  
عمرو بن العاص : ٥٠ -  
عين شمس : ٢٢٥ - ٢٤٨ -

## (غ)

- غالب بن مساعد ( شريف مكة ) : غزة : ٩٦ - ١٢٧ - ١٣٠ - ١٩٠ -  
١٠٠ - ١٦٥ - ١٨٨ - ٢٠٦ -  
الغريانى : ٢١٨ -

( ف )

فالنس ( بلدة ) ٢٢	فريجوس ( ميناء ) : ٠
الفاتيكان : ٢٠ - ٢٨٩	فورييه : ٤٨ - ٥٥ - ٨٢ - ١٨٤
فانتور : ١٩ - ٢١ - ٢٢ - ٦٩	٢٨٤
١٩٠ - ٢٦٠ - ٢٦٢ - ٢٦٣	فولمار : ١١٤ - ١١٧
٢٨٠	فيليب دى طرازي ( الفيكونت ) :
	٧٨ - ٧٧

( ك )

كازا بيانكا : ٢٢٨	٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٧
كاف : ١١٤ - ١١٧	٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣١ - ٢٣٥
كافاريللي ( الجنرال ) : ٢٠	٢٣٦ - ٢٤١ - ٢٥١ - ٢٦٣
كانوب : ١٠٧ - ٢٣١	٢٦٩ - ٢٧٥ - ٢٧٨ - ٢٨٣
كلبير ( الجنرال ) : ٩ - ٢٣ - ٢٤	لوکوريه دى لارميه : ٢٩
٤٤ - ٤٨ - ٥٤ - ٥٩ - ٦٦	لوکوريه دى ليجبت : ٧ - ١٠
٦٨ - ٧٠ - ٨١ - ٨٣ - ٨٤	١١ - ٢٤ - ٢٥ - ٤٢ - ٤٩
٨٥ - ١٠٣ - ١٤٣ - ١٤٥	٥١ - ٥٢ - ٥٥ - ٥٩ - ٦٠
١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩	٦١ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٧٥
١٥٥ - ١٥٦ - ١٦١ - ١٦٨	٨٠ - ٨٢ - ٨٣ - ١١٥ - ١١٧
١٦٩ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣	١٢٣ - ٢٩٠ - ٢٩٦
١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٨ - ٢٠٤	كوستاز : ٤٨
٢١٢ - ٢١٣ - ٢٢١ - ٢٢٢	كونتيه : ٢٢٠

( ل )

لاكروا : ٧٤ - ١٩٦	لوفافاسير ( ليون ) : ٥٨
لانجليس : ١٩ - ٢١ - ٢٦٣	لوماكا : ٢٦٠ - ٢٦٣
لبنان : ٢٦٤	لويس عوض ( الدكتور ) : ٧٦
لطف الله المصرى : ١١٧	١١٧ - ١٢٢ - ١٤٦ - ١٧٢
لقمان ( الحكيم ) : ٦٢	٢١٦
لندن : ١٠ - ٤٣	ليبير : ٢٨
لوريان : ( انظر : اوريان )	ليدن : ٤٣

(م)

- مارسيل : ٢١ - ٢٣ - ٢٥ - ٢٦ - محمد عمر التونسي ( الشيخ ) :  
٢٦١ - ٥٤ - ٥٨ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ -  
٢٦٢  
مارك أوريل : ٢٢ - ٢٣ - ٢٥ - محمد عياد الطنطاوي ( الشيخ ) :  
٢٦١ - ٢٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٦٠ - محمد فؤاد شكرى ( الدكتور ) :  
٧٥ - ٢٨٧ - ٢٩٥  
مارمون ( الجنرال ) : ١٤٤ - ١٥٥ - محمود ( سيدى ) : ١٩٧  
٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢١٨ - محمود الشرقاوى : ٧٥ - ١٠٢ -  
٢٦٩  
مالطة : ٩٣ - ٩٤ - ١٠٢ - ١٨٨ - مراد ( بك ، الامير المملوكى ) :  
٧٠ - ١٢٦ - ١٥٧ - ١٩٥ -  
٢٢٥ - ٢٣٠ - ٢٤٠ - ٢٤١ -  
٢٧٨  
المامون ( الخليفة ) : ٢٥٨ - مرتضى الزبيرى ( السيد ) : ٨١  
ميرجى الدقاق ( مبارك ) : ٢٠٨ - مرعى بن يوسف الحنبلى ( الشيخ ) :  
٢٦٣  
المحلة الكبرى : ١٧٨ - ٢٤٩ - مسقط ( مسكت ) : ٩٢ - ٢٠٧  
محمد ( سيدى ، أبو دفية ) : ١٩٧ - مصطفى ( أغا ، بك ، أمير الحج  
١٢٢ : ١٢٢ - محمد الأمير ( الشيخ ) :  
١٦٧ : ١٦٧ - محمد الجوهري ( الشيخ ) :  
١٢٢ : ١٢٢ - محمد الدواخلى ( الشيخ ) :  
٥١ : ٥١ - محمد السادات ( الشيخ ) :  
٢٢٨ : ٢٢٨ - محمد الغزى :  
٩٥ - محمد الفاسى ( الشيخ ) : ٤٢ -  
٩٥  
محمد المسيرى ( الشيخ ) : ١٤٤ - محمد المهدي ( الشيخ ) : ٤٢ -  
٩٥ - ١٠٠ - ١١٦ - ١١٧ -  
١٢٢ - ١٢٨ - ١٣٠ - ١٣١ -  
١٣٦ - ٢٠٢ - ٢٧٧ - ٢٨٠ -  
محمد عبده ( الشيخ ) : ٢٥٦ - محمد عثمان جلال : ٣٨  
محمد على ( باشا ، الوالى ) : ٧ - ٣٧ - ٣٨ - ٤٠ - ٤٥ - ٧٩ -  
٢٥٦ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٤ -



٢٧٨ - ٢٧٥ - ٢٧٢ - ٢٧١	١٠٧ - ١٠٦ - ١٠٥ - ١٠٤
٢٩٣ - ٢٨٩ - ٢٨٤ - ٢٨٣	١٥٣ - ١٥١ - ١٥٠ - ١٠٩
٢٩٥	١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٥ - ١٥٤
المهدي ( قائد ثورة دمنهور )	١٦٢ - ١٦١ - ١٦٠ - ١٥٩
١٨٠ - ١٦٥ - ١٥٧	١٧٦ - ١٧٤ - ١٧١ - ١٧٠
مورا ( الجنرال ) : ٢٠٤	١٨٠ - ١٧٩ - ١٧٨ - ١٧٧
موسى السرسى ( الشيخ ) : ١٢٢	١٩٥ - ١٨٤ - ١٨٣ - ١٨٢
مونيج : ١٩ - ٢٠ - ٢٨ - ٢٠٨	٢٢٥ - ٢١٥ - ٢١٢ - ٢١١
لو مونيتور ( صحيفة ) : ٣٠	٢٣١ - ٢٣٠ - ٢٢٩ - ٢٢٧
ميت سلسيل ( قرية ) : ١٦٤	٢٣٧ - ٢٣٥ - ٢٣٣ - ٢٣٢
ميخائيل الصباغ : ٣٦٥	٢٤٢ - ٢٤١ - ٢٤٠ - ٢٣٩
ميخائيل كحيل : ١١٧	٢٤٧ - ٢٤٦ - ٢٤٥ - ٢٤٣
	٢٥٨ - ٢٥٠ - ٢٤٩ - ٢٤٨
	٢٧٠ - ٢٦٩ - ٢٦٤ - ٢٦٣

## ( ن )

نقولا الترك : ٧٤ - ١٢٦ - ١٣٦ -	نابليون : ( انظر : بوزابرت )
١٥٠ - ١٤٣	نخاو الثانى ( الفرعون ) : ٢٠٢
نقولا مسابكى : ٤٥	لوناسيونال ( صحيفة ) : ٣١
نكتو : ٥٨	نزهة الافكار ( صحيفة ) : ٣٨

## ( هـ )

الهند : ١٨٨ - ٢٠٢	هاتان : ( انظر آتان )
هيرولد ( كريستوفر ) : ٢٢ - ١٠٢	هتشنسون ( الجنرال ) : ٢٣٠
	همام ( شيخ قبيلة الهوارة ) : ١٠٩

## ( و )

٢٨٦ - ٢٥٦ - ٤٥	وادي النيل ( صحيفة ) : ٣٨
الوليد بن عبد الملك : ٢٥٦	الوقائع المصرية ( صحيفة ) : ٧

(٥)

يافا : ١٠٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٦٧ -	يوسف الشبراخيتي ( الشيخ ) :
١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ٢٠٤ -	١٢٢ - ١٢٤
٢١٥ - ٢٨١ - ٢٨٢	يوسف باش جاويش : ١٣٦
يعقوب ( الجنرال ) : ٢٦٥	يوسف ضيا ( باشا ، الصدر الاعظم ) :
اليمن : ٢٠٢	٢٣٠
يوحنا الاورشليمي ( القديس ) :	يوسف فرحات : ١١٧
٩٤ - ٢٥٧	يوسف مسابكي : ٢١
يوسف السمان : ١٧٩	

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/١٧٨٨



## ● هذا الكتاب

نعرف أن الصحافة نشأت في مصر مع بدء قيام دولتها الحديثة على يد محمد علي ، غير أنه كانت لهذه الصحافة مقدمات ظهرت قبل ذلك في عهد الحملة الفرنسية ، التي تميز عهدها القصير بأنه كان نقطة تحول فاصلة ، هيأت الظروف لكي تبدأ مصر بعده تاريخها الحديث .

لقد كان الاعلام المطبوع من دعائم سياسة الحملة . ومن ثم فإنها تجهزت بجهاز طباعي كبير ، كان في مقدمة أغراضه تحقيق جسر من « الاتصال » بين حكومة الحملة والشعب المصري . وكانت وسيلة ذلك تلك « المنشورات » العربية التي قرأ المصريون على صفحاتها « الكلمة المطبوعة » لأول مرة . واتسع النشاط الاعلامي للحملة ، فاصدرت صحيفة لجنودها وأخرى لعلمائها ، كما اصدرت منشورات بالفرنسية ومطبوعات أخرى .

ويقدم لنا المؤلف في هذا الكتاب دراسة قيمة لسياسة الحملة ووسائلها الاعلامية . ولقد خص المنشورات العربية ، من حيث هي البداية الحقيقية للصحافة المصرية ، بالجانب الأكبر من هذه الدراسة . من الناحيتين الاعلامية والتاريخية جميعا . واستطاع بذلك أن يلقي الضوء على عدة حقائق لم تكن - على أهميتها - معروفة من قبل .

وتتميز هذه الدراسة بالأصالة والجدة . فقد اعتمدت أساسا على مطبوعات الحملة نفسها ، من منشورات وغيرها . وكانت صور هذه المطبوعات - التي تنشر لأول مرة - هي المصدر الأول للبحث . وقد أنفق المؤلف الكثير من الوقت والجهد في التنقيب عن أصولها بالقاهرة وباريس ولندن ، ثم في تحليل خصائصها ، في ضوء خلفية عريضة من تاريخ الحملة .

انه لكتاب جدير حقا بان يحتل مكانا بارزا في المكتبة العربية .